بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك
كلية الآداب
قسم التاريخ/الدراسات العليا

" ضعف المجتمع الإسلامي في ظل الخلافة العباسية أيام السلطنة البويهية 334 – 447هـ / 945 – 1055م : أسبابه وآثاره "

The Weakness of the Islamic community under the Abbasid caliphate during the Buihad Sultanate 334 – 447 A.H. / 945 – 1055 A.D. : Its reasons and Impacts

إعداد
عماد عبد الكريم أحمد خلوف
2008240002

إشراف الأستاذ الدكتور
سليمان عبد عبد الله الخرابشة

2012م

ضعف المجتمع الإسلامي في ظل الخلافة العباسية أيام السلطنة البويهية
334 – 447هـ / 945 – 1055م : أسبابه وآثاره

The Weakness of the Islamic community under the Abbasid caliphate during the Buihad Sultanate 334 – 447 A.H. / 945 – 1055 A.D. : Its reasons and Impacts

إعداد

عماد عبد الكريم أحمد خلوف

ماجستير تاريخ إسلامي، جامعة ال البيت، 2000

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة دكتوراه الفلسفة تخصص التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن

وافق عليها

أ. د. سليمان عبد عبد الله الخرابشة .... رئيساً ومشرفا

أستاذ التاريخ الاسلامي، جامعة اليرموك

أ. د. نعمان محمود جبران ....عضواً

أستاذ التاريخ الاسلامي، جامعة اليرموك

أ.د. محمد عبد القادر خريسات.. عضواً

أستاذ التاريخ الاسلامي، الجامعة الأردنية

د. عليان عبد الفتاح الجالودي...عضواً

أستاذ التاريخ الاسلامي المشارك ، جامعة آل البيت

د. عصام مصطفى عبد الهادي عقلة...عضواً

أستاذ التاريخ الاسلامي المشارك ، الجامعة الأردنية

تاريخ مناقشة الاطروحة: 2012/7/12

إهـــــــداء

إلـى.......................................

من ودِغ الخيلة قبل أه لجطِ يد ة كمى

والدي رحمه الله تعالى

للشمعى التي أحزقت هسها وأضا ئت الد َزيق

والدتي أمدّ الله في عمرها.

من كانذيا خير عيهوسند

إخواني وأخواتي الأعزاء.

من صبرت واحتسبت ولم تبخل

زوجتي العزيزة.

فلذات كبد ة وصدر سعادتي

ولداي الغاليان.

رمسالت حي والع ائ

أساتذتي الأفاضل.

إليكم جميعا محبتي.... شكر ة... تقديز ة

الباحث
عماد خلوف

شكر وعرفان

اعترافاً مني بالفضل والعرفان لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر ووافر التقدير والإمتنان إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور سليمان عبد عبد الله الخرابشة الذي أكرمني بقبول الإشراف على هذه الدراسة، وشملني بعلمه وعطفه ورعايته وعنايته؛ فكان مثالاً للعالم المتواضع والأب الحاني، وكان لي الحافز الأكبر في مواصلة البحث، فأعطاني من وقته الثمين الكثير الكثير، وأمدني بعلمه ونصحه وإرشاده، وشرع لي أبواب مكتبته الخاصة، أنهل من معينها ما استطعت، مما ذلل الصعاب وأعانني على تحمل مشاق البحث، حتى خرج هذا العمل المتواضع إلى النور، والذي أرجو أن أكون قد وفقت في إنجازه. فالمولى عز وجلّ أسأل أن يمدّ في عمره، ويزيد في علمه، ويجعله سنداً وذخراً لكل طالب علم.على أني مقرّ بالتقصير، فلا أقول أن الغلط سهو جرى به القلم، بل أعترف أن ما أجهل أكثر مما أعلم.

وأخيراً أتوجه بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل، الذين أجهدوا أنفسهم، وصبروا وتحملوا عناء ومشقة قراءة هذه الأطروحة.

الإختصارات المستخدمة

أشير إلى المصادر والمراجع في الهوامش على النحو الآتي:

1- عندما يرد المؤلف لاول مرة، يشار للمعلومات الببلوغرافية كاملة على النحو الآتي:

مسكويه، أحمد بن محمد(ت421هـ/1030م) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003،ج5، ص255.

2- حينما يتكرر إستخدام المصدر أو المرجع، يذكر اسم الشهرة للمؤلف، ثم تذكر الكلمة الأولى من عنوان الكتاب، أو الكلمتين الأولى والثانية لنفي الإلتباس، ثم الجزء – إن وجد – والصفحة على النحو الآتي: مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص255.

3- إذا ورد للمؤلف كتابين أو أكثر، ووردا في هامش واحد، يفصل بينهما بفاصلة منقوطة ثم شرطة (....؛-....) ومثال ذلك: الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص111؛- سير أعلام النبلاء، ج16، ص436؛- العبر، ج3، ص278.

4- ترمز الحروف الآتية إلى ما يلي:

ت	الوفاة
هـ	الهجري
م	الميلادي
ق	القرن
ط	الطبعة
ج	الجزء
ص	الصفحة
د.ط	دون طبعة
د.ت	دون تاريخ نشر
د.ن	دون دار نشر
ع	العدد بالنسبة للدوريات
P.	رقم الصفحة بالانجليزي
vol.	رقم الجزء بالانجليزي

المحتويات

الموضوع	الصفحة
أعضاء لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
جدول الإختصارات المستخدمة	هـ
قائمة المحتويات	و
الملخص باللغة العربية	ح
المقدمة	1
أهمية الدراسة	1
إشكالية الدراسة	2
تحليل بعض مصادر الدراسة ومراجعها	5
التمهيد: الظروف والأحوال العامة في العراق قبيل السيطرة البويهية على بغداد سنة 334هـ/945م	20
أولا: الأحوال السياسية والإدارية	20
ثانيا: الأحوال الاقتصادية والاجتماعية	51
ثالثا: البدايات السياسية الاولى لامراء بني بويه	64
الفصل الأول: أسباب الضعف السياسية وأثرها على المجتمع	72
اولاً- السيطرة على مؤسسة الخلافة وضعف الخلفاء	73
ثانياً- الصراعات والحروب مع القوى السياسية في العراق	97
1.الحروب مع بني حمدان- أمراء الموصل(293-380هـ/905-990م)	97
2. الحروب مع بني شاهين- أمراء البطائح (338-373هـ/949-983م)	102
3. الحروب مع بني عقيل- أمراء الموصل (380-489هـ/977-1096م)	121
4. الحروب مع بني مزيد- أمراء الحلة (387-548هـ/997-1153م)	135
ثالثاً- الصراعات والحروب داخل البيت البويهي	144
رابعاً- الحروب مع الروم البيزنطيين	170

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني: أسباب الضعف المذهبية والفكرية وأثرها على المجتمع	182
اولاً- مذهب البويهيين	183
ثانياً- إحياء التقاليد الدينية الشيعية بشكل رسمي في الدولة	201
ثالثاً- الفاطميون ودورهم في نشر المذهب الإسماعيلي في العراق	226
أ- نشر المذهب الإسماعيلي في العراق	226
ب- دور داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي في نشر التشيع في العراق	235
ج- البساسيري ودوره في محاولة إلغاء الخلافة العباسية في العراق	237
الفصل الثالث: أسباب الضعف الإجتماعية وأثرها على المجتمع	254
أولاً – استغلال العامة في الصراع بين القوى السياسية وحراكهم الشعبي	255
ثانياً – العيارون والشطار ودورهم في إضعاف المجتمع	275
ثالثاً – الكوارث الطبيعية وأثرها على المجتمع	294
أ- الكوارث المائية من أمطار وفيضانات وبرد وصقيع وثلوج	295
1: الفيضانات والأمطار: زيادتها، نقصها، وقلة سقوطها	295
2: البرد والصقيع والثلوج	298
ب- الأمراض والأوبئة	299
ج- موجات الغلاء وارتفاع الأسعار	303
د- الزلازل	309
الفصل الرابع: أسباب الضعف الإقتصادية وأثرها على المجتمع	312
اولاً- الإقطاع العسكري ودوره في خراب الأرض	313
ثانياً- سياسة البويهيين المالية وفرض الضرائب	326
ثالثاً- سياسة المصادرات لرجال الدولة وأثرها على المجتمع	336
رابعاً- الإسراف والتبذير في النفقات	349
خامساً- نهب دار الخلافة ودار الإمارة	354
1- نهب دار الخلافة	354
2- نهب دار الإمارة	356
الخاتمة	358
قائمة المصادر الأولية والمراجع العربية والأجنبية	361
الملخص باللغة الانجليزية	388

الملخص

خلوف، عماد عبد الكريم، ضعف المجتمع الإسلامي في ظل الخلافة العباسية أيام السلطنة البويهية 334 – 447هـ / 945 – 1055م: أسبابه وآثاره"

أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، 2012م

(إشراف: أ. د. سليمان عبد عبد الله الخرابشة)

في الثلث الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي عاشت الدولة العباسية مرحلة من أكثر مراحلها سوءاً وعلى الصعد كافة، اذ عمّت الإضطرابات والفتن من كل نوع عاصمة الدولة العباسية، وزالت عن الجند والرعية هيبتهم، وبات الأمراء البويهيون يتحكمون بصورة كاملة في اختيار وعزل الخلفاء، ويتدخلون في الأمور صغيرها وكبيرها. وتدريجياً أخذت سلطات الخليفة تنتقل الى الأمير البويهي، مما زاد من حدة الصراعات بين الأمراء. وشهد العراق نتيجة ذلك سلسلة من الفتن والصراعات الداخلية، كان يدفع ثمنها دائماً عامة السكان، قتلاً وتدميراً وتخريباً للمنشآت؛ فتدهورت الأحوال الإقتصادية وعانت البلاد من موجات غلاء ومجاعة، وفرغت خزائن الخلفاء، وتجرأ الأمراء المحليون على الخروج على طاعة الخليفة، والطمع بأراضي الخلافة والسيطرة على بغداد. وقد كانت أرض الصراع دائماً وبصورة أساسية بغداد والعراق عامة، التي عمّتها الإضطرابات والأزمات، وانتشر فيها العيارون واللصوص ليزيدوا أحوالها سوءاً على سوء. لقد شكلت هذه المرحلة عن حق، البداية الحقيقية لإنهيار الخلافة العباسية، وإن كانت هذه المؤشرات قد بدأت قبل ذلك بفترة.

كانت السيطرة البويهية، إيذاناً ببدء مرحلة جديدة في حياة الدولة العباسية، وهي مرحلة إنتقال السلطة فعلياً وبصورة شبه كاملة من أيدي العرب الى أيدٍ غير عربية، تمثلت أساساً في قوى وشعوب إنطلقت من جنوب بحر قزوين ومناطق ما وراء النهر، حاملة معها الى داخل الدولة الإسلامية- التي كانت قد بلغت درجة عالية من التطور والرقي- ليس فقط عادات وتقاليد تتسم بالتخلف، بل والأهم من ذلك، مفاهيمها حول السلطة والملك والغلبة والولاء ودور العقيدة ونظرتها إلى الخلافة والخلفاء، وواجبات الملك والرعية....الخ. وستشكل هذه المفاهيم- التي ستأخذ بالتغلغل والترسخ ببطء داخل الدولة والمجتمع الإسلامي- عناصر هامة كانت وراء حالة الجمود والتقهقر التي ستعاني منها الدولة الإسلامية منذ ذلك الوقت؛ أي منذ السيطرة البويهية.

إن حقبة التسلط البويهي على العراق كانت من أسوأ الحقب التي سبقت الغزو المغولي للعالم الإسلامي؛ فقد حرص الأمراء البويهيون على إثارة الفتن والانقسامات الطائفية، وأحدثوا التفرقة العنصرية بين أفراد المجتمع الواحد بصورة علنية واضحة للعيان، كما تعرض خلفاء هذا العصر إلى القتل والتعذيب والإعتداء على حرمة الخلافة، وجرّدوا من سلطاتهم، ومنعوا من ممارسة دورهم في الحكم وقيادة الامة، بالإضافة إلى التخريب والدمار اللذين لحقا ببغداد وواسط والبصرة على وجه الخصوص جراء الحروب التي اندلعت بين أفراد الأسرة البويهية من جهة، وبين الأتراك من جهة أخرى؛ فكان كل منهم يمارس دوره في النهب الحضاري والاقتصادي.

الكلمات المفتاحية: **ضعف المجتمع الإسلامي ، الخلافة العباسية ، التسلط البويهي.**

المقدمة

أهمية الدراسة:

عاش المجتمع الإسلامي في الثلث الأول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي مرحلة من أكثر مراحله سوءاً. إذ عمّت الإضطرابات والفتن، وضعفت الخلافة كثيراً، وتسلط الجند على أمور الدولة كبيرها وصغيرها. وشهد المجتمع الإسلامي وخاصة في العراق سلسلة من الفتن والصراعات الداخلية، ولم يتغير الحال من بعد، إذ ظهرت قوى عسكرية جديدة تمثلت بالأسرة البويهية كانت امتداداً للطبقة العسكرية السابقة. وكانت أكثر تسلطاً وتحكماً بالدولة؛ فازدادت الأحوال سوءاً على سوء. ولحالة الضعف التي كانت الخلافة تعاني منها ولأسباب أخرى كثيرة، لم يتيسر للخلافة أن تخرج من محنتها. وظلت الأوضاع بعامة تعاني من الضعف والتأخر والانحطاط، وانفلات الأمن، وتدهور الأوضاع المالية، وبروز العلل بأنواعها من الداخل، واستعلاء الأعداء من الخارج.

وقد جذبت هذه الأوضاع التي راح المجتمع الإسلامي يعاني منها المفكرين من مؤرخين وغير مؤرخين بقصد المعرفة لأجل الحقيقة، ومن أجل معرفة الماضي وتوظيفه في خدمة الحاضر ومستقبله. ولذلك اتفقت الآراء في أمور، واختلفت وجهات النظر في أمور أخرى. ولذلك قامت هذه الدراسة بتسليط الأضواء على تلك الأوضاع، والصبر على البحث عن الأسباب التي أدت إلى تلك الأوضاع، وهي أسباب ليست بسيطة ومفردة، وإنما أكثر من ذلك بكثير. وقد تجاوزت هذه الدراسة معرفة الأسباب إلى التعرف على الآثار التي نجمت عن تلك الأسباب التي امتدت تسري في عروق المجتمع الإسلامي، ولم تسلم أيامنا الحاضرة من شررها.

إشكالية الدراسة:

تحاول هذه الدراسة أن تجيب على مجموعة من الأسئلة أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1- ما هي الأطراف التي شاركت في إضعاف المجتمع الإسلامي في العراق في العهد البويهي؟

2- ما نوع المشاركة التي تقدم بها كل طرف، وساهمت في إضعاف المجتمع الإسلامي في العراق؟

3- ما مستوى مسؤولية البويهيين عن الضعف الذي أصاب المجتمع الإسلامي في العراق؟

4- ما هي العوامل التي تشكل أبعاد هذه المسؤولية، سواء عوامل ترتد الى عوامل مذهبية أو مؤهلات أو إدارة؟

5- ما هي الآثار التي خلفتها حالة الضعف على المجتمع الإسلامي في شتى المجالات؟

اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة. اعتمد فيها الباحث على المنهج التاريخي في دراسة المصادر الأولية والمراجع الحديثة، وتحليلها للإفادة منها قدر الإمكان. تناول التمهيد فيها الظروف والأحوال العامة في المجتمع الإسلامي قبيل السيطرة البويهية على العراق، في محاولة لربط هذه الظروف مع ما استجدَّ منها في العصر البويهي. حيث شمل ثلاثة محاور رئيسة هي: الأحوال السياسية والإدارية، والأحوال الاقتصادية والاجتماعية، وأخيراً البدايات السياسية الأولى لأمراء بني بويه.

أما الفصل الأول فقد بحث في أسباب الضعف السياسية وأثرها على المجتمع، من خلال خمسة محاور رئيسة، شملت السيطرة على مؤسسة الخلافة وضعف الخلفاء، والحروب والصراعات مع القوى السياسية في العراق منها:(بني حمدان، بني شاهين، بني عقيل، وبني مزيد) والصراعات والحروب داخل البيت البويهي، وأخيراً الحروب مع الروم البيزنطيين.

أما الفصل الثاني فجاء ليحمل عنوان: أسباب الضعف المذهبية والفكرية وأثرها على المجتمع. من خلال أربعة مباحث، اهتم الأول منها بمذهبية البويهيين باعتبارها الأساس المسؤول عن الضعف الفكري الذي أصاب المجتمع، أما المبحث الثاني فقد أوضح دور البويهيين في إحياء التقاليد الدينية الشيعية بشكل رسمي في الدولة العباسية السنية المذهب. أما المبحث الثالث فقد تناول دور الفاطميين في نشر التشيع في العراق ذا الغالبية السنية من خلال استغلال مذهبية البويهيين الشيعية. وفي المبحث الرابع فقد أوضح دور الاشتغال بعلوم الأوائل- وعلى رأسها التنجيم والفلسفة- في ضعف المجتمع.

وجاء الفصل الثالث ليحمل عنوان: أسباب الضعف الاجتماعية وأثرها على المجتمع ليبحث دور العامة والكوارث الطبيعية في إضعاف المجتمع، من خلال ثلاثة مباحث. الأول منها يتناول استغلال العامة في الصراعات بين القوى السياسية وحراكهم الشعبي من خلال الثورات وحركات الاعتراض التي كانوا يقومون بها. أما الثاني فقد تحدث عن دور العيارين والشطار في إضعاف المجتمع كفئة اجتماعية ذات أهمية كبيرة في التعبير عن رفضها للواقع المرير الذي تعانيه أكثر فئات السكان في ظل السيطرة البويهية. أما المبحث الثالث فقد تناول دور الكوارث الطبيعية من أمطار وفيضانات وبرد وثلوج، وأوبئة وأمراض، بالإضافة إلى موجات الغلاء المتلاحقة، فضلاً عن الزلازل في إضعاف المجتمع.

أما الفصل الرابع فقد حمل عنوان: أسباب الضعف الاقتصادية، ليحمل بين طياته خمسة مباحث رئيسة. تحدث أولها عن دور سياسة الإقطاع العسكري التي انتهجها أمراء بني بويه وعلى رأسهم معز الدولة البويهي في خراب الأرض وتدميرها. أما ثانيها فقد تناول السياسة المالية للبويهيين ولجوئهم إلى فرض الضرائب المجحفة لتحصيل الأموال اللازمة للنفقات. أما الثالث فقد تحدث عن

سياسة المصادرات و أثرها السيئ على الوضع الاقتصادي والمالي للدولة. كما تناول المبحث الرابع إسراف وتبذير أكثر أمراء بني بويه ووزرائهم وحاشيتهم، مما زاد من النفقات المالية بحيث أصبح الخرج يفوق الدخل بأضعاف مضاعفة، الأمر الذي زاد من الضائقة المالية للدولة مما ألجأها إلى فرض مزيد من الضرائب على الناس، والتوسع في سياسة المصادرات التي طالت الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة والتجار. أما المبحث الخامس فقد جاء كنتيجة طبيعية للأوضاع المالية الصعبة التي تعاني منها الدولة، فقد تحدث عن تعرض دار الخلافة ودار الإمارة للنهب من قبل الجند والعامة كلما تغير خليفة أو أمير، مما يدلُّ على انعدام الأمن.

أما الخاتمة فقد أوجزت فيها النتائج التي توصلت الدراسة اليها.كما احتوت الدراسة على قائمة بالمصادر المطبوعة، والمراجع والبحوث العربية والأجنبية التي أسهمت في مجموعها في بناء هيكل البحث وما توصل اليه من نتائج.

تحليل بعض مصادر الدراسة ومراجعها

تنوعت المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة، تنوعاً تشهد به القائمة المثبتة في نهايتها، ويرجع ذلك الى طبيعة الموضوعات التي اشتملت عليها هذه الدراسة بين مواضيع سياسية ودينية وفكرية واجتماعية واقتصادية؛ فاعتمدت على المصادر التاريخية والادبية والجغرافية والفقهية والفكرية، والتي عالجت في مجملها أحداث هذه الفترة التي تناولتها الدراسة، بالإضافة الى المراجع والكتب العربية والأجنبية والتي تطرقت الى محاور معينة من هذه الدراسة. كما تمتاز المصادر التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة بأن بعض مؤلفيها عاشوا في العهد البويهي، وكانوا على صلة وثيقة برجال الدولة لتوليهم بعض الأعمال الإدارية، ولذلك فإنها تعد ذات أهمية تاريخية في دراسة العهد البويهي في العراق.

وعلى ضوء ذلك سأحاول تقديم عرضاً لبعض المصادر التي اعتمدت عليها واستخدمتها بصورة مباشرة لتغطية جوانب هذه الدراسة، بغضّ النظر عن مدى الفائدة التي أخذت منها، وما ذلك الا لتعريف القارئ والمهتم بأهمية هذه المصادر في موضوع الدراسة. مع العلم أن الفائدة التي تحصلت من هذه المصادر كانت على درجة من التفاوت بحسب موضوعاتها وأهميتها للموضوع؛ نظراً لاهتمامات المؤرخين المختلفة، بالإضافة الى ميولهم المختلفة ايضاً. وأهم هذه المصادر:

1- كتاب (التاجي في أخبار الدولة الديلمية) لأبي اسحاق الصابئ (ت384هـ/994م) والذي وصلنا من هذا الكتاب جزء صغير منه يعرف باسم " المنتزع من كتاب التاجي في أخبار الدولة الديلمية". وهو من المؤرخين الذين عاشوا في عصر التسلط البويهي على الخلافة العباسية، وقد اعتمدت عليه في استقصاء أصل بني بويه وكيفية تدرجهم في المناصب وظهورهم على مسرح

الأحداث. وتنحصر أهمية هذا المصدر في أنه أقدم وثيقة تاريخية تحدثت عن تاريخ الأسرة البويهية بإسهاب. كما أن مؤلفه كان يتولى ديوان الإنشاء، وهو من أهم دواوين الدولة في عهد الأميرين البويهيين عز الدولة بختيار وعضد الدولة. وقد أمدني هذا المصدر بمعلومات تكاد لا تجدها في سواه من المصادر. وقد تحدث الصابئ عن نسب البويهيين وعن الديلم والجيل، وعن عاداتهم وظروف معيشتهم، وعن طبيعة بلاد الديلم، وبداية علاقاتهم بالخلافة العباسية، وعن دخولهم الإسلام على يد الحسن بن الأطروش، كما تحدث عن الصفات التي كانوا يتميزون بها.

2- كتاب(جامع التواريخ أو نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) للتنوخي (ت384هـ/994م) اشترط فيه المؤلف أن لا يضمنه شيئاً موجوداً في كتاب آخر، ولكنه لم يتشدد كثيراً في التزام هذه القاعدة. ويبدو أن التنوخي استطاع أن يحصل على قدر كبير من المعلومات الغريبة بحكم قضائه كل حياته في مجتمعات مشاهير العراق وفارس، واتصاله خاصة بالرجال الذين جمعوا كل ما أمكنهم اكتشافه عن التاريخ من أسلافهم المباشرين ومعاصريهم أتصالاً وثيقاً. ورغم قلة الأخبار عن البويهيين ودولتهم، الإ أن رواياته القليلة هذه ذات أهمية نظراً لأنها لم تورد عند غيره كمسكويه أو سواه. وقد قدم هذا الكتاب صورة حيّة للمجتمع العباسي وخاصة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي عامة، كما احتوى كثيراً من المعلومات لم تذكرها كتب التاريخ العام. وهذا الكتاب عبارة عن حوادث وقعت للناس في عهد التنوخي أو في العهود السابقة له، وضعت في قالب القصص، لذلك فهي تمتاز بالأمانة والصدق والتعبير عن واقع الأحوال.كما عكس الكتاب الحالة الاقتصادية للعراق من صناعة وزراعة وتجارة ونقود ودور الضرب.

وللتنوخي كتاب آخر هو (الفرج بعد الشدة) الذي ضمنه مجموعة حكايات وأخبارا نستدل منها على شخصيات تلك المرحلة، وبعض موظفي الإدارات وصفاتهم، كما تضمنت الحكايات أخباراً عن عضد الدولة والمهلبي ووزراء آخرين، بالإضافة الى بعض الإشارات الإجتماعية والإقتصادية.

3- كتاب (العيون والحدائق في اخبار الحقائق) لمؤلف مجهول من علماء القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. فالجزء الرابع من هذا الكتاب ذا فائدة كبيرة لا تقل في أهميتها عن بقية المصادر التاريخية لا سيما وأن بعض المعلومات التي جاءت فيه جديدة، لم ترد في غيرها من المصادر.

4- كتاب (تجارب الامم وتعاقب الهمم) لمسكويه (ت421هـ/1030م). وهو من المصادر التي اعتمدت عليها بصورة رئيسية، حيث يعتبر مسكويه بصورة غير مباشرة، مؤرخ البويهيين، فقد عاش في بلاطهم وعرفهم عن كثب، كما أن حياته امتدت الى سنة 421هـ/1030م وهي تقريباً عمر الدولة البويهية. وقد أهدى كتابه هذا الى الأمير عضد الدولة البويهي.

يبدأ الكتاب تاريخه منذ بدء الخليقة وينتهي سنة 369هـ/979م. وفيما يتعلق ببني بويه، فبدأ مسكويه يذكرهم منذ بداية ظهورهم على مسرح الاحداث، فيحدثنا عن سلوكهم وصفاتهم ووزرائهم وبداية دولتهم، وعلاقاتهم بالخلافة العباسية، والأوضاع العامة خلال العهد البويهي، والإصلاحات التي قاموا بها، ومواقفهم الدينية وعلاقاتهم مع الأطراف والقوى الداخلية والخارجية، كما أمدني بمعلومات عن أهم الدواوين في العهد البويهي، وعن سياسة البويهيين المالية، وعن نظام الإقطاع المدني والعسكري الذي أخذ به معز الدولة البويهي، ولم تقتصر أهمية هذا الكتاب على هذه الناحية، بل أمدني بمعلومات عن موقف الأمراء البويهيين من الخلافة العباسية، وعن النزاع والتنافس الذي قام به البويهيين على السلطة وبخاصة بين عضد الدولة وعز الدولة.

وعلى الرغم من خدمته البويهيين فانه لا يخفي جرائمهم، بل يقسو في أحكامه عليهم أحيانًا قسوة شديدة؛ فيصوّر رأس الأسرة البويهية عماد الدولة مغامراً لا مبادئ له، ويلوم معز الدولة أعنف لوم لسوء أعماله، ولا يخفي أطماع عضد الدولة البويهي.

5- كتاب (تاريخ الصابئ) لهلال بن المحسن الصابئ (ت448هـ/1056م). ينتمي الصابئ الى أسرة من الصابئة، وكان هلال أول من أسلم من عائلته، وقد عاش في ظل الدولة البويهية، وكان أحد كتابها، اذ تنقل في مناصب عدة قبل أن يعمل كاتباً لفخر الدولة وزير بهاء الدولة وسلطان الدولة. وبحكم منصبه كان على شيئ من المعرفة الدقيقة بالأعمال الإدارية والأخبار كتلك التي نجدها عند مسكويه.

ويبدأ هلال كتابه بسنة 360هـ وينتهي بأخبار سنة 447هـ، ولكن معظمه مفقود ولا يوجد منه سوى جزء يتضمن أخبار خمس سنوات 389-393هـ/998-1002م ويمكننا اعتبار هذا الجزء الموجود كتكملة لكتاب الروذراوري.

ولهلال الصابئ كتاب آخر ذا فائدة كبيرة هو(رسوم دار الخلافة) الذي وضعه خلال خلافة القائم بامر الله(422-467هـ/1030-1704) ونجد فيه أخباراً عن بعض وزراء البويهيين، وعن بعض النواحي الاجتماعية والسياسية والادارية. ويبدو بوضوح من خلال عرضه لرسوم الخلافة في العصر البويهي، كيف أدخلت مظاهر وعادات جديدة بفضل التفوق البويهي وضعف الخلافة.

6- كتاب (الأحكام السلطانية والولايات الدينية) للماوردي (ت450هـ/1058م) الذي كان له منزلة كبيرة عند أمراء بني بويه، يرسلونه للتوسط مع مناوئيهم، ويرتضون بوساطته ويقفون بتقريراته. وقد ضمنه الماوردي بعض نظرياته السياسية في الخلافة أو الإمامة والوزارة والإمارة والقضاء وغيرها، بما يتفق مع وجهة النظر العباسية السنية، وكانت لهذه النظريات أهمية كبيرة عند

معالجة الخلفية المذهبية للعلاقات بين الدولتين العباسية والفاطمية، لأنها تمثل وجهة النظر السنية في معنى الإمامة، وشروط الامام بما يختلف تماماً مع وجهة نظر الشيعة الإسماعيلية

7- كتاب (تاريخ بغداد أو مدينة السلام) للخطيب البغدادي (ت463 هـ /1070م) وهو من المصادر الرئيسية التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة عن حركة البساسيري. الذي ينفرد بإيراد المعلومات الدقيقة، ذلك لأن المؤلف شهد دخول البساسيري بغداد على رأس أربعمائة فارس من جنده مع قرواش بن المقلد العقيلي أمير الموصل، كما شهد المعارك التي دارت بين البساسيري وجند الخليفة العباسي حول دار الخلافة، واستسلام الخليفة ووزيره رئيس الروؤساء وعميد العراق بعد أن منحوا الأمان. وقد هرب المؤلف من بغداد الى الشام بعد دخول البساسيري بغداد، وإقامة الخطبة للمستنصر بالله الفاطمي، ثم عاد اليها بعد القضاء على الحركة. لذلك فإن لكتابه أهمية كبيرة لأن مؤلفه عاصر أحداث هذه الفترة من تاريخ العراق، ودوّن ما شاهده بنفسه وما سمعه.

8- كتاب (السيرة المؤيدية) لهبة الله الشيرازي(ت470هـ/ 1077م) الذي نشر باسم " سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة " . وهو من المصادر ذات الأهمية الكبيرة التي اعتمدت عليها في بحثي عن حركة القائد التركي أبي الحارث البساسيري، وقد أمدني هذا الكتاب بمعلومات مهمة ، تكاد لا تجدها في مصادر اخرى، عن نشاط الدعوة الفاطمية في بلاد العراق وفارس في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. وتنحصر أهمية هذا الكتاب في أن مؤلفه كان أحد دعاة الفاطميين في بلاد العراق وفارس، ثم تولى بعد ذلك منصب داعي الدعاة في مصر بعد رحيله اليها في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي. وقد لعب هذا الداعي دوراً مهماً في نشر الدعوة الفاطمية بين صفوف الجند من الديلم والأتراك، واستمال عدداً من أمراء العرب في العراق والشام الى الدعوة الفاطمية، كما أدخل بعض أمراء بني بويه في الدعوة، وقد

عهد اليه الخليفة المستنصر بالله الفاطمي بالمسير الى البساسيري، وأمده بالمال والسلاح والرجال للقضاء على الخلافة العباسية في بغداد. على أن أخطر ما قام به هذا الداعي هو إثارة الفرقة بين صفوف السلاجقة، واستمالة أحد امرائهم وهو ابراهيم ينال أخو طغرلبك السلجوقي اليه.

9- كتاب (ذيل تجارب الامم) لأبي شجاع الروذراوري (ت488هـ/1095م). احتوى هذا الكتاب على حوادث 20 سنة، أي من سنة 369هـ/979م- وهي السنة التي توقف عندها مسكويه- الى سنة 389 هـ /998م.

حاول أبو شجاع الروذراوري في كتابه اتباع نفس طريقة مسكويه في الكتابة التاريخية، لكنه لم يبلغ ما وصل اليه مسكويه في ذلك، الإ أن كتابه يبقى ذا أهمية باعتباره يؤرخ لفترة الصراعات الحادة والإنقسامات التي عرفتها الأسرة البويهية بعد وفاة عضد الدولة البويهي.

10- كتاب(المنتظم في تاريخ الملوك والامم) لعبد الرحمن بن الجوزي(ت597 هـ /1200م). يعتبر ابن الجوزي أول المؤرخين الذين كتبوا عن المرحلة الأخيرة من الحكم البويهي. فمن الواضح أن الحقبة البويهية بعد بهاء الدولة 378-403هـ/988-1012م قد سجلت تسجيلاً مخلاً جداً، فما وصلنا من تاريخ هلال الصابئ يتوقف عند سنة 393هـ/1002م، ولكن ابن الجوزي نجح في سدّ هذه الفجوة، وبلغ بالتاريخ الإسلامي الى سنة 575هـ/1179م. اتبع فيه المؤلف منهجاً متميزاً عما سبقه من مؤلفات، حيث جمع بين التاريخ للأحداث على مدار السنوات، تناول فيه جميع الجوانب الفكرية والجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها. ويقدم لنا هذا الكتاب الكثير من الأخبار عن الأحوال العامة خلال العهد البويهي، خاصة فيما يتعلق بالأحوال السياسية التي عرفت خلال المرحلة الأخيرة من الحكم البويهي الكثير من الصراعات بين الأمراء البويهيين انفسهم. كما أن الكتاب من المصادر التي أسهبت في وصف حركة البساسيري. وقد أمدني

بمعلومات لا نجدها في مصادر أخرى، وخاصة فيما يتعلق منها بأمر المكاتبات بين طغرلبك وبين قريش بن بدران والبساسيري، والشروط التي عرضها البساسيري على الخليفة القائم بأمر الله العباسي والسلطان طغرلبك السلجوقي مقابل إعادة الخليفة الى حاضرة الخلافة.

11- كتاب (الكامل في التاريخ) لإبن الأثير (ت630 هـ /1232م) هو من الكتب الموضوعة في التاريخ العام، جعله على المنهج الحولي. ويتميز ابن الأثير في كتابه بالدقة وتحري الحقائق وتماسك الأفكار، والتركيز والبساطة في الأسلوب، ومراعاة التوازن في كتاباته بين الأقاليم، وقد اعتمد في جمع مادته على أدق المصادر وأوثقها، ومن هنا جاءت أهميته كمصدر أساسي لهذه الأطروحة، وربما أُخذ عليه أنه كان يمثل وجهة النظر العباسية، وينطلق في تصويره للأحداث من منطلق انه سني يخالف المذهب الشيعي الإسماعيلي الذي كان يعتنقه الفاطميون. وقد تحامل عليهم في كثير من أحكامه، ومثله مثل ابن الجوزي في عدم اعترافه بسلطة الخليفة الفاطمي الذي كان يطلق عليه لقب (صاحب مصر) في كثير من الأحيان . وقد أفادني بالكثير من المعلومات عن موقف البويهيين من الخلافة العباسية وعن نظام الخلافة والوزارة في العهد البويهي. كما اعتنى ابن الأثير في كتابه هذا بالأخبار الإقتصادية. وعلى العموم فإن هذا الكتاب يحتوي على تاريخ الدولة البويهية منذ قيامها الى سقوطها، بالإضافة الى انفراده بأخبار خاصة بالبويهيين.

12- كتاب (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان) لسبط ابن الجوزي (ت654 هـ /1257م). وهومن مشاهير المؤرخين. نشأ في بغداد ثم الموصل، لكنه استقر أخيراً في دمشق، وقد اعتمد مصادر ومراجع كثيرة ومن أهمها تاريخ جده عبد الرحمن بن الجوزي صاحب (المنتظم) وقد تناول المؤلف تاريخ العرب على الأساس الحولي مع ذكر التراجم والوفيات في أعقاب الحوادث سنة بعد سنة. استقى مادته العلمية عن القرنين الرابع والخامس من مصادر مفقودة، مما زاد من قيمة

الكتاب العلمية. وقد أمدني هذا الكتاب بمعلومات وافية عن موقف أمراء بني بويه من الخلفاء العباسيين، وعن النزاع الذي قام بينهم على السلطة في بغداد. وقد أورد معلومات موسعة عن حركة البساسيري وملابساتها، وكشف الكثير من الحقائق، التي لا توجد عند غيره ، وأورد نصوص بعض المكاتبات بين البساسيري والفاطميين، كما كشف حقيقة التشكك الذي ساد العلاقة بين الطرفين.

13- كتاب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لابن خلكان(ت681هـ/1282م) . عالج فيه المؤلف المادة العلمية المتوفرة بين ثنايا صفحاته بتدقيق ونقد، ورجح بعض الروايات. لذلك لهذا الكتاب أهمية كبيرة، حيث أورد معلومات كثيرة عن بعض الشخصيات البويهية منهم: علي بن بويه وأخواه: الحسن وأحمد. ولكن الواضح أنه لم يأت مؤلفه بجديد على ما ذكره ابن الأثير، والذي اعتمد عليه ابن خلكان في كتابة مؤلفه هذا.

14- كتاب (الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية) لابن الطقطقى (ت709هـ/1309م). وقد أفادني هذا الكتاب بمعلومات عن نسب البويهيين، وأكد انتسابهم الى واحد من ملوك الفرس، ونفى انتسابهم للديالمة، وقال: انهم سموا بذلك لانهم سكنوا بلاد الديلم، شأنه في ذلك شأن المؤرخ ابن الأثير. كما أمدني الكتاب بمعلومات عن بداية قيام دولة بني بويه، وأول اتصال لهم بالخلافة العباسية في بغداد وموقفهم منها بعد دخولهم بغداد سنة 334هـ/945م، كما ذكر روايات عديدة عن المؤامرات التي كانت تدبر في القصور ودور الحريم.

15- كتاب (خلاصة الذهب المسبوك المختصر من سير الملوك) للإربلي (ت717هـ/1317م). ويعتبر الإربلي من المؤرخين الثقات . لذلك يعتبر تاريخه مرجعاً مهماً لنا على الرغم من أن تدويناته جاءت مختصرة، تناول فيه تاريخ الدولة العباسية منذ قيامها الى سقوطها سنة

656هـ/1258م متبعاً في ذلك منهج الكتابة عن شخصيات الخلفاء واحداً بعد آخر، وفقاً للترتيب الزمني مع ذكر أعماله وأهم الأحداث التي وقعت في عهده. وهو في هذا كله يخضع للمنهج الحولي، أي يذكر الحوادث سنة بعد أخرى.

16- كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) لابن خلدون(ت 808هـ/1405م). تحدث فيه عن نسب البويهيين، وأكد عدم صحة الروايات القائلة بانتسابهم لأحد ملوك الفرس القدماء، أو لقبائل بني ضبة العربية، وأكد أنهم من الديلم. كما تحدث عن تأسيس دولة بني بويه، وعن الخلفاء العباسيين ووزرائهم وقادتهم، وعن أميري الأمراء، كذلك تحدث عن موقف البويهيين من الخلفاء العباسيين بعد دخولهم بغداد سنة 334هـ/945م.

هذا بالإضافة الى مصادر أخرى أمدتني بمعلومات عن حركة البساسيري والنفوذ الفاطمي الذي ساد العراق في العهد البويهي. ومن هذه المراجع كتاب" اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين" للمقريزي (ت845 هـ /1441م). وكتاب" المنتقى من تاريخ مصر" لابن ميّسر(ت677هـ/1278م). وكتاب " ذيل تاريخ دمشق" لابن القلانسي(ت555هـ/1160م).وكتاب " المختصر في أخبار البشر" ل[بي الفداء (ت 732هـ/1331م). كما اعتمدت على مجموعة من المصادر الفقهية، والتي تهتم بالمسائل الفقهية ودراسة أحوال واأفكار الفرق الدينية، وبالأمور المالية، فهي مصادر مهمة من ناحية دراسة الأحوال الإقتصادية والإجتماعية بصورة عامة وإن كانت لا تعكس واقع الحال، لأن السلطة ما كانت تخضع في تطبيقاتها العملية للقوانين الإسلامية التي يدعو إليها رجال الدين، بالإضافة الى أن الفقهاء أنفسهم كانوا مختلفين في تفسير النصوص، وفي محاولاتهم للتوفيق بين النص وبين رغبات الخليفة والامراء.

لكن رغم ذلك، فقد زودتنا هذه الكتب بمعلومات كثيرة عن الضرائب وأنواعها ومقاديرها، وعن الخراج، ومعاملة أهل الذمة.أهمها كتاب(الخراج) لأبي يوسف القاضي(ت182هـ/798م). أما كتب الفرق، فاعتمدنا على كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني، وكتاب(الفرق بين الفرق) لعبد القاهر البغدادي، فضلاً عن بعض كتب الفقه الشيعي مثل: كتاب (دعائم الاسلام) وكتاب(تأويل دعائم الاسلام) وكتاب(افتتاح الدعوة) للقاضي النعمان (ت363هـ/973م) وغيرها.

هذا بالإضافة الى الإعتماد على بعض المصادر الأدبية ذات العلاقة المباشرة بموضوع الدراسة، وخاصة تلك المصادر التي كان مولفؤها من المعاصرين والمشاركين في أحداث فترة الدراسة، مثل: كتب الماوردي المختلفة، والثعالبي، ودواوين الشعر كديوان الشريف الرضي.

كما تطرقت بعض الدراسات الحديثة الى مختلف أوجه الحياة السياسية والإقتصادية والفكرية، في إطار دراسة القرن الرابع الهجري، أو في معرض معالجتها لتاريخ الأسر الحاكمة، إو المناطق والولايات الأساسية، أو عبر تتبع النشاط الثقافي أو الديني....الخ.

فإلى جانب المصادر الأصيلة التي كانت الركيزة الأساسية التي بنيت عليها هذه الدراسة، فقد اعتمدت على بعض المراجع الحديثة، والتي أفادت الدراسة في كثير من جوانبها، على الرغم من تركيز أكثرها على الجانب السياسي والعسكري، دون التفات أكثرها الى الجانب الإقتصادي والإجتماعي والفكري لفترة التسلط البويهي على مقدرات الخلافة العباسية في العراق. ودون الالتفات أيضاً الى الآثار الخطيرة التي خلفتها سياسة البويهيين المذهبية والإقتصادية على المجتمع العراقي في العهد البويهي. فعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر بعض تلك المراجع:

1- كتاب (دراسات في العصور العباسية المتأخرة) لعبد العزيز الدوري. الذي تحدث فيه عن ضعف الخلافة العباسية ابتداءاً من فترة الخليفة الواثق بالله حتى نهاية العهد البويهي سنة

447هـ/1055م. وقد قدّم هذا الكتاب معلومات ذات قيمة وفائدة عن البويهيين من حيث نشأتهم في بلاد الديلم، ومبدأ أمرهم وتوسع نفوذهم حتى دخولهم بغداد سنة 334هـ/945م. كما تناول فيه أصول البويهيين وعلاقاتهم بالخلافة العباسية، كما تناول سياسية أمراء بني بويه المالية وآثارها الخطيرة على المجتمع، بالإضافة الى الظروف الإقتصادية والإحتماعية التي سادت عهد البويهيين. وأخيراً تناول الأسباب والعوامل التي أدت الى تدهور الدولة البويهية وسقوطها سنة 447هـ/1055م.

وهناك كتاب آخر للدوري لا يقلّ أهمية عن الأول وهو كتاب اقتصادي تاريخي تحت مسمى (تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري). ركز فيه المؤلف على الجوانب الإقتصادية التي سادت العراق تحديداً. اذ تناول فيه أحوال الأرض والزراعة، كما تناول نظام الإقطاع العسكري الذي طبقه البويهيون والذي أدى إلى خراب الأرض والزراعة ، اذ اعتبره الدوري سياسة زراعية هدامة أضرت بسواد العراق كله.

2- كتاب (الخلافة العباسية- السقوط والإنهيار) لفاروق عمر فوزي. تناول المؤلف في هذا الكتاب دور البويهيين ومحاولاتهم لإفساد الإسلام تحت شعار التشيع العلوي دون فهم لمغزاه، كما تناول فيه تجاوز البويهيين على مؤسسة الخلافة وشخص الخليفة حتى سلبوا أغلب صلاحياته منه، بالإضافة إلى تناوله موضوع (الإقطاع العسكري) والذي أشار الى أنه أداة للخراب الاقتصادي وللفساد الاداري والسياسي. كما ناقش المؤلف في مؤلفه هذا قضية محاولة البويهيين الغاء الخلافة العباسية وتحويلها إلى خلافة علوية، ثم التراجع عن هذه الفكرة تحقيقاً للمصالح السياسية، مبيناً في نفس الوقت الأسباب التي دفعتهم الى ذلك. كما تحدث الكتاب عن ردود الفعل العنيفة أحياناً التي

قامت في العراق على مواقف السلطة البويهية الإجتماعية والإقتصادية والسياسية، قاد هذه المواقف مؤسسة الخلافة العباسية، وكيانات سياسية في العراق، بالإضافة الى حركات شعبية كالعيارين.

3- كتاب(تاريخ الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي 132-656هـ/749-1258م) لخليل السامرائي. تناول المؤلف في هذا الكتاب ظهور بني بويه، ثم تسلطهم على الخلافة العباسية، وتجاوزهم على صلاحيات الخليفة، بالإضافة الى دور المقاومة للتسلط البويهي، والتي تمثلت في مقاومة مؤسسة الخلافة. ثم مقاومة الإمارات العربية في العراق، والمقاومة الشعبية المتمثلة بمقاومة العامة. وأخيراً يتناول الأسباب والعوامل التي أدت الى ضعف النفوذ البويهي واعتلاله.

4- كتاب (الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين) لوفاء محمد علي. غير أن هذا الكتاب مجرد سرد سطحي لبعض الأحداث المنقولة من كتب التاريخ، وخاصة منها كتاب (تجارب الأمم).

5- كتاب(العلاقات العربية السياسية في عهد البويهيين) لحامد غنيم ابو سعيد. ركز فيه المؤلف على الجانب السياسي دون الالتفات الى الجوانب الأخرى. فقد تناول فيه العلاقات السياسية بين العراق ومصر في عهد البويهيين، حيت تحدث عن دور دعاة الفاطميين في نشر الدعوة الفاطمية في العراق في ظل وجود بني بويه، ثم كيف تحولت العلاقة بين البويهيين والفاطميين الى العداء، بالإضافة إلى تناوله موضوع الصراع الذي قام بين أمراء البويهيين على السلطة. مؤكداً في الوقت نفسه على استغلال الخلفاء الفاطميين والدعاة لفترة الصراع بين أمراء بني بويه لنشر التشيع والدعوة الفاطمية في العراق، حتى نجحوا في استمالة بعض أمرائهم وقادة الجيش العباسي ألى صفوفهم.

6- كتاب (تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الاتراك الى منتصف القرن الخامس الهجري) لمحمد جمال الدين سرور. فقد عنى المؤلف في مؤلفه هذا على دراسة سياسة البويهيي

في إقامة سلطانهم، حيث شرح فيه موقف أمراء بني بويه من الخلفاء العباسيين الذين عاصروهم طيلة فترة حكمهم. كما تناول حرص البويهيين على مشاركة أمراء بني بويه للخلفاء العباسيين في مظاهر سيادتهم الدينية والسياسية، بالإضافة الى تتبعه تطور نظام الوزارة في عهدهم.

7- كتاب (البويهيون والخلافة العباسية) لإبراهيم الكروي. تحدث فيه المؤلف عن نسب البويهيين، وبداية اتصالهم بالدولة العلوية في طبرستان، وبداية تأسيس الدولة البويهية، وتوسعهم بعد النزاع مع مرداويج بن زيار، الى أن تمكنوا من احتلال أرجان ثم الإستيلاء على شيراز، ثم ضم الأهواز، كما تحدث عن علاقة البريديين بالبويهيين. كما تناول المؤلف علاقة الأمير معز الدولة البويهي بالحمدانيين وموقفه منهم.

8- كتاب (تاريخ الدولة البويهية السياسي والإقتصادي والثقافي- مقاطعة فارس - 334-447هـ، 945/1055م) لحسن منيمنة. وهو دراسة تبحث أساساً بأوضاع إقليم فارس خلال العهد البويهي، وتقدم صورة عن أحوال الدولة البويهية من خلال تلك المقاطعة، إلا أنها في الحقيقة أوسع من ذلك، اذ تتطرق لأحوال الدولة البويهية عامة وشؤون الخلافة العباسية التي حكموا بإسمها ما يزيد عن القرن، خاصة في مركز الخلافة بغداد. كما تطرق الى طبيعة العلاقة التي ربطت بين مقاطعتي فارس والعراق آنذاك. فالعديد من أمراء فارس تولوا في الوقت نفسه حكم العراق، بل إن فارس تحولت في بعض الفترات الى المقر الأساسي للأمير البويهي، الحاكم الحقيقي للخلافة العباسية، عندما نقل هؤلاء مقر حكمهم من بغداد الى شيراز، وباتت شؤون الخلافة تدار من شيراز عاصمة فارس.التي لم تكن مجرد عاصمة لإقليم من أقاليم المملكة، بل كانت إحدى عواصم الدولة البويهية الى جانب بغداد والري.

9- كتاب(الأحوال السياسية والدينية في بلاد العراق والمشرق الإسلامي في عهد الخليفة القائم بأمر الله العباسي 422-467هـ/1031-1075م) لمحمود عرفة. تناول فيه المؤلف دراسة الأحوال السياسية والدينية خلال عهد الخليفة القائم بأمر الله دراسة تحليلية تاريخية، اذ تناول فيه أحوال الخلافة العباسية قبيل عهد الخليفة القائم بأمر الله، ثم تناول الصراع الذي قام بين القوى الإسلامية في العراق ، كالمنازعات التي نشأت بين الأمراء البويهيين على السلطة ومن أجلها، بالإضافة الى الحديث عن المنازعات التي قامت بين القبائل العربية كبني مزيد وبني عقيل، مما كان له أكبر الأثر في إضعاف قوتهم بحيث لم يتمكنوا من تحقيق أحلامهم في الاستقلال التام، والتخلص من التدخلات في شؤونهم الداخلية التي كان أمراء بني بويه يقومون بها بين الحين والآخر. وأخيراً فقد استخلص المؤلف النتائج التي ترتبت على الأحوال السياسية والدينية خلال عهد القائم بأمر الله، والآثار التي تركتها الحالة الإقتصادية للدولة العباسية والحياة الإجتماعية لرعاياها.

هذا بالإضافة الى مجموعة متنوعة من المراجع العربية والأجنبية والتي تناولت جوانب معينة من مواضيع الأطروحة من قريب أو بعيد، مما كان له الأثر في إضفاء مزيد من التحليل والرؤى الجديدة لموضوع الدراسة. ناهيك عن مجموعة من المقالات التي تناثرت هنا وهناك بين ثنايا المجلات والدوريات، بالإضافة الى ما جاء في دائرة المعارف الاسلامية من مقالات متنوعة تناولت جانب أو عدة جوانب من الدراسة في سياق تناولها للأسر الحاكمة مثلاً.

التمهيد

الظروف والأحوال العامة في العراق قبيل السيطرة البويهية على بغداد سنة 334هـ/945م

أولا: الأحوال السياسية والإدارية........................ 20

ثانيا: الأحوال الاقتصادية والاجتماعية 51

ثالثا: البدايات السياسية الأولى لأمراء بني بويه 64

التمهيد:

الظروف والأحوال العامة في العراق قبيل السيطرة البويهية على بغداد سنة 334هـ/945م.

أولاً: الأحوال السياسية والإدارية:

ضعفت الدولة العباسية بعد استفحال نفوذ القادة الأتراك الذين كانوا وراء حادثة مقتل الخليفة المتوكل على الله[1] سنة 247 هـ / 861 م [2]. فكانت تلك الحادثة إيذاناً ببداية عهد جديد من الإضطراب والإنقسام والتدهور للدولة العباسية. ويصف اليعقوبي خلافة المنتصر بقوله:" وكان الغالب عليه أوتامش[3] وأحمد بن الخصيب[4]".[5] وكذلك الحال بالنسبة لخلافة المستعين إذ" غلب على أمره أوتامش التركي، وشجاع بن القاسم- كاتب أوتامش- وأحمد بن الخصيب، حتى لم يبق لأحد معهم

---

(1) المتوكل على الله (205 – 247 هـ/ 820 – 861م): هو جعفر بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد، بويع بالخلافة بعد موت أخيه الواثق سنة 232 هـ / 846م، أظهر السنة، ورفع محنة القول بخلق القرآن. كان عزم على نقل عاصمة ملكه إلى دمشق. قتل على أيدي الأتراك سنة 247 هـ / 861م. أنظر: مسكويه، أحمد بن محمد (ت 421 هـ / 1030م) تجارب الأمم وتعاقب الهمم؛ تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003،ج4، ص 106–107؛ الذهبي، محمد بن أحمد(ت 748 هـ / 1374م) سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 2008، ج12، ص 30 فما بعد.

(2) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255 هـ/ 868م) تنبيه الملوك والمكايد، تحقيق: ياسر الحسيني وآخرون، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2007، ص 256 فما بعد؛ الطبري، محمد بن جرير (310هـ/ 922م) تاريخ الطبري أو (تاريخ الرسل والملوك)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار سويدان، د. ت، ج9، ص 227 – 228؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج4، ص 136 – 137؛ ابن الأثير، علي بن محمد(ت 630 هـ / 1232) الكامل في التاريخ، بيروت: دار الفكر، 1978، ج5، ص 302 – 303.

(3) أوتامش: أحد قادة الأتراك، أستوزره الخليفة المستعين سنة 247هـ/861م، وأطلق يده في بيوت الأموال حتى صارت أموال الخليفة تذهب الى بيته، فحقد عليه كل من وصيف وبغا التركيين، فأوغرا العساكر الأتراك ضده حتى قتلوه سنة 249هـ/863م. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص263؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج4، ص150–151؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص313.

(4) أحمد بن الخصيب: الجرجرائي أبو العباس الكاتب كان يكتب للمنتصر وهو أمير فلما تولى الخلافة تولى له البيعة على الناس فولاه الوزارة ، ولم يزل وزيره حتى مات واستخلف المستعين فأقره على وزارته شهرين ثم نكبه.
الطبري،تاريخ= = الرسل والملوك، ج9، ص240؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج4، ص141؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص311.

(5) اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب(ت284هـ/897م) تاريخ اليعقوبي، بيروت: دار صادر، 1960، ص493.

أمر "[1]. ويضيف المسعودي بقوله:" والمستعين لا أمر له، والأمر لبغا ووصيف، حتى قال فيه أحد الشعراء [2] (من الرجز):

خليفة في قفص بين وصيف وبغا

يقول ما قالا له كما تقول الببغا

أما عن خلافة المعتز فيقول اليعقوبي:"...... وغلب على الأمر – يعني صالح بن وصيف التركي– فهمّ المعتز بجمع الأتراك، ثم دخل عليه، فأزاله من مجلسه، وصّير في بيت، وأخذ رقعته بخلع نفسه"[3]. ويصف ابن خلدون حال الخلافة العباسية بعد مقتل المتوكل بقوله: " ضعفت الدولة العباسية بعد الإستفحال، وتغلب على الخليفة فيها الأولياء والقرابة والمصطنعون، وصار تحت حجرهم من حيث قتل المتوكل وحدثت الفتن ببغداد"[4].

بدأت الدولة العباسية بالإنقسام بعد حادثة مقتل الخليفة المتوكل على الله، حيث أخذت بعض الدويلات الإسلامية في المشرق الاسلامي ومغربه بالإستقلال عن الخلافة العباسية. حيث أنتشر العلويون في الولايات والأقاليم مظهرين دعوتهم، ومحاولين إقامة دويلات شيعية

---

[1] المصدر نفسه ، ص494.

[2] المسعودي، علي بن الحسين(ت346هـ/957م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، 1988، ج4، ص145؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1992، ص358؛ العصامي، عبد الملك بن حسين (ت1111هـ/1699م) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1998، ج3، ص473.

[3] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ص504؛ انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص178.

[4] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ/ 1405م) تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 2003، ج3، ص 344.

مستقلة عن جسم الدولة العباسية. ففي سنة 250 هـ / 864م ظهر الحسن بن زيد [1]– المعروف بالداعي– بطبرستان واستولى عليها في أيام الخليفة المستعين[2]. وفي سنة 296 هـ / 908م دعا أبو عبد الله الشيعي بأفريقيا لطاعة عبيد الله المهدي، حيث بويع له بالخلافة وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين، واضعاً بذلك أساس الدولة الفاطمية[3]. وفي اليمن ظهر يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي ابن إبراهيم طباطبا الملقب بالرئيس حيث أظهر دعوة الزيدية؛ فملك بلاد اليمن [4].

أما في المشرق الإسلامي فقد استقلّ عدد من الدويلات الإسلامية عن الدولة العباسية استقلالاً شبه تام احتفظ الخليفة فيها بالخطبة له على منابرها وسك اسمه على عملتها. ففي سنة 254 هـ / 867م بدأت الدولة الصفارية بالظهور بعد أن استولى صاحبها على سجستان وهراة من خراسان[5]. كما ملك السامانيون ما وراء النهر سنة 261هـ /870 م [6].

---

[1] هو الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب. الطبري، تاريخ الرسل، ج9، ص271؛ ابن الاثير، الكامل، ج5، ص316؛ وعند مسكويه هو(الحسن بن زيد بن محمد بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب). تجارب الامم، ج4، ص155. ظهر سنة 250هـ/864م وكثر جيشه، واستولى على جرجان، واستفحل امره، وهزم جيوش الخلفاء، ثم اخذ الري، =وصاهر الديلم، وتمكن وعظم وامتدت ايامه الى ان توفي سنة 270هـ/883م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج13، ص136–137.

[2] الطبري، تاريخ الرسل، ج9، ص 271؛ مسكويه، تجارب الامم، ج4، ص155؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 316؛ فوزي، فاروق عمر، طبيعة الدعوة العباسية 98هـ/ دراسة تحليلية لواجهات الثورة العباسية وتفسيراتها، بيروت: دار الارشاد، 1970، ص307–308.

[3] ابن الأثير، الكامل، ج6، ص ص127؛ فوزي، طبيعة الدعوة العباسية، ص307–308.

[4] ابن خلدون، العبر، ج3، ص 345؛ العصامي، سمط النجوم، ج3، ص539.

[5] الطبري، تاريخ الرسل، ج9، ص 502؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 337 – 338.

[6] الطبري، تاريخ الرسل،ج9، ص514؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج4، ص273؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص3– 4؛ ابن خلدون، العبر، ج3، ص 345.

أما في العراق فقد كان خروج صاحب الزنج بالبصرة في خلافة المهتدي العباسي سنة 255هـ / 868م [1]. ثم بدأ القرامطة بالظهور في سواد الكوفة سنة 278 هـ/ 889م[2]. إلا أن أمرهم عظم واشتدَّ في البحرين سنة 286 هـ /899م[3].

وفي مصر ظهر أمر ابن طولون سنة 254 هـ / 868م، وبدأ في إقامة دولته، حتى شمل ملكه مصر والشام [4].

وقد اعتبرت حادثة اغتيال الخليفة المتوكل بانها كانت أول مؤامرة اغتيال دبرت على خليفة عباسي، حيث لم يعتد على خليفة منهم قبل ذلك [5]. لذلك فقد وصفت بأنها كانت فاتحة بلاء على الخلافة، وإعلان لزاول حرمتها، فهي أول مرة يجرؤ فيها الجند البرابرة على سفك دم الخلفاء والتعدي عليهم، وشجعتهم على اقتراف أنواع الجرائم ضدهم[6].

ولما كانت هذه الحادثة هي الأولى من نوعها في تاريخ الخلفاء العباسيين، فهي تمثل البداية الأولى لزوال سلطات الخليفة، كما تمثل البداية الأولى لسيطرة العناصر غير العربية على الجيش

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل، ج9، ص 410؛ المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص194؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج4، ص 223 فما بعد؛ السامر، فيصل، ثورة الزنج، دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، ط2، 2000نص47 فما بعد.

[2] الطبري، تاريخ الرسل، ج10، ص 23؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج4، ص 353 – 354؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 69 – 70؛ زكار، سهيل، أخبار القرامطة في الإحساء- الشام- العراق- اليمن، دمشق: دار حسان، ط2، 1982، ص6؛ دي خويه، ميكال، القرامطة- نشأتهم، دولتهم وعلاقاتهم بالفاطميين، ترجمة: حسني زينة، بيروت: دار ابن خلدون، ط1، 1978، ص26.

[3] الطبري، تاريخ الرسل، ج10، ص 71؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج4،، ص 381؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 92؛ زكار، اخبار القرامطة، ص12 فما بعد.

[4] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 339، ج6، ص 18.

[5] فوزي، فاروق عمر، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية 247 /334 هـ- 861/ 946م، دراسة تاريخية لبوادر التسلط العسكري على الخلافة العباسية، بغداد: مكتبة المثنى، ط2، 1977، ص 66.

[6] الدوري، عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد: مطبعة السريان، 1945، ص 56.

والسياسة معاً، حتى " أصبح الخليفة صنيع القادة العسكريين الأتراك الذين يعينونه ويعزلونه بقوة سيوفهم وبرماح جنودهم"[1]. كما سينتزع قادة الجيش الأتراك كل سلطات الخليفة الدنيوية، ولم يبقوا له غير بعض سلطاته الدينية كالسكة والخطبة، وحتى هذه شاركوه فيها كما سيأتي فيما بعد.

أما فيما يتعلق بتعيين الخليفة وعزله بل وحتى طريقة قتله فقد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بمزاجية القادة الأتراك ثم الديالمة من بعدهم. فهذا الخليفة المنتصر بالله (247-248هـ/981-862م) يموت مسموماً قبل أن يكمل عامه الأول في الخلافة وذلك سنة 248هـ/ 862 م[2]. أما المستعين فقد قتل بتدبير من قادة الأتراك الذين وقفوا إلى جانب المعتز في حربه مع المستعين بعد أن اضطر إلى خلع نفسه سنة 252 هـ/ 866م[3].

أما الخليفة المعتز فقد كانت نهايته على يد القادة الأتراك مؤلمة، تدل على طغيان الجند وقادتهم وسوء أدبهم وسلوكهم[4]. حيث سُحل من رجله وضرب بالدبأبيس، فتمزقت ثيابه، وأوقف في الشمس، فكان يرفع رجلاً ويضع أخرى لشدة الحر ثم تنازل عن الخلافة بعد أن ضربوه ولطموه وقد مات في السجن عطشاً[5]. ويصف ابن الطقطقي الحالة في أيام الخليفة المعتز بقوله: " إن الأتراك قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة، واستضعفوا الخلفاء، فكان الخليفة في يدهم كالأسير، إن شاءوا

---

(1) فوزي، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، ص 66.

(2) الطبري، تاريخ الرسل، ج9، ص 251؛ المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص 134؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ/ 1505م) تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1952، ص 357؛ الدوري، عبد العزيز، دراسات، ص 60؛ فوزي، الخلافة العباسية، 69.

(3) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص 499؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج9، ص 348، 363؛ المسعودي، مروج، ج4، ص 44؛ الدوري، دراسات، ص 65.

(4) فوزي الخلافة العباسية، ص 73.

(5) الطبري، تاريخ الرسل، ج9، ص 389 – 390؛ المسعودي، مروج، ج4، ص 178؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 360.

أبقوه، وإن شاءوا خلعوه، وإن شاءوا قتلوه"[1]. وكذا المهتدي فإنه وقع ضحية محاولة إبعاد القادة الأتراك وإقصائهم عن السياسة، والسيطرة على مؤسسة الخلافة، فكلفه ذلك حياته سنة 256هـ / 869م[2].

أما حمزة الأصفهاني فقد ألقى باللائمة على الخليفة المقتدر في الحالة التي وصلت اليها الدولة من الضعف والإنهيار ليصل بعد ذلك الى أن البويهيين هم من حاولوا إصلاح الأمور وإعادة هيبة الدولة الى سابق عهدها من القوة والمنعة. فقد ذكر أن الخلافة العباسية دخلت مرحلة التدهور سنة 308هـ / 920م، أي بعد مرور ثلاثة عشرة سنة من خلافة المقتدر. إذ يقول:" فعندما بدأت الأحداث والفتن في دار مملكتهم، فأزالت عن الجند والرعية هيبتهم، وأخلت من الأموال خزائنهم، ومن ذخائر أوائلهم بيوت أموالهم، وكانت مدة لبث هذه الأحداث في دار مملكتهم خمس وعشرين سنة" [3] أي سنة 334 هـ/ 945م وهي سنة دخول البويهيين إلى بغداد، الذين اعتبرهم الأصفهاني أنهم جاءوا غوثاً لسلطان بني العباس عندما يقول: " وشمل به الخراب بغداد، ووقع على سكانها الجلاء إلى أن أغاث الله بقاياهم بأبي الحسين بويه".[4] وما ذاك إلا لما يعرف عن الأصفهاني من ميله للتشيع، وتعصبه للفارسية [5] جنباً الى جنب مع البويهيين.

---

[1] ابن الطقطقي، محمد بن علي (ت 709 هـ/ 1309 م) الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر مايو، حلب: دار القلم العربي، ط1، 1997، ص243.

[2] اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص 506؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج9، ص 459؛ المسعودي، مروج، ج4، ص 186؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 393؛ اليوزبكي، توفيق سلطان، مؤسسة الوزارة في الدولة العباسية 132 – 656هـ/ 749 – 1258م، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1988، ص 126.

[3] الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت 360 هـ/970م) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1961، ص 154؛ الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، بيروت: دار التعارف، ط 6، 2002، ج1، ص 401.

[4] الاصفهاني، تاريخ سني ملوك الارض، ص154.

[5] ابن النديم، محمد بن اسحاق(ت380هـ/990م) الفهرست، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1996، ص224؛ البابانى،اسماعيل باشا بن محمد(ت1339هـ/1920م) هدية العارفين واثار المصنفين من كشف الظنون، اعتنى به:محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2008، مجلد6،ص304؛ الزركلي، خير الدين، الاعلام، بيروت: دار العلم للملايين، ط6، 1984، ج2، ص277.

والحقيقة أن البويهيين لم يأتوا عوناً ولا غوثاً للخليفة – كما يدعي الأصفهاني– ولكن مجيئهم كان بطلب من القادة الديالمة كينال كوشه[1] الذين وجدوا أن الفرصة أصبحت سانحة ليتحكموا بالدولة، لذلك استنجدوا ببني جلدتهم من البويهيين الديالمة ليحققوا لهم مبتغاهم في السيطرة، فضلاً عن الرغبة الشديدة لدى البويهيين في التوسع غرباً على حساب الخلافة العباسية.

تولى الخلافة خلال هذه الفترة خمسة خلفاء هم: المقتدر بالله (295–320هـ/907–932م)، القاهر بالله (320 – 322 هـ / 932 – 933 م) الراضي بالله (322 –329 هـ/933– 940م)، المتقي لله (329–333هـ/ 940–944م)، والمستكفي بالله (333 – 334 هـ/ 944 – 945م).

كان القاسم المشترك الذي يجمع هؤلاء الخلفاء هو صفة الضعف التي اتصفوا بها. لذا فقد كانوا جميعاً من صنع رؤساء الكتاب– اي المؤسسة المدنية– والعسكريين– اي المؤسسة العسكرية. وتعتبر هذه الصفة هي الشرط الذي كان يتطلبه تنصيب الخليفة، وما ذلك إلا للتحكم والتصرف بأمور الدولة كاملة تحت غطاء شرعي ممثل بوجود خليفة ضعيف لا حول له ولا قوة أمام تحكم القادة المدنيين والعسكريين على حد سواء. فهذا علي بن الفرات الكاتب – الذي أصبح وزيراً فيما بعد – ينصح الوزير العباس بن الحسن ألا يولي الخلافة من كان يتصف بالقوة والحزم بل قال له " ولم تجيء برجل يأمر وينهى ويعرف ما لنا، وبمن يباشر التدبير بنفسه، ويرى أنه مستقل، ولم لا تسلم هذا الأمر إلى من يدعك تدبره أنت". [2]

---

[1] ينال كوشه: احد كبار رجال الدولة، قلده أمير الأمراء ابن شيرزاد اعمال المعاون بواسط سنة 334هـ/945م، ثم دخل في خدمة وطاعة معز الدولة البويهي قبل دخوله بغداد. مال الى جانب ناصر الدولة الحمداني في حربه مع معز الدولة البويهي. انظر: مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص275، 278 .

[2] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 3.

وبنــاءاً علــى ذلــك فقــد تــمَّ اختيــار المقتــدر للخلافــة ولــم يتجــاوز ســنه الثالثــة عــشرة مــن العمــر.[1] ولــذلك أصــبح عرفــاً ألا يــولى أمــر الخلافــة " مــن عــرف دار هــذا ونعمــة هــذا وبــستان هــذا، وجاريــة هــذا، وضــيعة هــذا، وفــرس هــذا، ومــن لقــي النــاس ولقــوه، وعــرف الأمــور وتحنــك وحــسب حــساب نعــم النــاس"[2]. فهــو بــذلك غيــر قــادر علــى إدارة الدولــة، ممــا أدى إلــى تــدهور الخلافــة وتزايــد تــدخل العــسكريين فــي أمــور الــسياسة، بالإضــافة إلــى تــدخل الحــريم والحاشــية فــي شؤون الحكم.

ويــصف ابــن الأثيــر حــال الدولــة فــي خلافــة المقتــدر بقولــه: " إن المقتــدر أهمــل مــن أحــوال الخلافــة كثيــراً، وحكــم فيهــا النــساء والخــدم، وفــرّط فــي الأمــوال وعــزل مــن الــوزراء وولــى، مــا أوجــب طمــع أصــحاب الأطــراف والنــواب وخــروجهم عــن الطاعــة. وكــان جملــة مــا أخرجــه مــن الأمــوال تبــذيراً وتــضييعاً فــي غيــر وجــه نيفــاً وســبعين ألــف ألــف دينــار، ســوى مــا أنفقــه فــي الوجــوه الواجبة وإذا اعتبرت أحوال الخلافة أيام المكتفي ووالده المعتضد رأيت بينهم تفاوتاً بعيداً"[3].

كــان الــدور الأساســي فــي توجيــه الدولــة فــي عهــد المقتــدر بــالله بيــد النــساء والــوزراء والكتــاب. إذ كــانوا يتــصرفون بــأمور الدولــة كيفمــا يــشاءون، مــستمدين إرشــاداتهم وتوجيهــاتهم مــن الحــرم والحــرس[4]. فقــد قبــضت أم المقتــدر علــى زمــام الأمــور، فكانــت تــولي وتعــزل، وحالــت دون

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل، ج10، ص139؛ الصولي، محمد بن يحيى(ت335هـ/946م) أخبار الراضي والمتقي أو تاريخ الدولة العباسية من 322 إلى سنة 333هـ (من كتاب الأوراق)، عنى بنشره: ج. هيورث، بيروت: دار المسيرة، 1979، ص44؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص3.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 3.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 221 – 222.

(4) الصولي، أخبار المقتدر بالله، ص56؛ المسعودي، علي بن الحسين (ت346 هـ / 957م) التنبيه والإشراف، بيروت: دار مكتبة الهلال، 1981، ص 342؛ ابن الأثير، الكامل، ج6،ص140 ؛ الدوري، دراسات، ص 197؛ الأطرقجي، واجدة مجيد عبد الله، المرأة في أدب العصر العباسي، العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، ط1، 2002، ص79، 95-97.

سيطرة العسكريين على الخليفة[1] إلا أن الصراع الذي كان ينشأ بين الوزراء والكتاب دمر قوتهم، مما أفسح المجال أمام المؤسسة العسكرية للتدخل في شؤون الحكم والإدارة، مما أعاد للأذهان عصر الفوضى العسكرية من جديد.

لم تتمكن أم المقتدر من وقف الصراعات الداخلية التي كانت تنشأ بين الوزراء والكتاب من جهة، أو بين القادة العسكريين من جهة أخرى، الأمر الذي أدى إلى خلع المقتدر من الخلافة مرتين. فكانت الأولى بعد استخلافه بأربعة أشهر، حيث نصب ابن المعتز مكانه، إلا أن ذلك لم يدم سوى يوم واحد، عاد بعده المقتدر إلى الخلافة، وقتل ابن المعتز سنة 296 هـ /908 م[2]. ويعزو بعض المؤرخين سبب خلع المقتدر من الخلافة إلى صغر سنه وعجزه عن تدبير الخلافة، واستيلاء أمه والقهرمانة [3]على الخلافة وتحكمهن بالدولة [4].

وفي سنة 317 هـ / 929 م جرت محاولة ثانية ضد المقتدر لعزله عن الخلافة. فقد أجمع القواد والجند والأكابر والأصاغر مع مؤنس الخادم على خلعه، فقهروه وخلعوه وطالبوه أن يكتب رقعة

---

(1) المسعودي، التنبيه والإشراف، 344؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 381. أنظر: متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد أبو ريده، القاهرة: مكتبة الخانجي، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت، ج1، ص34؛ الزركلي، الأعلام، ج3، ص 168.

(2) المسعودي، التنبيه، ص 343؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 7؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن علي (ت 597 هـ / 1201م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1992، ج 13، ص 8.

(3) القهرمانة: مدبرة البيت ومتولية شؤونه. ابن العمراني، محمد بن علي(ت580هـ/1184م) الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، القاهرة: المعهد الهولندي، 1973، ص175؛ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة: مطابع الاوفست، ط3، 1985، ج2، ص794.

(4) القضاعي، محمد بن سلامة (ت 454 هـ / 1062 م) عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، تحقيق: جميل المصري، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1995، ص 492؛ ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي (ت 874 هـ / 1469 م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية. ط1، 1992، ج3، ص 182.

خلع نفسه ففعل، وأحضروا أخاه محمد بن المعتضد فنصبوه ولقبوه (القاهر)، غير أنه لم يستمر في الخلافة إلا يومين حيث اختلف الجند وتغير رأيهم، فأعيد المقتدر إلى الخلافة[1].

كان السبب وراء هذا المحاولة لعزل المقتدر ينحصر في فقدان الثقة بين كل من الخليفة المقتدر وقائد الجيش مؤنس[2] بسبب حياكة المؤامرات والدسائس. إذ دسّ بعض قادة الجيش لمؤنس أن الخليفة عازم على أن يدبر أمر عزله عن قيادة الجيش، الأمر الذي أغضب مؤنس وتنكر للخليفة، فانسحب بالجيش من بغداد إلى الشماسية[3]، ثم قدموا مطالبهم للخليفة والتي كان من أهمها طرد السيدة الوالدة وأختها وكل المحظيات من البلاط، وأن يقلل الخليفة من تبذيره للأموال، بالإضافة إلى نفي هارون بن غريب الخال- المرشح لمنصب قائد الجيش. لم يجد الخليفة من مفرّ إلا الاستجابة إلى مطالبهم، غير أن بعض القادة لم يقتنع بذلك؛ فأثاروا الاضطرابات وهاجموا القصر، وسيطروا على دار الخلافة، مما أجبر الخليفة المقتدر على الهرب، فبايع القادة أخاه محمد بن المعتضد ولقبوه(بالقاهر)[4].

---

(1) مجهول (ت ق 4/ 10 م) العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق: عمر السعيدي، دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 1972، ج 4/ ق 1، ص 244 وما بعدها؛ مسكويه. تجارب الأمم، ج5، ص 110 فما بعد؛ ابن الأثير، الكامل،ج6، ص 200 فما بعد.

(2) مؤنس الخادم(213- 321هـ/846- 933م): الملقب بالمظفر المعتضدي. احد الخدام الذين بلغوا رتبة الملوك، كان من خدم المعتضد العباسي، وكان ابيضا، فارسا شجاعا، ومن الساسة الدهاة. بقي ستين سنة أميرا، وندب لحرب المغاربة العبيديين، وولي دمشق للمقتدر، ثم حاربه. ولما تمكن القاهر من الخلافة قتله سنة 321هـ/933م. انظر: الصولي، أخبار المقتدر بالله، ص52؛ الذهبي، سير، ج15، ص56-57؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص272..

(3) الشماسية: صحراء كانت فى أعلى بغداد، وهي مجاورة لدار الروم التي في أعلى بغداد، وهي أعلى من الرصافة ومحلة أبي حنيفة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت 626 هـ / 1228م) معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ط2، 1995، ج3، ص361.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 108 فما بعد؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 279؛ ابن الأثير الكامل، ج6، ص 200.

إن كل ما نقل عن الخليفة المقتدر في بعض مصادرنا التاريخية يؤكد أنه كان ميالاً إلى المهادنة والهدوء. ولكنه كان مؤثراً للشهوات والشراب ومبذراً للأموال، فتوسع في رسوم الخلافة، وفي الطعام والوظائف[1]. وغلبت النساء عليه، و لشدة حبه وميله إليهن منحهن جميع جواهر الخلافة ونفائسها[2] ، وكان في داره (أحد عشر ألف غلام) خصيان غير الصقالبة والروم والسودان[3]. ودفعه تبذيره للمال وحبه له إلى المصادرات؛ فصادر تقريباً كل وزرائه بعد عزلهم[4].

ويصف المسعودي حال الخلافة في عهد المقتدر بقوله: " أفضت الخلافة إليه، وهو صغير، غرٌّ ترف، لم يعان الأمور، ولا وقف على أحوال الملك، فكان الأمراء والوزراء والكتّاب يدبرون الأمور، ليس له في ذلك حلّ ولا عقد، ولا يوصف بتدبير ولا سياسة، وغلب على الأمر النساء والخدم وغيرهم، فذهب ما كان في خزائن الخلافة من الأموال والعدد بسوء التدبير الواقع في المملكة، فأداه ذلك على سفك دمه، واضطربت الأمور بعده، وزال كثير من رسوم الخلافة"[5].

---

[1] الصولي، أخبار المقتدر بالله، ص 43؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 13، ص62 ؛ ابن دقماق، إبراهيم بن محمد (ت 809 هـ / 1406م) الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد عز الدين علي، بيروت. عالم الكتب، ط1، 1985، ج1، ص 171؛ الدوري، دراسات، ص 197.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 64؛ العصامي، سمط النجوم العوالي، ج3، ص484؛ الأطرقجي، المرأة في أدب العصر العباسي، ص78.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 64؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج1، ص 172؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 384. (على الرغم من المبالغة في ذلك)

[4] لمزيد من التفاصيل حول عزل الوزراء ومصادرتهم أنظر: الصابئ، هلال بن المحسن(ت 448 هـ / 1056م) الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار فراج، بيروت: دار إحياء الكتب العربية، 1958.

[5] المسعودي، التنبيه والإشراف، 344.

إن وجود قائد الجيش والأزمة المالية كانا العاملين الرئيسيين في تدخل الجيش في السياسة[1]. فبعد قضاء مؤنس على فتنة ابن المعتز أصبح له الأثر الأكبر في توجيه الإدارة؛ إذ أخذ يعمل على تعيين الوزراء وعزلهم كيفما يشاء؛ معتمداً على قوة ودعم الجيش له؛[2] فتضاءلت هيبة الوزراء اعتباراً من هذا التاريخ.

كان من نتائج شعور مؤنس بقوته، وسيطرته على مجريات الأمور في الدولة، أن اصطدم بالخليفة المقتدر في مواجهة عسكرية أسفرت عن مقتل الخليفة. ذلك أنه استوحش من المقتدر وتنكر له بعدما بلغه اتفاق الوزير الحسين بن القاسم مع جماعة من القواد على التدبير عليه والتخلص منه[3]. وذلك بعد قيام الوزير بمجموعة من التدابير التي من شأنها الحد من نفوذه؛ كضرب فرق الجيش بعضه ببعض ليوهن من قوته كقائد للجيش، كما عزل علي بن عيسى بن الجراح – صديق مؤنس – من ديوان المظالم، بالإضافة إلى عزل القائد يلبق [4] – صديقه في الجندية. فهو بذلك يتحكم بالمؤسستين المدنية والعسكرية على السواء مما يعني المواجهة المباشرة مع قائد المؤسسة العسكرية.

---

(1) الدوري، دراسات، ص 207.

(2) الصولي، أخبار المقتدر بالله، ص 52؛ الصابئ، الوزراء، ص 60 فما بعد؛ السامرائي، حسام الدين، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية خلال الفترة 247 – 334 هـ/ 861 – 945م، دار الفكر العربي، ص 158 – 159 ؛ الدوري، دراسات، ص 207.

(3) مجهول، العيون والحدائق ج4/ ق 1، ص 254 – 255؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 149 فما بعد؛ عريب، بن سعيد القرطبي (ت 366 هـ / 977م) صلة تاريخ الطبري، (واقع ضمن ذيول تاريخ الطبري)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار سويدان، 1967، ج11، ص 148 فما بعد.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 126؛ خلوف، عماد، آل الجراح ودورهم في سياسة الدولة العباسية 247 – 334هـ/ 861 – 945 م" دراسة تاريخية"، رسالة ماجستير غير منشورة، المفرق، جامعة آل البيت، 2000، ص 40.

ومع تطور الأمور، والشعور بخطورة الموقف، عزم مؤنس على التخلص من الخليفة باتهامه بالإشتراك بمؤامرة الوزير للنيل منه، خاصة بعد أن طلب من الخليفة عزل الوزير الحسين بن القاسم من الوزارة، إلا أن الخليفة رفض ذلك. بل زاد الطين بلة بأن شرفه بلقب (عميد الدولة) ونقش اسمه مع اسم الخليفة على النقود [1]. وكتعبير إحتجاجي على قرارات الخليفة خرج مؤنس بالجيش من بغداد متوجهاً إلى الموصل حيث قوى مركزه هناك، وجمع حوله الأنصار، والتحق به بعض فرق الجيش.[2]

نجح مؤنس في قطع الميرة عن بغداد، ثم حاصرها بجيشه، وحشد المقتدر قواته، ووقعت الحرب بين الطرفين، على الرغم من محاولات أم الخليفة ووزيره لمنعه من الخروج للحرب، إلا أن الخليفة أصرّ على الخروج، فدارت رحاها سنة 320 هـ / 932م. كان من اهم نتائجها قتل الخليفة، بعد أن ضربه أحد الجنود، فأسقطه أرضاً، ثم أضجعه فذبحه بالسيف وسلب ثيابه، وتركه مكشوف العورة إلى أن مرّ به رجل من الفلاحين فستر عورته بالحشيش ثم حفر له في الموقع، ودفن حتى عفا أثره. [3]

ويعلق مسكويه على هذه الحادثة قائلاً: " فكان ما فعله مؤنس من ضربه وجه المقتدر بالسيف وقتله إياه، ودخوله بغداد على تلك السبيل سبباً لجرأة الأعداء وطمعهم فيما لم تكن أنفسهم تحدثهم به من الغلبة على الحضرة، وانخرقت الهيبة، وضعف أمر الخلافة من ذلك وتفاقم"[4]

---

[1] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 127؛ الدوري، دراسات، ص 216.

[2] القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ج11، ص 128؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 125.

[3] مجهول العيون الحدائق، ج4/ ق 1، ص 256؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 135؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 309 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 221.

[4] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 135؛ أنظر: مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق1، ص 260.

شعر مؤنس بالخطر والخوف بعد قتل المقتدر؛ إذ كان يرى أن بقاء قوة سلطانه ترتبط ارتباطاً وثيقاً ببقاء المقتدر. وقد عبر عن خوفه من الخطر المحدق به بقوله: " قتلتموه، والله لنقتلن كلنا"[1].

كان مؤنس يميل إلى تعيين أبي العباس بن المقتدر مكانه، لتقواه وعلاقته الحسنة به، غير أن جماعة من خواصه عارضوه، فقال له أحدهم محذراً" بعد الكدّ استرحنا ممن له والدة وخالة وخدم فتعود إلى تلك الحالة"[2] ثم عدل عنه واختار محمد بن المعتضد بعد أن نصحه جماعته بقولهم " هو كهل ولا أم له، ونرجو أن تستقيم أمورنا معه" [3]، فبايعه بعد أن أخذ منه العهود والمواثيق على عدم الفتك بهم[4]،لأن الخليفة الجديد كان يتصف بالتقلب والتلون وشدة البطش بأعدائه[5].

وقد جرى ما كان يخشى مؤنس منه، إذ نجح الخليفة الجديد – الذي اتخذ لقب (القاهر بالله)– في التخلص منه ومن بعض قادته، فذبحه كما تذبح الشاه على الرغم من سلطانه وسيطرته وذلك سنة 321 هـ / 933 م[6].

كان الخليفة القاهر يتصف بسفك الدماء وإدمانه على الخمر.ولعله في كثرة سفكه للدماء يحاول إخافة قادة الجند على عدم العودة للتدخل في شؤون الدولة، كما يعني محاولة لإعادة هيبة الخلافة إلى سابق عهدها بإتباع سياسة الترهيب. ففي سنة 320 هـ / 932 م– وهي السنة التي تولى

---

(1) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق1، ص 261؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 138؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 221.

(2) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق1، ص 261؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 138؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 222.

(3) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ج11، ص 152؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج1، ص 35.

(4) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق 1، ص 153؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 138.

(5) المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص 20؛ متز، الحضارة الاسلامية، ج1، ص 36.

(6) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 153؛ أنظر: مجهول العيون والحدائق ج4/ ق 1، ص 269؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 229؛ متز، الحضارة، ج1، ص 36؛ فوزي، الخلافة العباسية، ص 94.

فيها الخلافة – أمر باعتقال أم المقتدر، وهي في شدة من المرض والحزن على قتل ابنها المقتدر على الصورة السابقة، ثم بدأ بتقريرها عن أموالها لمصادرتها، فبدأ أولاً يتبع أسلوب اللين والرفق، ولما لم يجد إليه سبيلاً بدأ يستخدم أسلوب الغلظة والشدة والتهديد، فحلفت له أنها لا تملك من المال والجواهر إلا القليل، قائلة: لو كان عندي مال لما سلمت ولدي للقتل[1].

لم يقنع الخليفة القاهر بالأيمان التي حلفتها أم المقتدر بل "قام بضربها بيده، وعلقها بفرد رجل وأسرف في ضربها على المواضع الغامضة من بدنها" [2] وقد كانت أم المقتدر قد أحسنت للقاهر لما اعتقله المقتدر على أثر محاولة عزله من الخلافة، وتنصيب القاهر مكانه سنة 317 هـ/929م، إلا أن الخليفة القاهر قابل الإحسان بالإساءة؛ فلم يتورع عن تعذيبها بالصورة البشعة السابقة[3].

وفي سنة 321 هـ/ 933 م قبض الخليفة القاهر على أبي أحمد محمد بن المكتفي – الذي كان قد تنازل له عن الخلافة بعد مقتل المقتدر بعد أن عرضها عليه مؤنس– [4] فعمل على قتله بطريقة قاسية تقشعر لها الأبدان إذ " تقدم القاهر بأن يقام في فتح باب ويسدّ عليه بالجصّ والآجر وهو حي".[5]

---

[1] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص139؛ ابن الجوزي، المنتظم،ج13، ص321؛ ابن الأثير، الكامل،ج6، ص 222.

[2] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق 1، ص363؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 139؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 321.

[3] مجهول العيون والحدائق، ج4/ ق1، ص 363 ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 139؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 321.

[4] مجهول العيون والحدائق، ج4/ ق1، ص 264؛ خلوف، آل الجراح، ص 42.

[5] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 152؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 317؛ فاروق فوزي، الخلافة العباسية، ص 94.

وفي سنة 322 هـ/ 943 م قام الخليفة القاهر بقتل كل من إسحاق بن إسماعيل النوبختي[1] ونصر بن حمدان[2] بطريقة بشعة جداً. وما ذاك إلا لأن كل منهما اشترى جارية كان القاهر يرغب بشرائهما فزايدا عليه. فأحضرهما ثم أمر بطرحهما في بئر ثم طمّ البئر بالتراب حتى امتلأت والخليفة واقف ينظر[3].ويتعجب مسكويه من فعله ذلك بقول. " فسبحان الله العظيم ما أعجب أمر المقادير ! أراد مؤنس لما قتل المقتدر أن ينصب في الخلافة أبا العباس بن المقتدر، فما زال إسحاق بن إسماعيل – أي النوبختي – مجتهداً قائماً قاعداً إلى أن عدل بها إلى القاهر، وهو لا يعلم أنه إنما يسعى في حتف نفسه ليتم الأمر المقدور"[4]

كما اتصف الخليفة القاهر أيضاً بالتلون وتقلب المزاج. ففي سنة 321 هـ / 933 م أمر بتحريم القيان والخمر وسائر أنواع النبيذ، وأمر بإلقاء القبض على كل من اشتهر بالغناء من الرجال والمخانيث والجواري، فنفى بعضهم، وأمر ببيع الجواري على أنهن سواذج[5] – أي يخدمن فقط [6] – " وكان القاهر مع ذلك مولعاً بشرب الخمر، ولا يكاد يصحو من السكر، ويسمع الغناء ويختار من جواري القيان من يريد"[7].

---

(1) نسبة الى نوبخت جد. هو الذي كان قد اشار على الأمراء بخلافة القاهر بالله بعد وفاة الخليفة المقتدر بالله سنة 320هـ/941م. مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص138؛ ابن كثير، إسماعيل بن كثير(ت774هـ/1372م) البداية والنهاية، تحقيق: احمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، 1994، ج11، ص201 .

(2) نصر بن حمدان(.... – 322هـ/.... – 934): هو نصر بن حمدان بن حمدون التغلبي، أبو السرايا، من أمراء بني حمدان. كان فيه شجاعة وبأس. ولي الموصل سنة318هـ/ 939م وقاتل الخوارج، وكان اصغر إخوته سنا. قتله القاهر بالله العباسي ببغداد من اجل جارية بعد أن دعاه لمنادمته. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج8، ص68–69،94؛ الزركلي، الأعلام، ج8، ص22.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 162 – 163.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 163؛ أنظر: ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 222.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 153؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 318؛ فوزي، الخلافة العباسية،ص92.

(6) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق1، ص 269.

(7) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق1، ص 269؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 153.

أراد القاهر إبعاد المؤسسة العسكرية عن التدخل في أمور الخلافة، فعمد إلى القضاء على بعض قادة الجيش كما هو الحال مع مؤنس ويلبق وغيرهما، كما بدأ بضرب فرق الجيش بعضها ببعض لإضعافها، بالإضافة إلى أعماله الوحشية التي كان لا يتورع بها عن تعذيب المقربين منه وسفك دماء أقاربه. فأثارت هذه الأعمال خوف قادة الجيش، ووحدوا كلمتهم واتفقوا على خلعه من الخلافة، فدخلوا عليه وهو على سكر، فقبضوا عليه. ولما امتنع عن خلع نفسه برضاه سملت عيناه بموافقة خليفته الراضي بالله وذلك سنة 322 هـ/ 933م[1]. وكان أسلوب السمل عادة جديدة أخذها المسلمون عن البيزنطيين[2] أدخلت للتعامل مع الخلفاء، حتى لا يكون له أي أمل في المستقبل للعودة للخلافة[3].بالإضافة الى أن فيها تحايل على شرعية الخليفة بالخلافة، اذ عدّ الفقهاء فقدان البصر من موجبات عزل الخليفة عن الخلافة[4].

آلت الخلافة بعد القاهر إلى أبي العباس بن المقتدر، الذي بايعه الجند ولقبوه الراضي بالله سنة 322 هـ/ 933م[5].وكان فيه من الصفات بعكس ما كان عليه القاهر، إذ عرف عنه أنه كان سمحاً

---

[1] مجهول العيون والحدائق، ج 4/ ق 1، ص 275: مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 166 – 167؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 335؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 236.

[2] متز، الحضارة الإسلامية، ج1، ص 36

[3] فوزي، الخلافة العباسية، ص 95.

[4] مجهول العيون والحدائق، ج 4/ ق 1، ص 275: مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 166 – 167؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 335؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 236.

[5] مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق 1، ص 279؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 166؛ ابن الجوزي، المنتظم، 13، ص 335 – 336؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 237.

واسع النفس سخياً، أديباً شاعراً حسن البيان والفصاحة، ويحب محادثة الأدباء والفضلاء والجلوس معهم[1]. ولم يجد أصحابه فيه من العيب إلا أنه كان يؤثر لذاته وشهوته على رأيه[2].

كان الخليفة الراضي يمثل خاتمة الخلفاء الذين احتفظوا ببعض السلطات ومظاهر الخلفاء. فكان آخر خليفة له شعر مدون، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال، وآخر خليفة خطب على المنبر يوم الجمعة، وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل إليه الندماء، وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه وعطاياه وجراياته وخزانته ومطابخه ومجالسه وخدمه وحجابه. وأموره كلها تجري على ترتيب المتقدمين من الخلفاء.[3]

وصلت حالة الخلافة في عهده إلى أسوأ ما يكون، بسبب ازدياد الصراعات الداخلية بين قادة الجيش والمتغلبين على الأطراف والنواحي، فزاد شغب الجند في بغداد، ليس على الخليفة وحده بل على قادتهم، لأنهم باتوا يشعرون بالخوف على مستقبلهم معهم[4].

أما في الأطراف والنواحي فقد " صارت فارس في يد علي بن بويه؛ والري وأصبهان والجبل في يد الحسن بن بويه، والموصل وديار بكر وديار ربيعة وديار مضر والجزيرة في أيدي بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد بن طغج، والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الأموي، وخراسان في يد نصر بن أحمد، واليمامة وهجر وأعمال البحرين في يد أبي طاهر سليمان بن الحسن الجنأبي

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 231؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 336؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 276.

(2) جب، هاملتون، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة: إحسان عباس وآخرون، بيروت: دار العلم للملايين، ط2، 1974، ص209.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 337؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 277؛ الذهبي، السير، ج15، ص 103.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 356، 366؛ فوزي، الخلافة العباسية، ص 95.

القرمطي، وطبرستان وجرجان في يد الديلم، ولم يبق في يد الخليفة غير مدينة السلام وبعض السواد، فبطلت دواوين المملكة، وضعفت الخلافة" [1]

ساءت أحوال بغداد الاقتصادية كثيراً، وما ذاك إلا بسبب الحملات العسكرية التي أرسلت إلى مناطق الشمال – الموصل بالذات – للسيطرة عليها. بالإضافة إلى قطع المؤن القادمة من الشمال ومن الجنوب. إذ قطع ابن رائق المؤن القادمة من واسط والبصرة إلى بغداد بعد سيطرته عليهما. كما قطع البريديون المؤن القادمة من الأهواز.[2] وبسبب الحملات العسكرية التي توجهت إلى الشمال فقد قطع الحمدانيون المؤن عن بغداد، مما زاد من تفاقم الأزمة الاقتصادية، ناهيك عن الأزمة المالية الخانقة التي نتجت عن الحملات العسكرية، بالإضافة إلى شغب الجند المتكرر للمطالبة بالأموال، مما أنهك الخزينة المركزية وجعلها خاوية.[3]

ألجأت الضرورة المالية الخليفة الراضي إلى البحث عمن ينقذه من الأزمات التي باتت السمة الغالبة في عهده. ففي سنة 324 هـ/ 935م قلد الخليفة الراضي ابن رائق[4] –

---

[1] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 206 – 207؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 366؛ الهمذاني. محمد بن عبد الملك(ت 521 هـ/ 1127م) تكمله تاريخ الطبري، تحقيق: ألبرت كنعان بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ط2، 1961، ج1، ص 101؛ ابن الاثير، الكامل، ج6، ص254–255؛ ابن الوردي، عمر بن مظفر (ت749هـ/1348م) تاريخ ابن الوردي، النجف: المطبعة الحيدرية، ط2، 1969، ج1، ص259–260؛ القلقشندي، أحمد بن علي (821 هـ / 1418م) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د. ت ج4، ص 417 – 418؛ المقريزي، أحمد بن علي (ت 845 هـ/ 1441م) السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر، عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997 (مقدمة المؤلف)، ج1، ص 131.

[2] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 198.

[3] فوزي، الخلافة العباسية، ص 96.

[4] ابن رائق(....–330هـ/.....–942م): هو محمد بن رائق، أمير الأمراء، من الدهاة الشجعان. تولى شرطة بغداد للخليفة المقتدر بالله سنة317هـ/929م، ثم إمارة واسط والبصرة. ولاه الراضي إمرة الأمراء والخراج ببغداد سنة 324هـ/935م. قتل على يد الحمدانيين سنة330هـ/942م. انظر: مسكويه تجارب الأمم، ج5، ص247؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، ص325–326.

وهو في واسط – الإمارة ورئاسة الجيش، وجعله أميراً للأمراء[1]. بل وقد شاركه في بعض شارات الخلافة عندما أمر الخليفة أن يخطب له على جميع المنابر في الممالك[2]. بالإضافة إلى إعطائه تفويض مطلق الصلاحيات في"تدبير أعمال الخراج والضياع وأعمال المعاون في جميع النواحي، وفوض إليه تدبير المملكة"[3].فأصبح يولي ويعزل من يشاء من الولاة؛ فعلت بذلك منزلته على منزلة الوزير.

كان منصب أمير الأمراء[4] من الألقاب العامة الجديدة المستحدثة. أطلق على كل من يستأثر بالسلطان، ويستبد في قصر الخلافة العباسية. وكان ابن رائق أول من تلقب بهذا اللقب بهذا المعنى[5].

إن استحداث منصب أمير الأمراء من قبل الخليفة الراضي بالله (322–329هـ/933–940م) كان كإجراء لحل مشكلة الخلافة المالية المستعصية، ومحاولة من الخليفة للتخلص من تسلط الأتراك وجشعهم. وفي نص ذكره بعض المؤرخين حول الصلاحيات الممنوحة من الخليفة لأمير الأمراء ما يدل على سعتها وشمولها جميع السلطات

---

(1) مجهول العيون والحدائق، ج4/ ق 1، ص 290؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 198؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 254؛ ابن العبري، غريغورس بن أهرون(ت685هـ/ 1286م) تاريخ مختصر الدول، تحقيق: خليل منصور، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997، ص163.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 198؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 254.

(3) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق1، ص 290؛ مسكويه. تجارب الأمم، ج5، ص 198.

(4) أمير الأمراء: هو لقب القائد الأعلى للجيش، وكان مقصورا على قيادة الجيش، على أن سلطان صغار القواد اخذ يزداد حتى أصبح أول من لقب بهذا اللقب هو مؤنس الخصي، الحاكم الفعلي، لأنه كان له الفضل في إنقاذ الخليفة المقتدر. ولما نصب الخليفة الراضي بالله محمد بن رائق_ صاحب واسط– أميرا للأمراء، وضع بين يديه مقاليد الأمور كلها. وبهذا أصبح الأمراء هم الحكام الحقيقيين. انظر: تقي الدين الدوري، إمرة الأمراء، ص17،21–22؛ تسترشتين، أمير الأمراء، دائرة المعارف الإسلامية، ج2، ص649.

(5) الدوري، تقي الدين، عصر امرة الأمراء في العراق 324 – 334 هـ/ 936 – 946م، دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية، بغداد: مطبعة أسعد، ط1، 1975، ص 17.

الدنيوية التي كانت من صلاحيات الخليفة. فقد ذكر مسكويه أن الخليفة الراضي بالله [1] لما قلد محمد بن رائق إمرة الأمراء (324- 326 هـ / 936-938م) ردّ إليه تدبير أعمال الخراج والضياع، وأعمال المعاون في جميع النواحي، وفوّض إليه أمور المملكة[2].

وفي إشارة إلى الصلاحيات والإمتيازات الكبيرة التي كانت تمنح لأمير الأمراء فور إعلانه أميراً للأمراء، والتي كانت تعد لقمة سائغة لكل طامع في السيطرة، مما جعل الكثيرون يتنافسون للحصول على المنصب. فقد شملت الصلاحيات الدنيوية الممنوحة له الإشراف على الجيش والإدارة والمال والسياسة[3] التي كانت للخليفة، وبالتالي فهي مصدر مهم من مصادر السلطة والتغلب والقهر للظفر بها.

وفي نظرة سريعة إلى من تقلد منصب أمير الأمراء وكيفية توليتهم في فترة لا تتجاوز العشر سنوات. يلاحظ مدى التنافس والصراع للحصول على هذا المنصب، مما أدخل الدولة في دوامة الصراعات الغير مبررة سوى أنها تحقق النزعة الفردية والأنانية لبعض القادة المتنفذين.

تقلد ابن رائق منصب إمرة الأمراء من قبل الخليفة الراضي بالله سنة 324 هـ/ 936م[4]واستمر فيه إلى أن انتزعه منه القائد التركي بجكم سنة 326 هـ/938م [5]. والذي

---

[1] الراضي بالله: (297 – 329 هـ / 909- 940م) الخليفة أبو إسحاق محمد (أحمد) بن المقتدر بالله هو آخر خليفة خطب يوم الجمعة. وآخر خليفة جالس الندماء، وآخر خليفة له شعر مدون. وأخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش، وفي أيامه عظم محمد بن رائق. ولم يبق للراضي معه حل ولا ربط، قيل: أنه أصيب بداء يُعرض للمعدة فلا تهضم الطعام، فيفسد فيها، وأتلفه كثرة الجماع. أنظر الصولي، أخبار الراضي والمتقي بالله، ص 184؛ الذهبي، سير، ج15، ص 103 – 104؛ الصفدي، خليل بن أيبك (ت 764 هـ/ 1362م) الوافي بالوفيات، د. ط، اعتناء: س ديدريتغ، فيسبادن: دار النشر فرانز ستايز، 1974، ج 2، ص 297 – 299.

[2] مسكوية، تجارب الأمم، ج5، ص 198.

[3] تقي الدين الدوري، عصر امرة الامراء، ص 21.

[4] مجهول، العيون والحدائق ج4/ق1، ص 290؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج5، ص 198.

[5] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق1، ص 317؛ مسكويه، تجارب الأمم،ج5، ص 219.

استمر فيه حتى سنة 329 هـ/ 941 م [1]. ثم قلد الخليفة المتقي لله [2]إمرة الأمراء لكورتكين الديلمي [3] سنة 329 هـ/ 941 م بعد انتصاره على أبي عبدالله البريدي[4] وانتهت إمارته بانتصار ابن رائق عليه[5]. و بذلك عاد ابن رائق وتقلد إمرة الأمراء سنة 329 هـ / 941م للمرة الثانية.[6] ولم يطل الأمر حتى تمكن ناصر الدولة الحمداني [7] من قتل ابن رائق، وإقناع الخليفة المتقي لله بجعله أميراً للأمراء وذلك سنة 330 هـ / 942[8]. إلا أنه سرعان ما ترك بغداد عائداً إلى الموصل مقر حكمه لظروف أجبرته على العودة[9].

---

[1] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق2، ص 359؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج 5، ص 241.

[2] المتقي لله: (295 – 357 هـ/ 907 – 967م) الخليفة أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر. بويع بالخلافة بعد وفاة الراضي بالله سنة 329 هـ / 941 م. قبض عليه أمير الأمراء توزون وسمله بعد أن خلعه من الخلافة سنة 330 هـ / 941م. توفي سنة 357 هـ/ 967م. أنظر: الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص 186 فما بعدها؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 233؛ الذهبي، سير، ج15، ص 104 فما بعد.

[3] كورتكين: هو كورتكين بن الفاراضي الديلمي ويكنى أبا الفوارس، وهو الأمير الديلمي الوحيد من بين أميري الأمراء، ولم يعرف له تاريخ قبل حصوله على إمرة الأمراء غير كونه أحد قواد جيش البريدي الذي دخل بغداد سنة 329 هـ / 941 م. انتهت إمارته بانتصار ابن رائق عليه وقبض عليه سنة 330 هـ/ 941م. أنظر: مسكويه، تجارب الأمم،ج5، ص 241 – 242.

[4] البريدي: لقب لثلاثة اخوة هم ابو عبدالله احمد، وابو يوسف يعقوب، وابو الحسين علي. والبريدي نسبة الى البريد لان جدهم كان صاحب بريد البصرة. كانت سنة 315هـ/927م بداية لظهورهم بعد ان حصل ابو عبدالله البريدي على ولاية الاهواز بعد ان رشى الوزير ابن مقلة. انظر: مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص106 فما بعد؛ ابن الاثير، الكامل، ج6، ص194 فما بعد.

[5] مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 241 فما بعد.

[6] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق2، ص 361؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 244.

[7] ناصر الدولة: هو أبو محمد الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون (298 – 369 هـ/ 910 – 979م) صاحب الموصل، هو الذي قتل ابن رائق. ساء مزاجه وتسودن لما مات أخوه سيف الدولة، فحجر عليه بنوه، قلده المتقي إمرة الأمراء سنة 330 هـ/ 942م، وبقي في منصبه حتى خرج من بغداد ورجع إلى الموصل. أنظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 247 – 248؛ الذهبي، سير. ج16، ص 186 – 187.

[8] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق2، ص 375؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 247.

[9] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق2، ص 382؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 255.

تمكن توزون [1] من فرض نفسه على الخليفة المتقي لله، وخاصة بعد تمكنه من إخراج سيف الدولة الحمداني – أخو ناصر الدولة – من واسط، ثم إجباره على الهرب من بغداد، فدخلها توزون منتصراً، مما أجبر الخليفة على جعله أمير الأمراء وذلك سنة 331 هـ/ 943م[2]. وبقي توزون يشغل منصبه كامير للامراء حتى وفاته سنة 334 هـ/ 945م ؛ ثم تم تعيين ابن شيرزاد مكانه زمن الخليفة المستكفي[3].

ولهذا فقد وصف أمراء الأمراء أنهم كانوا عسكريين جشعين، غرضهم استغلال المنصب للحصول على الأموال والإنفاق على متع الحياة وملذاتها. وكان عهدهم عهد تسلط عسكري، استخدموا فيه أساليب البطش والإرهاب والمؤامرات، وذاقت البلاد صنوف المذلة والفوضى والاضطراب، وضعفت السلطة المركزية وأصابها الانحلال من جراء تنافس هؤلاء الأمراء في الحصول على إمرة الأمراء[4]. وقد اعتبر بعض الباحثين ان استحداث الراضي لمنصب أمير الأمراء من الأخطاء الشنيعة التي ارتكبها. وكان معولاً لهدم سلطان الخلافة، لأنه منصب يعطي لصاحبه حق التصرف المطلق، ولا يجعله مسؤولا بحال من الأحوال[5]. في حين اعتبره البعض الآخر أنه تجربة فاشلة، لم تستطع أن تنقذ الخلافة من أزمتها السياسية والمالية، بل زادت في النزاع بين القادة للاستئثار بالحكم.[6]

---

[1] توزون: تركي الأصل، كنيته أبو الوفاء لقبه المتقي بالمظفر، تولى شرطة بغداد أثناء سيطرة البريديين على بغداد قبل توليه إمرة الأمراء، تقلد إمرة الأمراء سنة 331 هـ/ 942م من قبل المتقي. توفي في بغداد سنة 334 هـ / 945م. أنظر الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص 242 – 243؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 257.

[2] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 257.

[3] المصدر نفسه ص 274.

[4] تقي الدين الدوري، إمرة الأمراء، ص379.

[5] المرجع نفسه، ص25.

[6] فوزي، الخلافة العباسية، ص 106.

ويؤكد ذلك ما حصل سنة 326 هـ/ 937م عندما أسند الخليفة الراضي بالله إمرة الأمراء إلى القائد التركي بجكم الذي أخذ يتحكم بالخليفة، والخليفة لا يخرج عن رأيه في شيء من أمور الدولة[1]، حتى طغى نفوذ أمير الأمراء على نفوذ وسلطة الخليفة، وسلب منه أهم اختصاصاته وهي تعيين ولي العهد. فقد حدث أن طلب الراضي – لما أحسّ بقرب أجله – من بجكم أن يعقد ولاية العهد لابنه الأصغر أبا الفضل، غير أن بجكم أهمل طلب الخليفة. ولما مات الراضي بقي منصب الخلافة شاغراً بانتظار رأي أمير الأمراء؛ فوقع اختياره على إبراهيم بن المقتدر، الذي اختار لنفسه لقب (المتقي لله) سنة 329 هـ/ 940م[2].

استمر أمير الأمراء يتصرف بأمور الدولة، ويتحكم بالخليفة يسيره كيف شاء، حتى تمكن البويهيون [3]من دخول بغداد، والسيطرة على مقاليد الحكم والإدارة وذلك سنة 334 هـ / 945م. فساد بذلك الإتجاه العسكري البحت في مؤسسات الدولة. فبعد وفاة أمير الأمراء بجكم ظهرت شخصية القائد التركي توزون على مسرح الأحداث السياسية. إذ عينه الخليفة المتقي أميرا للأمراء بعد أن رحل أمير

---

[1] المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص 334؛ مجهول العيون والحدائق، ج4/ ق1 ص 317؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 219.

[2] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق1، ص 344؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 233؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 203.

[3] البويهيون: ينتسب بنو بويه إلى أبي شجاع بن بويه، من أهل بلاد الديلم، وقد أنجب بويه ثلاثة أبناء هم علي (أبو الحسن عماد الدولة) والحسن (أبو علي ركن الدولة) وأحمد (أبو الحسين معز الدولة) وقد ترقى الحال بأولاد بويه حتى صارت فارس في يد علي، والري وأصفهان والجبل في يد أخيه الحسن. كان أحمد أول ملوك بني بويه في بغداد، استدعاه الخليفة المستكفي إلى بغداد وسلم إليه إمرة الأمراء، ولقبه معز الدولة، أنظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج5،ص 157، 168، 275؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص270–271؛النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت 733 هـ / 1332م) نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق، نجيب مصطفى وحكمت فواز، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1 2004، ج23. ص 104.

الأمراء ناصر الدولة الحمداني من بغداد عائداً إلى الموصل.[1] فانفرد بالسيطرة على مرافق الدولة، وأخذ يدير الدولة من مقره بواسط.

كان الخليفة المتقي مغلوباً على أمره مع أمير الأمراء توزون، فكان الحل والعقد والإبرام بيد القواد، وأصبح وزير الخليفة عاملاً من عمالهم، متصرفاً تحت أحكامهم وبات التدبير الفعلي لكتاب الأمراء[2]. وهو أول خليفة هرب من بغداد- حاضرة الخلافة العباسية- والتجأ إلى الموصل وبني حمدان، خوفاً وطلباً للنجاة[3]. وعندما عاد إلى بغداد بعد أن عقد صلحاً مع توزون، غدر به الأخير لأجل 800 ألف دينار، عرضها عليه أحد طالبي عرش الخلافة، فأوعز إلى جنده بالقبض عليه وسمل عينيه[4].

أحضر توزون عبد الله بن المكتفي وبايعه بالخلافة، ولقبه (المستكفي بالله) سنة 333 هـ / 944م، الذي لم يكن له من أمر السياسة والإدارة شيء. إذ غلب على أمره أمير الأمراء توزون بالإضافة إلى قهرمانته علم، وهما اللذان سعيا له بالخلافة[5] ولم يدم الأمر لهذا الخليفة كثيراً، ففي سنة 334 هـ/ 945م دخل أحمد بن بويه بغداد، فحلّ بذلك الأمراء البويهيون محل أمراء الأمراء الذين سبقوهم.

---

[1] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 255؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 39؛

[2] ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص 275 – 276؛ ابن خلدون، العبر، ج3، ص 507؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 394.

[3] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 259؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 39؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 301 – 302؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج1، ص 39.

[4] الجاحظ، تنبيه الملوك، ص333 فما بعد ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 270 – 271؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 301– 302 ؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج1، ص 39.

[5] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 270 – 271؛ ابن الأثير الكامل، ج6، ص 301 – 302؛ متز، الحضارة الاسلامية، ج1، 40.

لم يكن منصب الوزارة أفضل حالاً من منصب الخلافة. فقد انتهت حالة الوزارة إلى مثل ما انتهت إليه حالة الخلافة، إن لم يكن أسوأ بعد سيطرة المؤسسة العسكرية على الأمور في بغداد (247 – 334 هـ / 861 – 945م).

فقد خضع ترشيح وتعيين الوزراء لرغبة القادة الأتراك في الفترة بين 247 –256هـ/861–870م، إذ كان القادة العسكريون يعينون وزراء موالين لهم، لتحقيق مصالحهم وأطماعهم السياسية والمالية في ظل وجود وزير هم من اوصلوه الى الوزارة؛ فباتت الإدارة المدنية وعلى رأسها الوزير في ظل هذه الإجراءات تابعة للسلطة العسكرية – وعلى رأسها القادة العسكريين. كما أن تعيين الوزراء في هذه الفترة لم يكن يتم على أساس الكفاءة والخبرة في معظم الاحيان، لأن ذلك سيتعارض بشكل أو بآخر مع مصالح السلطة العسكرية. وعند محاولة بعض الخلفاء استعادة بعض سلطاته المسلوبة بتعيين وزير يرى فيه الكفاءة والكفاية كان يلقى معارضة القادة العسكريين، فكانوا يعارضون تعيين أي وزير يتصف بالكفاءة والمقدرة الإدارية، كما هو الحال عند تعيين عبد الله بن محمد بن يزداد [1] وزيراً للخليفة المستعين سنة 249 هـ /863م، الذي هدده الجند بالقتل، نتيجة لسياسته التقشفية، هرب على أثرها الى بغداد[2]. وكذلك الوزير أحمد بن إسرائيل[3]، الذي هاج عليه

---

(1) الوزير أبو صالح المروزي الكاتب. كان أبوه من وزراء المأمون. ووزر أبو صالح للمستعين والمهتدي، وقدم دمشق مع المتوكل. مات سنة 261هـ/ 874م مختفيا. ابن عساكر، علي بن الحسن(571 هـ / 1176 م) تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، = =1995، ج32، ص376–377؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج20، ص121؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص35.

(2) الطبري، تاريخ الرسل، ج9، ص264؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج12، ص22؛ ابن الاثير، الكامل، ج5، ص313–314.

(3) أحمد بن إسرائيل بن الحسن الأنباري أبو جعفر الكاتب ولي ديوان الخراج للمتوكل والمنتصر ثم تولى الكتابة للمعتز في أيام أبيه فلما ولي الكتابة استوزره قال الصولي خلع المعتز عليه للوزارة سنة 252هـ/866م ولم يزل وزيرا للمعتز إلى سنة 255هـ/ 868م. قتله صالح بن وصيف لأنه أخرج هو وأبو نوح إلى باب العامة فضرب كل واحد منها خمسمائة سوط. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج6، ص152.

الجند وضربوه 500 سوط، وصادروا أمواله، ثم طافوا به على بغلة فمات على أثرها. مما أدى إلى ضعف مركز الوزير أمام السلطة العسكرية، مما أسقط هيبته.[1]

انتعشت مؤسسة الوزارة مؤقتاً في الفترة بين 256 – 295 هـ/ 870 – 907م، وهي الفترة التي يطلق عليها البعض اسم (عهد الإنتعاش المؤقت). فقد مهد الخليفة المهتدي لإنتعاش الإدارة المدنية على حساب إضعاف المؤسسة العسكرية، بتقليص نفوذ القادة الأتراك العسكريين، وتحجيم دورهم وتدخلهم في المؤسسة المدنية – الخلافة والوزارة على حدٍ سواء. كما شهدت خلافة المعتمد على الله (256 – 279 هـ/ 870 – 892م) إنتعاش مؤسسة الخلافة والوزارة، وخاصة بعد استعانة الخليفة بأخيه الموفق طلحة – الذي كان يتصف بقوة الشخصية والإدارة السياسية المحنكة – إذ عينه قائداً للجيش، فأصبح بذلك على رأس المؤسسة العسكرية يوجهها كيف يشاء، فعمل على الحد من تغوّل القادة العسكريين على المؤسسة المدنية. كما تمكن من إعادة الوظيفة الحقيقية للمؤسسة العسكرية وهي وظيفة الحروب والدفاع عن الدولة، إذ أشغل الجيش دائماً في حروب ومعارك بحيث أصبح بعيداً عن التدخل في الشؤون المدنية والإدارية، فاستعادت الخلافة بفضل جهوده كيانها وسلطانها. ولما ارتبطت قوة الوزارة بقوة الخلافة؛ فقد انتعشت الوزارة، وزاد في انتعاشها تولي وزراء يمتازون بالكفاءة والقدرة الإدارية، فأصبح الوزير منذ خلافة المعتضد مقدماً على جميع القادة، وعاد ليحتلّ مركزه الطبيعي ممثلاً للسلطة الثانية بعد سلطة الخلافة[2].

لم تكن فترة الإنتعاش المؤقت، كافية لتجذير إستعادة مؤسسة الخلافة هيبتها مما انعكس إيجأبياً على مؤسسة الوزارة، فقد عاد الضعف ليدبّ في أوصال الدولة العباسية. ابتداءاً من عهد الخليفة

---

[1] اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص494؛ متز، الحضارة الاسلامية، ج1، ص174–175؛ الدوري، دراسات، ص59– 71.

[2] ابن الطقطقي، الفخري في الاداب السلطانية، ص245؛ السامرائي، المؤسسات الإدارية، ص88–92، 123، 156.

المقتـــدر بـــالله ســـنة 295 هـــ/ 907م وانتهـــاءاً بوفـــاة الخليفـــة الراضـــي بـــالله سنة 328 هـ/ 940م.

إن فـراغ منـصب ولايـة العهـد مـن ولـي للعهـد بعـد وفـاة الخليفـة المكتفـي بـالله سـنة 295هـ/ 907م الـذي لـم يعهـد لأحـد مـن بعـده بالخلافـة، قـد مثّـل بيئـةً خـصبةً لعـودة تـدخل المؤسـسة العـسكرية، وبعـض المـدنيين- وعلـى رأسـهم وزراء سـابقين وكتـاب- فـي اختيـار الخليفـة المقتـدر بـالله. صـغير الـسن، ليـضمنوا اسـتمرار نفـوذهم، ممـا سـبب فـي انتكاسـة حقيقيـة لمؤسـسة الـوزارة، إذ لـم تقـم لهـذه المؤسـسة كمؤسـسة فاعلـة فـي الدولـة- قائمـة اعتبـاراً مـن سـنة 295 هـ/ 907م. باسـتثناء بعـض الحـالات الخاصـة والنـادرة التـي تـولى فيهـا بعـض الـوزراء الأكفـاء الـوزارة، الـذين حـاولوا إعـادة الهيبـة للـوزارة إلـى سـابق عهـدها كـالوزير علـي بـن عيـسى بـن الجـراح.[1] إلا أن هـذه الحـالات كانـت تـصطدم دائمـاً بجـشع وطمـع القـادة العـسكريين والمـدنيين والحرم والحاشية[2].

تميّز عصر الخليفة المقتدر بالله بكثرة تعيين وعزل الوزراء، حتى بلغ عدد وزرائه (12) وزيراً خلال فترة خلافته 295 – 320 هـ / 907 – 932 م وذلك عائد لعدد من الأسباب منها الدسائس والمؤامرات التي كانت تحاك ضدهم من قبل الامراء الطامعين بمنصب الوزارة، بالإضافة إلى تدخل

---

(1) أنظـر: مجهـول، العيـون والحـدائق، ج4/ق1، ص173-174؛ مـسكويه، تجـارب الامـم، ج5، ص17 فمـا بعـد؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص12 فما بعد؛ ابن الاثير، الكامل، ج6، ص141؛خلوف، آل الجراح، ص88 فما بعد؛
Bowen,Harold،VizierThe Life and Time of Ali ibn Isa- The Good ،London: Cmbridge،1927.

(2) الصابئ: الوزراء، ص 310؛ مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق1، ص 174 ابن الجوزي، المنتظم، ج13؛ ص 166؛ الكبيسي، حمدان عبد المجيد، عصر الخليفة المقتدر بالله 295 – 320 هـ / 907 - 932م، دراسة في أحوال العراق الداخلية، النجف: مطبعة النعمان، 1974، ص 182.

المؤسسة العسكرية في تعيين وعزل هؤلاء الوزراء، وخاصة إذا تعارضت مصالح القادة العسكريين مع إصلاحات بعض الوزراء، ناهيك عن دور الحرم – ممثلاً بأم المقتدر وقهرمانتها– في التدخل في شؤون الحكم والإدارة، فضلاً عن أن عزل الوزراء أصبح يمثل مصدر دخل للخليفة من خلال سياسة المصادرة بحق الوزراء المعزولين[1].

وعلى هذا فقد جاء وصف ابن الأثير لفترة حكم المقتدر بقوله: " إن المقتدر أهمل من أحوال الخلافة كثيراً، وحكم فيها النساء والخدم، وفرط في الأموال وعزل من الوزراء وولى "[2].

لم يكن استحداث منصب إمرة الأمراء سنة 324 هـ / 935م الحل الجذري لعجز الوزراء عن معالجة الأزمات التي ألمت بالدولة وخاصة الأزمة المالية المستحكمة. فأكثر هؤلاء الوزراء كان لا دارية له بأمور الإدارة، بل أنهم وصلوا إلى مناصبهم بالرشوة والشراء. لذلك غرق أكثرهم في محاولة إرضاء الخليفة بتأمين احتياجاته من جهة، وإرضاء الجند وقادتهم وتأمين احتياجاتهم من جهة أخرى. بالإضافة إلى إحاكة المؤامرات والدسائس على منافسيهم، تاركين أمور الوزارة إلى كتاب ينوبون عنهم مما أفسد أمر الوزارة. كل ذلك أفسح المجال أمام قادة الجند وحرم الخليفة وحاشيته للتدخل في تعيين وعزل الوزراء"[3].

فإذا كان هذا هو حال أكبر مؤسستين وأهمها في الدولة العباسية من حيث الضعف الإداري والسياسي، فلا غرو أن يكون حال باقي المؤسسات الإدارية والسياسية كالدواوين وولاية الأقاليم أكثر صعوبة وأقل متابعة، نظراً لإنعدام الأمن وضعف الخلفاء، وسيطرة المؤسسة العسكرية على شؤون الحكم والإدارة وغير ذلك. فمع ازدياد نفوذ الأتراك في بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي

---

[1] عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ج11، ص 60؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 136.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 221 – 222.

[3] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 189 فما بعد.

وتحكمهم بالدولة عن طريق التحكم بالخليفة،مما اضطر الخلفاء الى تعيين الولاة منهم، ثم صار هؤلاء الولاة يفضلون البقاء في العاصمة، ولا يفضلون الذهاب الى ولاياتهم، خاصة إن كانت تلك الولايات بعيدة عن العاصمة، مما يعني بعد هذا الوالي عن مركز اتخاذ القرارات في العاصمة، وابتعاده عن مجريات الأحداث السياسية التي أخذت تتسارع بين عشية وضحاها، بل كانوا يبعثون بنواب عنهم ليديروا شؤون تلك الولايات بإسمهم، مقابل الدعاء لهم بعد الخليفة في الخطبة. ولما كان الولاة بعيدون كل البعد عن الإشراف على ولاياتهم؛ فقد عمد بعض الولاة والنواب إلى الإستقلال عن الخلافة العباسية، وخاصة في الولايات البعيدة عن الحكومة المركزية؛ فقد استقلّ احمد بن طولون[1] بمصر، كما استقلّ محمد بن طغج الاخشيد[2] ، وكذلك قام يعقوب بن الليث الصفار بالإستيلاء على كثير من المناطق التابعة للدولة العباسية، كما أجبر الخليفة المعتمد على الله على الإعتراف بنفوذه على تلك المناطق، حتى نجح في تاسيس الدولة الصفارية [3] (254-290 هـ /868-902م) [4]. كما تمكن

---

(1) احمد بن طولون: ولد بسامراء، وولي إمرة دمشق والثغور والعواصم ومصر مدة، توفي في مصر سنة 270هـ/883م. ابن عساكر، علي بن الحسن(571 هـ / 1176 م) تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995، ج71، ص214 فما بعد؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج12، ص230 فما بعد؛ ابن الاثير، الكامل، ج6، ص55-56.

(2) محمد بن طغج الاخشيد: صاحب ديار مصر، ولد سنة 268هـ/881م، ولقبه الخليفة الراضي بالاخشيد، لانه فرغاني وكان ملوك فرغانة يلقبون بالإخشيد. توفي في دمشق سنة 334هـ/945م. ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص50؛ ابن الاثير، الكامل، ج6، ص318.

(3) الصفّاريون: دولة أسسها يعقوب بن ليث الصفار، نشأت أصلاً في سجستان وحكمت فارس 33 عام، حاول يعقوب أن يستولي على فارس سنة 257 هـ / 871 م. رفض الخليفة المعتمد الاعتراف به، فقرر أن يسير إلى بغداد بجيشه إلا أنه مني بالهزيمة في دير العاقول، فعاد إلى خوزستان. أنظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج9، ص382 فما بعد؛ مجهول، العيون والحدائق، ج4/ق1، ص 46، 71-72؛ هيج، مادة الصفارية، دائرة المعارف الإسلامية، ج14 ص 214 – 215؛ الحيدري، صلاح عبد الهادي، يعقوب بن الليث الصفار 254هـ-265هـ مؤسس الدولة الصفارية، اداب المستنصرية، مجلد7، 1976.

(4) الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص 502؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 368؛ سرور، محمد جمال الدين، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق من عهد نفوذ الاتراك الى منتصف القرن الخامس الهجري، القاهرة: دار الفكر العربي، 1965، ص81، 96.

الـــــسامانيون[1] مـــن الاســـتقلال بـــبلاد مـــا وراء النهـــر، وأن يؤســـسوا الدولـــة الـــسامانية (266-389 هـ /879-998م) [2]. وقد أدت هذه الحال الى قيام الدول المستقلة في ذلك العصر.

ولما أصبح ابن رائق أمير الأمراء سنة 324 هـ / 935م فقد تعهد للخليفة الراضي بالله بسدّ جميع نفقات الجيش والحاشية والإدارة. ولذلك صار أمير الأمراء وكاتبه ينظران في جميع الأمور، مما أفقد الوزير جميع مهامه، وتلاشت أهمية منصبه. حتى قال ابن الطقطقي أنه" لم يبق للوزير سوى الاسم من غير حكم ولا تدبير"[3] ما عدا النظر في أمور الخليفة المالية، والحضور الشكلي في المواكب والمناسبات. وبقي الأمر على هذه الحال إلى أن انتزع البويهيون إمره الأمراء من القادة الأتراك سنة 334 هـ/ 925م [4] منهين بذلك عصر إمرة الأمراء.

على أية حال فإن تسلط البويهيين وتحكمهم بالخلافة – عن طريق التحكم بالخليفة– قد تجاوز كثير من الحدود الأدبية والأخلاقية؛ مما أسقط هيبة الخلافة، حيث استمرت سلطة الخليفة ونفوذه بالتقلص والإنحدار، إعتباراً من ستة 324 هـ/ 935م أي قبيل الدخول البويهي إلى بغداد بعشر سنوات. وهي الفترة التي يطلق عليها بعض المؤرخين اسم (عصر إمرة الأمراء) حينما ارتضى الخليفة الراضي لنفسه أن يتنازل عن كثير من سلطاته الدنيوية السياسية منها والإدارية والمالية والعسكرية إلى

---

[1] السامانيون(261- 389هـ/ 874- 999م): بدأت الدولة السامانية في ولاية ما وراء النهر، واستطاعت ان تقضي على الصفاريين؛ لتمتدّ دولتهم في خراسان وكرمان وسجستان الى ما وراء النهر. كانت تظهر الولاء للدولة العباسية. قضى عليها الغزنويون. انظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج9، ص514؛ مسكويه، تجارب الامم، ج4، ص273؛ بوخنر، مادة(السامانية) دائرة المعارف الاسلامية، مجلد11، ص76 فما بعد.

[2] الطبري، تاريخ الرسل، ج9، ص 514؛ سرور، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق، ص 81، 96.

[3] ابن الطقطقي، الفخري، ص 274.

[4] الصولي، محمد بن يحيى (ت335هـ/ 946 م) أخبار الراضي والمتقي أو تاريخ الدولة العباسية، من سنة 322 إلى سنة 333هـ (من كتاب الأوراق)، عنى بنشره ج، هيورث، بيروت: دار المسيرة، 1979، ص 85-101،86 ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 198؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 254؛ القلقشندي، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار فراج، بيروت: علم الكتب 1980، ج1، ص288 ؛ الدوري، دراسات، ص 231 – 236؛ السامرائي المؤسسات الإدارية، ص 99 – 100، 140، 150 – 151.

شخص أمير الأمراء، إذ دفعته الضرورة – وخاصة المالية – إلى مراسلة ابن رائق – وهو بواسط – وتقليده إمرة الأمراء، وما ذلك كله إلا مقابل القيام بتوفير نفقات الدولة والجيش، فقد ذكر مسكويه أن الخليفة الراضي: أنفذ إليه – أي ابن رائق – وعرفه أنه قلده الإمارة ورياسة الجيش وجعله أمير الأمراء"[1].ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أنه " رد إليه تدبير أعمال الخراج والضياع وأعمال المعاون في جميع النواحي"[2]. بل جعل إمارته إمارة تفويض عامة عندما " فوض إليه تدبير المملكة" [3].

ولعل ما هو أخطر من ذلك وهو أن الخليفة الراضي رضي أن يشرك أمير الأمراء في بعض خصوصيات الخلافة الدينية عندما أمر " أن يخطب له على جميع المنابر في الممالك " [4]. وتعد هذه الخطوة سابقة غاية في الخطورة على سقوط هيبة الخلافة.

وخلاصة القول أن استحداث منصب أمير الأمراء لم يأتِ بالحلول الشافية للأوضاع المضطربة التي شهدها العراق خلال فترة التسلط الأجنبي. إذ اعتبر تجربة فاشلة أدخلها الخليفة الراضي بالله، لم تنجح في إنقاذ الخلافة من أزمتها السياسية والمالية، بل زادت الأمر تعقيداً في النزاع بين القادة للإستئثار بالحكم، ناهيك عن خلفاء ضعاف ليس لهم حول ولا قوة.

ثانياً: الأحوال الاقتصادية والاجتماعية

ارتبط استقرار الأحوال الاقتصادية في الدولة العباسية بالاستقرار السياسي، ولما كانت الأحوال السياسية على درجة من الاضطراب مما أثر بشكل مباشر على اضطراب الأحوال الاقتصادية.

انعكست مجمل الأحداث السياسية التي شهدتها الخلافة العباسية في الفترة ما بين سنتي 247 – 334 هـ/ 861– 945م على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للدولة، فكثيراً ما كانت

---

(1) مسكويه. تجارب الأمم، ج5، ص 198.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

الأحوال الاقتصادية تتعرض لنكسات مستمرة سببها الاضطرابات الداخلية والخارجية التي كانت تتعرض لها الدولة العباسية. وكان الضحية الأولى لهذه النكسات هم العامة من السكان، ولعل أكثر ما كان يعرض الحياة الاقتصادية للخطر هو الصراعات التي كانت تنشأ بين قادة الجيش، للسيطرة والهيمنة على السلطة في بغداد عدا عن الثورات التي كانت تقوم بها فرق الجيش المختلفة مطالبة بأرزاقها المتأخرة، أو مطالبة بزيادة أرزاقها كلما سنحت لها الفرصة بذلك، بالإضافة إلى مطالبة الجيش (برسم البيعة) كلما عزل خليفة، وعين خليفة جديد. إذ أصبحت هذه عادة يقوم الجيش بها لتحصيل مزيد من الأموال. ناهيك عن خلع الخلفاء، وتعيين آخرين وما يتبع ذلك من فتن تفتك بالحياة الاقتصادية للدولة، وتهلك السكان.

كان للعوامل الطبيعية من زلازل وأمراض ومجاعات وغيرها دور كبير في ضرب اقتصاد الدولة العباسية، إذ سرعان ما يتبع هذه الظروف الطبيعية غلاء فاحش بالأسعار، ونقص في المؤن مما كان يشكل مرتعاً خصباً لأصحاب النفوس الجشعة من التجار المتنفذين في الدولة لاستغلالها بإتباع سياسة الاحتكار لرفع الأسعار، وتحقيق المصالح الشخصية على حساب المصلحة العامة للمجتمع ككل.

كما لا ننسى دور سياسة المصادرة التي اتبعها الخلفاء بحق وزرائهم وولاتهم وقادة الجند، حتى أصبحت مصدراً للدخل، يلجأ إليه الخليفة كلما احتاج إلى الأموال للإنفاق. خاصة وأن خزينة الدولة لا يتوفر فيها ما يحتاج إليه من مال نتيجة النهب وقطع الإمدادات المالية من الولايات التي استقلت عن جسم الدولة. فلم يعد يحمل منها شيء من المال إلى خزينة الدولة المركزية في بغداد.

تعدّ سياسة المصادرات طريقة جديدة في الحصول على المال، وهي طريقة لا تخرج عن كونها ابتزازاً أو غصباً. ولم يكد يسلم أحد من شرها لا صاحب مال أو تاجر، ولا وزير ولا موظف

كبير. ولا عجب بعد ذلك أن يعمل ديوان خاص عرف باسم ديوان المصادرات. وما ذاك إلا لأهمية وكثرة الأموال المتحصلة من سياسة المصادرات.

وقد بيّن الماوردي ناصحاً الملوك والحكام وغيرهم الآثار السيئة التي تترتب على ظلم الرعية بأخذ أموالها بغير حق، والنتائج الوخيمة التي تنعكس على الدولة والمجتمع على حد سواء. فهو يقول: " ولم تزل الملوك والفضلاء والأئمة الحكماء يتنظفون عن ظلم الرعية، والطمع في أموالهم، إلا ما وظفت عليهم سنتهم، وأباحته ملتهم وشريعتهم، من أخذ فضول أموالهم، ثم ردّه عليهم في عوام مصالحهم، من تحصين دمائهم وتثمير أموالهم، وتأمين سبلهم، ودفع معرة أعدائهم، وقمع ذعارهم"[1]. ويقول أيضاً:" لا تلحّ في أخذ أموال رعيتك، فتضعفهم وتتبغض إليهم، واصرف ما تناله من أموالهم في مصلحة عامتهم، واشتهر بذلك تسعد به"[2].

وقد أورد مسكويه أن مجموع ما صادره الخليفة المقتدر بالله من وزرائه وموظفيهم بلغ 68.5 مليون دينار. كما صادر أم موسى القهرمانة على أموال عظيمة وجواهر نفسية " ومن الثياب والكسوة والفرش والطيب ما يعظم مقداره. حتى نصب الوزير لذلك ديواناً سماه (ديوان المقبوضات عن أم موسى وأسبابها) أجرى فيه أمر ضياعهم وأملاكهم... ويقال أنه حصل من جهتهم نحو ألف ألف دينار "[3]

---

[1] الماوردي، علي بن محمد(ت450هـ/1058م) نصيحة الملوك، تحقيق: محمد جاسم الحديثي، بغداد: دار الحرية للطباعة، 1986، ص412.

[2] المصدر نفسه، ص413.

[3] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 137.

ولا بد من التأكيد أيضاً على أن إسراف وتبذير بعض الخلفاء للأموال على ما لا طائلة منه كالملذات واللهو، وشراء الجواري والغلمان، كما هو حال الخليفة القاهر. مما كان له الأثر في إفلاس خزينة الدولة [1].

ناهيك عن الحروب التي خاضتها الدولة العباسية ضد القرامطة من جهة، والبيزنطيين من جهة ثانية، والتي استهلكت طاقة الدولة المالية للإنفاق على الجيوش والأسلحة والعتاد. مما أفرغ الخزينة الخاوية أصلاً[2].

وأمام كل هذا كانت الدولة تلجأ في أحيان كثيرة إلى زيادة الضرائب على الناس، وفرض ضرائب جديدة، بل وازداد الأمر سوءاً بالاعتداء على أراضي الأوقاف والتصرف بها، من أجل توفير المال اللازم لإسكات تذمر الجيش من جهة، والإنفاق على متطلبات الخليفة وحاشيته من جهة أخرى[3].

تولى المقتدر بالله الخلافة سنة 295 هـ/ 907م بتنصيب من الوزير العباس بن الحسن[4] . فعمد الخليفة الجديد إلى إطلاق يد الوزير في تصريف الأمور في الدولة، الذي بادر بدوره إلى إطلاق ما يسمى (بمال البيعة أو رسم البيعة) [5] للجيش كدليل على رضاهم بالخليفة الجديد وخوفاً من تذمرهم وثورتهم، حتى بات أمر إطلاق رسم البيعة للجيش عادة يعمل بها بعد ذلك كلما تم تنصيب خليفة جديد في الخلافة. وكم كان العزل والتولية للخلفاء جارياً للحصول على مال البيعة؟! ويذكر ابن الأثير أنه "

---

(1) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق1، ص 269؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 153.

(2) فوزي، الخلافة العباسية، ص 96.

(3) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق1، ص 174؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 18.

(4) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق1، ص 131؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 4؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 119.

(5) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق 1، ص 131؛ مسكويه وتجارب الأمم، ج5، ص 4

لما بويع المقتدر كان في بيت المال خمسة عشر ألف ألف دينار، فأطلق يد الوزير في بيت المال، فأخرج منه حق البيعة"[1] وكثيراً ما كانت تحدث فتن واضطرابات للمطالبة (بمال البيعة). ففي موسم الحج، وتحديدا في اليوم الثاني من أيام منى كانت وقعة بين بعض العامة والجند، كان سببها المطالبة (بمال البيعة) للمقتدر، نتج عنها قتل جماعة منهم، وهروب أكثر الناس من منى، ونهب الجند ديار أحد أمراء القوافل، فلحق الناس من ذلك تقطع بالسبل وعطش شديد، فمات منهم جماعة من العطش.[2] وزيادة في إنفاق الأموال فقد توسع الخليفة المقتدر في الطعام واستحداث الوظائف كما كانت العادة جارية من قبل، كما فرق في بني هاشم عشرة آلاف دينار وزاد في ارزاقهم. وتصدق بمثلها على عامة الناس، وفرق في يوم التروية ويوم عرفة ثلاثين ألف رأس من البقر والغنم، وألف رأس من الإبل[3].

خلع المقتدر بالله في أيام خلافته مرتين، ثم أعيد، فأما المرة الأولى فكانت بعد استخلافه بأربعة أشهر سنة 296 هـ/ 908م ونصب مكانه ابن المعتز إلا أن الأمر لم يستتب للخليفة الجديد بسبب الانقلاب عليه، فوقعت الفتنة في بغداد وكثر النهب والغارة والقتل [4]. وثار العيارون والسفل ينهبون منازل الناس[5]،مما ألحق الأذى بهم. إذ كانت الفتن والصراعات السياسية الداخلية والخارجية

---

(1) انظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج10، ص 139؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 119.

(2) الصولي، أخبار المقتدر بالله، ص 43؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 62

(3) الطبري، تاريخ الرسل، ج10، ص 139.

(4) الصولي، أخبار المقتدر بالله، ص 56؛ مجهول العيون والحدائق، ج4/ ق 1، ص 134؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 5؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 121.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 122؛ أنظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 81 ؛ ابن خلدون، العبر، ج3، ص 440.

مرتعاً خصباً لأعمال النهب والسلب، فقد كان هؤلاء العيارون كثيراً ما يستغلون مثل هذه الفتن لتحقيق مكاسبهم الشخصية بالسلب والنهب.

ولما استقرَّ أمر المقتدر بالله في الخلافة بعد حادثة ابن المعتز، فوض إدارة أمور الدولة إلى وزيره علي بن الفرات، ولم يعد الخليفة ينظر في شيء، ولكنه انعزل عن الإدارة والسياسة إلى الملذات واللهو ومجالس الجلساء والمغنين ومعاشرة النساء حتى" غلب على الدولة الحرم والخدم"[1] ولما كان تسيير الأمور بيد الوزير ابن الفرات فقد أخذ ينفق الأموال من بيت مال الخاصة على حاجات الخليفة ولهوه وملذاته، بل أخذ يبذر تبذيراً إلى أن أفرغ بيت مال الخاصة من الأموال.[2]

وفي سنة 299 هـ/ 911م قبض الخليفة المقتدر بالله على وزيره ابن الفرات بعد تدخل الحرم بأمور الوزارة، إذ سعت أم ولد المعتضد بالله لمحمد بن خاقان بالوزارة، بعد أن ضمن أن يدفع لها مبلغ مائة ألف دينار. فعملت على توليته[3] فما كان من الخليفة إلا أن سجن ابن الفرات ووكل بداره، وهتك حرمه، ونهب ماله وداره، كما نهبت دور أصحابه وكتابه وأقاربه[4]، وانتشرت الفتن في بغداد وزادت، لدرجة أن الناس أصابتهم شدة لمدة ثلاثة أيام حتى خرج لهم قائد الشرطة مؤنس الخازن فأسكن الفتنة[5].

---

[1] مسكويه،تجارب الأمم، ج5، ص 9؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 22، ص 27.

[2] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق 1، ص 136؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 9.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 123.

[4] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق 1، ص 156- 157؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 13؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 123؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 139.

[5] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ق1، ص 157؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 13؛ ابن الأثير والكامل، ج6، ص 139.

تعرض كثير من الوزراء إلى الدسائس والمؤامرات لعزلهم عن مناصبهم، طمعاً من أعدائهم بالحصول على منصب الوزارة، فقد حدث أن كثرت السعايات بالوزير محمد بن خاقان لعزله عن الوزارة، وذلك لإهماله أمور الوزارة، وانشغاله بخدمة الخليفة المقتدر بالله الشخصية، وتوفير حاجاته المالية؛ فاعتمد الوزير محمد بن خاقان على ابنه أبي القاسم عبد الله لتسيير أمور الدولة، وقلده خلافته بالوزارة، غير أن هذا الأخير كان مهملاً للأمور، مولعاً بالشرب ولا يهتم إلا بأمر قادة الجيش لكسبهم إلى جانبه، وعمال الولايات الذين كانوا يدفعون له المال كرشوة للحصول على وظائفهم[1]. ففسدت أمور الدولة، وضاعت الأموال[2].

كان من نتائج إهمال الوزير محمد الخاقاني لأمور الدولة وخاصة المالية منها، أن قلت الأموال المتحصلة في خزينة الدولة، مما يعني نقصان المال الذي يصرف على قادة الجيش وجنده وغيرهم، فثاروا عليه وشتموه، حتى تدخل الخليفة في الأمر وأمره بإعطائهم أرزاقهم ليهدأوا، وبسبب فراغ خزينة الدولة من الأموال الناتج عن الإسراف والتبذير، ونقص الدخل، بالإضافة إلى أن أموال المصادرات كانت تذهب إلى بيت مال الخاصة. عندها أمر المقتدر بإخراج خمسمائة ألف دينار من بيت مال الخاصة وتوزيعها على الجيش[3].

---

(1) الصولي، أخبار المقتدر بالله، ص 156؛ الصابئ، الوزراء، ص293؛ مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص15.

(2) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق 1، ص 158؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 15؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 139.

(3) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق1 ص 159؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 16.

زادت نفقات الدولة في وزارة الخاقاني على دخلها، وما ذاك إلا بسبب الزيادات التي أعطاها الوزير للجيش وقواده، حتى لحقت هذه الزيادات الخدم والحاشية وجميع الموظفين من كتاب ومتصرفين، علماً أن الوزير زاد في الضرائب والمكوس والجبايات[1].

وكثيراً ما كانت الأموال سبباً في عزل الوزراء وتعيينهم. ففي سنة 306 هـ/ 918 عزل الوزير ابن الفرات عن وزارته. لأنه أخّر دفع أرزاق الفرسان بحجة إنفاقه الأموال في محاربة ابن أبي الساج[2]. بالإضافة إلى انقطاع الواردات من جهة الري بعد سيطرة يوسف بن أبي الساج عليها. ولما أحس الوزير ابن الفرات بحرج موقفه طلب من الخليفة المقتدر بالله إعطاءه مائتي ألف دينار من بيت مال الخاصة بالإضافة إلى مائتي ألف دينار كانت في خزينة الدولة مما أغضب الخليفة وكان سبباً في عزله من الوزارة [3].

وفي نفس السنة – أي سنة 306 هـ / 918م. أجبر قائد شرطة بغداد نجح الطولوني[4]، أفراد شرطته على العمل بموجب فتاوى الفقهاء الذين عينهم في أرباع بغداد، وتنفيذ الأحكام بحق الجناة بحسب ما يقرره هؤلاء الفقهاء. وكانت نتيجة ذلك أن ضعفت هيبة الشرطة والسلطة، وطمع اللصوص

---

[1] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق1، ص 174؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 18.

[2] يوسف ابن أبي الساج: مؤسس الأسرة الساجية التي نسبت إليه. وقد حكمت هذه الأسرة في أذربيجان تحت السيادة الاسمية للخلفاء العباسيين في نهاية القرن الثالث الهجري. الطبري، تاريخ الرسل، ج10، ص142؛= =الذهبي، سير، ج15، ص49.انظر المزيد: إيوار، مادة ساج (بنو)، دائرة المعارف الإسلامية، ج11، ص36–37؛ خرابشة، سليمان، امارة بني الساج في اذربيجان وارمينية، ابحاث اليرموك، المجلد4، العدد17، 2001، ص799؛ .

[3] مسكويه وتجارب الأمم، ج5، ص 34؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 179.

[4] نجح الطولوني: كان الخليفة المقتدر بالله قد ولاه اعمال المعاون في اصفهان، وفي سنة 306هـ/918م تقلد شرطة بغداد. مسكويه وتجارب الأمم، ج5، ص34؛ ابن الأثير، الكامل،ج6، ص161؛ ابو لفداء، المختصر،ج2، ص69.

والعيارون بالسلب والنهب، وكثرت الفتن والجراحات بين الناس، ولم تسلم بيوت التجار من السلب، والنهب والسرقة، وقد زاد الأمر حتى خطفت النساء والبنات في الطريق المنقطعة، وكثر المفسدون[1].

وفي المرة الثانية التي خلع فيها المقتدر بالله من الخلافة سنة 317 هـ / 929م وقعت فتنة كبيرة، وكثر النهب والقتل في بغداد[2]. وقد ذكر مسكويه أن سبب خلعه هو إسرافه وتبذيره للأموال والضياع على الخدم والحرم، وإدارتهم لأمور الدولة[3]. وعلى أثر ذلك " نهب الجند الدار – دار الخلافة – ومحو رسوم الخلافة، وهتكوا الحرمة... ونهبت دور الناس طول ليلة السبت، فكانت من أشأم الليالي على أهل بغداد، وأفلت كل لص وجاني جناية ومقتطع مال".[4]

لطالما تأثرت الحياة الاقتصادية بتطورات الأحداث السياسية التي شهدتها فترة حكم القاهر بالله؛ فقد هرب قادة الخليفة المقتدر بالله بعد مقتله وكان على رأسهم محمد بن ياقوت، وابراهيم ومحمد ابني رائق[5] كما ذكر سابقاً. فأرسل لهم الخليفة القاهر من يحاربهم ويقبض عليهم أو يقتلهم، فقام ابن ياقوت ومن معه بدخول قصبة الأهواز" فعمل القراريطي – كاتب ابن ياقوت – بها ما لا يعمله الدمستق[6] وفتح الدكاكين بالليل، وبعث إليها البغال، وحمل منها أمتعة التجار، وصادر الأسود

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 39؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 161.

(2) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق1، ص 45؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 111؛ عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ج11، ص 123.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 108؛ انظر: ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 200.

(4) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ج11، ص 123.

(5) ابو اسحاق ابراهيم وابو بكر محمد ابنا رائق: تقلد ابنا رائق شرطة بغداد سنة 317هـ/ 929م، ثم عزلا عنها سنة 318هـ/ 930م. انظر: المسعودي، التنبيه والاشراف، ص346؛ عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ج11، ص125، 128، 136؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص62؛ مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص115؛ ابن الاثير، الكامل، ج6، ص207، 212.

(6) الدمستق: نائب البلاد التي في شرق القسطنطينية. انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج25، ص46.

والأبـيض"[1] ولمـا تمكـن جـيش الخلافـة مـن دخـول تـستر[2] عملـوا بهـا أعظـم وأفظـع ممـا عملـه القراريطي[3].

وفي سنة 324 هـ / 935م استحدث الخليفة الراضي منصب أمير الأمراء، وقلده للامير محمد بن رائق [4]، في محاولـة منـه للتخلص من الأزمـة الماليـة الخانقة التـي تعاني منها الدولـة، فـي ظل الصراعات الدموية بين القادة والوزراء، وشغب الجيش المستمر، بالإضافة إلى انقطاع واردات الولايات عن خزينة الدولة" وبطل منذ يومئذ أمر الوزراء، فلم يكن الوزير ينظر في شيء من أمر النواحي ولا الدواوين ولا الأعمال، ولا كان له غير اسم الوزارة فقط... وصار ابن رائق وكاتبه ينظران في الأمر كله... وصارت أموال النواحي تحمل إلى خزائن الأمراء، فيأمرون وينهون فيها، وينفقونها كما يرون، ويطلقون لنفقات السلطان ما يريدون، وبطلت بيوت الأموال."[5]

فأصبح الأمراء بذلك هم الحكام الفعليين، في حين إن الخلفاء أصبحوا أشباحا لسلطانهم الزائل، ذلك لأن فترة إمرة الأمراء عملت على إضعاف سلطة الخلفاء العباسيين المركزية في بغداد، وهدمت الكثير من أسس مؤسسات الدولة الإدارية، بالإضافة إلى الخلل الواضح الذي خلفته في شتى مناحي الحياة الإقتصادية والإجتماعية، مما مهد الطريق أمام العناصر الأجنبية للسيطرة على مركز الخلافة العباسية والتحكم بها.

---

(1) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق1، ص 465؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، 146؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 224.

(2) تستر: اعظم مدينة بخوزستان، ومعناه النزه والحسن والطيب واللطيف. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص29.

(3) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق1، ص 267؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 147؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 224.

(4) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق1، ص290؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 198؛ تقي الدين الدوري، إمرة الأمراء، ص 74.

(5) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق1، ص 291؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 199؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 254.

وبالنظر إلى حالات التذمر والإنتفاضات والفتن الداخلية التي كان يقوم بها الناس نلحظ أن السبب في معظمها هو الأزمة الإقتصادية الخانقة التي تمرّ بها الدولة العباسية، بالإضافة إلى موجات الغلاء المتكررة التي عانت منها الدولة. ففي سنة 308 هـ / 920م ارتفعت الأسعار ارتفاعاً كثيراً بسبب احتكار الوزير حامد بن العباس وبعض القادة والحاشية للغلال. وتخزينها ومنع بيعها وقت البيادر، ليرتفع سعرها[1] فتحركت العامة وتبعتهم الخاصة، لأن ارتفاع الأسعار طالهم أيضاً، فشغبوا شغباً عظيماً، حتى أشفى الملك على الزوال، وبغداد على الخراب[2]، فنهبت العامة دكاكين الدقاقين، ثم انضم بعض الجند للعامة، وضجوا، حتى منع الناس الأئمة من الصلاة في المساجد الجامعة، وهدموا المنابر، وأخربوا مجالس الشرطة، وأحرقوا الجسور، ونهبوا دار صاحب الشرطة، فأرسل لهم الخليفة المقتدر جيشاً لقمعهم، وقتل منهم عدداً كبيراً، ورغم ذلك " عظمت الفتنة، واشتد النهب والبلاء، وقتل الناس بعضهم بعضاً في الأسواق، وضربت الأسواق بالنار وغلقت الدور"[3]. حتى أمر الخليفة المقتدر بفتح دكاكين وبيوت الحنطة العائدة ملكيتها للوزير حامد بن العباس والسيدة أم المقتدر والأمراء أولاد الخليفة وكبار رجال الدولة، حتى بيع كرّ[4] الحنطة أرخص بخمسة دنانير عما سبق، كما طالب التجار والباعة أن يبيعوا بنفس السعر[5].

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 163.

(2) أنظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص 222.

(3) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق 1، ص 209.

(4) الكرّ: هو مكيال بالعراق، بالكوفة وبغداد يعادل ستين قفيزاً، وكل قفيز ثمانية مكاكيك، وكل مكوك ثلاثة كيالج، وكل كيلجة ستمائة درهم من القمح(= 2700كغم)، وفي واسط والبصرة كان الكر الواحد يساوي مائة وعشرين قفيزاً، وكل قفيز يساوي اربعة مكاكيك، وكل مكوك يساوي خمسة عشر رطلاً، وكل رطل يساوي مائة وثمانية وعشرين درهماً (= 2880 كغم قمح) . انظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص26؛ هنتس، فالتر، المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، عمان: الجامعة الاردنية، 1970، ص69-70.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 42؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 194؛ عريب، صلة تاريخ الطبري، ج11، ص 77؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 163؛ منيمنة، حسن، تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي- مقاطعة فارس- 334-447هـ/945-1055م، الدار الجامعية، 1987، ص 78.

ومع تكرار موجات الغلاء في سني(323هـ/934م)،(329هـ/940م)، (330هـ/941)، و(332 هـ/ 943م) كانت الأوضاع الاقتصادية تتدهور مما ينعكس سلباً على أحوال العامة من الناس الذين كانوا أكثر الفئات تأثراً ومعاناة من نتائج هذه الأحوال.

ففي سنة 323 هـ/ 934م ارتفعت الأسعار ببغداد، حتى وصل سعر الكر من الحنطة مائة وعشرين ديناراً، وأما الشعير فقد وصل إلى تسعين ديناراً للكر الواحد[1]

أما الغلاء الذي وقع سنة 329 هـ/ 940م فقد كان أثره شديداً على الناس. حيث بلغ سعر الكرّ من الدقيق مائة وستين ديناراً [2] لدرجة أن الناس أكلوا الحشيش والنخالة[3]. وقد نتج عن هذا الغلاء انتشار الأمراض والأوبئة؛ فمات من جراء ذلك كثير من الناس حتى وصل الأمر إلى أن دفن جماعة في قبر واحد بلا صلاة ولا غسل.[4] وبالمقابل نقصت أسعار العقارات والأثاث حتى بيع ما ثمنه دينار بدرهم[5].

استمر غلاء سنة 329 هـ/ 940م إلى سنة 330 هـ/ 941م ولكن بدرجة أكبر وأشد. حتى وصل سعر الكرّ من الحنطة إلى مائتين وعشرة دنانير، ثم ارتفع إلى أن وصل إلى ثلاثمائة وستة عشر ديناراً، أما الشعير فقد وصل سعر الكرّ منه إلى مائة وعشرين ديناراً[6]. أما ابن الأثير فيقول: "

---

(1) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج21، ص 93؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 350.

(2) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 120.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 237؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 6.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 237؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 120؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 6.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص6؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 281.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 19.

اشتد الغلاء وبيع الخبز أربعة أرطال بقيراطين[1] صحيح أميري "[2]وقد نتج عن هذا الغلاء إن كثرت الأمراض بين الناس، حتى سقط أكثرهم موتى، حتى وصل الأمر بالناس- وخاصة الفقراء - إلى أكل الميتة من شدة الجوع[3].

وفي سنة 332 هـ/ 943م ارتفعت الأسعار مجدداً في بغداد، حتى وصل سعر القفيز [4] الواحد من الدقيق من الخشكار [5] بنيف وستين درهم[6]. وبلغ سعر ثلاثة أرطال الخبز الخشكار بدرهم، ورطلا التمر بدرهم[7]. ومما زاد في ضيق الحياة وصعوبة العيش للناس سقوط أمطار غزيرة هدمت المنازل والدور، فمات كثير من السكان تحت الهدم، وقلت

---

[1] القيراط: من الأوزان. ويختلف بحسب اختلاف البلاد، فبمكة ربع سدس دينار، وبالعراق نصف عشره. فهو جزء من أجزاء الدينار، وهو نصف عشره في أكثر البلاد. وأهل الشام يجعلونه جزءا من أربعة وعشرين. انظر: البعلي، محمد بن ابي الفتح(ت709هـ/1309م) المطلع على ألفاظ المقنع، تحقيق: محمود الارناؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي، ط1، 2003، ص370؛ ابن منظور، محمد بن مكرم(ت711هـ/1311م) لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ ، ج7، ص375؛ مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد(ت1205هـ/1790م) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة محققين، دار الهداية، ج20، ص16؛ ؛ هنتس، المكاييل والأوزان، ص44.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 288.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 19؛ ا بن الأثير، الكامل، ج6، ص288.

[4] القفيز: مكيال للحبوب. كان في العراق قفيزان: القفيز الكبير ويستعمل في بغداد والكوفة، ويتسع لثمانية مكاكيك، وكل مكوك ثلاثة كيلجات، وكل كيلجة ستمائة درهم، أي حوالي 45 كغم قمح. اما القفيز الصغير، فكان يستعمل في البصرة وواسط، ويبلغ اربعة مكاكيك، وكل مكوك خمسة عشرة رطلاً، وكل رطل مائة وعشرون درهماً، أي انه يعادل وزناً قدره 23,962 كغم قمح، وبالتالي تكون سعته نصف سعة القفيز الكبير. انظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص30؛ هنتس، المكاييل والأوزان، ص66.

[5] الخشكار: الخبز الأسمر غير النقي، أو الخشن من الطحين. وهو الذي تكون نخالته فيه، خلافاً للحواري. انظر: الزمخشري، محمود بن عمرو(ت538هـ/1143م) الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط2، 1992، ج1، ص364؛ مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، القاهرة: مطابع الاوفست، ط3، 1985، ج1، ص245؛ الكرمي، حسن سعيد، الهادي إلى لغة العرب(قاموس عربي- عربي) بيروت: دار لبنان، ط1، 1991، ص622-623.

[6] ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 299.

[7] ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 34؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 299.

أسعار العقارات، وأغلقت الحمامات والمساجد وتعطلت الأسواق لقلة الناس، حتى أصبح يعطى المستأجر مالاً من صاحب الإيجار كحماية له، وما ذاك إلا بسبب كثرة اللصوص بالليل والنهار[1].

ولهذا نلحظ أن مجمل الأحداث الداخلية والخارجية التي مرت بالخلافة العباسية قد انعكست آثارها على الأوضاع الإجتماعية للرعية بشكل خاص. فقد ازدادت أعمال اللصوصية بالسلب والنهب التي كانت تجد لها مرتعاً خصباً في ظل فترات الإضطرابات، بين مقتل خليفة وتعيين آخر، والصراعات التي كانت تنشا بين المتنافسين على السلطة، وأثناء إنعدام الأمن وتزايد حدة الأزمات الإقتصادية وموجات الغلاء المتكررة[2].

ثالثا: البدايات السياسية الأولى لأمراء بني بويه:

يعتبر وصول البويهيين إلى سدة الحكم في الدولة العباسية ما بين عامي 334 – 447 هـ / 946 – 1055م نقلة نوعية في تاريخ الدولة الإسلامية، إذ تمكن البويهيون من إقامة إمارة وراثية لهم في بغداد محققين بذلك حلماً كان يراودهم منذ زمن في حكم العالم الإسلامي عن طريق السيطرة على العراق، خاصة بعد أن تمكنوا من إقامة إمارات عدة لهم في المشرق الإسلامي، مستغلين حالة الضعف والتدهور والإنهيار التي كانت الخلافة العباسية تعاني منها بسبب سيطرة القادة العسكريين على مقاليد الأمور، وخو الخزائن من الأموال اللازمة للنفقات، بالإضافة الى استقلال العديد من الأقاليم عن جسم الدولة العباسية. وقد تمثل لهم ذلك بقيام الدولة البويهية في قلب الدولة العباسية بغداد سنة 334 هـ / 945م.

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 263 ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 34؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 299.

(2) مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص23 فما بعد؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 19؛ ا بن الأثير، الكامل، ج6، ص288.

جرت محاولات عديدة لإقامة دول فارسية في ظل الدولة العباسية، وقد تكلل بعضها بالنجاح، نتيجة للظروف التي كانت تمرّ بها الدولة العباسية، ففي خراسان كوّن طاهر بن الحسين الدولة الطاهرية [1] سنة 205 هـ / 820 م في عهد الخليفة المأمون[2]. ثم قامت الدولة الصفاريةعلى أنقاض الدولة الطاهرية سنة 259 هـ / 872 م على يد يعقوب بن الليث الصفار، واستمرت هذه الدولة قائمة حتى سنة 290 هـ / 903 م[3]. حتى سقطت على يد السامانيين بقيادة نصر بن أحمد الساماني، الذي تمكن من إقامة دولة إقليمية فارسية في بلاد ما وراء النهر سنة 261 هـ / 874م[4]. ودامت دولته لغاية سنة 389 هـ / 999م. واعتبرت الدولة السامانية من أقوى منافسي البويهيين وأكثرهم عداوة، فقد عملت على إحياء اللغة الفارسية وشجعت على التأليف بهذه اللغة، وترجمة أهم الآثار العربية إليها[5]. ثم تأسست الدولة الزيارية [6]على يد مرداويج بن زيار سنة 316 هـ / 328م. والتي استمرت حتى عام

---

[1] الطاهريون: أسرة حكمت في خراسان، أسسها طاهر بن الحسين (159–208 هـ/775– 823 م) وقد عدّ قيام حكم بني طاهر من تاريخ إقامة طاهر قائداً لجيش المأمون سنة 194هـ/ 810م قدرت مدة حكمهم بخمس وستين سنة. انتهت دولتهم على يد يعقوب بن الليث الصفار سنة 259 هـ/872م. أنظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج9، ص507؛ مسكويه، تجارب الامم، ج4، ص266؛ بارتولد، مادة طاهر (بنو) دائرة المعارف الإسلامية، مجلد15، ص 44 – 45.

[2] الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص 577؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 196؛ سرور، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق، ص79.

[3] الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص 502؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 368؛ سرور، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق، ص81.

[4] الطبري، تاريخ الرسل، ج9، ص 514؛ سرور، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق، ص 81.

[5] الثعالبي، أبو منصور عبد الملك (ت 429 هـ / 1037) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق، مفيد محمد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ج4، ص 95.

[6] الزياريون: أسرة حكمت العراق العجمي وطبرستان ثم جرجان من 316 – 470 هـ/ 928 – 1077م. نسبت إلى مؤسسها زيار أبي وردان شاه حاكم جيلان، والد مرداويج. أنظر: مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص91 فما بعد ؛ ايوار، مادة زيار (بنو)، دائرة المعارف الإسلامية، ج10، ص 471 – 472؛ الجميلي، رشيد عبد الله، الزياريون في جرجان وطبرستان 316هـ–433هـ، مجلة اداب المستنصرية، مجلد9، 1984، ص149 فما بعد.

434 هـ / 1043 [1]، وهو الذي كان قد عزم على الزحف الى بغداد وإزالة دولة العرب، وإعادة دولة الفرس، إذ كان يقول: " أنا أردّ دولة العجم وأبطل دولة العرب"[2].

ومن جند الدولة الزيارية برز بنو بويه، إذ أظهر علي بن بويه [3] ورجاله شجاعة كبيرة في صفوف جيش مرداويج، وكان لهم فضل كبير في تحقيق الانتصارات لجيشه. ومن باب رد الجميل كافأ مرداويج علي بن بويه بأن عينه على منطقة الكرج [4] والياً [5]. ولم يمضِ بعدها سوى عقد ونيف من السنوات حتى أصبحت هذه المقاطعة الصغيرة أعظم دولة من دول القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي التي استطاعت أن تبسط سلطانها فيما بعد على بغداد عاصمة الخلافة العباسية سنة 334 هـ / 946م.

استقلّ بنو بويه واقاموا دولة خاصة بهم، وحكم ثلاثة منهم عدة اقاليم هي:

1- إقليم بلاد فارس وعاصمته شيراز، وكان يحكمه الأخ الأكبر أبو الحسن علي بن بويه (عماد الدولة). وقد امتدت سلطته على بلاد فارس من سنة 320 هـ / 932م إلى سنة 338هـ /

---

[1] مسكويه، تجارب الامم، ج5،ص 91 فما بعد؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 197 فما بعد.

[2] الصولي، أخبار الراضي، ص62.

[3] علي بن بويه: أبو الحسن علي بن بويه بن فناخسرو (281 – 338 هـ/ 894– 949م) عماد الدولة صاحب بلاد فارس، أخو معز الدولة وركن الدولة. كان أول من ملك من بني بويه، وكان أبوه صياداً للسمك، ثم آل أمر بنيه إلى ملك البلاد العراقين والأهواز وفارس. توفي سنة 338 هـ/ 949م، ودفن في دار المملكة. أنظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت 680 هـ / 1282م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ج3، ص 399 – 400؛ الذهبي، محمد بن أحمد (ت 748 هـ/ 1347م) تاريخ الإسلام، ج 26 (حوادث ووفيات 331 – 340 هـ؛ 341 – 350 هـ)، ص 162.

[4] الكرج: أول حصن من معاقل الجيل، من همذان إلى نهاوند مرحلتان، ومن نهاوند إلى الكرج مرحلتان، لم تكن في أيام الأعاجم مدينة مشهورة، وإنما كانت في عداد القرى العظام. أنظر: الحموي، معجم البلدان،ج4، ص 446.

[5] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 158 – 159؛ النويري، نهاية الأرب، ج12، ص 95.

950[1]. استطاع علي بن بويه من السيطرة على ولاية فارس، بعد ان تمكن من دخول العاصمة شيراز سنة 322هـ/934م بعد ان كان هارباً من القائد مرداويج، بسبب استمالته لقادة جيشه من الديلم[2]. وبعدها ارسل علي بن بويه الى الخليفة العباسي الراضي للاعتراف به اميراً على فارس، وللحصول على شرعية حكمه من الخلافة القائمة، متعهداً بمقابل هذا الاعتراف دفع مبلغ ثمانية ملايين درهم سنوياً للخزينة المركزية في بغداد. ونظراً لحاجة الخليفة العباسي للاموال فقد ارسل اليه الخلع واللواء تعبيراً عن شرعية حكمه لتلك المناطق[3].

2- إقليم بلاد الجبل وعاصمته الري، وكان يضم أصفهان وهمذان. وكان يحكمه الأخ الأوسط أبو علي الحسن بن بويه (ركن الدولة)[4] منذ بداية انفصال بني بويه عن مرداويج سنة 323هـ/934م. ولكن سلطته على هذه المناطق لم تكتمل إلا بعد احتلاله الري، وتحويلها إلى

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 230 – 233، 332 – 333؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 26، ص 42، 162؛ خواندمير، محمد بن خاوندشاه(ت903هـ/1497م) روضة الصفا في سيرة الانبياء والملوك والخلفا– تاريخ الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وال بويه والاسماعيلية والملاحدة–، ترجمة: احمد الشادلي، القاهرة: الدار المصرية للكتاب، ط1، 1988.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 366 فما بعد؛ مجهول، العيون والحدائق، ج4/ق1، ص273 فما بعد، الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص291 فما بعد؛ ابن الاثير، الكامل، ج6، ص232 فما بعد؛ الكروي، إبراهيم، البويهيون والخلافة العباسية، الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، 1997، ص91 فما بعد؛ منيمنة، تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي– مقاطعة فارس، ص 122 فما بعد.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 390–391؛ مجهول، العيون والحدائق، ج4/ق1، 285، الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص292؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص342؛ الصولي، اخبار الراضي والمتقي، ص237؛ الكروي، البويهيون والخلافة العباسية، ص99؛ منيمنة، تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي– مقاطعة فارس، ص 124.

(4) ركن الدولة: الحسن بن بويه بن فناخسرو (284 – 366 هـ / 897 – 976م) من كبار الملوك في الدولة البويهية. استمر في الملك مدة 44 سنة، وهو والد عضد الدولة فناخسرو، ومؤيد الدولة بويه، وفخر الدولة علي. قسم الممالك عليهم في حياته، أنظر: الانطاكي، يحيى بن سعيد(ت458هـ/1067م) تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ اوتيخا، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، لبنان،1990، ص183؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص249؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص80؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2؛ ص 118.

عاصـمة لمملكتـه سـنة 329 هـ /941 م. واسـتمر يحكـم هـذه المقاطعـات إلـى وفاتـه سـنة 366 هـ/ 976م [1]. فقد ارسله اخاه علي بن بويه- بعد ان تمكن من الهرب من رهنه عند مرداويج بعد مقتل الاخير- الى بلاد الجبل، حيث تمكن من الاستيلاء على اصفهان سنة 323 هـ /934م[2].

3- إقليم بلاد العراق، وكان يحكمه الأخ الأصغر أبو الحسن أحمد بن بويه (معز الدولة)[3] منذ سنة 334 هـ / 946م. حيث أقام دار ملكه في بغداد إلى جانب دار الخلافة، واستمر يحكمها حتى وفاته سنة 356 هـ / 967 م[4].

في ظل هذه الظروف- اي الظروف التي مرت بها الدولة العباسية في فترة التسلط العسكري- بدأ البويهيون يمهدون لغزو العراق والسيطرة على بغداد، مستغلين حالة الضعف التي تمرّ بها الخلافة العباسية، نتيجة الصراع والتنافس على منصب أمير الأمراء. ففي سنة 327 هـ/ 938م قصد الحسن

---

[1] الصابئ، إبراهيم بن هلال (ت 384 هـ / 994م) المنتزع من كتاب التاجي؛ تحقيق: محمد حسين الزبيدي، العراق: منشورات وزارة الإعلام، 1977، ص 36؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 287، 287 – 288؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث سنة 351 – 380 هـ، ص 357 – 358؛ خواندمير، روضة الصفا، ص184-185.

[2] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ق1، ص291؛ مسكويه تجارب الامم، ج5، ص407-444؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص366.

[3] معز الدولة: أحمد بن بويه بن فناخسرو (303 – 356 هـ/ 915 – 967م) من ملوك بني بويه في العراق، كان أول أمره يحمل الحطب على رأسه، ثم ملك هو وأخواه البلاد، يقال له الأقطع لأن يده اليسرى قطعت في معركة مع الأكراد، تولى في صباه كرمان والأهواز تبعاً لأخيه عماد الدولة ثم سيطر على بغداد سنة 334 هـ/ 946م في خلافة المستكفي. دام ملكه في العراق 22 سنة، وتوفي في بغداد سنة 356هـ/967م. انظر: مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص351؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص182-183؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج12، ص 174 – 177.

[4] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 275 – 276؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 314؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص 133؛ خواندمير، روضة الصفا، ص186-187.

بن بويه واسط للسيطرة عليها، مما دفع الخليفة الراضي بالله للتصدي له، مما أجبر ابن بويه على الانسحاب إلى الأهواز [1].

وفي سنة 328 هـ/ 939م جرت محاولة ثانية للسيطرة على واسط على يد الحسن بن بويه طمعاً فيها، وذلك حماية للأهواز من البريدي الذي كان مقيماً في البصرة، لتبقى الأهواز قاعدة للبويهيين ينطلقون منها باتجاه بغداد. إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل، وعلى أثرها عاد الحسن بن بويه إلى أصفهان، واسترجعها بعد أن كان سيطر عليها وشمكير وقواته[2].

وفي سنة 331 – 332 هـ / 942 – 943م سار أحمد بن بويه إلى واسط – بهدف السيطرة على بغداد – بعد أن وعده البريديون بالوقوف إلى جانبه، وما أن وصلها حتى تخلف عنه البريديون، وتركوه وحيداً في مواجهة قوة عسكرية على رأسها توزون، حيث جرت بينهما معركة ، كانت الدائرة فيهاعلى البويهيين إلا أن ابن بويه تمكن من الإفلات فهرب إلى واسط من جديد[3].

وفي سنة 333 هـ / 944م استولى أحمد بن بويه على البصرة وواسط والأهواز، فتصدت له قوة عسكرية بقيادة توزون أجبرته على الإنسحاب إلى الأهواز[4]. بعد أن كبده خسائر فادحة في الأرواح والعدة[5].

---

[1] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق1، ص 333.

[2] المصدر نفسه، ج4/ ق1، ص 339 – 340.

[3] المصدر نفسه ، ج4/ ق2، ص 387.

[4] مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص271–272؛ الذهبي، دول الإسلام، عني بطبعه ونشره: عبد الله الأنصاري، قطر: إدارة إحياء التراث ؛ د. ت، د. ط، ج1، ص 205 – 206؛ فاروق عمر فوزي، العراق والتحدي الفارسي، دراسة تاريخية لجذور الصراع مع الفرس ولموقف بلاد فارس من العراق والخلافة خلال العصر العباسي 132 – 656 هـ/ 749 – 1258م، بغداد: دار الشروان والثقافة العامة، 1987، ط1، ص 178.

[5] مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص272؛ فاروق فوزي: الخلافة العباسية: السقوط والإنهيار (ج2)، عمان: دار الشروق، 2009، ص 90.

جاءت الفرصة سانحة على طبق من ذهب للبويهيين لدخول بغداد والسيطرة عليها وذلك سنة 334 هـ / 945 م. إذ تصادف في هذه السنة أن مات أمير الأمراء توزون في بغداد؛ فاضطربت الأحوال فيها، وكادت تكون فتنة عظيمة؛ فاجتمع قواد الجيش وأجمعوا على جعل ابن شيرزاد أميراً للأمراء خلفاً لتوزون، مما اضطر الخليفة المستكفي بالله الى الاعتراف به على كره منه[1]. إذ كان المستكفي قد عرض منصب أمير الأمراء على محمد بن طغج الاخشيدالذي لم يقبل به[2]. ويبدو أن الأخشيد كان على قدر من الذكاء لأن يقبل هذا المنصب، والدولة تمرّ بمثل هذه الظروف الصعبة وخاصة المالية منها في ظل فترة الفوضى العسكرية التركية.

وقد تضاربت الروايات التاريخية حول طمع ابن شيرزاد في تقلد منصب أمير الأمراء. حيث ذهب بعضها إلى أن ابن شيرزاد لم تكن لديه الرغبة في تقلد منصب أمير الأمراء، إذ أنه لما سمع بموت توزون، أطمع ناصر الدولة بردّ المنصب إليه. إلا أنه اشترط عليه أن يعطيه الأموال. ولما وجد ابن شيرزاد أن الأموال التي أرسلها ناصر الدولة قليلة ولا تشبع طموحه، تراجع عن عزمه في إسناد المنصب اليه[3]. في حين ذهب البعض الآخر من الروايات إلى أن ابن شيرزاد كان يطمع في المملكة – أي إمرة الأمراء– وأنه حلّف العساكر لنفسه[4].

وعلى أية حال فقد بقي ابن شيرزاد أميراً للأمراء إلى حين تمكن أحمد بن بويه من دخول بغداد بجيشه دون أية مقاومة تذكر. وبمجرد ذلك تلقاه الخليفة المستكفي بالله وخلع عليه الخلع وقلده منصب

---

[1] مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق 2؛ ص 426؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج5، ص 274.

[2] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق 2، ص 425.

[3] مجهول العيون والحدائق، ج4/ ق 2، ص 426؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 274؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 103.

[4] مجهول العيون والحدائق، ج4/ ق2، ص 426؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج26 ص 24؛ – العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر سعيد؛ بيروت: دار الكتب العلمية؛ 1985، ط1، ص 46؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص 328.

أمير الأمراء ولقبه (معز الدولة) كما لقب أخاه علي بن بويه (عماد الدولة)، وأخاه الحسن بن بويه (ركن الدولة). منهياً بذلك إمرة ابن شيرزاد للأمراء. واعترافاً بسيطرة الدخيل الجديد الذي فرض نفسه بالقوة على الخلافة حتى عام 356 هـ / 967م [1].

ومنذ ذلك الوقت بدأت مرحلة جديدة من التسلط الأجنبي على الدولة الإسلامية ممثلة بالسيطرة البويهية على الخلافة العباسية في بغداد. إذ أنهى معز الدولة البويهي- بتوليه منصب أمير الأمراء- سيطرة العناصر غير العربية – أي التركية – على السلطة في بغداد باستثناء كورتكين الذي كان ديلمياً، وناصر الدولة الذي كان عربياً[2].

(1) مجهول العيون والحدائق، ج4/ ق2، ص 430 – 430؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 275 – 276؛ القضاعي؛ محمد سلامة (ت 454 هـ/ 1062م) الأنباء بأنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الأمراء المعروف بتاريخ القضاعي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري؛ بيروت: المكتبة العصرية، د. ت، ص 338 – 339؛ النويري، نهاية الإرب، ج 13، ص 104؛ ابن خلدون، العبر ،ج4، ص 520 – 521؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 224.

(2) أنظر: تقي الدين الدوري، أمرة الأمراء، ص 126.

الفصل الأول

أسباب الضعف السياسية وأثرها على المجتمع

اولاً- السيطرة على مؤسسة الخلافة وضعف الخلفاء 73

ثانياً- الصراعات والحروب مع القوى السياسية في العراق 97

1. الحروب مع بني حمدان- أمراء الموصل(293-380هـ/905-990م)... 97

2. الحروب مع بني شاهين- أمراء البطائح (338-373هـ/949-983م)....102

3. الحروب مع بني عقيل- أمراء الموصل (380-489هـ/977-1096م)..121

4. الحروب مع بني مزيد- أمراء الحلة (387-548هـ/997-1153م) 135

ثالثاً- الصراعات والحروب داخل البيت البويهي................................. 144

رابعاً- الحروب مع الروم البيزنطيين 170

اولاً- السيطرة على مؤسسة الخلافة وضعف الخلفاء

تولى الخلافة في فترة التسلط البويهي خمسة من الخلفاء العباسيين وهم المستكفي بالله[1] (333-334هـ/944-945م) والمطيع لله[2] (334 - 363 هـ / 945 - 973م) والطائع لله[3](363 - 381 هـ / 973 - 991م) والقادر بالله[4](381 - 422هـ/ 991 - 1030م) ثم القائم

---

[1] المستكفي بالله (333-334هـ/944-945م) الخليفة العباسي أبو القاسم عبد الله بن المكتفي علي بن المعتضد بويع بالخلافة بعد خلع المتقي لله، تولى بيعته أمير الأمراء توزون سنة 334 هـ/ 945م، وبعد دخول أحمد بن بويه إلى بغداد سنة 334 هـ/ 945م خلع المستكفي من الخلافة وسمله وبقي مسجوناً إلى أن مات سنة 338هـ/ 949م. أنظر: الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت 463 هـ/ 1070م) تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997، ج10، ص 11- 12 الذهبي، سير، ج15، ص 111- 113؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (1089 هـ/ 1678م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق، عبد القادر ومحمود الأرناؤوط، بيروت: دار ابن كثير، 1989، ط1، ج4، ص 202.

[2] المطيع لله (334 - 363 هـ/ 945 - 973م) الخليفة أبو القاسم الفضل بن المقتدر بالله. بويع له بالخلافة سنة 334 هـ/ 945 م بعد خلع المستكفي، خلع نفسه من الخلافة غير مكره بسبب فالج ألم به، كان كالمقهور مع نائب العراق معز الدولة. سلم الخلافة إلى ابنه الطائع سنة 363 هـ/ 973م، توفي بدير العاقول، ودفن في بغداد سنة 364 هـ / 974م. أنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج2، ص 375؛ الذهبي، سير، ج15، ص 113 - 117؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج4، ص 341.

[3] الطائع لله (363 - 381 هـ/ 973 - 991م) الخليفة أبو بكر عبد الكريم بن المطيع لله. تنازل له أبوه عن الخلافة لما أصيب بالفالج سنة 363 هـ/ 973م. خلع من الخلافة على يد بهاء الدولة البويهي، وسمل عينيه سنة 381 هـ/ 991م. توفي سنة 393 هـ / 1002 م أنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج11، ص 79؛ الذهبي، سير، ج15، ص 118 فما بعد؛ الصفدي، خليل بن أيبك (ت 764 هـ/ 1362 م) نكت الهميان في نكت العميان، تحقيق: طارق الطنطاوي، القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع، د. ت، ص 166.

[4] القادر بالله (381 - 422هـ/ 991 - 1030م) الخليفة أبو العباس أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر. كان ديناً عالماً متعبداً، من جلة الخلفاء وأمثلهم، نصبه بهاء الدولة البويهي في الخلافة بعد خلع الطائع سنة 381 هـ/ 991م. توفي سنة 422هـ/1030م. أنظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 220 - 221؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج6، ص 239.

بـأمر الله[1] (391 – 467 هـ / 1000 – 1074م) الـذي شـهد عـصره انتهـاء فتـرة التـسلط البـويهي وانتقال الحكم إلى السلاجقة.

لقد سبقت الإشارة إلى أن البويهيين تمكنوا من إقامة إمارة داخل أراضي الدولة العباسية، وجعلوا مقرّ حكمهم في عاصمة الخلافة العباسية بغداد. وعلى الرغم من أن الفترة البويهية تمثل استمراراً لما كان عليه الحال في فترة إمرة الأمراء من سيطرة قادة الجند على الخلفاء وترسيخاً لها، مع فارق غاية في الأهمية والخطورة في نفس الوقت هو أن البويهيين شيعة زيدية صريحو التشيع [2].

وقد وصف بعض المؤرخين وضع الخلافة العباسية في فترة الفوضى العسكرية وخصوصا في خلافة الراضي بالله بقوله: "واعلم أن أمر الخلافة كان قد وهي وضعف، وتناهت في الضعف أيام الراضي، وتغلب عمال الأطراف عليها، فاستولى محمد بن رائق من الفرات على البصرة، والبريدي على خوزستان، وعماد الدولة بن بويه على فارس، ومحمد بن إلياس على كرمان، وركن الدولة بن بويه على الري وأصفهان، وبنو حمدان على الموصل وديار بكر وديار مضر وديار ربيعة، وغير أقطار هذه المملكة مع ملوك آخر، ولم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها، واستولى ابن رائق على جميع الأمور وخطب باسمه على المنابر"[3].

---

(1) القائم بأمر الله (391 – 467 هـ/ 1000 – 1074م) الخليفة أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله. ولد سنة 391 هـ/ 1000م، وبويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه القادر سنة 422هـ/ 1030م. قبض عليه سنة 450 هـ/ 1050م يوم دخول البساسيري إلى بغداد واعتقل عند قريش العقيلي ولم يكن الخليفة يقطع أمراً دونه ولا يحل ويعقد إلا عن رأيه، اعاده طغرلبك السلجوقي إلى مقر دولته سنة 451 هـ/ 1059م. توفي سنة 467 هـ/ 1074م. أنظر: البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص 406 فما بعد؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 216 فما بعد؛ الذهبي، سير، ج15، ص138.

(2) ابن الاثير، الكامل، ج6، ص315؛

Cahen, Cl.: Buwayhids or Buyids, Encyclopaedia of Islam, New edition, E.J. Brill, Leiden, 1979, P.1350

(3) انظر: مجهول، العيون والحدائق، ج4/ق1، ص298–299؛ مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص198–199، 206–207؛ ابو الفداء، إسماعيل بن علي(ت732هـ/1331م) المختصر في أخبار البشر، بيروت: دار الكتب=

لقد قامت علاقة البويهيين بالخلفاء العباسيين في فترة التسلط البويهي على أساس من النفعية المحققة للمصالح السياسية، إذ كان البويهيون يقدمون المصلحة السياسية على كل اعتبار آخر، فبالرجوع إلى ماضي الأسرة البويهية نجد أن البويهيين كانوا يميلون بالولاء إلى من يحقق لهم مصالحهم. فمن ذلك أن على بن بويه كان قد استأذن صاحبه (ما كان بن كالي) في الانضمام برجاله إلى (مرداويج بن زيار) الذي كان قد انتصر على (ماكان) من أجل التفرد بزعامة الديلم والجيل. إذ قال علي بن بويه لماكان:الأصلح لك مفارقتنا إياك لتخفّ عنك مؤونتنا، ويقع كلّنا على غيرك، فإذا تمكنت عاودناك"[1]. ومن ذلك أيضاً ما أكده ابن الطقطقي في وصفه لأولاد بويه عندما قال: " فإنهم دخلوا في زي الأجناد، وانضافوا إلى العساكر، وما زالوا يتنقلون في خدمة ملوك العجم من واحد إلى واحد"[2].

بدأت بوادر التسلط البويهي على الخلافة تلوح في الأفق منذ الأيام الأولى التي دخل فيها معز الدولة بغداد سنة 334 هـ / 945م. إذ لم يكنّ للخليفة المستكفي بالله أي احترام يدلُّ على ولائه له باعتباره أمير الأمراء في حاضرة الخلافة العباسية، فقد قام معز الدولة في ثاني يوم من وصوله بغداد بإجبار الخليفة على استصدار عفو عن أمير الأمراء الأسبق ابن شيرزاد ويخرجه من السجن، ويوافق أن يكون كاتباً شخصياً لمعز الدولة. مع علمه أن الخليفة كان كارهاً له[3].

=العلمية، ط1، 1997، ج1، ص415؛ القلقشندي، صبح الأعشى ، ج4، ص 417 – 418؛ أنظر: المقريزي، السلوك، ج1، ص 13 (مقدمة المؤلف)؛ سرور، محمد جمال الدين، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق من عهد نفوذ الاتراك الى منتصف القرن الخامس الهجري، القاهرة: دار الفكر العربي، 1965، ص49؛ الزهراني، محمد مسفر، نظام الوزارة في الدولة العباسية 334 – 590 هـ (العهدان البويهي والسلجوقي)، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986، ط3، ص 23.

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 158؛ متز، الحضارة ، ج1، ص 53.

(2) ابن الطقطقي، الفخري، ص 271.

(3) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق 2، ص 430.

وقد انفرد صاحب العيون والحدائق في بيان أن سبب هذه الكراهية فعائد إلى أن ابن شيرزاد كان قد راسل معز الدولة عندما نزل واسط قادماً إلى بغداد، فخاف ابن شيرزاد من الأتراك، وأرسل إلى معز الدولة سراً لاستقباله دون علم الخليفة بذلك، مما أغاظ الخليفة وقال: " ما ننفك من حجر ابن شيرزاد علينا، إنما وجهت في طلب الديلمي أطلب به أن أكفى شر ابن شيرزاد"[1]. ثم قال" والله لا طمعت أن تخدم في أيامي أبداً، ولأن وقعت في يدي لأقصلك"[2].

خاف ابن شيرزاد على نفسه لما علم بذلك، فأرسل من معه من حجاب وغلمان وحاشية إلى معز الدولة ليكونوا في خدمته[3]. وطلب منه الأمان على نفسه، ثم خرج بنفسه وانحاز إلى معز الدولة حاملاً معه الهدايا والجواهر، فاستقبله معز الدولة وقال له" ما جئت إلى الحضرة إلا شوقاً إليك لتتولى أموري كلها ولا أعارضك في شيء تريده. وما أقيمك إلا مقام شيخي وأحد إخوتي"[4].

وبعد دخول معز الدولة بغداد، جعله الخليفة المستكفي أميراً للأمراء، ثم طلب من الخليفة العفو عن ابن شيرزاد. فقال له المستكفي" لا تذكره لي، فإني قد حلفت أن لا يتصرف في أيامي ودولتي، واستكتب من شئت من أهل الحضرة ولا تستعمله فإنه إنسان سوء، كثير التضريب بيني وبين أصحأبي"[5].

---

[1] مجهول، العيون والحدائق ، ج4/ ق 2، ص 428 – 429.

[2] المصدر نفسه، ج4/ ق 2، ص 429.

[3] المصدر نفسه، ج4/ ق 2، ص 429.

[4] المصدر نفسه ، ج4/ ق2، ص 430.

[5] المصدر نفسه ، ج4/ ق 2، ص 431.

بقي معز الدولة يلحّ على الخليفة أن يصفح عن ابن شيرزاد ويوافق على استكتابه قائلاً له:"... هي أول حاجة سألت مولاي ولا بد لي منه"[1]. مما اضطر الخليفة إلى القبول وهو مكره، لأنه كان على يقين أنه لا يستطيع أن يرفض له ما طلب. فيقول ذكا – مولى الخليفة الراضي – "وكنت حاضراً فأجابه المستكفي على كره، ورأيت عينيه وقد تغرغرت بالدموع لعظم ما ورد عليه من مسألته"[2]. فخرج ابن شيرزاد من استتاره، واعتذر من الخليفة المستكفي على ما بدر منه، وضمن لزوم طاعته له، ثم تولى أمور الخراج وجمع الأموال لمعز الدولة[3].

كان الخليفة المستكفي بالله قد استتر لما علم بقدوم معز الدولة إلى بغداد [4]. وقد تذرع المستكفي أنه" إنما استتر من الأتراك لينحل أمرهم فيحصل الأمر للأمير أحمد بن بويه بلا كلفة"[5]. ولعل في استتار الخليفة إشارة إلى عدم رضاه ورغبته في سيطرة البويهيين على مقاليد الأمور، لأنه كان يدرك تمام الإدراك أن معز الدولة قادم على رأس جيش أجنبي– أتراك وديالمة– بالإضافة إلى كونه شيعي زيدي مما يعني أن الحال لن ينصلح بل أن حالة الخلافة ستسوء من سيء إلى أسوأ.

---

[1] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق2، ص 431؛ أنظر: مسكوية، تجارب الأمم، ج5، ص 277.

[2] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق 2، ص 431؛ متز: الحضارة الإسلامية ، ج1، ص 40.

[3] مجهول العيون والحدائق، ج4/ ق 2، ص 431؛ انظر: الهمذاني، محمد بن عبد الملك (ت 521 هـ / 1127م) تكملة تاريخ الطبري، تحقيق. ألبرت يوسف كنعان، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1961، ط 2، ج1، ص 148؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج5، ص 275.

[4] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 275، النويري، نهاية الإرب، ج23، ص 104؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج1، ص 385.

[5] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق 2، ص 428؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 275؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 148.

لقد جرى الأمر على ما كان يخشاه المستكفي. إذ نال التحكم والتهكم شخص الخليفة نفسه، فقد عمد معز الدولة إلى مضايقة الخليفة والحجر عليه[1]. بل أن الأمر تعدى ذلك بأن خصص للخليفة مصروف يومي قدر بحوالي خمسة آلاف درهم فقط لأغراض نفقته[2]. وقد اتفق السيوطي مع الذهبي في تحديد مقدار نفقة الخليفة اليومية[3]. وقد خالف كل من عريب القرطبي والهمذاني جمهور المؤرخين في تحديد مقدار النفقة إذ جعلاها "... في كل يوم خمسين ألف درهم لنفقته" [4]. إلا أن هذا الرقم مبالغ فيه في ظل الظروف المالية الصعبة التي تمر بها خزينة الدولة، بالإضافة إلى أن سياسة التحكم بالخليفة وإذلاله تكون بالتقتير لا بالبتذير في نفقته، وكأن الخليفة أصبح مجرد موظف في الإدارة البويهية، وحتى هذه النفقة لم يراع معز الدولة انتظامها. إذ قطعها فيما بعد وحدد بدلاً عنها اقطاعات يعيش الخليفة منها[5].

كما نكث معز الدولة بالأيمان التي حلفها للخليفة على الولاء والطاعة ورعاية حاشية الخليفة من قضاة وحجاب وكتبة وحتى قهرمانته غير أن معز الدولة قبض عليهم وتخلص من أكثرهم وذلك بعد خلع المستكفي من الخلافة[6].

بدأ معز الدولة يفكر في التخلص من الخليفة المستكفي وخلعه من الخلافة، فاتبع في سبيل ذلك سياسة الغدر والخيانة، إذ كانت عملية الخلع تدل على محاولة جادة لإذلال وإهانة شخص

(1) النويري، نهاية الإرب، ج 12، ص 106؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 397.

(2) ابن العمراني، الأنباء ، ص 177؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 314؛ أبو الفداء، المختصر، ج1، ص 429؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 20، ص 25؛ سرور، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق، ص53؛ وفاء محمد علي، الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1991، ص 43.

(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 398.

(4) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص 354؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري ج1، ص 148.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 314؛ النويري، نهاية الإرب، ج12، ص 106؛ خليل السامرائي، تاريخ الدولة العربية الاسلامية، ص 154.

(6) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 276؛ عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ج11، ص 354؛ ابن الأثير. الكامل، ج6، ص 315.

الخليفة. إذ لم يكد يمضي على وصول معز الدولة إلى بغداد سوى أيام قليلة حتى بدأت نواياه تتغير تجاه المستكفي، فدخل عليه ذات يوم ووقف أمامه والناس وقوف على مراتبهم، فتقدم اثنان من الديلم- كان معز الدولة قد اتفق معهم على التخلص من الخليفة – إلى الخليفة، فمدَّ يده لهما ظناً أنهما يريدان تقبيلها – على عادة الديلم – فجذباه من كرسي الخلافة ثم طرحاه على الأرض وجراه بعمامته من عنقه بطريقة وحشية وبشعة. ثم سيق ماشياً إلى منزل معز الدولة حيث اعتقل فيها، ثم سلم إلى المطيع الذي طلب من يسمل عينيه ويكحلهما انتقاماً لأخيه المتقي بعد أن أشهد عليه خلع نفسه من الخلافة فلم يجد الا خادم صقلبي، أراد الانتقام من المستكفي لانه كان قد ضربه مائة سوط وسجنه[1].

اختلفت الروايات التاريخية في عرض الأسباب التي أدت إلى إقدام معز الدولة على خلع المستكفي بهذه الطريقة والتي يبدو من مضمونها أنها مجرد حجج تذرع بها للتخلص من خليفة عباسي ، والسعي الى تحويل الخلافة إلى خليفة علوي، وقد تنوعت هذه الأسباب بين سياسية ومذهبية.

أما أول الأسباب السياسية هو أن علم[2]– قهرمانة الخليفة المستكفي– دعت دعوة عظيمة، حضرها جماعة من قواد الديلم والأتراك، من بينهم خورشيد – مقدم الديلم – وعدة أمراء آخرين[3]، فخاف معز الدولة من دسائسها لما رأى من جرأتها وإقدامها على قلب الدولة[4]، فاتهمها بأنها فعلت

---

[1] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق2، ص 441 ؛ القضاعي، الأنباء ، ص 339؛ ابن الاثير، الكامل، ج6، ص315.

[2] علم: هي حسن الشيرازية. كانت زوجة احد كتاب الأمير توزون، جعلها المستكفي قهرمانة الدار، وغير اسمها وسماها علم، فصارت تعرف بعلم القهرمانة. كانت امرأة عاقلة مدبرة تآمرت على خلع المتقي وتولية المستكفي، فصار لها نفوذ كبير، واستولت على الأمر كله. أنظر مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق 2،، ص 415؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص 175؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج1، ص 40؛ الأطرقجي، المرأة في أدب العصر العباسي، ص97.

[3] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 276؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 315 الذهبي، العبر،ج2، ص 46.

[4] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق 2، ص 433.

ذلك لتأخذ البيعة عليهم للمستكفي بالله، وأن ينقضوا رئاسة معز الدولة عليهم، ويطيعوا الخليفة دونه، فساء ظنه بها لذلك[1].

انفرد ابن العمراني بذكر تفاصيل أخرى للخطة التي أعدتها القهرمانه إذ يقول أنها دعت وجوه بغداد من القضاة والأئمة وفي جملتهم معز الدولة نفسه ووجوه أصحابه فإذا ما صاروا في بيتها، أدخلت عليهم العامة من باب آخر ليقتلوهم جميعاً[2].

وأما ثاني الأسباب السياسية فهو أن معز الدولة اتهم الخليفة بالتعاون والتواطؤ مع الحمدانيين أثناء حربه معهم، بمراسلتهم وإخبارهم بأخباره أولاً بأول، وإطلاعهم على أسراره وأسرار الجيش البويهي العسكرية[3]. وقد اكتفى ابن خلدون بذكر أنه " بلغ معز الدولة أن المستكفي يسعى في إقامة غيره "[4].

أما السبب المذهبي فهو أن المستكفي قبض على رجل يسمى الشافعي – وهو رئيس الشيعة – وسبب له الاذى لإثارته الفتن المذهبية؛ فشفع فيه اصفهدوست[5]– أحد قواد الديلم – فلم يجب الخليفة شفاعته، مما أغضب الأصفهدوست، فأوغر صدر معز الدولة على الخليفة كذباً وزوراً قائلاً له " راسلني الخليفة في أن ألقاه متنكراً في خف وإزار " [6] ليتواطأ معه على تنحية معز الدولة عن إمرة الأمراء.

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 276؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج11، ص354؛ ابن العمراني، الأنباء، ص 175.

(2) ابن العمراني، الأنباء، ص 176.

(3) المسعودي، مروج الذهب ، ج4، ص 371؛ عبد العزيز الدوري، النظم الإسلامية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008، ص 59؛ أحمد مجاهد مصباح، دراسات تاريخية في الدول العباسية، القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ط1، 1982، ص 134.

(4) ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص 513.

(5) اصفهدوست: اسمه بكران، وهو خال معز الدولة. أنظر: مسكوية، تجارب الأمم، ج5، ص 289. ابن العمراني، الإنباء، ص 176.

(6) مجهول، العيون والحدائق،ج4/ق2، ص433، مسكوية، تجارب الأمم، ج5، ص276؛ الدوري، النظم، ص59.

ويعزو ابن دقماق السبب في خلع المستكفي على يد معز الدولة الى الإختلاف المذهبي بين الطرفين، إذ يقول:" وكان سبب ذلك أن معز الدولة كان رافضياً، وكان المستكفي سنياً يحطُّ على الروافض فقبض معز الدولة عليه بسبب ذلك"(1).

وبالمحصلة فإن الروايات التاريخية سواء اتفقت أو اختلفت على الأسباب التي أدت إلى خلع الخليفة بهذه الطريقة، فإنها تؤكد وبكل وضوح مدى حجم الإساءة التي لحقت بمكانة الخليفة وهيبة الخلافة ونفوذهما، حيث تعكس مدى التسلط البويهي على مؤسسة الخلافة. ولا سيما وأن البويهيين أصبحوا أصحاب السلطة الفعلية في الدولة. الأمر الذي جعل من الخلفاء العباسيين أشبه برموز دينية فقط دون أي سلطان سياسي. وإن وجد فإنه لا يتعدى أن يكون اسمياً فقط.

وفي نهاية الأمر يمكن القول أن معز الدولة كان يطمع من دخوله بغداد السيطرة التامة والشاملة على مقاليد الأمور، وتسييرها وفق أهوائه ورغباته دون معارضته من أحد، وبما أن الخليفة العباسي يمثل رأس الجهاز الإداري في الدولة، فهو الذي يتمتع بالسيادة والسلطة ولو من الناحية الاسمية، على الرغم من الألقاب والخلع التي منحها المستكفي لمعز الدولة وأخويه، وترحيبه بدخول البويهيين إلى بغداد، ومع ذلك يبقى الأمر أن المستكفي لم يكن صنيعة البويهيين من حيث وصوله إلى الخلافة، بل هو صنيعة الأتراك – وخاصة أمير الأمراء توزون – لذلك كان لا بد من عزله والمجيء بخليفة آخر من صنع البويهيين أنفسهم ليكون خاضعاً لتأثير معز الدولة ونفوذه، بما يتلاءم والسيطرة البويهيية الجديدة.

---

(1) ابن دقماق، الجوهر الثمين ، ج1، ص 182– 183. وسيتم الحديث عن محاولة معز الدولة البويهي اقامة خليفة علوي او زيدي مكان الخليفة العباسي في الفصل الثاني.

ولما أصبح معز الدولة أمير الأمراء سارت الخلافة في أيامه وأيام من بعده من الأمراء البويهين من سيء إلى أسوأ، إذ أصبح معز الدولة وريث أمير الأمراء بكافة سلطاته وصلاحياته، بل زاد الأمر سوءاً أن أصبح في الدولة وزيران – وزير للخليفة ووزير للأمير البويهي– وهو أمر لم يعهد من قبل وذلك لما اتخذ معز الدولة الحسن بن محمد المهلبي[1] وزيراً له سنة 345 هـ/ 956م [2]. أليس في ذلك تشبهاً بالخليفة؟

أحضر معز الدولة الفضل بن المقتدر بالله إلى دار الخلافة وبايعه بالخلافة، ولقبه (المطيع لله) بعد خلع المستكفي بالله. فاستبدّ معز الدولة بالدولة وذلك لأن الخليفة الجديد صنيعته بحيث" لم يبق بيد الخليفة منه – أي من العراق– شيء البتة إلا ما أقطعه معز الدولة بما يقوم ببعض حاجته"[3].

بدأت بوادر التسلط البويهي على الخلافة تلوح في الأفق من اللحظة الأولى التي تم فيها تنصيب المطيع لله في منصب الخلافة. ولما كان المطيع صنيعة البويهيين فقد جعلوا منه العوبة في أيديهم، وتفردوا بالأمر دونه. ولم يبق للخليفة في ظلهم إلا الاسم فقط[4].

ازدادت أوضاع الخلافة سوءاً وضعف أمرها، وأصابها الوهن بحيث لم يبق للخليفة أمر ولا نهي ولا وزير أيضاً. سوى كاتب على اقطاعه يدير شؤونه في حين أصبحت الدولة ومواردها من خراج

---

(1) الحسن بن محمد المهلبي: ابو محمد، من ولد المهلب بن ابي صفرة، مات وهو يتولى وزارته سنة 352هـ/963م. مسكويه. تجارب الأمم، ج5، ص 335-336؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص142-143؛ الحموي، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ط1،1993، ج3، ص976؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11 ص257.

(2) مسكويه. تجارب الأمم، ج5، ص 316.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 316.

(4) الأزدي، علي بن منصور (ت 613 هـ/ 1216م) أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: عصام هزايمة وآخرون، 1999، ج2، ص 412؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج1، ص 184.

وجزية وضرائب بيد معز الدولة، ووصلت حالة الخلافة والخلفاء إلى درجة كبيرة من السوء والتسلط بحيث أصبح الخليفة يتقاضى نفقة يومية خصصها له معز الدولة[1]. انقضت بمرور الزمن.

ويصف كثير من المؤرخين الحال الذي وصلت إليه هيبة الخلافة من الضعف والهوان في فترة التسلط البويهي وتحكمهم بالخلفاء. ولعل المسعودي كان من أكثر المؤرخين دقة في وصف الحال الذي وصلت إليه الخلافة من ضعف وهوان في أيام كل من المتقي والمستكفي والمطيع بقوله: " إذ كانوا كالمولى عليهم، لا أمر ينفذ لهم... صاروا مقهورين خائفين. قد قنعوا باسم الخلافة، ورضوا بالسلامة"[2]. وما ذلك إلا لأن المسعودي كان أكثر إطلاعاً على أحوال تلك الفترة لأنه كان شاهد عيان على هذه المرحلة. أما ابن العمراني فيقول: " واستولى معز الدولة على المملكة، ورتب له–أي للخليفة المطيع– كل يوم خمسة آلاف درهم " [3].

أما ابن ظافر الأزدي فيصف حال الخليفة المطيع بقوله. " ولم يكن له من الخلافة سوى الاسم، والمدبر للأمور والحاكم على الجمهور معز الدولة أحمد بن بويه الديلمي.... وأقام لنفقة الخليفة كل يوم مائتي دينار " [4].

ويصف ابن الأثير الحال بقوله: " وازداد أمر الخلافة إدباراً، ولم يبق لهم من الأمر شيء البتة"[5]. ويضيف ابو الفداء:" وتسلم نواب معز الدولة العراق بأسره، ولم يبق في يد الخليفة غير ما أقطعه معز الدولة للخليفة مما يقوم ببعض حاجته"[6].

---

[1] ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 315؛ أنظر: محمد ضيف الله بطاينة، الإيجاز والإيناس بأخبار بني العباس، إربد: دار الهلال، 1999، ص 46؛ فوزي، أمين يحيى وفتحي حميدة، تاريخ الدولة العباسية(العصر العباسي الثاني) 222 – 656 هـ/ 840 – 1258م، عمان: دار الفكر، ط1، 2010، ج2، ص 32.

[2] المسعودي، التنبيه والإشراف، ص 362.

[3] ابن العمراني، الانباء ، ص177.

[4] ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ص 412.

[5] ابن الاثير، الكامل، ج6، ص315.

[6] أبو الفداء، المختصر، ص 94؛ وافق على ذلك ابن الوردي، تاريخ، ج1، ص 386.

أما الذهبي فيصف حال الخليفة المطيع بقوله: " فكان من تحت يد معز الدولة، لا له معه حل ولا ربط، وقدر له في الشهر ثلاثة آلاف دينار لنفقته، وانحطت رتبة الخلافة جداً"[1]. وفي موضع آخر يقول " وكان رأي المطيع – كالمقهور مع نائب العراق ابن بويه، فقرر له في اليوم مئة دينار فقط "[2]. أما ابن دقماق فيقول: " ولم يكن له من الخلافة إلا الاسم، وإنما الأمر لمعز الدولة بن بويه الديملي، فرتب له في كل شهر ثلاثة آلاف دينار لنفقته، وانحطت الخلافة جداً"[3].

ويؤكد صحاب العيون والحدائق أن مقدار النفقة التي خصصها معز الدولة للخليفة المطيع لله قيمتها ألفي درهم يومياً[4].

ومهما يكن من أمر فإن كل الروايات التاريخية السابقة الذكر تبين بما لا يدع مجالاً للشك أنها اتفقت جميعها على استئثار معز الدولة بالسلطة المطلقة وسيطرته على الخلافة والخلفاء، ولكنها اختلفت في مقدار النفقة اليومية التي خصصها معز الدولة للخليفة، ثم سرعان ما ألغى هذه النفقة وجعلها إقطاعات قليلة ليعيش منها الخليفة[5]. إذ قطع معز الدولة النفقة اليومية عن الخليفة واستبدلها باقطاعات من ضياع البصرة. كانت تدر مائتي ألف دينار في السنة، ثم نقص مقدار واردها على مر السنين حتى بلغ خمسين ألف دينار سنوياً[6]. فهل هناك من فارق بين الخليفة وقادة الجيش البويهي في هذا الأمر؟! مع العلم أن الخلفاء قبل دخول البويهيين بغداد كانوا: يراجعون ويؤخذ أمرهم فيما يفعل، والحرمة قائمة بعض الشيء، فلما كان أيام معز الدولة زال ذلك جمعيه، بحيث أن الخليفة لم

---

(1) الذهبي، دول الإسلام، ج1، ص209.

(2) الذهبي، سير، ج15، ص104؛ وافقه في مقدار النفقة اليافعي، عبد الله بن أسعد(ت 768هـ/1366م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، بيروت؛ دار الكتب العلمية، ط1997،1،ج2، ص 235.

(3) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج 1، ص 184.

(4) مجهول العيون والحدائق، ج4/ ق 2، ص 446.

(5) الهمذاني، تكلمة تاريخ الطبري، ص 57؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 286.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 64.

يبق له وزير، إنما كاتب يدير إقطاعه وإخراجاته لا غير وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد"[1].

حجر معز الدولة على الخليفة المطيع منذ أول يوم تسلم فيه منصب الخلافة، ووكل به من يقوم بمراقبته[2]؛ تخوفا وتحسباً من انقلابه ضده، وذلك بعد أن قدم ناصر الدولة الحمداني إلى بغداد نصرة للخليفة المستكفي لتخليصه من سيطرة البويهيين، واقتتل الطرفان وكانت الغلبة من نصيب معز الدولة الذي استقر له الأمر في بغداد من جديد، عندها أجبر الخليفة المطيع أن يحلف له بأغلظ الإيمان" أنه لا يبغيه سوءاً، ولا يمالي عليه عدواً، ثم أزال عنه التوكيل"[3].

وقد تمادى معز الدولة في تحكمه بالخليفة المطيع، فهو كالألعوبة في يده يستصحبه معه كلما خرج من بغداد وخاصة في حروبه التي خاضها ضد الحمدانيين في الشمال والبريديين في الجنوب [4] وما ذلك إلا تخوفاً من انقلابه عليه إن هو خرج من بغداد مع علمه بكثرة الطامعين بالسيطرة عليها.

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 315؛ ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص 513.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 53.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 286؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 54؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص323؛ شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي – 6- الدولة العباسية، بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، 1987، ج2، ص 154.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 278، 288؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 54، 64؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 160؛ ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص 513؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ج2، ص 154.

ولما استولى معز الدولة على البصرة سنة 336 هـ /947م، بعد انتصاره على البريديين، استبقى الخليفة فيها، وذهب للقاء أخيه عماد الدولة بأرجان[1]، ثم بعدها عاد إلى بغداد وأعاد الخليفة معه إليها[2].

كان معز الدولة يسعى الى تحويل الخلافة من العباسيين الى العلويين أو الفاطميين أو يقيم خليفة زيدي جديد كنوع من الضغط على الخليفة[3].

لجأ معز الدولة إلى سياسة التوريث في إمرة الأمراء، حرصاً منه على مصالح الأسرة البويهية السياسية، إذ أنه لما أحس بدنو أجله بسبب علّة في معدته، عهد إلى ابنه بختيار[4] بإمارة الأمراء من بعده[5]، الذي كان " يحب أن يقضي أوقاته في الصيد والأكل والشرب والسماع واللهو واللعب بالنرد، وتحريش الكلاب، والديكة والقباج- طائر يشبه الحجل[6]. فكيف يكون حال الخلافة تحت إمرة رجل يتصف بمثل هذه الصفات؟

---

(1) أرجان: مدينة بين فارس والأهواز. الحميري، محمد بن عبد المنعم(ت727هـ/1326م) الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص24.

(2) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 160؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 288 – 289؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 326.

(3) لمزيد من التفاصيل انظر: الفصل الثاني من هذه الاطروحة.

(4) بختيار: أبو منصور، الملقب عز الدولة، تولى المملكة بعد موت أبيه، تزوج الطائع من ابنته شاه زمان، قتل على يد ابن عمه عضد الدولة بعد حرب نشبت بينهما سنة 367 هـ/ 977م، أنظر: مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص435 فما بعد؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص256؛ االذهبي، سير، ج16، ص 231 – 232؛–، العبر، ج2، ص 126؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج4، ص 358.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 351؛ ابن الجوزي، المنتظم،ج14، ص183؛ ابن الأثير، الكامل،ج7، ص 22.

(6) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 392؛ التوحيدي، علي بن محمد(ت414هـ/1023م) الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: احمد أمين واحمد الزين، بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ط.، د.ت.ن، ج3، ص 154.

لـم يكـن حـال الخليفـة المطيـع أحـسن حـالاً ممـن سـبقه مـن خلفـاء العـصر البـويهي فـي ظـل أميـر الأمـراء الجديـد بختيـار. فقـد وصـل الحـال بالخليفـة أن أصـبح لـه الاسـم علـى المنـابر فقـط، وقـد صـرح الخليفـة بـضعف حالـه وقلـة حيلتـه أمـام تـسلط و جبـروت أميـر الأمـراء البـويهي. إذ كـان يلقـى ضـروباً مـن الإسـاءة وقلـة الاحتـرام علـى يـدي بختيـار. ففـي سـنة 361 هـ/ 971م أغـار الـروم علـى الرهـا ونـصيبين وديـار ربيعـة وديـار بكـر. فطلـب عـز الدولـة بختيـار مـن الخليفـة الأمـوال لإنفاقهـا علـى تجهيـز الجـيش لـصد الـروم عـن الثغـور، إذ اعتبـر ذلـك مـن واجبـات الخليفـة فقـال الـوزير ابـو الفـضل العبـاس بـن الحـسين الـشيرازي[1] للخليفـة المطيـع: " يجـب أن تعطـي مـا تـصرفه فـي نفقـة المجاهـدين"[2] فأجابـه المطيـع إجابـة مـن هانـت نفـسه وتخاذلـت، يتـضح معهـا زوال سـلطته ونفـوذه بقولـه: " الغـزو يلزمنـي إذا كانـت الـدنيا فـي يـدي، والـي تـدبير الأمـوال والرجـال، وأمـا الآن ولـيس لـي منهـا إلا القـوت القاصـر عـن كفـائي وهـي فـي أيـديكم وأيـدي أصـحاب الأطـراف، فمـا يلزمنـي غـزو ولا حـج، ولا شـيء ممـا تنظـر الأئمـة فيـه، وإنمـا لكـم منـي هـذا الاسـم الـذي يخطـب بـه علـى منـابركم، تـسكنون بـه رعايـاكم، فـإن أحببـتم أن اعتزل اعتزلت عن هذا المقدار أيضاً وتركتكم والأمر كله" [3].

---

[1] الوزير الشيرازي: ابو الفضل، العباس بن الحسين الشيرازي، كاتب معز الدولة، ناب في الوزارة عن المهلبي، وتزوج بابنته، ثم كتب لعز الدولة بختيار، ثم وزر له سنة 357هـ/986م، ثم عمل في وزارة المطيع، فبقي على وزارتهما ثلاثة اشهر، ثم امسك، ثم اعيد الى الوزارة سنة 360هـ/970م، وعزل سنة 362هـ/972م، ثم نكب وحمل الى الكوفة، فمات برمي الدم بعد مديدة،. وكان ظالما عسوفا مجاهرا بالقبائح.وكان جوادا معطاء. انظر: مسكويه، تجارب الامم،ج5، ص395؛ ابن الجوزي، المنتظم،ج14، ص215-233،216، ابن الاثير، الكامل،ج7، ص50.

[2] الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 210؛ التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص 151 وما بعدها.

[3] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 392؛ عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ج 11، ص 428.

وأمام رفض الخليفة لطلب أمير الأمراء لضعف حاله وقلة حيلته، لجأ عز الدولة بختيار إلى أسلوب التهديد والوعيد للخليفة، الذي اضطر راضخاً إلى الالتزام بدفع أربعمائة ألف درهم، ولما كان الخليفة لا يمتلك مثل هذا المبلغ اضطر إلى بيع ثيابه وداره[1]. ثم حمل المال إلى عز الدولة بختيار الذي انفقه في مصالحه الشخصية دون أن ينفق منه شيء على تجهيز الجيش للجهاد، فشاع بين العامة أن بختيار صادر أموال الخليفة المطيع لله[2].

انتهى الأمر بالخليفة المطيع إلى التسليم بالأمر الواقع، ذلك الأمر الذي أجبر على القبول به من جراء التسلط البويهي، والتعامل المشين الذي لقيه على أيدي البويهيين لم يجد الخليفة وسيلة أسلم من خلع نفسه من الخلافة للتخلص من العجز أمام السيطرة البويهية، إلا أنه ألقى بهذه التبعية التي ينوء عن حملها إلى ابنه الطائع لله بعد علّة ألمت به وهي الفالج بحيث ثقل لسانه، وعجز عن الحركة، فعلم الناس بها. فطلب منه سبكتكين[3] – قائد الأتراك – أن يخلع نفسه ويسلم الخلافة لابنه الطائع فقبل ذلك وخلع نفسه سنة 363 هـ / 973[4]. وقد أوضح ابن حمدون أن المطيع قد سلم أمر الخلافة من تلقاء نفسه بسبب مرضه دون أدنى إشارة الى إجباره على ذلك. حيث يقول:" لما صار في السن العليا والعلة العظمى، بحيث يحرج أن يقيم معه على إمامة قد كل عن تحمل كلها، وضعف عن النهوض

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 392؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص 211؛ عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ج11، ص 428؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 45؛ بطانية، الإيجاز، ص 72.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 45؛ بطاينة، الإيجاز، ص 72.

(3) سبكتكين: حاجب معز الدولة البويهي، خلع عليه الطائع وطوقه وسوره، ولقبه نصر الدولة، توفي سنة 364هـ/974م، وكانت مدة امارته شهرين وثلاثة عشر يوما. مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص409؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص237–238.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 405؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص215؛ ابن حمدون، محمد بن الحسن(ت562هـ/1166م) التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، بيروت: دار صادر، ط1، 1996، ج6، ص334؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 53؛ ابن خلدون، تاريخ، ج 3، ص 522.

بعبئها، خلع ذلك السربال على أمير المؤمنين الطائع لله خلع الناس عليه، المسلم إليه، خارجا إلى رب العالمين وجماعة المسلمين من الحق في حسن إيالتهم وسياستهم، مما استقل واضطلع، وفي حسن الاختيار والارتياد لهم، حين حسر وظلع"[1].

إن المشروع الذي كان معز الدولة قد عزم على تحقيقه بنقل الخلافة من العباسيين إلى العلويين، قد بات في حكم الواقع العملي، وذلك عندما فكر عضد الدولة [2]– ابن عم عز الدولة بختيار – بمشروع غاية في الخطورة والجرأة؛ إذ طمع عضد الدولة بنقل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت البويهي. ففي حوادث سنة 363 هـ / 973م ألجأت الضرورة بختيار – الملقب بعز الدولة – إلى الإستنجاد بعمه ركن الدولة وابن عمه عضد الدولة للوقوف في وجه الأتراك وعلى رأسهم سبكتكين[3]. ولما كان عضد الدولة يطمع بالسيطرة على العراق، فقد وجد الوقت المناسب لذلك حيث توجه إلى العراق على جناح السرعة لنجدة ابن عمه. وبعد تغلبه على الأتراك واستقرار الأمر في العراق عمد إلى إلقاء القبض على ابن عمه وإخوته مدعياً عجزه عن إدارة أمور العراق، الأمر الذي أغضب ركن الدولة – والد عضد الدولة – وأنكر على ولده فعله، وطلب منه إعادة ابن عمه لحكم العراق[4].

ولما كان عضد الدولة يطمع في السيطرة على العراق، أرسل إلى والده يخيره بين خيارين مقابل أن يرضى والده عنه ويوافق على ملكه العراق: أما الخيار الأول فهو" أنه يضمن أعمال العراق

---

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج6، ص334.

(2) عضد الدولة (324 – 372هـ/ 936 – 983م) فناخسرو بن ركن الدولة، أحد المتغلبين على الملك في عهد الدولة العباسية بالعراق، تولى ملك فارس، هو أول من خطب له على المنابر بعد الخليفة، وأول من لقب في الإسلام شاهنشاه... توفي ببغداد بعلة الصرع سنة 372هـ/982 م. أنظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 290 فما بعد؛ ابن كثير، البداية، ج11، ص 320 – 321.

(3) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج4، ص47.

(4) ابن خلدون، تاريخ، ج11، ص 320 – 321.

بثلاثين ألف ألف درهم، ويبعث بختيار وأخوته إليه لينزله بأي الأعمال أحب[1]. وأما الخيار الثاني والذي فيه إشارة إلى عزم عضد الدولة نقل الخلافة إلى البيت البويهي فهو أنه " يخير أباه في نزوله العراق لتدبير الخلافة ويعود هو إلى فارس"[2]. إلا أن هذا المشروع لم يكتب له التوفيق والنجاح.

لم يتخلَّ عضد الدولة عن مشروعه بل حاول أن يجدد بناءه عن طريق مصاهرة بيت الخلافة العباسي بتزويج الخليفة الطائع من ابنته الكبرى، فيصير الملك والخلافة في البيت البويهي، يقول مسكويه في حوادث سنة 369 هـ / 979م " دبر عضد الدولة أن يقع بينه وبين الطائع لله وصلة بابنته الكبرى، ففعل ذلك وعقد العقد بحضرة الطائع لله وبمشهد من أعيان الدولة والقضاة على صداق مائة ألف دينار، وبنى الأمر فيه على أن يرزق ولداً ذكراً منها، فيولى العهد وتصير الخلافة في بني بويه، ويصير الملك والخلافة مشتملين على الدولة الديلمية"[3].

ويبدو أن الخليفة الطائع قد تنبه لمثل هذا المشروع الذي دبره عضد الدولة، إذ يذكر بعض المؤرخين أن عضد الدولة " ورد إلى بغداد فحكي له أن الطائع لله متجافٍ عن ابنته، وأنه لم يقربها، فثقل ذلك عليه، فقال للتنوخي- المؤرخ المحسن بن علي(ت384هـ/994م) صاحب الفرج بعد الشدة

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج6 ص 61؛ النويري، نهاية الإرب، ج12، ص 117؛ ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص 324.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 416 – 417؛ ابن الأثير الكامل، ج6، ص 61؛ النويري، نهاية الإرب، ج12، ص 117.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 452 – 453. كذلك أنظر: ابن العبري، غر يغورس الملطي (685 هـ/ 1286م) تاريخ مختصر الدول، تحقيق: خليل منصور، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997، ص 171 – 172، الدوري، النظم، ص 62.

ونشوار المحاضرة-: تمضي إلى الخليفة وتقول له عن والدة الصبية: أنها مستزيدة لإقبال مولانا عليها"[1].

وهنا لا بد من طرح التساؤل التالي، هل كان عضد الدولة يحلم بالخلافة لنفسه؟ ولعل ابن الجوزي يريحنا من عناء الإجابة عندما قال" وعقد- أي الخليفة – له - أي عضد الدولة – لوائين بيده، أحدهما مفضفض على رسم الأمراء، والآخر مذهب على رسم ولاة العهود، ولم يعقد هذا اللواء الثاني لغيره قبله"[2] " ولم يبق أحد إلا تعجب"[3].

وقد هجى ابن الحجاج[4] الحال الذي وصلت إليه الخلافة زمن الخليفة الطائع وهو تحت التسلط البويهي بقوله[5]:

خلافــــة أقــــصى مــــدى ملكهـــا	مــن حــد كلــواذا إلــى عكبــرا
فـــي قفـــص لـــو أنهـــا قنبـــر	لــضاق عــن أن يــسع القنبــرا
لكنهـــا بــــالعرض قــــد أمعنــــت	فعمــــت الأبــــيض والأحمــــرا
صــلت بجــسر النهــروان الــضحى	فعاقهـــا حـــسون أن تعبـــرا
ووجــــدت ضـــبة فـــي صرصـــر	فحلفــت لا جــاوزت صرصــرا
فأنفـــــه أكبــــــر مـــــن ملكـــــه	فــي الطــول والعــرض إذا قــدرا

[1] الروذراوري، محمد بن الحسين(ت488هـ/1095م) ذيل تجارب الامم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003، ج6، ص 18؛ أنظر: التنوخي، نشوار، ج4، ص 262،- الفرج، ج1، ص 43. ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 252.

[2] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 171؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 407.

[3] الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص18؛ انظر: التنوخي، نشوار، ج4، ص262؛ -الفرج، ج1، ص43.

[4] ابن الحجاج: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج؛ الكاتب الشاعر المشهور ذو المجون والخلاعة والسخف في شعره، كان فرد زمانه في فنه ، مدح الملوك والأمراء والوزراء والرؤساء، وتولى حسبة بغداد وأقام بها مدة. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج2، ص168.

[5] ابن العمراني، الأنباء، ص 179.

لم يكتف البويهيون بأخذ السلطة من الناحية العملية من الخلفاء، بل حتى من الناحية النظرية فنجدهم يجبرون الخلفاء على تفويض هذه السلطة لهم بصورة رسمية علنية[1]. ففي سنة 369هـ/979م فوض الخليفة الطائع السلطة لعضد الدولة بقوله:" قد رأيت أن أفوض إليك ما وكله الله ألي من أمور الرعية في شرق الأرض وغربها سوى خاصتي وأسبابي، فتولى ذلك مستجيراً بالله" [2].

ويتعجب السيوطي من الحال الذي وصل إليه الخليفة الطائع تحت سلطة عضد الدولة إذ وصل إلى درجة لا يحسد عليها من الضعف والذل بقوله: " أنظر إلى هذا الأمر، وهو الخليفة المستضعف الذي لم تضعف الخلافة في زمن أحد ما ضعفت في زمنه، ولا قوي أمر سلطان ما قوي أمر عضد الدولة "[3].

وفي سنة 381 هـ / 991 م كتب الخليفة القادر عند تعيينه للخلافة إلى بهاء الدولة [4] كتاباً يعترف فيه بسطوة وسيطرة بهاء الدولة على الدولة" فقد أصبحت وأمسيت سيف أمير المؤمنين لأعدائه، والماضي دون غيرك بجميل رأيك، والمستبد بحماية حوزته، ورعاية رعيته والسفارة بينه وبين ودائع الله عنده، وقد برزت راية أمير المؤمنين عن الصليق[5] متوجهة نحو بربرة الذي حرسته، ومستقر عزة الذي شيدته، ودار مملكته التي أنت عمادها، ورحى دولته التي أنت قطبها"[6].

---

(1) الدوري، النظم، ص 61.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 392؛ عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ج 11، ص 428.

(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 408.

(4) بهاء الدولة: أبو نصر فيروز أحمد بن عضد الدولة، هو الذي قبض على الطائع، جمع من الأموال ما لم يجمعه أحد من بني بويه، كان يبخل بالدرهم الواحد، ويؤثر المصادرات، توفي بأرجان بعلة الصرع سنة 403 هـ/ 1012م. أنظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 95؛ ابن الأثير الكامل، ج7، ص 268؛ الذهبي، سير، ج17، ص 185- 186؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص 17.

(5) الصليق: مواضع كانت في بطيحة واسط بينها وبين بغداد. وهي دار ملك بني العباس وال بويه وال سلجوق. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص422.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 351.

لم يكتف بهاء الدولة بذلك بل أنه " جمع الأشراف والقضاة الشهود عند القادر حتى سمعوا يمينه لبهاء الدولة بالوفاء، وخلوص النية ولفظه بتقليده ما وراء بابه مما تقام فيه الدعوة"(1).

أعاد بهاء الدولة إلى الأذهان السيرة الأولى التي تم فيها الإساءة إلى شخص الخليفة بطريقة خلعه المهينة، عندما عمد إلى عزل الخليفة الطائع عن الخلافة بنفس الطريقة التي خلع فيها الخليفة المستكفي على يد معز الدولة. ففي سنة 381 هـ / 991م قبض بهاء الدولة على الخليفة الطائع وخلعه من الخلافة، ووضع مكانه القادر بالله(2).

أما عن السبب الذي كان وراء خلع الخليفة الطائع من الخلافة هو أن الخليفة قام بسجن أحد خواص بهاء الدولة المعروف ابو الحسن بن المعلم(3)– وهو شيخ الشيعة– (4).الذي كان" قد غلب على بهاء الدولة وحكم في مملكته"(5)، ولعل السبب الحقيقي وراء ذلك هو طمع بهاء الدولة بأموال الخليفة خاصة بعد أن " حسن – ابن المعلم– له القبض عليه وأطمعه في ماله، وهون عليه ذلك وسهله" (6).

تقدم بهاء الدولة إلى دار الخلافة، وقد جلس الخليفة الطائع في الرواق، متقلداً سيفاً، فلما وصل بهاء الدولة قبّل الأرض بين يديه ثم جلس على كرسي أعدّ له، ثم تقدم أصحابه، وجذبوا الطائع من

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم ، ج14، ص 353 – 354.

(2) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 123 – 124؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 147 – 148.

(3) ابو الحسن– او ابو الحسين– علي بن محمد الكوكبي: قلده بهاء الدولة ديوان الانشاء، ثم قلده الخليفة الطائع لله الوزارة ولقبه بالكافي. ثار عليه الجند بسبب ظلمه لهم، مما اضطر بهاء الدولة الى القبض عليه وقتله خنقا سنة 382هـ/992م. ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص361م؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 147؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص333؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص165.

(4) الذهبي، سير، ج15، ص 125. اما ابن كثير فيقول عنه انه من اهل السنة. البداية والنهاية، ج11، ص333.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 147.

(6) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 147؛ أنظر: الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 123.

سريره. وتكاثر عليه الديلم، ولفوه في كساء، ثم أخذ إلى دار الإمارة [1]. " والخليفة يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون وهو يستغيث ولا يلتفت إليه"[2]. ثم أجبر الخليفة الطائع أن يخلع نفسه ويسلم الخلافة إلى القادر بالله وأشهد على نفسه الأكابر والأشراف[3].

وقد رثى الشريف الرضي[4] الخليفة الطائع بعد هذه الحادثة بأبيات شعرية منها [5](البسيط) .

مـن بعـد مـا كـان ربُّ الملـكِ مبتـسماً   إلـــي أدنيـــه فـــي النجـــوى ويـــدنيني

أمـسيتُ أرحـمُ مـن أصـبحتُ أغبطـه   لقـــد تقـــارب بـــين العـــز والهـــون

ومنظـــرٌ كـــان بالـــسراءِ يـــضحكني   يـا قـربَ مـا عـاد بالـضراء يبكينـي

---

[1] ابن الجوزي: المنتظم، ج14، ص 348؛ السيوطي، تاريخ، ص 410.

[2] ابـن الأثيـر، الكامـل، ج7، ص 148؛ أنظـر: حـسن إبـراهيم حـسن، تـاريخ الإسـلام الـسياسي والـديني والثقـافي والاجتماعي، بيروت: دار الجيل، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ج3، ص 59؛ وفاء علي، الخلافة العباسية، ص 51.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 349؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 410.

[4] ابـو الحـسن محمـد بـن الحـسين بـن موسـى الموسـوي: الملقـب بالـشريف الرضـى، قلده بهـاء الدولـة نقابـة الطـالبيين بالعراق سنة 396هـ/1005م، ولقب بالرضيّ ذي الحسبين، ولقب اخوه المرتضى ذا المجدين، ثم تولى النقابة في سائر الممالك سنة 403هـ/1012م، وخلعت عليه خلعة سوداء، وهو اول طالبي خلع عليه السواد. توفي سنة 406هـ/1015م. ا ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 115؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 229، 268، 280؛ ابـن الـوردي، تـاريخ، ج1، ص308، 316؛ اليـافعي، مـرآة الجنـان، ج3، ص15؛ ابـن كثيـر، البدايـة والنهاية، ج12، ص360، 373، ج12، ص4.

[5] الـشريف الرضـي، محمـد بـن الحـسين(ت406هـ/1015م) ديـوان الـشريف الرضـي، ايـران: منـشورات مطبعـة وزارة الإرشـاد الإسـلامي، ط1، 1986، ج2، 446-447؛ الثعـالبي، يتيمـة الـدهر، ج3، ص161؛ الـروذراوري، ذيـل تجـارب الامـم، ج6، ص 123 – 124؛ ابـن الجـوزي، المنـتظم، ج14، ص 353؛ ابـن الاثيـر، الكامـل، ج7، ص148؛ ابـن الـوردي، تـاريخ ابـن الـوردي، ج1، ص299؛ الـسيوطي، تـاريخ الخلفـاء، ص 412؛ الخـضري، تاريخ الأمم، ص 398.

هيهـــات أغتـــرُّ بالـــسلطان ثانيـــةً   قــد ضـــلّ ولاّجُ أبـــوابِ الـــسلاطينِ

تحسنت حال الخلافة بتولى الخليفة القادر بالله الخلافة، ويقول صاحب الفخري "وفي أيامه تراجع وقار الدولة، ونما رونقها، وأخذت أمورها في القوة"[1]. ويبدو أن سبب تحسن أحوال الخلافة راجع إلى تدهور قوة البويهيين، وخاصة بعد انشغالهم بالنزاعات والصراعات الداخلية داخل البيت البويهي نفسه، وابتعدوا عن بغداد، فكان أمراً طبيعياً أن تزداد قوة الخليفة – إلى حد ما – بشكل تصاعدي بمقابل ضعف نفوذ البويهيين، لذلك وبمقارنة وضع كل من الخليفة القادر بالله ثم القائم من بعده مع الخلفاء الثلاثة الأوائل الذين تولوا الخلافة في ظل السيطرة البويهية نلحظ أن الوضع قد تحسن بصورة واضحة للعيان.

امتدح الشريف الرضي الخليفة القادر بالله لما تولى الخلافة بقوله (الكامل)[2]:

شـــرف الخلافـــة يـــا بنـــي العبـــاس   اليـــــوم جـــــدده أبـــــو العبـــــاس
ذا الطـــود أبقـــاه الزمـــان ذخيـــرة   مـــن ذلـــك الجبـــل العظـــيم الراســـي

ازداد نفوذ بهاء الدولة في عهد القادر، فاستبد بالسلطة دون الخليفة الذي كان " قلده ما وراء بابه"[3] وقامت العلاقة بين الخليفة العباسي وبين بهاء الدولة على نوع من المودة، بدليل أن الخليفة أخذ يتقرب من بهاء الدولة عن طريق مصاهرته بزواج أراده الطرفان مع اختلاف الأهداف منه؛ فالخليفة أراد التقرب من بهاء الدولة بعد أن جاوز نفوذه في بغداد كل حد، واستبداده بالسلطة، في حين أن بهاء الدولة كان يهدف من وراء هذا الزواج تحقيق ما كان يحلم به عضد الدولة من قبله وهو تحويل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت البويهي. والهيمنة على الخلافة عن طريق هذا الزواج.

---

(1) ابن الطقطقي، الفخري، ص 280.

(2) الشريف الرضي، ديوان الشريف الرضي، ج1، ص546؛ الثعالبي، يتيمة الدهر، ج3، ص161؛ الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 126؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص353؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 412.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 353 – 354.

وعلى ذلك تزوج الخليفة القادر من سكينة ابنة بهاء الدولة على صداق قدره مائة ألف دينار، وذلك سنة 383 هـ/ 993م[1].

لم يكن حال الخليفة القائم بامر الله (422-467 هـ /1030-1074م) آخر خلفاء بين العباس في العهد البويهي، أحسن حالاً ممن سبقه من الخلفاء، إذ كان مسلوب السلطة في ظل سيطرة جلال الدولة [2] وأبي كاليجار[3] والملك الرحيم[4]. ذلك ان الخليفة القائم بامر الله كان مسلوب الارادة والسلطة مع البساسيري الذي قام بمحاولة لالغاء الخلافة العباسية واعلان الخلافة الفاطمية الشيعية في بغداد، لولا تدخل السلطان طغرلبك السلجوقي الذي دخل بغداد وقضى على حركة البساسيري وقتله، وبذلك حلَّ السلاجقة السنيون محلَّ البويهيين الشيعة في الوصاية على الخلافة العباسية. وفي هذا الوقت كان بنو بويه يديرون الكثير من اراضي العالم الإسلامي من غير أن يحفلوا بمن يدعي أنه أمير المؤمنين[5].

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 366؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص 162؛ انظر: وفاء علي، الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية، القاهرة: دار الفكر العربي، ط1، 1988، ص 75.

[2] أبو كاليجار (400 – 440 هـ / 1009 – 1048م): مرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة. ملك العراق بعد وفاة ابن عمه جلال الدولة سنة 436 هـ / 1044م، استمرت ولايته على العراق أربع سنين ونيف، ومدة ولايته على فارس والأهواز خمساً وعشرين سنة. كان شجاعاً فاتكاً مشغولاً بالشرب واللهو، توفي سنة 440 هـ / 1048م أنظر: أبو الفداء، المختصر، ج1، ص 523؛ ابن الوردي، تاريخ، ج1، ص 340؛ الذهبي، سير، ج17، ص 523.

[3] جلال الدولة(383 – 435 هـ / 993 – 1043م): أبو طاهر فيروز جرد بن بهاء الدولة، ملك العراق سنة 418 هـ/ 1027 م لمدة سبعة عشرة سنة، وكانت دولته لينة وأموره واهية كأبية. ذاق نكداً كثيراً، توفي سنة 435 هـ / 1043 م. أنظر: أبو الفداء، المختصر، ج1، ص 520 – 521؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 27؛ الذهبي، سير، ج17، ص 577.

[4] الملك الرحيم: الملك أبو نصر خسرو بن أبي كاليجار بن سلطان الدولة، كان خاتمة ملوك بني بويه الديلم، انتزع السلطان طغرلبك السلجوقي الملك منه، وأخذه وسجنه بقلعة الري سنة 447 هـ/ 1055م، توفي محبوساً سنة 450 هـ/ 1058م. أنظر: الذهبي، سير، ج18، ص 120؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص 220.

[5] أحمد، رمضان أحمد، حضارة الدولة العباسية، القاهرة: الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية، 1978، ص 84.

ثانياً- الصراعات والحروب مع القوى السياسية في العراق.

1- الحروب مع بني حمدان- أمراء الموصل (293-380 هـ /905-990م)

ينتسب الحمدانيون الى جدهم حمدان بن حمدون التغلبي[1]. وتغلب بن وائل بن ربيعة من القبائل العدنانية، وكان لها شأن في الفترة الجاهلية، حدث بينها وبين بكر بن وائل حرب البسوس في القرن الخامس للميلاد[2].

أنجب حمدان بن حمدون ثمانية أولاد، اشهرهم: أبو الهيجاء ، الذي أنجب ولدين هما: الحسن الذي لقب فيما بعد(ناصر الدولة) وهو مؤسس الدولة الحمدانية في الموصل، وعلي الذي لقب فيما بعد(سيف الدولة) وهو الذي يتفرع منه الحمدانيون في حلب[3].

وفي سنة 293 هـ /905م ولّى الخليفة المكتفي بالله أبا الهيجاء عبد الله على الموصل، وبذلك أصبح للحمدانيين قاعدة في بلاد الجزيرة[4].

ويعتبر ناصر الدولة هو المؤسس الحقيق لدولة الحمدانيين في الموصل، فقد أشاد البنيان ووطد الاركان، لانه رجل حرب وتدبير، تدرب على الحكم والحرب منذ صغره، ناب عن أبيه أبي

---

(1) حمدان بن حمدون بن الحارث: ابن لقمان بن الرشيد بن المثنى بن رافع بن الحارث بن غطيف بن مجربه بن جارية ابن مالك بن عبيد بن ... بن عدي بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب، واسم تغلب دبار بن وائل واليه ينتسب بنو حمدان كلهم. وحمدان هذا كان بملطية، وهو الذي بنى سورها. ابن العديم، بغية الطلب، ج6، ص2924.

(2) ابن العديم، بغية الطلب، ج6، ص2924؛ الزركلي، الاعلام، ج2، ص274؛ الديو جي، تاريخ الموصل، ص86.

(3) الديو جي، تاريخ الموصل، ص86.

(4) ابن خلدون، العبر، ج3، ص444؛ الديو جي، تاريخ الموصل ، ص91.

الهيجاء في الموصل سنة 314هـ/926م واشترك في قمع الثورات بنفسه، وبعد قتل والده خلفه بمكانته عند الخليفة العباسي[1].

بدأ الصراع بين البويهيين والحمدانيين عندما بدأ التنافس على إمرة الأمراء بين أمير الأمراء الجديد معز الدولة الذي حاز على شرعية المنصب من الخليفة المستكفي بالله، وبين أمير الأمراء ناصر الدولة الحمداني الذي تقلد المنصب من قبل الخليفة المتقي لله سنة 330 هـ / 942م. إلا أنه اضطر لمغادرة بغداد ليعود إلى الموصل بسبب ظروف اضطرته للعودة[2].

وعلى ما يبدو أن ناصر الدولة كان لا يزال يعتبر نفسه أميراً للأمراء، إذ أنه لم يعزل، ولم يقبض عليه، بل أنه ترك بغداد وهو يتمتع بلقب أمير الأمراء. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن معز الدولة كان يعتبر نفسه أمير الأمراء الشرعي، لذا فهو يعتبر نفسه الحاكم الشرعي والوحيد، لذلك فهو ينظر إلى الحمدانيين باعتبارهم تابعين له بحكم منصبه الرسمي والذي يخوله السلطات كافة في إدارة الدولة وولاياتها التابعة لها.

وبناءً على ذلك فقد قرر معز الدولة المسير لمحاربة ناصر الدولة في مقر حكمه بالموصل وإخضاعه لسيطرته وطاعته وذلك سنة 334 هـ /945م. فقد سير إليه جيشاً بقيادة موسى فيادة [3]

---

(1) الديو جي، تاريخ الموصل، ص102.

(2) مجهول العيون والحدائق، ج4/ ق2، ص 284؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 255.

(3) موسى فيادة (او فياذة): احد قادة معز الدولة البويهي ارسله على راس جيش لمحاربة ناصر الدولة الحمداني، تعرض لانقلاب عسكري من قبل قائد عسكري اخر يدعى ينال كوشه، فنهب جميع ما يملك من مال ومتاع. كان صاحب ثروة كبيرة، صادره معز الدولة البويهي بعد وفاته. توفي بالأهواز سنة 343هـ/ 954 م. مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق2، ص 473؛ أنظر: الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 169؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 278؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 316.

وينال كوشه. ولما وصل الجيش إلى عكبرا[1] انقلب ينال كوشه على موسى فيادة ونهب ما كان معه من المال والمتاع، وتوجه بها إلى ناصر الدولة الحمداني [2].

ويبدو ان السبب وراء التمرد التي في صفوف جيش معز الدولة يمكن ارجاعه الى طمع قادة التمرد في الحصول على المكاسب كالحصول على الاموال والمناصب من جهة، بالاضافة الى نجاح ناصر الدولة الحمداني في استمالة قادة معز الدولة الى جانبه اما بالاموال او بوعدهم بالمناصب.

خرج ناصر الدولة الحمداني من الموصل باتجاه بغداد، لما علم بخروج الجيش البويهي من بغداد، والتقى مع جيش معز الدولة في عكبرا ، وفي هذه الأثناء خرج معز الدولة ومعه الخليفة المطيع لله لمساندة الجيش، الذي تعرض إلى تمرد آخر من المؤسسة المدنية يقوده كاتب معز الدولة ابن شيرزاد نفسه [3].

ويبدو أن الأطماع الشخصية كانت وراء مثل هذه التمردات، بالإضافة الى نجاح ناصر الدولة الحمداني في استمالة قادة معز الدولة العسكريين والمدنيين.

استغلَّ ابن شيرزاد فرصة خلو بغداد من القوات العسكرية بسبب انشغالها في حرب ناصر الدولة، فالتحق بناصر الدولة، والذي يبدو أنه كانت تربطه به روابط حميمة من الصداقة، بعدها تمكن ابن شيرزاد من العودة إلى بغداد على رأس قوة عسكرية حمدانية وسيطر عليها، وعمل على تدبير الأمور فيها نيابة عن ناصر الدولة أثناء انشغاله في حربه مع معز الدولة في عكبرا[4].

---

(1) عكبرا: اسم بلدة من نواحي دجيل قرب صريفين وأوانا، بينها وبين بغداد (10 فراسخ). أنظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 142.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 278؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 316.

(3) يذكر الذهبي أن سبب انقلاب ابن شيرزاد على معز الدولة هو أن".... معز الدولة كان قد تغير على ابن شيرزاد واستخانه في الأموال، فأحفظه ذلك" تاريخ الإسلام، ج 26، ص 29.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 278؛ ابن الأثير، الكامل،ج6، ص316؛النويري، نهاية الإرب،ج12،ص 106.

عاد كل من ناصر الدولة الحمداني – الذي ظن أن ابن شيرزاد قد هيأ الأمر له – ومعز الدولة ومعه الخليفة المطيع لله إلى بغداد، بعد معارك بين الطرفين لم تسفر عن انتصار أي منهما، إذ نزل ناصر الدولة بالجانب الشرقي – الرصافة – من بغداد فيما نزل معز الدولة في الجانب الغربي – الكرخ – منها. واقتتل الطرفان، فكانت الدائرة في أول الأمر على معز الدولة وجيشه؛ بسبب قطع ناصر الدولة الامدادات والمؤنة عن جيش معز الدولة(1).

انقلبت الأمور رأساً على عقب لصالح معز الدولة، بإتباعه المكيدة والخديعة في الحرب. فقد أوهم معز الدولة قوات الحمدانيين بتحشيد قواته في أحد أطراف بغداد وفي القوت نفسه كانت قواته الرئيسة تستعد لشن الهجوم من طرف آخر، فكانت الدائرة على قوات الحمدانيين، مما سبب الاضطراب والتشتت بجيش الحمداني، فاضطر ناصر الدولة إلى مغادرة بغداد متوجهاً إلى مقر حكمه الموصل(2).

عقدت بين الطرفين معاهدة صلح، واتفق فيها على أن يحتفظ ناصر الدولة بالموصل وديار بكر حتى تكريت، وان يخطب فيها للامراء البويهيين: عماد الدولة، ركن الدولة ومعز الدولة بن بويه(3). ولكن ما يدعو للاستغراب في هذه المعاهدة أنها تضمنت نصا ًاعترف البويهيون بموجبه بنفوذ ناصر الدولة على بلاد الشام ومصر مقابل أن يدفع عنهما ما كان يدفعه الأخشيديون(4). وكان مقدار

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 278 – 279؛ ابن الجوزي، المنتظم ، ج14، ص 47 – 48؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 316، ص 316؛ النويري، نهاية الإرب، ج12، ص 106.

(2) مجهول العيون والحدائق، ج 4/ ق2، ص 447 – 448؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 280؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 316.

(3) ابن الاثير، الكامل، ج6، ص329.

(4) مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص286–287؛ ابن الاثير، الكامل، ج6، ص329؛ فاروق فوزي، الخلافة العباسية (ج2)، ص 92.

المبلغ الذي اتفق على دفعه ثمانية ملايين درهم في كل سنة[1]. وبذلك ضمن معز الدولة تبعية الحمدانيين له، واعترافهم رسمياً أنه أمير الأمراء.

وبذلك يكون عهد الصراع على منصب أمير الأمراء قد انتهى إلى غير رجعة بالسيطرة التامة لمعز الدولة على مقاليد الأمور في بغداد إذ تمكن بعدها من تأسيس إمارة وراثية في قلب الخلافة العباسية بغداد، يسانده في المحافظة على هذه الإمارة جيش معظمه من الترك والديلم[2].

استمر لقب أمير الأمراء في أسرة بني بويه اعتباراً من عام 334 هـ / 945م بتقلد معز الدولة هذا المنصب، إلى نهاية حكم البويهيين لبغداد سنة 447 هـ / 1056 م بدخول طغرلبك السلجوقي بغداد وإنهاء إمرة الأمراء البويهية وآخرهم الملك الرحيم، لتبدأ بعدها مرحلة جديدة من التسلط على الخلافة هي مرحلة التسلط السلجوقي.

وعلى هذا فإن الغزو البويهي لبغداد جاء بصورة طبيعية نظراً لأن فترة أمير الأمراء وما لحقها من تجريد الخليفة من كل سلطة جعلت بغداد مطمحاً للطامحين[3].

ويبدو أن الامتيازات والصلاحيات الكبيرة التي يحققها من يصل إلى منصب أمير الأمراء من سلطات دنيوية مطلقة التصرف في إدارة شؤون الدولة الإسلامية، بالإضافة إلى ضعف الخلافة العباسية ممثلة بضعف الخلفاء في تلك الفترة، بسبب تجريد الأتراك لهم من كل سلطان، هو ما كان وراء الاقتتال على تولي منصب أمره الأمراء والطمع في السيطرة عليه.

---

(1) ابن الاثير، الكامل، ج6، ص329.

(2) فوزي أمين يحيى، تاريخ الدولة العباسية ، ج2، ص 31.

(3) الدوري، النظم الإسلامية، ص 57.

أن العصر البويهي كان متمماً لعصر أمير الأمراء في اتجاهاته، إذ كان التبدل مجرد استبدال أمير الأمراء، فقد اتخذ البويهيون هذا اللقب، وحلوا محل الأمراء السابقين. غير أن بعض الأحوال بدأت تتغير في ظل الحكم البويهي، إذ أن وضع الخلافة قد انتقل من سيء إلى أسوأ[1].

وفي نهاية الأمر تمكن البويهيون من إقامة إمارة بويهية وراثية في بغداد ، والواضح أن البويهيين لم يحققوا هذا الإنجاز من دون سابق عناء ومخاطرة " فلا ينال الملك إلا بالخدمة الطويلة والرياضة الصعبة الشديدة، والمخاطرة العظيمة والأشغال الكثيرة، والآمال البعيدة التي ربما أتت دونها المنية"[2]. وكان هذا حال البويهيين.

2- الحروب مع بني شاهين- أمراء البطائح (338-373 هـ /949-983م)

ينتسب بنو شاهين إلى قبيلة بني سليم العربية[3]. ويعد عمران بن شاهين[4] رأس الإمارة الشاهينية ومؤسسها. ويؤكد سليمان خرابشة عروبيته مستنداً إلى قول صاحب العيون والحدائق: " وكان

---

(1) الدوري، النظم الإسلامية، ص 58.

(2) الماوردي، نصيحة الملوك، ص 179.

(3) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق2، ص 461؛

(4) عمران بن شاهين (.....- 369 هـ/.....- 979م): رأس الإمارة الشاهينية بالبطيحة ومؤسسها. أصله من الجامدة- من أعمال واسط- مجهول النسب، سوادي المنشأ، ينتسب الى بني سليم.كان عليه دم وهرب الى البطائح، فاحتمى بالآجام يتصيد السمك والطير، ورافقه الصيادون، والتف عليه اللصوص، فكثر جمعه واستفحل أمله، فأنشأ معاقل وتمكن، حاربه البويهيون إلا أنهم عجزوا عنه، واستمر أميراً منيع الجانب مدة أربعين سنة، ومع هذا كله مات سنة 369هـ/ 979م. أنظر مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق2، ص 461 – 462؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 292؛ الذهبي، سير، ج16، ص 267.

هذا الرجل من أهل الجامدة[1].......ويزعم انه عربي من بني سليم، ولكنه سوادي المنشأ واللغة"[2]. في حين أن بعض المؤرخين اختلفوا في تحديد هويته واكتفوا بذكر أنه من أهل الجامدة جنوب العراق[3].

بدأ الاتصال الأول لعمران بن شاهين مع السلطة البويهية في بغداد، عندما تم تعيينه جابياً للأموال لهم، ولما كثر المال بين يديه من الجباية، امتنع عن إرساله للبويهيين، وفضل الاحتفاظ به لنفسه، ولعله كان يطمع في تكوين إمارة عربية، تتمكن من الوقوف في وجه التسلط البويهي على مقدرات العراق وخيراته. خشي ابن شاهين من السلطة البويهية، فهرب إلى منطقة البطائح[4] واحتمى بها بين القصب والآجام[5]. خوفاً من أمير الأمراء معز الدولة البويهي.

لم يشر كثير من المؤرخين إلى أن السبب في هروب عمران بين شاهين من الجامدة إلى البطيحة هو أموال الجباية التي امتنع عن دفعها للبويهيين، بل أنهم اكتفوا بذكر أن عمران جنى جناية في الجامدة، هرب على أثرها خوفاً من عاملها. دون أدنى إشارة إلى نوعية هذه الجناية إلا إذا كانوا قد اعتبروا مسألة أخذ أموال الجباية هي تلك الجناية[6].غير أن الذهبي كان أكثر وضوحاً إذ قال عنه: "

---

(1) الجامدة: هي قرية كبيرة جامعة من أعمال واسط، بينها وبين واسط. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 95.

(2) مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق2، ص 461؛ خرابشة، سليمان، إمارة بني شاهين في البطائح / جنوب العراق 338 – 409 هـ، 949 – 1018، أبحاث اليرموك، المجلد 16، العدد4، 2000، ص 49.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 292؛ ابن الأثير، الكامل ج6، ص 331؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص 524.

(4) البطائح: جمع بطيحة، وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة. كانت قديماً قرى متصلة، وأرضا عامرة، غمرتها مياه دجلة والفرات أيام الحكم الساساني، فتبطح الماء فيها، فطرد أهلها عنها، ولما استقرت الدولة الإسلامية، استفحل أمر البطائح، وانفسدت مواضع عالية لم يصل الماء إليها، فبنوا فيها قرى؛ وسكنها قوم وزرعوها بالأرز، وتغلب عليها في أوائل أيام بين بويه أقوام من أهلها، وتحصنوا بالمياه كالمعاقل الحصينة، إلى أن انفضت دولة الديلم، ثم دولة السلجوقية. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 45.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 330؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص 524.

(6) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق2، ص 461؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 55، ص 292؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 164.

ملك البطائح، كان عليه دماء، فهرب إلى البطيحة[1]. مما يدل على أن الجناية التي ارتكبها عمران بن شاهين هي جناية القتل.

اعتاش عمران بن شاهين في منطقة البطيحة على صيد السمك، وطيور الماء يوماً بيوم، ثم أخذ يقطع الطريق على من يسلك المنطقة، وينهب مالهم، ويتقوى به، معتمداً أسلوب اللصوصية، كما فرض الضرائب على التجار؛ لتحقيق غايته ومبتغاه من سلب ونهب وغير ذلك، فانتشر خبره مما قوى مركزه، وزاد إتباعه، عندها أعلن التمرد والعصيان على البويهيين، وخلع طاعتهم[2] مستغلاً اصطدام معز الدولة البويهي بالحمدانيين.

خاف عمران بن شاهين على نفسه من ردة فعل البويهيين وخاصة في أمر المال، فقد عرف عنهم حبهم الشديد لجمع الأموال، فكيف إذا اجتمع قطع المال مع خلع الطاعة؟! فبدأ عمران يتخذ جانب الحيطة والحذر، فبادر إلى الاتصال بصاحب البصرة الأمير أبي القاسم البريدي، الذي كان على عداء مع البويهيين آنذاك، طالباً منه العون والمساعدة[3]. ولعل هدف عمران بن شاهين من الاتصال بالبريديين في جنوب العراق كان محاولة لتأمين حدوده الجنوبية حتى لا يكون بين مطرقة البويهيين وسندانة البريديين فيما لو تصالح البويهيين مع البريديين ضده فاعترف به البريدون أميراً مستقلاً على منطقة الصليق والجامدة وبقية نواحي البطائح، الأمر الذي عزز من قوة ونفوذ عمران بن شاهين، فعز

---

(1) الذهبي، سير، ج16، ص 267.

(2) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق2، ص 461؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 292؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 162؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 331؛ خرابشة، إمارة بني شاهين، ص 50.

(3) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق 2، ص 461؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 162؛ فاروق فوزي، الخلافة العباسية، ج2، ص 94.

جانبه وكثر جمعه وسلاحه، واتخذ معاقل على التلال بالبطيحة، وغلب على تلك النواحي[1]، ومنذ تلك اللحظة بدأ نشاطه السياسي بالظهور على مسرح الأحداث السياسية وذلك سنة 335 هـ/946م.

ومع تنامي قوة عمران بن شاهين، وبفضل حصانة منطقة البطائح طبيعياً، مما يصعب من حركة الجيش النظامي داخلها، أعلن عمران بن شاهين تمرده وعصيانه على البويهين، الذين كانوا في غفلة عن طموحه السياسي أول الأمر. ففي 338 هـ / 949م قطع عمران بن شاهين الخطبة عن معز الدولة البويهي، معلناً بذلك استقلاله عنه، كما امتنع عن إرسال الأموال عن منطقته إليه[2] عندها أدرك معز الدولة خطورة الموقف، وأنه أمام قوة جديدة ناشئة في منطقة ذات طبيعية جغرافية يصعب القتال فيها، فبدأ معز الدولة يشعر أن سلطانه في خطر وأن سيادة البويهيين أصبحت مهددة. فبادر على الفور بإرسال حملة عسكرية، وأسند قيادتها إلى وزيره أبي جعفر الصيمري[3]، الذي خاض عدة معارك مع عمران بن شاهين، لحق من جرائها بالطرفين خسائر كبيرة، إلا أن الغلبة كانت للجيش البويهي في النهاية الذي تمكن من الإيقاع بعمران بن شاهين، وأسر جماعة من أهله وأولاده مما دفعه إلى الهرب والاستتار داخل غابات القصب وآجامها، ليتمكن بعدها من تجميع قوته وقواته ليظهر من جديد[4]. وقد أخطأ ابن كثير لما ذكر أن عمران بن شاهين هزم الوزير الصيمري في هذه المعركة[5].

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم،ج5، ص 292؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 331، خرابشه، إمارة بني شاهين، ص 50.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 292؛ فوزي يحيى، تاريخ الدولة العباسية، ج2، ص 62؛ فاروق فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص 204.

(3) ابو جعفر الصيمري: وزير معز الدولة البويهي، كلفه معز الدولة بمحاربة عمران بن شاهين في البطائح، فاصابته حمى شديدة توفي على اثرها سنة 850/339م. مجهول العيون والحدائق، ج1/ ف 2، ص 462-463؛ مسكويه تجارب الأمم، ج5، ص 294؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 314.

(4) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق2، ص 461- 462؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 292؛ خرابشة، إمارة بني شاهين، ص 51.

(5) ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 234.

خدمت الظروف الطارئة عند البويهيين عمران بن شاهين، الذي كان بأمس الحاجة إلى اغتنام أنصاف الفرص، لجمع قواته واعادة ترتيب صفوفها، فقد حدث أن مات عماد الدولة علي بن بويه في شيراز، فاضطربت الأحوال السياسية والعسكرية في إمارة البويهيين بفارس، فأصدر معز الدولة أوامره لوزيره الصيمري بإنهاء الحروب العسكرية، وفك الحصار المفروض على عمران بن شاهين، والتوجه مباشرة إلى شيراز لإصلاح الأوضاع فيها. مما مكن عمران بن شاهين من الخروج من استتاره، وجمع فلول قواته وأتباعه، وأعاد تنظيم قواته العسكرية[1]، ثم أخذ ينتظر الفرصة المناسبة لتحقيق أهدافه وطموحاته.

عاد الوزير الصيمري إلى منطقة الجامدة سنة 339هـ/950م بعد أن أصلح الأمور بشيراز، وحاصر عمران بن شاهين من جديد، وأخذ يستعد لشن حرب قوية ضده، إلا أن المنية حالت بينه وبين ما كان يخطط له، كما أنها خدمت عمران بن شاهين، إذا مات الوزير الصيمري بعد أن أصابته حمى قوية أدت إلى وفاته[2].

جهز معز الدولة البويهي جيشاً ثانياً لمحاربة عمران بن شاهين، وأسند قيادته إلى وزيره العربي الجديد أبي محمد الحسن بن محمد المهلبي، برفقة قائد آخر من كبار قواد معز الدولة هو الأمير روزبهان بن ونداد خرشيد الديلمي؛ الذي كان على معرفة وإطلاع على أحوال المنطقة، وأحوال عمران بن شاهين. بعد أن أظهر لمعز الدولة مقدرته على التخلص من عمران. فوافقه معز الدولة على المسير لمحاربه ابن شاهين. الذي أخذ يناوره ويستدرجه بالحيلة والخديعة، وهو متحصن في مضائق

---

(1) مسكوية، تجارب الأمم، ج 5، ص 292 – 293؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 162؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 331 – 332؛ فاروق فوزي، الخلافة العباسية، ج2، ص 94.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 294؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 162؛ ابن الأثير، الكامل،ج6، ص 334؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 185.

البطيحة، حتى أصاب القائد البويهي روزبهان الضجر والملل، وقرر أن يخوض البطيحة بجيشه فكانت الدائرة عليه وعلى جيشه، إذ تمكن عمران بن شاهين من هزيمة، وقتل عدد كبير من جيشه، وغنم جميع ما كان معهم من السلاح والآت الحرب، مما زاد في قوته ومنعته[1].

قويت شوكة عمران بن شاهين بعد انتصاره على جيش البويهيين، وزادت ثقته بنفسه؛ فسيطر على منافذ الطرق، وأخذ يجبي الأموال والضرائب من الفلاحين، كما قطع الطرق التي تصل بين بغداد والبصرة، مما يعني قطع الامدادات المالية من البصرة إلى بغداد. وتطاول أصحابه على السلطان بعد أن طمعوا بهم[2]. ويصف مسكويه حال أصحاب عمران بن شاهين بعد هذا الانتصار بقوله: " وضري أصحابه على جند السلطان، واستخفوا بهم، فكان بعد ذلك إذا اجتاز بهم الحجاب الكبار المحتشمون، والقواد والأمراء من الديلم والأتراك سفهوا عليهم، وطالبوهم بحق المرصد والبذرقة[3]، فإن تأبى عليهم أحد تناولوه بالشتم القبيح والضرب المهين. وكان الجند لا يستغنون عن الاجتياز بهم لحاجتهم إلى ضياعهم ومعاملاتهم بالبصرة والأهواز "[4]

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 297؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 236؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 223؛ ابن خلدون، تاريخ، ج 4، ص 607.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 297؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 336؛ ابن خلدون، تاريخ، ج 4، ص 607؛ خرابشه، إمارة بني شاهين، ص51– 52؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 185؛ فاروق فوزي، العراق، والتحدي الفارسي، ص 205.

(3) البذرقة: كلمة فارسية معربة تعني الخفارة والحراسة. وهي الجماعة تتقدم القافلة لتحرسها. ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص14؛ الفيروز ابادي، محمد بن يعقوب(ت817هـ/1414م) القاموس المحيط، بيروت: دار صادر، د.ت.ن ، ص866؛ الصلابي، علي محمد، ابو بكر الصديق رضي الله عنه، شخصيته وعصره، عمان: دار البيارق، 2001، ج5، ص159.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 297.

كثرت الشكايات من الأمراء والحجاب والقواد البويهيين لمعز الدولة من تعرضهم للذل والهوان على يد عمران بن شاهين وأصحابه، وتضييقه الخناق على الحكم البويهي نفسه في بغداد. فبادر معز الدولة إلى التدخل السريع للحد من تعاظم قوة ونفوذ عمران بن شاهين، فأمر وزيره المهلبي بالتوجه إلى واسط، وتجهيز جيش كبير، وأمده بالقواد والخيول والسلاح، وأطلق له حرية التصرف في إنفاق المال لهذه الغاية[1].

اتبع الوزير المهلبي خطة عسكرية محكمة هدفها التضييق على عمران بن شاهين وأصحابه، وسدّ جميع الطرق والمنافذ عليه، وهو يتقدم بجيشه حتى وصل إلى بعض المناطق التي لا يعرف منافذها وطرقها إلا عمران بن شاهين وأصحابه، فوضع عمران فيها الكمائن. وكان الأمير روزبهان الديلمي يرافق جيش المهلبي، فأراد الأ يستأثر المهلبي بالنصر، ويظفر بمحبة معز الدولة، وأخذ يبيت النية على أن يصيب المهلبي مثل ما أصابه من هزيمة على يد عمران بن شاهين. فأشار روزبهان على المهلبي بأهمية سرعة مهاجمة عمران بن شاهين، ودك معاقله، إلا أن المهلبي كان يتصف بالكفاءة والحنكة السياسية، ولم ينجر وراء نصائح روزبهان، إذ اعتبرها مغامرة خطيرة قد تنعكس سلباً على الجيش البويهي، ففضل عدم التسرع، والاستمرار في محاصرة عمران بن شاهين، وقطع الامدادات عنه، حتى يستسلم من تلقاء نفسه[2].

لم يفلح رزوبهان في إقناع المهلبي بضرورة المبادرة بالهجوم على عمران بن شاهين، فكتب إلى معز الدولة يوغر صدره على المهلبي متهماً إياه بالعجز والتقصير، وأنه يتأخر في محاربة ابن

---

[1] مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 297؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 336؛ ابن خلدون، تاريخ، ج 4، ص 607؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 185؛ خرابشة، إمارة بني شاهين، ص 53.

[2] مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 298؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 336؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص 607؛ خرابشة، إمارة بني شاهين، ص 53.

شاهين لإنفاق الأموال التي أمده بها معز الدولة، فكتب معز الدولة إلى المهلبي يطالبه بالإسراع في الهجوم على ابن شاهين، الأمر الذي أغضب المهلبي، ففك الحصار، واندفع بجيشه لمهاجمة ابن شاهين في بطائحه[1].

كان عمران بن شاهين قد أعد العدة بانتظار هذا الهجوم، بأن نصب الكمائن، ووضع العراقيل، أمام تحركات الجيش، خاصة في المناطق الضيقة، والتي لا يعرف مداخلها إلا هو وأصحابه، ولما تجاوز الجيش البويهي هذه الكمائن، فاجأهم عمران بن شاهين وأصحابه، وألحق بهم هزيمة نكراء، فقتل منهم من قتل وغرق من غرق، وأسر من أسر، ونجا المهلبي بعد أن ألقى بنفسه في الماء، ثم عاد إلى البصرة[2].

وأمام قوة عمران بن شاهين المتنامية، وأمام الهزيمة الأليمة التي لحقت بالجيش البويهي والتي أكدت لمعز الدولة أن الحروب ليست دائماً هي الحل لكثير من الأمور، مما اضطره إلى عقد الصلح مع عمران بن شاهين الذي فرض شروطه[3] باعتباره الطرف الأقوى في المعادلة السياسية والعسكرية، ومن هذه الشروط اعتراف البويهيين بعمران بن شاهين أميراً على منطقة البطائح، كما اتفق

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 298؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 337؛ ابن خلدون، تاريخ، ج 4، ص 607؛ خرابشة، إمارة بني شاهين، ص 53.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 298؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 164 ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 337؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 86.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 298؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 337، ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 223؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 86.

الطرفان على إطلاق سراح الأسرى لدى الطرفين[1] وقد استغل عمران بن شاهين هذا الصلح حتى يتمكن من تقوية نفسه، ويثبت حكمه[2].

وفي سنة 344هـ/ 955م نقض عمران بن شاهين الصلح، وذلك على أثر بلوغه خبر مرض معز الدولة، وأنه قلد ابنه أبا منصور بختيار إمرة الأمراء، فاستغل عمران بن شاهين اضطراب الأحوال في بغداد، وانشغال الجميع بمرض معز الدولة، فبادر إلى مصادره قافلة تجارية كانت تحمل أموالاً لمعز الدولة بالإضافة إلى تجارة عظيمة لتجار بغداد، قادمة من البصرة، وسيطر عليها ونهبها. كما قام بالقبض على ملاح معز الدولة (المزعبل) وضربه ضرباً شديداً وصادر أمواله[3]. ولما تعافى معز الدولة راسل عمران بن شاهين يطلب منه رد الأموال التي نهبها العائدة إليه، وإلى التجار. قبل عمران بن شاهين رد أموال معز الدولة إليه، ولكنه احتفظ بأموال التجار لنفسه، مما كان له الأثر في انفساخ الصلح بين الطرفين[4].

أراد معز الدولة الانتقام من عمران بن شاهين الذي أذلة، والحق به الخسائر المتلاحقة، فعمد إلى بث بذور الفرقة التخاصم بين أفراد الأسرة الشاهينية، لإضعافهم. ففي سنة 349 هـ / 960م ساءت العلاقة بين عمران بن شاهين وأخيه أبي الفتح أحمد بن شاهين، الذي خرج على طاعة أخيه عمران، وجرت بين الطرفين حروب ومعارك، أسفرت عن خروج أحمد بن شاهين وأسرته من البطائح،

(1) مجهول، العيون والحدائق، ج 4 / ق 2، ص 463؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 165 ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 337 ابن كثير البداية والنهاية، ج 11، ص 223؛ فاروق فوزي، النهوض العربي في العراق والأقاليم المجاورة في العصور العباسية الأخيرة، بغداد، 1989، ص 102.

(2) ابن الأثير ،لكامل،ج6، ص337؛ خرابشة، إمارة بني شاهين، ص 54؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 156.

(3) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق2، ص 170، مسكويه، تجارب الأمم، ج 55، ص 314؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص476؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 348؛ خرابشة، إمارة بني شاهين، ص 54- 55.

(4) مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق 2، ص 476؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 314؛ ا لهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 170؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 348.

مستجيراً بمعز الدولة، ثم تبعه أخوه أبو القاسم. فوجد معز الدولة الفرصة سانحة ليعمق الخلافات بينهم، فقبلهما وأكرمهما، وأقطعهما اقطاعات عظيمة[1].

وفي سنة 355 هـ/ 965م تفرغ معز الدولة لمحاربة عمران بن شاهين، واضعاً نصب عينيه ضرورة القضاء عليه لأنه أصبح يشكل عبئاً مالياً وعسكرياً ثقيلاً، وصمم على قتاله، " وأبى أن يقبل منه صلحاً ومالاً، أو يرضى منه إلا بحضوره ووطئ بساطة"[2] فأعد جيشاً كبيراً. توجه به إلى واسط، ثم أوكل مهمة قيادة الجيش إلى أبي الفضل العباس بن الحسن الشيرازي، الذي بادر إلى اتخاذ كافة التدأبير لإلحاق الهزيمة بعمران بن شاهين، فعمد إلى سدّ الأنهار التي تصبّ في منطقة البطائح، لتجف المنطقة ويتسنى للجيش المسير والقتال فيها، وحتى لا يكرر الأخطاء التي وقع فيها الجيش البويهي من قبل إلا أن الظروف عادت لتخدم عمران بن شاهين، فقد مرض معز الدولة، فاضطر إلى مغادرة واسط متوجهاً إلى بغداد، مؤملاً العودة لمتابعة محاربة عمران بن شاهين. وترك جيشه يحاصره. ولما وصل إلى بغداد مات بسبب مرضه سنة 356 هـ / 966م [3]

عهد معز الدولة إلى ابنه عز الدولة بختيار وقلده إمرة الأمراء في بغداد، الذي بادر على الفور بالكتابة إلى قائد الجيش أبي الفضل العباس بن الحسن الشيرازي المحاصر لعمران بن شاهين، لعقد الصلح مع عمران بن شاهين؛ لانشغاله في تثبيت دعائم حكمه في بغداد، فاستغلَّ عمران بن

---

[1] مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق 2، ص 496؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 327، ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 358؛ خرابشة، إمارة بني شاهين، ص55.

[2] مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 351. أنظر: الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 192، خرابشة، إمارة بني شاهين، ص 55 – 56.

[3] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 345، 351؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 192؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 21، ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 260؛ فاروق فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص 206.

شاهين مدة الصلح لتأكيد سيطرته ونفوذه على المناطق التي كانت تحت يده. وما ان انتهى عز الدولة بختيار من تثبيت دعائم حكمه في بغداد، تفرغ بعدها لمحاربة عمران بن شاهين على الرغم من الصلح المعقود بينهما، مما يدل أن الهدف من وراء عقد مثل الصلح إنما هو كسباً للوقت للاستعداد ولما يخطط له، فجهز جيشاً كبيراً تولى قيادته بنفسه، واتبع في سبيل تحقيق هدفه الخديعة والخطة العسكرية، إذ أوهم عدوه عمران بن شاهين أنه خرج من بغداد باتجاه النعمانية للتصيد، ليوقع به بعنصر المفاجأة، دون استعداد من عمران بن شاهين، كما أمر وزيره أبا الفضل العباس بن الحسين بالمسير إلى منطقة الجامدة حتى يكون ابن شاهين بين فكي كماشة ثم أمره بسد أفواه الأنهار ومجاري المياه إلى البطيحة وتحويلها حتى تجف الأرض، ويسهل تحرك الجيش عليها، كما أمره ببناء مسناة كبيرة – وهي جسور وأرصفة تمكن الجنود ومن المسير عليها – ولما احتاجت كل هذه التجهيزات من السدود والجسور إلى كثير من الوقت حتى فاض نهر دجلة، ودمّر أكثر ما عملوه، فعولوا على حراستها بالرجال على إعادة أعمارها لأن ذلك يتطلب بذل مزيد من الوقت والمال لهذه الغاية، كما كان الخوف من مهاجمة عمران بن شاهين لهذه التحصينات وتخريبها(1). غير أن عمران بن شاهين " متدرب بذلك، فقد اعتاد في جميع حروبه أن يمسك عن عدوه حتى ينفق ماله ويكد رجاله، فإذا أحسَّ بالمدّ ومجيء السيول، احتال في تخريب ما يبني له من السكور(2) وإنما يكفيه إيقاع ثلمة يسيره في أحد نواحي السد، ثم يحمل الماء، فيتولى كفايته في الهدم والتخريب، فربما أفسد في ساعة من الليل أو النهار تعب سنة

---

(1) مسكويه، تجارب الأممن ج5، ص 356، الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 209؛ ابن الأثير الكامل، ج7، ص 39؛ ابن خلدون، تاريخ، ج 4، ص 608؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص187 فما بعد.

(2) السكور: جمع سكر، وهو ما يسدّ به النهر. انظر: الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت 770هـ/1368م) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، ج1، ص36؛ أبو حبيب، سعدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دار الفكر، دمشق، ط2، 1988، ص176؛ مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، ص438.

أو نحوها، وذلك أن هذه السدود تكون من قصب وتراب، يقام في وجوه المياه الجارية عند ضعف جريانها وغاية نقصانها"[1].

لم يلتفت عمران بن شاهين إلى تخريب السدود، بل ترك أمرها لفيضان النهر، ثم ترك معقله وانتقل إلى معقل آخر مع غلاته وزواريقه- أي السفن الخفيفة- وأمتعته[2]، دون علم الجيش البويهي بذلك.

ويبدو أن عمران بن شاهين كان يعرف أن الجند الديالمة لا طاقة لهم على الصبر، كما ساعدت الظروف الطبيعية في منطقة البطائح خاصة بعد نهاية موسم الفيضان، حيث أجبرت شدة الحرارة، والبق والضفادع، بالإضافة إلى نقص وانقطاع الامدادات عن الجيش البويهي الذي أخذ يتذمر من طول بقائه دون طائل، وقرر ترك أرض المعركة والعودة إلى بغداد، مما أجبرت عز الدولة بختيار على مصالحة عمران بن شاهين خوفاً من تمرد الجند، فصالحه على مبلغ من المال يحمله عمران إلى عز الدولة بختيار مقداره خمسة ملايين درهم، ولما شعر عمران بن شاهين بضعف أمر عز الدولة مع جنده، وأنه لا طاقة له على محاربته، امتنع عن دفع المبلغ المذكور إلى أن نجحت وساطة سهل بن بشر – كاتب بختكين آزاذرويه – لصداقة كانت تجمعه بعمران بن شاهين، على أن يدفع عمران مبلغ مليوني درهم، وحتى هذا المبلغ لم يلتزم ابن شاهين بتأديته، كما لم يسلم الرهائن الذين عنده للبويهيين. بل هاجم مؤخرة الجيش البويهي أثناء انسحابه من البطائح عائداً إلى بغداد، وغنم منه غنائم كثيرة من

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 386.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 386؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 209؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 39؛ خرابشة، إمارة بني شاهين، ص 57.

أمتعة وأسلحة، وما ذاك إلا بعد أن رأى فساد عسكر بختيار، وزوال الهيبة والطاعة عنهم وذلك سنة 361 هـ/ 971م[1].

اعترف الأمراء البويهيون بعمران بن شاهين حاكماً رسمياً على البطائح، بعد أن فشلوا في القضاء عليه عسكرياً وسياسياً. بل لجأوا إلى مصالحته ومداراته في بعض الأحيان وحسب الظروف[2]. ففي سنة 363هـ / 973م ثار الجند الأتراك بقيادة القائد سبكتكين التركي على عز الدولة بختيار، على أثر فتنة وقعت بين الجند الديالمة والجند الأتراك، مال عزّ الدولة بختيار فيها إلى الديالمة لأنهم عشيرته، واعتقل زعماء الأتراك، وحاول قتل القائد سبكتكين، فانتفضوا ضده، مما اضطره للهرب من بغداد، ملتجئاً إلى الأهواز؛ فاضطر إلى طلب المساعدة من عمه ركن الدولة وابنه عضد الدولة، ومن الحمدانيين. كما عمل على أن يعتصم بعمران بن شاهين العدو اللدود للبويهيين لإدراكه بمدى قوته، وتأثيره على الساحة السياسية والعسكرية، ولعل عز الدولة بختيار خاف أن يستغلّ عمران بن شاهين ما يمرّ به من ظروف طارئة وينقلب ضده مما يزيد من حرج موقفه، لذا وحتى يضمن وقوف عمران بن شاهين إلى جانبه، طلب منه مساعدته، وأرسل له خلعاً وفرساً بمركب ذهب، وتوقيعاً يحتوي على إسقاط ما بقي عليه من مال الصلح، كل ذلك مقابل أن يرسل له عمران بن شاهين الجنود ليتقوى بهم

---

[1] مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 386 – 387؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 39 – 40؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج11، ص268؛ ابن خلدون تاريخ، ج4، ص608؛ فاروق فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص207.

[2] خرابشة، إمارة بني شاهين، ص 58.

على محاربة الأتراك[1] كما لجأ عز الدولة بختيار إلى أسلوب الزواج السياسي بأن طلب من عمران بن شاهين مصاهرته بإحدى بناته ليضمن بعدها وقوفه إلى جانبه[2].

رفض عمران بن شاهين طلب عز الدولة بختيار في مساعدته، وذلك بسبب العداوة السابقة بين الطرفين؛ فكم أنفذ الأمير البويهي الجيوش لمحاربته والقضاء عليه؟ كما رفض قبول الهدايا التي أرسلها اليه، وبعث له برسالة شديدة اللهجة، مع صاحب بختيار إبراهيم بن إسماعيل، جاء فيها: " يا هذا قد جئتنا في أمور غير متوجهة عندنا، ولا لائقة بأحوالنا، أما هذا الدين المتروك فالتحمّد علينا به مع علمنا بأنه ساقط باطل لا يحسن، لكنا نقبل ذلك. وأما الوصلة فأنا رجل لا أداخل- أواصل- أحداً من خلق الله إلا أن يكون الذكر من عندي والأنثى من عنده، وقد خطب إلي الطالبيون مع أنهم موال فما أجبت أحداً منهم إلى ذلك، لأن نفسي لا تسمح له، وهؤلاء أولاد أخي هم أكفاء بناتي ما واصلت أحداً منهم ولكن إن شاء الله نتصاهر على السبيل الأخرى فعلت: وأما الخلعة والفرس فلست ممن يلبس لباسكم، ولا أركب الخيل لأن دوأبي هذه السفن، لكن أبا محمد ابني يقبل ذلك ولا يرده"[3] كما رفض إرسال جنوده ليحاربوا جنباً إلى جنب مع الجند الديالمة الذين طالما حاربوهم وقتلوا منهم وأسروا قائلاً له: "... وأما عسكري وانفاذه فليس تسكن رجالي إلى مخالطتكم، لكثرة من قتلوه من رجالكم على مر السنين والوقائع"[4] بل أكثر من ذلك فقد أخذ عمران بن شاهين يحقر عز الدولة بختيار حيث قال

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 406؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 56؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 277؛ ابن خلدون، تاريخ، ج 4، ص 537.

(2) ابن الأثير، الكامل،ج7، ص56؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص188؛ فارق فوزي، النهوض العربي، ص 103 - 304.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 406؛ أنظر: ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 56.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 406؛ أنظر: ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 56.

لحاجب بختيار: " قل له ينبغي أن تتوقر وتترزن، ولا تستعمل هذه الخفة والنزق، فقد قصدتني محارباً لي، فرجعت عني منهزماً، وقصدت الأهواز فرجعت منهزماً على هذه الحال والصورة من الفتنة"[1].

ويمكن تفسير مكاتبة عز الدولة بختيار إلى عمران بن شاهين، وردّه عليها بتلك اللهجة، لضعف موقف عز الدولة بختيار، وحاجته إلى القوة الكافية، والوقت المناسب ليتخلص من الخطر الذي يشكله الأتراك على حكمه في العراق، بسبب ميله إلى الديالمة على حسابهم، وحتى لا يعود عمران بن شاهين إلى فتح جبهة داخلية تؤثر عليه من جنوب بغداد، وتؤدي إلى زعزعة أركان حكمه في العراق، ثم حاجته إلى مساعدة عمران وغيره من الأمراء المحليين الآخرين الذي علا شأنه، مع ما يتميز به من ذكاء وبعد نظر، وحسن تدبير" [2].

وفي سنة 364 هـ / 974 م تمكن عضد الدولة من ملك بغداد بعد أن خدع ابن عمه عز الدولة بختيار، الأمر الذي أرعب عمران بن شاهين، مع علمه بقوة عضد الدولة، ورغبته الشديدة في ملك العراق، فعمل على التودد له ليأمن جانبه، وأرسل له " كاتبه يلتمس عهداً ومنشوراً وعقداً وتقريراً، فأجيب إلى ذلك"[3] ولعل موافقة عضد الدولة على ذلك حتى يتسنى له التفرغ لحل مشاكله الداخلية ثم يتفرغ لمحاربة أمراء الأطراف الذي يشكلون تهديداً واضحاً على الوجود البويهي في العراق. إلا أن عمران بن شاهين انقلب على عضد الدولة ووقف إلى جانب عز الدولة بختيار، وقدم له العون والمساعدة، عاد بعدها بختيار إلى الحكم في العراق بعد أن جاءه المدد والعساكر من عمه ركن الدولة،

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 406؛ أنظر: حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية الإدارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة 247 – 656 هـ / 861 – 1258م" دراسة ونصوص" بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 3، 1985، ص 409 – 410.

(2) خرابشة، إمارة بني شاهين، ص 59.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 415؛ انظر: الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص221.

ومـــن بـــاب رد الجميـــل لأهلـــه فقـــد لقـــب عـــز الدولـــة بختيـــار عمـــران بـــن شـــاهين بلقـــب (معين الدولة) [1].

وفي سنة 366 هـ / 976م عاد عضد الدولة لاحتلال العراق، وضمها لملكه، فوقف عمران بن شاهين إلى جانب عز الدولة بختيار، مفضلاً أن يكون معترفاً به من قبل أمير ضعيف خير له من وجود أمير قوي، قد يقضي على إمارته. وخرج بختيار من بغداد للتصدي لجيش عضد الدولة باتجاه واسط ثم توجه إلى البطائح، حيث عمران بن شاهين الذي استقبله أحسن استقبال وارتبط الطرفان بمصاهرة طالما أرادها عز الدولة بختيار، إذ تزوج بختيار بابنة عمران بن شاهين، وتزوج الحسن بن عمران بابنة بختيار[2]. ثم وعده بتقديم العون والمساعدة، ولما انهزم جيش بختيار، سار إلى البطائح فتلقاه عمران بن شاهين وقبل يده وأكرمه، وأقام عند ضيفاً لثلاثة أيام[3].

بقي عمران بن شاهين أميراً على منطقة البطائح، ومعترفاً به من البويهيين تارة، ومُحارباً منهم تـــارة أخـــرى، بحـــسب الظـــروف، والأحـــوال التـــي يمـــر بهـــا البـــويهيين حتـــى وفاتـــه سنة 369 هـ / 978م، فآل حكم البطائح إلى ابنه الحسن بن عمران[4]. ويقول مسكويه في وفاته" وفاضت نفسه بعد أن نصبت له الأرصاد، أربعين سنة، وأنفقت على حروبه الحرائب، وبعد أن أذل الجبابرة وأرباب الدول، وطواهم أولاً أولاً، وقدمهم أمامه، على غصص يتجرعونها ودخول يتحملونها، وهو ممنوع الحريم، محصن الساحة، محمي من غوائلهم ومكائدهم"[5] ولما كان عضد الدولة قد عاد

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 420، خرابشة، إمارة بني شاهينن ص 60.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 426، الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص 1، ص 231.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 429؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 233.

(4) مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص444، 449؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص99.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 444. أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 295.

مجدداً وسيطر على بغداد بعد مقتل عز الدولة بختيار سنة 367 هـ / 976م، مما شجعه على القيام بمحاولة للسيطرة على البطائح وضمها لحكمه، والقضاء على الإمارة الشاهينية التي طالما كانت عائقاً أمام تحقيقه لطموحاته وآماله؛ فجهز جيشاً وأسند قيادته إلى وزيره المطهر بن عبد الله[1]، وامدّه بالسلاح والأموال والعدد والآلات، فاتبع الوزير خطة طالما جربها من سبقه في محاربة الشاهينيين، فلم تنجح معهم، وهي إقامة السدود على أفواه الأنهار، لتجف منطقة البطيحة، مما يسهل حركة الجيش البويهي عليها، وأمر ببناء مسناة تمكنهم من الوصول إلى معاقل بني شاهين وحصونهم، التي احتيجت الى أموال طائلة انفقت عليها، ثم أن فيضان مياه نهر دجلة قد دمر السدود التي بنوها، كما تمكن الحسن بن عمران من تدمير بعضها، مما أغرق منطقة البطائح بالماء، وتعذر على الجيش البويهي الدخول إليها ولما انقطعت المسالك في دجلة، ونقصت مؤن الحصار، وبدأ الجند البويهي بالتذمر من طول انتظار، وقد زاد من صعوبة موقف الوزير المطهر عدم تمكنه من الانتصار على الحسن بن عمران في المعركة المائية التي دارت بينهما، نتيجة شجاعة وبسالة الحسن بن عمران، ودفاعه عن منطقة امارته[2].

كان الوزير المطهر يتصف بمزاجية حادة وسريعة، ليس فيه صبر، ويحب قطف النتائج باستعجال، فكما فشل في القضاء على الحسن بن عمران، شق ذلك عليه، وخشي أن تنقص منزلته

---

(1) المطهر بن عبد الله.: ابو القاسم، وزير عضد الدولة البويهي. ارسله عضد الدولة الى عُمان لفتحها، كما ارسله الى واسط لمحاربة الحسن بن عمران بن شاهين، ولما لم يستطع التغلب عليه قتل نفسه سنة 369هـ/978م. مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص450-451؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص99.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 450؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 99؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 295؛ ابن خلدون، تاريخ، ج 4، ص 608.

عند عضد الدولة، ويشمت به أعداؤه كأبي الوفاء وغيره، فعزم على قتل نفسه"[1]، فطعن نفسه ومات. وأمام تغير موازين القوى لصالح الحسن بن عمران اضطر عضد الدولة إلى مصالحته، مع اعترافه به أميراً على البطائح. مقابل أن يدفع مبالغ مالية كبيرة سنوياً، ويطلق سراح من لديه من الأسرى البويهيين مؤملاً أن تسنح له الظروف بالعودة لمحاربة بني شاهين والقضاء عليهم[2]. وقد عززت هذه المصالحة من قوة ومنعه الحسن بن عمران، إذ أصبح مرهوب الجانب حتى من البويهيين أنفسهم.

لم ينجح عضد الدولة في خطته التالية لاستدراج الحسن بن عمران وإخراجه من معاقله في البطيحة، عندما دبر له مكيدة للإيقاع به، إذ اتفق عضد الدولة مع جماعته من أهل البصرة ووجهائها، على مكاتبة عبد العزيز بن محمد المعروف (بالكراعي)- الذي كان على علاقة صداقة بالحسن بن عمران ويقيم عنده في البطائح – يوهمونه أنهم موالون له، ويعاضدونه، ويطلبون منه القدوم إليهم ليتسلم البصرة، بعد أن يثوروا على حاكمها، ويخرجوه منها، فانطلت الحيلة على الكراعي، خاصة وأنه كان يطمح في السيطرة على البصرة، فخرج وأخرج معه الحسن بن عمران ليتقوى به وبقواته، فلما وصلوا إلى منطقة مطارة[3] عن طريق نهر دجلة، حالت قوات البصرة بينهم وبين الرجوع إلى البطائح، كما خرج عليهم الكمناء الذين وضعهم في تلك المنطقة، ولما استعجل البصريون الهجوم لأن الخطة

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 99؛ أنظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 450؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 189.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 451؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 99؛ ابن كثيرن البداية والنهاية، ج11، ص 295؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص 608.

(3) مطارة: من قرى البصرة على ضفة نهر دجلة والفرات في ملتقاهما بين المذار والبصرة. الحموي، معجم البلدان، ج5، ص147.

كانت تقتضي وصول الكراعي والحسن بن عمران إلى داخل البصرة ثم الانقضاض عليهم- فألقى القبض على الكراعي، وتمكن الحسن بن عمران من الهرب بعد أن خسر كثير من رجاله وسفنه[1].

بدأت إمارة بني شاهين بالضعف بسبب الخلافات الأسرية التي نشبت بين أولاد عمران بن شاهين، ففي سنة 372 هـ / 982م تمكن أبو الفرج بن عمران من قتل أخيه الحسن بن عمران للاستيلاء على إمارة البطائح، أثر مؤامرة دبرها له في بيت اخته أدت إلى مقتله[2] . ويبدو أن البويهيين كانوا وراء هذه المؤامرة، لما أوغروا صدر أبي الفرج بن عمران على أخيه الحسن، مشجعين له على الاستئثار بالسلطة بدلاً من أخيه الذي أحبه الناس، وكان يمثل مع والده وجه المقاومة العربية للوجود البويهي.

تولى أبو الفرج بن عمران حكم البطائح بعد قتله أخيه الحسن سنة 372 هـ / 982م، فبادر بالكتابة إلى عضد الدولة مقدماً الولاء والطاعة له، طالباً تقليده رسمياً إمارة البطائح. ولعل في هذا دليل على اشتراك البويهيين في مؤامرة مقتل الحسن بن عمران، ولما كان أبو الفرج بن عمران يوصف بالجهل والتهور، فقد أساء السيرة مع الناس. مما أدى في نهاية الأمر إلى انقلاب القائد المظفر بن علي عليه، وقتله سنة 373هـ / 983م، ونصب مكانه ابا المعالي بن الحسن بن عمران الذي كان صغير السن مما أوقعه تحت تأثير المظفر الذي بات هو الحاكم الفعلي للبطائح. بعد أن عزله وأخرجه من البطائح مع أمه إلى واسط[3]. وبذلك " انقرض بيت عمران بن شاهين"[4].

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 452؛ خرابشة، إمارة بن شاهين، ص 64.

(2) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 52؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 116، ابن خلدون، تاريخ، ج 4، ص 608؛ خرابشة، إمارة بني شاهين، ص 65؛ فاروق فوزي، النهوض العربي، ص 105.

(3) الروذراوري، ذيل تجارب الامم،ج6، ص56؛ ابن الأثير، الكامل،ج7، ص119؛ ابن خلدون، العبر،ج4، ص 609.

(4) ابن خلدون، العبر ، ح 4، ص 609.

3- الحروب مع بني عقيل- أمراء الموصل (380-489 هـ /977-1096م)

بنو عقيل من العرب العدنانية، نسبة إلى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن بكر، نزحوا قبل البعثة المحمدية من جزيرة العرب، وانتشروا ما بين الجزيرة والشام في عدوة الفرات[1]، وكانوا كالرعايا من أتباع بني حمدان، يؤدون اليهم الأتاوات، وينفرون معهم في الحروب، ثم استفحل امرهم عند فشل دولة بني حمدان، فانقلبوا عليهم، وقضوا على دولتهم، واستولوا على الموصل وما يتبعها، فكان أول نشوء الدولة العقيلية[2].

بدأ تاريخ بني عقيل السياسي عند قيام إمارتهم في الموصل سنة 380 هـ/ 990م، وكان ضعف الإمارة الحمدانية ممهداً لظهور إمارة بني عقيل، والتي أخذت على عاتقها مقاومة التسلط البويهي في الجزيرة الفراتية[3].

تمكن أبو الذوّاد [4]محمد بن المسيب العقيلي[5] من القضاء على أبناء حمدان، متخلصاً بذلك من إمارة ضعيفة كانت تقف أمام طموحه في تكوين إمارة خاصة ببني عقيل، غير أن طموحه هذا لم يكتمل بوجود البويهيين في بغداد فأخذ يعمل بادئ ذي بدء على التقرب إليهم، ليأمن جانبهم، وتقوى إمارته، فأظهر لهم طاعته، إذ كتب إلى بهاء الدولة البويهي، يطلب منه إرسال عاملاً من عنده، لتمثيل السلطة البويهية عند العقيليين.

---

[1] ابن خلدون، العبر ، ج 4، ص 306.

[2] الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 107 – 108؛ فاروق فوزي، النهوض العربي ، ص 113.

[3] الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 110.

[4] يسميه ابن خلدون وفاروق فوزي (أبو الدرداء).

[5] ابو الذواد محمد بن المسيب العقيلي(......-386هـ/.....996م): من بني عامر بن صعصعة، امير بني عقيل. لقبه اقبال الدولة، كان صاحب نصيبين ثم ملك الموصل واعمالها سنة 380هـ/990م. اقره بهاء الدولة البويهي ثم حاربه. استمر يحكم في إمارته الى أن توفي سنة 386هـ/996م. انظر: الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص110 فما بعد؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص145 فما بعد؛ الذهبي، العبر، ج2، ص173.

ويصف ابن الأثير حال نائب بهاء الدولة في الموصل بقوله: وليس له من الأمر بشيء، ولا يحكم إلا فيما يريده أبو الذواد[1]. مما يدل دلالة واضحة على أن محمد بن المسيب لا يفضل أن يكون تابعاً لأحد، بل هو ينتظر الفرصة المناسبة للاستقلال في حكم الموصل.

غضب بهاء الدولة البويهي من تصرفات محمد بن المسيب العقيلي مع نائبه، من إهماله له، كما بدأ يشعر بالخوف من تنامي قوة عربية جديدة في شمال العراق، يمكن أن يكتب لها النجاح في إقامة إمارة عربية، قد تكلف البويهيين وجودهم السياسي في العراق، خاصة وأن بهاء الدولة كان مشغولاً في حروبه الداخلية داخل البيت البويهي. فأرسل جيشاً بقيادة أبي جعفر الحجاج بن هرمز[2] لمحاربة بني عقيل وإخضاعهم لطاعته. وقد تمكن هذا الجيش من دخول الموصل وملكها سنة 381 هـ/ 991م [3]. وبذلك أصبح الجيش البويهي وجهاً لوجه مع العقيليين، الذين اجتمعوا تحت قيادة أبي الذواد محمد بن المسيب على محاربتهم، وجرت بينهم عدة معارك، تمكن فيها العقيليون من إظهار شجاعة وبسالة في القتال، مما اضطر قائد الجيش البويهي أبو جعفر الحجاج بن هرمز إلى الإسراع في طلب النجدة من بهاء الدولة في بغداد سنة 382 هـ/ 992م، الذي بادر على الفور بإرسال المدد بقيادة الوزير أبي القاسم علي بن أحمد، وبمجرد أن وصل المدد إلى الموصل، حتى وصل كتاب من بهاء الدولة إلى الحجاج بن هرمز بالقبض على الوزير، بوشاية من ابن المعلم [4].

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 145؛ أبو الفداء، المختصر، ص 127.

(2) الحجاج بن هرمز: هو نائب بهاء الدولة البويهي على العراق. كان من المقدمين في ايام عضد الدولة البويهي، وكانت له خبرة تامة بالحرب، وحزم وشدة وشجاعة. توفي بالاهواز سنة 400هـ/1009م. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص72–73؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص250؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 366.

(3) ابن الاثير، الكامل، ج7، ص157.

(4) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 146؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 157؛ الديوه جي، سعيد، تاريخ الموصل، بغداد: مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1982، ص 151.

ونظراً لحرج موقف الجيش البويهي، لم ينفذ أبو جعفر الحجاج بن هرمز طلب بهاء الدولة، خوفاً من اضطراب الأمور في جيشه وانقسامه، وبالإضافة إلى خوفه من العقيليين الذين يتربصون به، وينتظرون الفرصة المناسبة للانقضاض عليه[1]، فكيف يكون حاله مع اختلاف جيشه وانقسامه؟!.

علم الوزير ابو القاسم بالمخطط الذي حاكه ابو الحسن بن المعلم للنيل منه؛ فاتبع الدهاء والحنكة؛ فعمل على عقد الصلح مع العقيليين وهادنهم، وأخذ منهم رهائن، ثم عاد إلى بغداد، وكان بعض أصحابه قد أشار عليه بأن يلتحق بأبي الذواد، فلم يفعل أنفة وحسن عهد[2]· فلما وصل بغداد كان بهاء الدولة قد قبض على أبي الحسن بن المعلم، وسلمه للجيش فقتلوه، بسبب أعماله المفسدة، واستيلائه على أمور بهاء الدولة، "ووتر القريب والبعيد، وخنق أبا علي بن شرف الدولة بيده، وأفسد نيات وجوه العسكر والرعية، وفعل الأفاعيل المنكرة، وأملي له حتى امتلأت صحيفته"[3]. فأراحه الله منه.

توفي أبو الذواد محمد المسيب سنة 386 هـ/996م، فطمع أخوه المقلد في حكم الموصل، إلا أن عشيرة بني عقيل رفضت ذلك، لأن من عادتها تقديم الكبير من أهل البيت[4]، كعادة العشائر قاطبة، ولما كان علي بن المسيب أكبر من المقلد، فقد أجمع العقيليون عليه، وقلدوه أمرهم[5].

لم يقنع المقلد بما آل إليه الأمر من تولية أخيه علي ولاية الموصل، فأخذ يعمل الدسائس والمكائد، ليقضي على منافسيه في الحكم، فعمل بالسر على استمالة الجند الديالمة في جيش بهاء

(1) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 146.

(2) ابن الأثير، والكامل، ج7، ص 157.

(3) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 147؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 158؛.

(4) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 168؛ أبو الفداء، المختصر، ص 131.

(5) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 168؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 181؛ الديوه جي، تاريخ الموصل، ص 152.

الدولة في الموصل، ثم بادر بالكتابة إلى بهاء الدولة يضمن منه ولاية الموصل بمبلغ بمليوني درهم في السنة، وزاد في أمر التثبت أن استمال حاشية الخلافة والملك في بغداد إلى جانبه ببذل الأموال[1] لإدراكه الشديد لحاجة بهاء الدولة للأموال، وطمع الحاشية في الحصول عليها.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل سار إلى أخيه علي، وأظهر – مدعياً – أن بهاء الدولة ولاه ولاية الموصل، وأن أبا جعفر الحجاج بن هرمز – نائب بهاء الدولة – يمنعه من دخولها، ويدافعه عنها، ثم طلب منه أن يقدم له المساعدة لمحاربة الحجاج بن هرمز، وخوفه من مغبة الفرقة والاختلاف بينهما، مما يعني اجتماع كلمتهما لطرد نائب بهاء الدولة من الموصل[2].

نجح المقلد في خطته، إذ سار أخوه علي الى الموصل، قاضياً حقه فيه بحكم الأخوة، فلما وصلوا مشارف الموصل، انضم إليهما الجند الديالمة الذين استمالهم المقلد في جيش نائب بهاء الدولة، فزادت قوتهم، عندها أيقن الحجاج بن هرمز أن لا طاقة له في محاربتهم بعد أن حاصروه في دار الإمارة، فطلب منهما الأمان، فأمنوه، فعاد بأمواله وأهله إلى بغداد[3].

دخل المقلد وأخوه علي الموصل بالجيش بعد رحيل أبي جعفر الحجاج بن هرمز عنها، ثم عزم علي بن المسيب على الرحيل، لولا أن أشار عليه بعض خواصه وهو أبو الفضل طاهر بن منصور – كاتب ووزير علي – أن يكون شريكاً مع أخيه المقلد في

---

(1) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 168؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 181.

(2) الروذراوري، ذيل تجارب الامم،ج6، ص168؛ ابن الأثير، الكامل،ج7،ص181؛ الديوه جي، تاريخ الموصل، ص 152.

(3) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 168 – 169؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 181؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 194؛ فوزي يحيى، تاريخ الدولة العباسية، ج2، ص 61.

الحكم"، فتذمم علي من ذلك حياءً من أخيه "[1] ثم استقر الحال بينهما على الاتفاق، على أن يخطب لهما في الموصل، مع تقديم علي بحكم سنه، ويكون لعلي نائب عند المقلد في الموصل، ليجبي له المال، وأخيراً أن يشتركا في البلد والولاية[2].

أمن المقلد جانب أخيه مدة من الزمن، تفرغ خلالها لتوسيع نفوذه. فأصبح مسؤولاً عن حماية القصر – أي قصر شيرين– وغربي الفرات، فأناب المقلد عنه ممثلاً في بغداد لتمثيله عند الخليفة والبويهيين[3]. وهكذا انعكست الآية فبعد أن كان للبويهيين ممثلاً عنهم في الموصل، صار للعقيليين ممثلاً لهم في بغداد[4] . ولما كان ابن المعلم يتصف بالتهور والإقدام، فقد اصطدم مع ابن المرزبان – أحد خواص بهاء الدولة– فاستنجد ابن المعلم بالمقلد، الذي سارع على الفور إلى نجدته، طمعاً منه في السيطرة على بغداد، مستغلاً الظروف التي كان يمر بها بهاء الدولة في حربه مع أخيه صمصام الدولة؛ فجاء على رأس جيش متوجهاً إلى بغداد، وجرت حرب بينه وبين ابن المرزبان، أسفرت عن انتصار المقلد، وأسر ابن المرزبان ثم أمر بقتله، فملك المقلد بذلك القصر وأعماله[5].

بادر المقلد العقيلي بالكتابة لبهاء الدولة بالأعذار المختلفة المفتعلة، ليأمن جانبه لفترة من الزمن يستطيع معها إعادة ترتيب أمور قواته، ثم طلب منه إرسال نائباً عنه ليعقد عليه ضمان البلاد

---

(1) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 169.

(2) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 169؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 181؛ الديوه جي، تاريخ الموصل، ص 152.

(3) الديوه جي، تاريخ الموصل، ص 152؛ فوزي يحيى، تاريخ الدولة العباسية، ص 61.

(4) فاروق فوزي، النهوض العربي، ص 114.

(5) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 170؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 181، السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 194 – 195.

التي أصبحت تحت حكمه بمبلغ من المال يؤديه عنها[1]. ويبدو أن المقلد كان على يقين أن بهاء الدولة لن يستطيع رفض هذا العرض خاصة وأنه مشغول بحرب أخيه صمصام الدولة، فهو لا يريد فتح جبهة أخرى في القتال، ناهيك عن حاجته للأموال لصرفها على قواته فألجأت الضرورة بهاء الدولة إلى قبول العرض مداراة للمقلد، وكأن الحال أن كلاً منهما يتحين الفرصة لكي ينقض على الآخر. فأرسل أبا الحسن علي بن طاهر، الذي اتفق مع المقلد على مجموعة من الشروط حملها أبو الحسن علي بن طاهر إلى بهاء الدولة[2].

لم يأبه المقلد العقيلي بما تم الاتفاق عليه مع نائب بهاء الدولة من شروط، إذ سرعان ما نقض الاتفاق، فأخذ يوسع نفوذه في الأعمال، وجمع الأموال لنفسه، حتى اشتكى المقطعون منه، واستنجدوا بأبي علي بن إسماعيل – نائب بهاء الدولة الجديد – الذي بادر بالاستعداد للخروج إليه واستدعى أصحابه، وعسكروا بظاهر بغداد، فباغتهم المقلد العقيلي ليلاً واقتتل معهم، فقتل من جيش بهاء الدولة العدد الكبير، وعاد أصحاب المقلد إلى الموصل، ولما علم بهاء الدولة بتجرؤ المقلد على مهاجمة بغداد انزعج لذلك، وأدرك خطورة الموقف، مما اضطره إلى المصالحة، فأرسل أبا جعفر الحجاج بن هرمز لمصالحة المقلد، وإلقاء القبض على أبي علي بن إسماعيل [3].

سار أبو جعفر الحجاج بن هرمز إلى بغداد، فراسله المقلد في الصلح واتفقا على مجموعة من الشروط منها:

---

[1] الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 170؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 181– 182؛ الديوه جي، تاريخ الموصل، ص 153.

[2] الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 170.

[3] الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 171؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 182؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 195.

1- أن يحمل المقلد مبلغ عشرة آلاف دينار لبهاء الدولة. تحمل إلى الخزينة بواسط ويقود معها خيلاً.

2- أن يرفع المقلد يده عن الاقطاعات، ويقنع بما يقرر له من رسوم الحماية عنها.

3- أن يمكن المقلد عمال بهاء الدولة من المحلول، ويساعدهم في استيفاء الحقوق السلطانية.

4- أن يفرج المقلد عن الديلم المأسروين.

5- أن يخطب المقلد لأبي جعفر بعد بهاء الدولة في الموصل.

6- أن يحمل المقلد مبلغ مليون درهم لبهاء الدولة سنوياً.

أما الشروط التي اشترطت على بهاء الدولة لصالح المقلد فهي[1]:

1- أن يخلع على المقلد الخلع السلطانية من دار الخلافة. فهو يريد اعترافاً رسمياً صادر من الخليفة بولايته على الموصل، وقد نال ذلك.

2- أن يكنى ويلقب حسام الدولة، ويحمل له اللواء، على رسم الأمراء المعترف بهم.

3- أن يعقد له بهاء الدولة على الموصل والكوفة والقصر والجامعين.

4- أن يقلد زعيم العرب.

5- أن يقطع مليون درهم غياثية[2] من المحلول.

---

[1] الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 176؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 182؛ الديوه جي، تاريخ الموصل، ص 153،

[2] الدراهم الغياثية منسوبة الى غياث الدين وهو لقب بهاء الدولة بن بويه. انظر: ابن الاثير، الكامل، ج7، ص 162 (هامش 3).

إن فرض مثل هذه الشروط لدليل واضح على قوة المقلد وحنكته السياسية، إذ استغل الظروف الصعبة التي تمر بها على دار الخلافة ودار المملكة ببغداد مما اضطر الخليفة والأمير البويهي للاعتراف به كزعيم للعرب، وأمير الموصل وتوابعها.

شعر المقلد بقوته، وأدرك مدى ضعف جيش البويهيين، وأن الطريق أمامه لتوسيع نطاق حكمه أصبحت مفتوحة، فهو لهم يفِ بالشروط التي اتفقها مع بهاء الدولة سوى حمل المال المعجل وإطلاق الأسرى من الديلم[1]. لذلك اعتبره البعض المؤسس الحقيقي للدولة العقيلية[2].

تمكن المقلد من تأمين جانب البويهيين، ليتفرغ إلى حل بعض المشاكل الداخلية إلى واجهته في الموصل. فقد عاد المقلد إلى الموصل سنة 387 هـ/ 997م وأراد التخلص من أخيه علي الذي كان شريكاً له في حكم الموصل بموجب اتفاق تم بينهما. وبعد أن تم له أمر التخلص من هذه المشاكل[3] ؛ أخذ يوسع حدود بلاده. فاستولى على داقوقا وخانيجار، وعين دبوس الدولة أبا محمد جبرائيل نائباً عنه فيها[4].

لم يقف طموح المقلد العقيلي عند هذا الحد، خاصة وأن الخلافة العباسية في ضعف وانحلال، والبويهيين في نزاع أسري، بل أصابه الغرور وطمع في السيطرة على بغداد، ليحل محل البويهيين، فقد ذكر بعض المؤرخين أن المقلد" راسل جماعة كثيرة من وجوه الأولياء ببغداد، واستمالهم ووعدهم وأطمعهم، وحدث نفسه بدخول الحضرة، والاستيلاء على المملكة، وأصل في ذلك أصولاً، كاد غرضه بها يتم "[5] إلا أن المشيئة الإلهية كانت أسرع إليه من تنفيذ مما عزم عليه، إذ قتل المقلد بشكل

---

(1) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 176؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 182.

(2) الديوه جي، تاريخ الموصل، ص 153.

(3) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 180– 181؛ ابن الأثير، الكامل ج7، ص 186 – 186؛

(4) الصابئ، تاريخ، ج7، ص 24؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 187؛ الديوه جي، تاريخ الموصل، ص 153 فاروق فوزي، النهوض العربي، ص 114؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 195.

(5) الصابئ، تاريخ، ج7، ص 33، ابن الأثير، الكاملن ج7، ص 209، الديوه جي، تاريخ الموصل، ص 155.

مفاجئ على يد بعض مماليكه الاتراك في الأنبار سنة 391 هـ/ 1000م وذلك انتقاما منه لانه قتل بعضهم بعد هروبهم[1]. مفشلاً بقتله جميع خططه في السيطرة على بغداد.

تولى قرواش بن المقلد إمرة العقيليين بعد مقتل والده سنة 391 هـ/ 1000م، فسار على النهج نفسه الذي سار عليه والده في مقارعة البويهيين. ففي سنة 392 هـ / 1001م قاد قرواش جمعاً من بني عقيل وبني مزيد[2] وحاصر المدائن في محاولة للسيطرة عليها، وضمها لحكمه، إلا أنه اصطدم بجيش أبي جعفر الحجاج بن هرمز – نائب بهاء الدولة– ووقعت بينهم حروب، كانت الغلبة فيها في بداية الأمر للعقيليين، إذ قتل وأسر عدد كبير من جيش البويهيين. ولكن سرعان الأمور ما انقلبت على العقيليين؛ فقد تمكن أبو جعفر الحجاج بن هرمز من جمع فلول جيشه، وأعاد ترتيبه، ثم هاجم العقيليين وحلفاءهم من بني مزيد، وتمكن من الانتصار عليهم بنواحي الكوفة وقتل وأسر منهم الكثير[3]. ولم يكتف أبو جعفر الحجاج بن هرمز بذلك بل أراد معاقبة بني مزيد، لوقوفهم إلى جانب العقيليين في حربهم ضده، فتتبعهم في مساكنهم، فقتل منهم من قتل ونهب البيوت والأموال، فاستغل قرواش العقيلي ذلك وهب لنجدة بني مزيد؛ فالتحم مع جيش أبي جعفر في معركة قرب الكوفة، أسفرت عن هزيمة العقيليين، على الرغم من كثرة الخسائر التي لحقت بالجيش البويهي[4].

---

[1] الصابئ، تاريخ، ج7، ص 33، ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 209؛ فاروق فوزي، النهوض العربي، ص 114.

[2] سيتم الحديث عنهم لاحقا تحت عنوان(الصراع مع بني مزيد – امراء الحلة).

[3] الصابئ، تاريخ، ج 7، ص 49؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 214؛ أبو الفداء، المختصر، ص 135؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 195.

[4] الصابئ، تاريخ، ج7، ص 53 فما بعد؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 214 ؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج5، ص263 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص88؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص224، 227؛ الزهراني، محمد مسفر، نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1982، ص67–68؛ فوزي يحيى، تاريخ الدولة العباسية، ج2، ص 60.

بقي قرواش العقيلي يفتعل المشاكل للبويهيين، ويقضّ مضاجعهم بين الحين والآخر، علـه يظفر بما حلم به آباؤه من السيطرة على بغداد، وتكوين إمارة قوية، تتمكن من التخلص من النفوذ البويهي . ففي سنة 401هـ/1010م أخذ قرواش يتقرب من الفاطميين، ولعل هذا التقارب بين العقليين والفاطميين كان بسبب الميول السياسية لدى قرواش العقيلي المتمثلة في الحصول على الدعم خاصة بعد الخلاف بين الفاطميين والبويهيين، بعد أن كاتبوه واستمالوه لجانبهم. إذ وجد فيهم القوة التي يمكن أن يعتمد عليها للقضاء على البويهيين الذين أخذت قوتهم تضعف مع ضعف الخلافة العباسية نفسها، فبادر إلى إعلان الخطبة للحاكم بأمر الله الفاطمي في بلاده كلها والتي تضم (الموصل، الأنبار، المدائن، الكوفة وغيرها)، فنراه يميل دائماً مع الكفة الراجحة لتحقيق مصالحه معلناً بذلك التمرد والعصيان، بميله مذهبياً وسياسياً للفاطميين العدو اللدود للعباسيين، الذين طالما سعوا للقضاء على الخلافة العباسية؛ اذ أحضر قروش الخطيب واعطاه نسخة من الخطبة جاء فيها:" الله اكبر الله اكبر لا اله إلا الله، والله اكبر ولله الحمد، الحمد لله الذي انجلت بنوره غمرات الغضب، وانهدت بقدرته اركان النصب، وأطلع بنوره شمس الحق من الغرب؛ الذي محا بعدله جور الظلمة، وقصم بقوته ظهر الغشمة، فعاد الامر الى نصابه، والحق الى اربابه، البائن بذاته، المنفرد بصفاته، الظاهر بآياته، المتوحد بدلالاته، لم تفنه الأوقات فتسبقه الازمنة، ولم يشبه الصور فتحويه الامكنة، ولم تره العيون فتصفه الالسنة، سبق كل موجود وجوده، وفات كل جود جوده، واستقرّ في كل عقل توحيده، وقام في كل مرأى شهيده. احمده كما يجب على اوليائه الشاكرين تحميده، واستعينه على القيام بما شاء ويريده، واشهد له بما شهد اصفياؤه وشهوده. اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة لا يشوبها دنس الشرك، ولا يعتريها وهم الشك، خالصة من إلادهان، قائمة بالطاعة وإلاذعان.واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، اصطفاه واختاره لهداية الخلق، وإقامة الحق، فبلّغ الرسالة وأدى الامانة، وهدى من

الضلالة؛ والناس حينئذ عن الهدى غافلون، وعن سبيل الحق ضالّون، فأنقذهم من عبادة الاوثان، وأمرهم بطاعة الرحمن، حتى قامت حجج الله وآياته، وتمت بالتبليغ كلماته، صلى الله عليه وعلى اول مستجيب اليه علي امير المؤمنين، وسيد الوصيين، اساس الفضل والرحمة، وعماد العلم والحكمة، واصل الشجرة الكرام البررة، النابتة في الارومة المقدسة المطهرة، وعلى خلفائه الاغصان البواسق من تلك الشجرة، وعلى ما خلص منها وزكا من الثمرة. أيها الناس، اتقوا الله حق تقاته، وارغبوا في ثوابه واحذروا من عقابه، فقد تسمعون ما يتلى عليكم من كتابه؛ قال الله عز وجل: (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم).

فالحذر ثم الحذر، فكأنى وقد أفضت بكم الدنيا إلى الآخرة، وقد بان أشراطها، ولاح سراطها؛ ومناقشة حسابها، والعرض «1» على كتابها؛ (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره). اركبوا سفينة نجاتكم قبل أن تغرقوا، (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ؛ وأنيبوا إليه خير الإنابة، وأجيبوا داعى الله على باب الإجابة؛ قبل (أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله...– إلى قوله:– فأكون من المحسنين).

تيقظوا من الغفلة والفترة، قبل الندامة والحسره؛ وتمنى الكر والتماس الخلاص، ولات حين مناص؛ وأطيعوا إمامكم ترشدوا، وتمسكوا بولاة العهود تهتدوا؛ فقد نصب الله لكم علما لتهتدوا به، وسبيلا لتقتدوا به؛ جعلنا الله وإياكم ممن تبع مراده، وجعل الإيمان زاده، والهمة تقواه ورشاده؛ أستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المؤمنين». ثم جلس وقام وقال: «الحمد لله ذى الجلال والإكرام، وخالق الأنام ومقدر الأقسام، المنفرد بحقيقة البقاء والدوام؛ فالق الإصباح، وخالق الأشباح، وفاطر الأرواح؛ أحمده أولاً وآخراً، وأشكره باطناً وظاهراً، وأستعين به إلها قادراً، وأستنصره وليا ناصرا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، شهادة من أقر بوحدانيته إيمانا، واعترف بربوبيته

إيقاناً؛ وعلم برهان ما يدعو إليه، وعرف حقيقة الدلالة عليه. اللهم وصلّ على وليك الأزهر، وصديقك الأكبر؛ علي بن أبى طالب أبى الخلفاء الراشدين المهديين. اللهم وصلّ على السبطين الطاهرين الحسن والحسين، وعلى الأئمة الأبرار الصفوة الأخيار من أقام منهم وظهر، ومن خاف منهم واستتر، اللهم صل على الإمام المهدي بك، والذي بلغ بأمرك واظهر حجتك ونهض بالعدل في بلادك هاديا لعبادك، اللهم صلى على القائم بأمرك وعلى المنصور بنصرك اللذين بذلا نفوسهما في رضاك وجاهدا أعداءك، اللهم صلّ على المعز لدينك، المجاهد في سبيلك، المظهر لآياتك الحقية والحجة الجلية. اللَّهمّ صل على العزيز بك الذي مهدت به البلاد وهديت به العباد، اللهم اجعل توافى صلواتك وزواكي بركاتك على سيدنا ومولانا إمام الزمان وحصن الإيمان وصاحب الدعوة العلوية والملة النبوية عبدك ووليك المنصور أبي على الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، كما صليت على آبائه الراشدين وأكرمت أولياءك المهتدين، اللهم أعنه على ما وليته، واحفظه فيما استرعيته، وبارك له فيما أتيته وانصر جيوشه، وأعل أعلامه في مشارق الأرض ومغاربها، إنك على كل شيء قدير"[1]. ولما وصل الخبر إلى الخليفة القادر بالله، انزعج وأرسل إلى بهاء الدولة يعلمه بالأمر. فخاف بهاء الدولة على ملكه وملك بني بويه، إذا ما اتحد العقيليون مع الفاطميين. فأرسل بهاء الدولة جيشاً بقيادة عميد الجيوش أبي علي بن استاذ هرمز لمحاربة قرواش العقيلي. ويبدو أن قرواش أحسّ بخطورة الموقف، وأيقن خطورة الإنضواء تحت قوة جديدة ناشئة تطمع في احتلال العراق، وإسقاط الخلافة العباسية. وبالتالي فرض سيطرتها على جميع العراق بما في ذلك البلاد الواقعة تحت حكم العقيليين. لذلك ارسل قرواش يعتذر

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 76 فما بعد؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص253(مختصرا)؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص224–227.

للخليفة العباسي، وابطل الخطبة من الموصل وأعمالها للفاطميين، ويعيد الخطبة للخليفة العباسي، فهو بذلك يرى أن سلامة ملكه وبقاءه مرتبطة بشكل وثيق الصلة بوجود خلافة عباسية ضعيفة[(1)].

ويذكر المقريزي أن الدعوة اقيمت للخليفة الظاهر لاعزاز دين الله في البصرة والكوفة والموصل وعدة من بلاد المشرق، وذلك بسبب تغلب الجند الاتراك على بغداد، واخراجهم الجند الديالمة منها الى البصرة، وانتقاماً منهم اعلن الجند الديالمة الخطبة للخليفة الظاهر في البصرة والكرخ بينما اعلن الجند الاتراك الخطبة للخليفة القادر بالله العباسي في بغداد [(2)].

وقد تكرر إعلان قرواش العقيلي التبعية للخلافة الفاطمية سنة 436هـ/1044م عندما نجح الخليفة المستنصر بالله الفاطمي في استمالته الى جانبه وأرسل اليه الأعلام والخلع، فلبسها تعبيراً عن تبعيته السياسية لهم، لتحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب السياسية؛ إلا أن الخليفة القائم بأمر الله العباسي أرسل إليه يلومه ويعاتبه على ذلك، فاعتذر قرواش للخليفة، ولبس السواد- شعار العباسيين- واعلن قطع الخطبة للفاطميين، وإعلانها للعباسيين[(3)].

كما يعزو بعض المؤرخين السبب وراء تبعية قرواش العقيلي للفاطميين بإعلان الخطبة لهم في مناطق حكمه، إلى الدور الذي قام به رسل ودعاة الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي ومكاتباته له، والتي أسفرت عن النجاح في استمالة قرواش الى جانبهم، وبالتالي إعلان التبعية السياسية لهم، بإعلان الدعوة الفاطمية في الموصل[(4)].

[(1)] ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 74 فما بعد؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 253 – 254؛ أبو الفداء، المختصر ص 139 – 140؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص227؛ الديوه جي، تاريخ الموصل، ص 159؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص67-68.

[(2)] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص168.

[(3)] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص193؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص69.

[(4)] ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 76-77؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص224-225؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص67.

ويبدو أن السبب الحقيقي وراء هذه التبعية هو الحصول على أكبر قدر ممكن من المكاسب، خاصة أن الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي كان قد أرسل مبلغ ثلاثين ألف دينار الى قرواش ثمناً لتبعيته لهم، إلا أن رسول الخليفة الحاكم بأمر الله لم يسلم المال لأنه عند وصوله الى الموصل، كان قرواش العقيلي قد قطع الخطبة للفاطميين، وأعادها للعباسيين. [1]

عاد الخلاف يدبّ بين جلال الدولة البويهي وقرواش العقيلي من جديد. ففي سنة 431 هـ/ 1039م جرى من قرواش ما يدل على طمعه في السيطرة على بغداد، إذ أرسل جيشاً لمحاصرة خميس بن ثعلب بتكريت، الذي لجأ إلى الإستنجاد ببهاء الدولة مقابل مبلغاً من المال لنصرته، فأرسل بهاء الدولة لقرواش يطلب منه فكّ الحصار. إلا أن الأخير لم يمتثل لطلب بهاء الدولة، بل زاد الطين بلة أن سار بنفسه بجيشه وزاد في محاصرة تكريت، مما أغضب جلال الدولة منه، كما حدث أن قرواش استمال الجند الأتراك في بغداد إلى جانبه، وأخذ يفسدهم على بهاء الدولة ويحرضهم على الشغب وإثارة الفتنة، ولعله بذلك يسعى إلى التدخل في شؤون بغداد الداخلية[2]. فأرسل جلال الدولة أبا الحارث البساسيرى سنة 432هـ/1040م ليقبض على نائب قرواش بالسندية[3] جنوبي بغداد، فاجتمع العرب ضده وحاربوه، ثم جمع جلال الدولة عساكره وسار إلى الأنبار – وهي لقرواش – فاستعصت عليه، ثم فكّ قرواش حصار تكريت وتوجه إلى الأنبار لقتال بهاء الدولة، إلا أن الظروف

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 77.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 28؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 196؛ حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج3، ص 66.

(3) السندية: قرية من قرى بغداد على نهر عيسى بين بغداد وبين الانبار. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص268.

وقفت إلى جانب بهاء الدولة؛ إذ اختلف بنو عقيل على قرواش مما دفعه إلى طلب الصلح، فعاد إلى طاعته، وعاد كل إلى مكانه[1].

بقي العقيليون على منهجهم في مناوشة البويهيين بين الحين والآخر. ففي سنة 441 هـ/ 1049م نهب جمع من بني عقيل أموالاً كثيرة من بلد العجم من أعمال العراق وبادوريا. وكانت هذه المناطق من إقطاع البساسيري، ولما حاول البساسيري استعادتها اصطدم مع قوة العقيليين بزعامة أبي كامل بن المقلد، في معركة قوية، لم يحقق فيها البساسيري هدفه من استعادة الأموال المنهوبة[2].

وهكذا ظل العقيليون يقاومون الوجود البويهي ورغبتهم بالسيطرة على مناطق نفوذهم في الموصل وما يتبعها، مدفوعين بذلك بتحقيق مصالحهم السياسية، دون الالتفات إلى مذهبية البويهيين المغالية الذين طالما سعوا لاسقاطهم والتخلص منهم.

رابعاً- الحروب مع بني مزيد- امراء الحلة (387-548هـ/997-1153م)

ينتسب بنو مزيد إلى بني أسد بن خزيمة، وهم من العرب العدنانية، وكانت مساكنهم تمتد من بغداد إلى البصرة إلى نجد[3]. وكان لهم ملك في الحلة من العراق. وأول من ملك منهم علي بن مهدي الأسدي، ثم ابنه دبيس، وبقوا في حكم الحلة إلى أن انقرض ملكهم[4].

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 28؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 35؛ الديوه جي، تاريخ الموصل، ص 163؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص196.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 51؛ فوزي يحيى، تاريخ الدولة العباسية، ص 62؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 196.

(3) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1984، ص 374-375؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 331؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص191.

(4) القلقشندي، نهاية الأرب، ص 374-375.

انتهت رئاسة المزيديين في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي إلى مزيد بن مرثد بن الديان[1]– هو جد آل مزيد المنتشرين بين العراق ونجد[2].

كانت أولى علاقات المزيديين مع البويهيين عندما طلب الوزير أبو محمد المهلبي – وزير معز الدولة البويهي – من زعيمهم مزيد بن الديان حماية منطقة سورا[3] وسوادها[4]. ولذلك يمكن القول ان البدايات السياسية الاولى لبني مزيد كانت قبل سنة 352هـ/963م وهي السنة التي توفي فيها الوزير ابو محمد المهلبي. وقد اعتبر بعض المؤرخين هذا الحدث بداية النشاط السياسي للمزيديين[5]. إذ يعبر– ولو في ظل ظروف طارئة – عن اعتراف ضمني من البويهيين بوجودهم.

تميزت علاقة بني مزيد مع البويهيين بالتذبذب، فهم يقفون تارة إلى جانبهم ويصانعوهم، وتارة يكونون ضدهم ويحاربونهم. ويعزى هذا التذبذب إلى ارتباطه بقوة أو ضعف البويهيين أنفسهم.

---

(1) مزيد بن مرثد بن الديان (... – نحو 370 هـ /... – نحو 980م): من بني عوف، من ثعلبة، من بني أسد بن خزيمة، من عدنان: جد آل مزيد أصحاب (الحلة المزيدية) بين الكوفة وبغداد. كان أول من اشتهر منهم ولده علي بن مزيد، صاحب الوقائع مع الدبيسيين، وخلفه ابنه دبيس بن علي، ثم منصور بن دبيس، فأبو الحسن صدقة بن منصور الذي بنى الحلة المزيدية، وتلاه ابنه دبيس الذي ذكره الحريري في مقاماته، ثم صدقه بن دبيس، ممحمد بن دبيس، فعلي بن دبيس، وهو أخرهم، وبه اضمحلت امارتهم، وورثت خفاجة بلادهم في العراق. أنظر: الحلي، هبة الله محمد بن نما(ت ق 6هـ/12 ميلادي) المناقب المزيدية في اخبار الملوك الاسدية، تحقيق: محمد خريسات وصالح درادكة، عمان: الرسالة الحديثة، ط1، 1984، ج1، ص362؛ ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، ج7، ص3478؛ ابن خلدون، العبر، ج3، ص534–535، ج4، ص308–309، 331–332؛ الزركلي، الأعلام، ج7، ص 212.

(2) انظر: الحلي، المناقب المزيدية، ج1، ص362؛ الزركلي، الأعلام، ج7، ص 212؛ فوزي يحيى، تاريخ الدولة العباسية، ص 60؛ فاروق فوزي، النهوض العربي، ص 105.

(3) سورا: موضع بالعراق من ارض بابل. وهي مدينة السريانيين، وهي قريبة من الوقف والحلة المزيدية. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص278.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، بيروت: دار صادر، ط1، د. ت، ج9، ص235؛ فوزي يحيى، تاريخ الدولة العباسية، ص 60.

(5) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، بيروت: دار صادر، ط1، د. ت، ج9، ص235؛ السامرائي، تايخ الدولة العربية، ص191.

كما يمكن إضافة ميزة أخرى لهذه العلاقة وهي الانتهازية التي مارسها بنو مزيد في استغلالهم للخلافات والصراعات التي نشأت داخل البيت البويهي لصالحهم، فكثيراً ما كانوا يقفون إلى جانب طرف ضد الطرف الآخر، إذا وجدوا أن كفة القوة والغلبة ستكون إلى جانبه.

كان أول من اشتهر من المزيديين علي بن مزيد[1]، الذي شق عصا الطاعة عن البويهيين مستغلاً الظروف التي تمر بها الخلافة العباسية من ضعف وهوان، وإنشغال الأمراء البويهيين بالصراعات الداخلية، بالإضافة إلى المعاناة التي يقاسونها في مواجهة القوى العربية الأخرى في مناطق مختلفة من العراق. ففي سنة 387 هـ/ 977 أعلن علي بن مزيد الاستقلال عن البويهيين، وخلع طاعة بهاء الدولة البويهي، وأغار مع قومه بني أسد على نواحي واسط للسيطرة عليها، وقد كان لهذا الفعل الأثر السيء على بهاء الدولة الذي لم يهدأ له بال منذ توليه الحكم، بسبب انشغاله في مقاومة الامارات العربية كالإمارة الحمدانية والعقيلية والشاهينية والمزيدية وغيرها. مما أغضب بهاء الدولة، واضطره إلى عقد الصلح مع المقلد العقيلي مع اعترافه به أميراً على الموصل، ليتفرغ لتأديب بني مزيد، ولعل بهاء الدولة استهان بقوة بني مزيد، فأراد معاقبتهم حتى يظهر قوته على غيرها من القبائل العربية، فأرسل جيشين لمحاربتهم، كان الجيش الأول قد خرج من بغداد بقيادة أبي جعفر الحجاج بن هرمز[2]

---

[1] علي بن مزيد: (... – 408 هـ/... 1018م): هو سند الدولة أبو الحسن علي بن مزيد الأسدي، أول الأمراء المزيديين، أصحاب الحلة، كان شجاعاً اشتهر بوقائعه مع بني دبيس، وقلده فخر الدولة البويهي أمر الجزيرة الدبيسية سنة 403 هـ/ 1013م، وقاتله مضر بن دبيس، فانتزعها منه، بعد حرب طويلة. وانحصرت إمارة ابن مزيد في نواحي الحلة، توفي سنة 408 هـ/ 1018م. أنظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 127؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 299.

[2] الحجاج بن هرمز: ابو جعفر. كان نائب بهاء الدولة على العراق، ندبه لحرب الاعراب والاكراد، كان متقدماًفي ايام عضد الدولة، وله خبرة ومعرفة بالحوب، وكانت له هيبة عظيمة وشجاعة معروفة واراء صائبة، ولما خرج من بغداد سنة 392هـ/1001م كثرت فيها الفتن والسرقات. توفي في الاهواز سنة 400هـ/1009م. ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص72؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 188.

والثاني من واسط بقيادة أبو العباس بن ماسرجس[1]، فاجتمع الجيشان على مشارف واسط وذلك سنة 387 هـ /977م، وتوحدت جهودهم للقضاء على قوة المزيديين الناشئة[2].

لم يكن بمقدور علي بن المزيد الوقوف في وجه الجيش البويهي الكبير، ففضل الانسحاب من أمامه، والاحتماء بالآجام المنيعة التي يصعب على الجيش النظامي دخولها، ولعله في ذلك مستفيداً من تجربة عمران بن شاهين وهو يقارع الجيش البويهي، ويمارس معه حرب العصابات، وهو متحصن داخل أجام البطائح. وأخذ يترقب مجريات الأمور دون أن يشتبك في قتال مع الجيش البويهي، ولما كان من المتعذر على الجيش البويهي التحرك في مثل تلك المناطق، كما يصعب نقل المؤن والإمدادات إليه، بالإضافة إلى وجود مخاطر أخرى تنتظر تحركاً سريعاً، فقد تراسل الطرفان من أجل الصلح. فأقر بهاء الدولة على مصالحته[3]. ويشير الروذراوري إلى أن قادة بهاء الدولة تتبعاه، فراسلهما واستعطفهما، وطلب منهما التوسط بينه وبين بهاء الدولة لاصلاح الامور بينهما، ودفع مقابل ذلك مبلغاً كبيراً من المال[4] بمعنى أن علي بن مزيد أيقن أنه لا قبل له في مقاومة الجيش البويهي المنظم والكبير العدد والعدة، ففضل مداراة بهاء الدولة والاعتذار له عما بدر منه، مقابل أن يحصل على بعض المكاسب الشخصية باقراره على ما يتولى الخدمة فيه، مما يعني أيضاً انتزاع الاعتراف الرسمي

---

(1) ابو العباس بن ماسرجس: وزير بهاء الدولة البويهي، ارسله بهاء الدولة لمساندة جيش ابي جعفر الحجاج بن هرمز من واسط لقتال علي ين مزيد، اقام اولا في الكوفة ثم توجه الى البطيحة واقام فيها. الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج 6، ص 177–178.

(2) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج 6، ص 177؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 188؛ ابن خلدون، العبر، ج3، ص 536؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 191.

(3) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 177؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 188.

(4) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، صت 177؛ انظر: ابن خلدون، العبر، ج3، ص 36 ..

من السلطة البويهية بوجوده. أما ابن الأثير فإنه يذكر أن بهاء الدولة هو من بادر إلى الصلح، خاصة بعد أن هرب علي بن مزيد واعتصم داخل الآجام، ولم يتمكن الجيش من الوصول إليه[1].

أما عن السبب الكامن وراء إقدام علي بن مزيد على مثل هذه الخطوة والجريئة من خلع طاعة بهاء الدولة، فإن الروذراوري يعزوها إلى أن بهاء الدولة طالب المزيديين بأموال يؤدوها إليه، ويبدو أن حاجة بهاء الدولة للأموال للانفاق على الحملات العسكرية التي جردها في حربه مع أمراء البيت البويهي، بالإضافة إلى حاجته لإسكات الجند الجشع المتذمر، والمطالب دوماً بالأموال التي أصبحت عادة للجند يستخدمها كلما سنحت له الفرصة بذلك. الأمر الذي دفعه إلى مطالبة المزيديين بالأموال. وكان من نتيجة ذلك أن استوحش علي بن مزيد من بهاء الدولة، "فكاشفه بالخطاب، وانتسب إلى طاعة صمصام الدولة- الذي كان في حرب مع بهاء الدولة – وأقام الخطبة له، وأطلق لسانه بكل ما يوجب السياسة الإمساك عنه"[2].

وفي وقعة المدائن التي كانت بين قوات القبائل العربية المؤلفة من بني عقيل وبني مزيد من جهة وبين الجيش البويهي من جهة ثانية سنة 392 هـ/ 1001م، حيث ساعد علي بن مزيد العقيليين وساندهم حين تعرضوا لهجوم بويهي قوي قرب المدائن، والحقوا الهزيمة بالجيش البويهي في بداية الأمر[3]، إلا أن المزيديين دفعوا ثمناً باهظاً لقاء موقفهم ذلك، فبعد انتصار أبي جعفر الحجاج بن هرمز – قائد جيش بهاء الدولة – على العقيليين وحلفائهم أراد معاقبة المزيديين لوقوفهم إلى جانب العقيليين في حربهم ضده، فتتبعهم حتى مساكنهم، فهاجمها وطرح النار فيها، وانهزم علي بن مزيد،

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 188.

(2) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 177.

(3) الصابئ، تاريخ، ج7، ص51؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 214؛ ابن خلدون، العبر، ج3، ص441؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص192؛ فاروق فوزي، النهوض العربي، ص 106.

ونهبت حلله وبيوته وأمواله. " فأخذوا من العين والورق والحلي والصياغات والثياب الشيء الذي تجاوز الحصر... وامتلأت أيدي الجميع وحقائبهم بالمال والجلال من الأثاث"[(1)].

لجأ بهاء الدولة البويهي إلى أسلوب سياسي في محاولة لإخضاع بني مزيد للطاعة البويهية، كما كان يهدف إلى الحيلولة دون قيام أي تحالف بين القوى العربية المختلفة، مما قد يشكل تهديداً مباشراً للوجود البويهي في العراق كله، ففي سنة 393 هـ/ 1002م اعترف البويهيون رسمياً بسلطة المزيديين على المناطق الواقعة تحت حكمهم، على أن يدفع المزيديون مبلغاً سنوياً مقداره أربعين ألف دينار لخزينة بهاء الدولة[(2)]. ولعل في هذه الخطوة محاولة لربط الوجود السياسي للمزيديين بسلطة البويهيين في بغداد، مما يعني بالمقابل اعتراف المزيديين بسلطة وشرعية الوجود البويهي في بغداد. لذا لم يعد هناك من داع للخروج على السلطة الشرعية المعترفة بالوجود المزيدي[(3)]

ويبدو أن البويهيين ظلوا يتخوفون من طموح القوى العربية الرافضة للوجود البويهي الأجنبي، على الرغم من المحاولات المتكررة من جانبهم للصلح معهم تارةً، وبالإعتراف الرسمي بهم تارة أخرى، فقد حاول البويهيون ضرب القوى العربية بعضها ببعض لزرع الفتنة بينها حتى لا تتوحد معاً ضدهم. ففي سنة 397هـ / 1006م حاول البويهيون كسب علي بن مزيد إلى جانبهم على حساب قرواش العقيلي، فقد عزل قرواش عما كان بيده من مناطق، وولي مكانه علي بن مزيد. كما خلع عليه الخلع السلطانية، وأعطي لقب سند الدولة[(4)].

---

(1) الصابئ، تاريخ، ج7، ص 52؛ أنظر: ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 214؛ ابن خلدون، العبر، ج 3، ص 536 ؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص192.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 37 – 39؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 356.

(3) فاروق فوزي، النهوض العربي، ص 106؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 192؛ فوزي يحيى، تاريخ الدولة العباسية، ج2، ص 60.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 54؛ ابن كثير، البداية والنهاية ج 11، ص 362؛ فاروق فوزي، النهوض العربي، ص 106.

لم يكتب لهذه السياسة النجاح، مما يعني أن القوى العربية من عقيليين ومزيديين أدركوا تمام الإدراك الأهداف البويهية، بل أن المزيديين والعقيليين نجحوا في الإستفادة من الإضطرابات والصراعات بين الأمراء البويهيين ونوابهم في بغداد. ففي سنة 397 هـ / 1006م رجع علي بن مزيد من عند بهاء الدولة – وكان مقيماً في خوزستان– وهو حاقد عليه لأمر ما، وقرر الإنضمام إلى العقيليين والأكراد الذين انضموا بدورهم إلى قوات أبي جعفر الحجاج بن هرمز الذي عزله بهاء الدولة، بعد أن استنجد بالقبائل العربية الحاقدة على البويهيين، وحاصروا بغداد لمدة شهر كامل، إلا أنهم اضطروا إلى فك الحصار لما وصلهم خبر انتصار جيش بهاء الدولة بقيادة عميد الجيوش على ابو العباس بن واصل[1] بالبطيحة مما أوهن من عزيمة المحاصرين، فعاد علي بن مزيد إلى منطقته[2].

استعمل البويهيون سياسة الظاهر والباطن في تعاملهم مع المزيديين، ففي الظاهر كانوا يخطبون ودهم، ويتوددون لهم كلما اتسع نفوذهم، وكثر إتباعهم. وفي الباطن كانوا يعملون على إضعافهم للحيلولة دون قيام إمارة عربية، يمكن أن تقض مضاجعهم، فاتبعوا في سبيل تحقيق ذلك أسلوب ضرب القوى العربية بعضها ببعض، وتعميق الصراع الأسري داخل الأسرة المزيدية. إذ نجح البويهيون في تحريض بني دبيس[3] ضد بني مزيد حتى نشبت الحرب بينهما سنة 401 هـ / 1010م حيث كان السبب المباشر لهذه الحرب هو أن أبا الغنائم محمد بن مزيد– أخا علي بن مزيد – كان يقيم عند أصهاره بني دبيس في جزيرتهم في خوزستان، فقتل أحد زعمائهم، وهرب إلى أخيه علي بن مزيد، فقامت الحرب بين الطرفين، فاستنجد علي بن مزيد بقائد جيش بهاء الدولة،

[1] ابو العباس بن واصل: كان يخدم الكرج، استولى على سيراف ثم البصرة، وقصد الاهواز وهزم بهاء الدولة البويهي، ثم استولى على البطيحة بعد ان اخرج منها مهذب الدولة علي بن نصر واخذ امواله، قتله بهاء الدولة في واسط سنة 397هـ/1006م. ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 37، 57؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 323، 329، 332–333؛ ابو الفداء، المختصر، ج1، ص483–484؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج27، ص348.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 232 – 233؛ ابن خلدون، العبر، ج 3، ص 537؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 192 – 193.

[3] بنو دبيس: من عشائر بني مزيد، كانوا يقيمون في خوزستان. ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص103؛ ابن خلدون، العبر ، ج4، ص331.

الذي بادر على الفور وأمده بعسكر من الديلم، إلا أن الدائرة كانت عليهم وهزم المزيديون، وقتل أبو الغنائم نفسه[1]. ثم تجددت الحرب بينهما سنة 405هـ / 1014م انتصر المزيديون فيها في البداية حيث قتل فيها ابني دبيس، واستولى علي بن مزيد على بيوتهم وأموالهم، فوجد عندهم كتب اتفق فيها الوزير فخر الملك – وزير بهاء الدولة – مع بني دبيس يحرضهم على بني مزيد، ويعدهم بالنصرة، مما تسبب بنفور علي بن مزيد من فخر الدولة، ويبدو أن فخر الملك قد خشي عاقبة فعله ذلك، بدليل أنه قلّد ابن مزيد الجزيرة الدبيسية إرضاءً له[2]، ثم انقلبت الأمور على بني مزيد، فقرر علي بن مزيد أن يرحل بعشائره وسائر أتباعه ليتفادى التصادم بين أفراد القبيلة الواحدة الذي يجلب لها الدمار[3] ، ويحقق للبويهيين مبتغاهم.

توفي علي بن مزيد سنة 408 هـ / 1017، بعد أن أصابه المرض في أثناء توجهه إلى بغداد، فبعث ابنه أبا الأغر دبيس للنيابة عنه عند البويهيين. ثم كتب إلى سلطان الدولة البويهي يطلب منه تقليد ابنه دبيس ولاية عهده، وإقراره على أعماله التي كانت في يده؛ فأجيب إلى طلبه. وخلع عليه ولقبه (نور الدولة) [4]. ولعله بهذا الإقرار أراد كسب الأمير المزيدي الجديد ليأمن جانبه.

وفي سنة 411 هـ/ 1020 م نجح البويهيون في سياستهم الرامية إلى ضرب القوى العربية مع بعضها البعض، إذا أشعلوا الخلاف بين بني عقيل وبني مزيد من جديد، خاصة بعد أن نجحوا بضم

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 254؛ أبو الفداء، المختصر، ج1، ص 187؛ ابن خلدون، العبر ، ج3، ص 537؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 193.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 274.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 274؛حسن الأمين، دائرة المعارف الشيعية، ج 20، ص 332.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 127؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 299؛ أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 500.

دبيساً لجانبهم، فأمدوه بالجند من بغداد، فتمكن من هزيمة قرواش العقيلي، وأسره ونهبت خزائنه، فوضع نواب البويهيين أيديهم على أعماله، وسيطروا عليها[1].

ولما تمكن قرواش من الهرب من الأسر، طلب من الأمير البويهي العفو والصفح، إلا أن البويهيين وجدوا الفرصة سانحة أمامهم للتخلص من العقيليين، فقد أثار البويهيون قبيلة خفاجة العربية للتحرش بمناطق تقع تحت سيطرة العقيليين منها مناطق سقي الفرات. ولما أراد قراوش العقيلي محاربتهم، استنجدوا بدبيس المزيدي، الذي وصله عسكر بغداد، فتمكنوا من الانتصار على قرواش، واستولوا على الأنبار التابعة له وذلك سنة 417 هـ/ 1026م[2]

أدرك العقيليون والمزيديون مرامي البويهيين في النيل منهم جميعاً، فقد كان إقحام طرف عربي ثالث – وهم قبيلة خفاجة – في الصراع من قبل البويهيين، عود للتوحد بين الطرفين – " فرب ضارة نافعة"، إذ طمع الخفاجيون، وسيطروا على منطقة الجامعين التي كانت تحت النفوذ المزيدي، ولما علموا بخروج دبيس المزيدي لمحاربتهم، توجهوا إلى الأنبار الخاضعة للعقيليين، فدخلوها ونهبوها وأحرقوا أسواقها، ولم يستطع قرواش العقيلي صدهم بسبب مرضه فتوجه إلى منطقة القصر، فعاد الخفاجيون إلى الأنبار مرة ثانية، وأحرقوها، عندها وجد قرواش أن أفضل ما يفعله هو أن يتحالف مع بني مزيد. إلا أن هذا التحالف لم يمكنهم من التصدي للخفاجيين الذين كانوا مدعومين بالرجال والعتاد من البويهيين، فتمكن الخفاجيون من دخول الكوفة، وخطب فيها لأبي كاليجار البويهي، بعد أن دخل في طاعته، منهياً بذلك حكم بني عقيل على منطقة سقي الفرات وذلك سنة 417 هـ /1026م [3].

---

[1] ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 308؛ أبو الفداء، المختصر، ج1، ص 502؛ فاروق فوزي، النهوض العربي، ص 107.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 325؛ فوزي يحيى، تاريخ الدولة العباسية، ج2، ص 61.

[3] ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 326؛ فاروق فوزي، النهوض العربي، ص 107.

ويبدو أن دبيس المزيدي تمكن من الاستفادة من الظروف التي يمرّ بها البويهيين من خلافات أسرية، فعمد إلى تأجيج الصراع والخلاف بين أقطاب الحكم البويهي المتنازعين على السلطة، فيثيرها حرباً طاحنة بينهم ثم ينسحب بهدوء[1] .

بقيت الحالة السياسية على هذا الوضع الحذر حيث ينتهز كل طرف نقطة ضعف في الطرف الآخر، ويحاول استغلالها لصالحه حتى سقوط البويهيين سنة 447هـ/1055م[2].

ثالثاً- الصراعات والحروب داخل البيت البويهي:

مرت الدولة البويهية بعهدين رئيسين:

الأول: عهد قوة وشباب الدولة، امتدّ من أوائل أمرائهم (معز الدولة، عز الدولة بختيار، وعضد الدولة) 334- 372 هـ/ 945-982م.

الثاني: عهد ضعفها وشيخوختها، التي جاءت مبكرة بسبب المرض المبكر الذي أصابها نتيجة الصراع الذي نشب بين أفرادها 372-447 هـ /982-1055م.

كانت الدولة البويهية أول دولة أجنبية تقوم في مركز الدولة العباسية و تنتمي إلى أصول من عامة السكان، ولم تكن من أسرة ملكية أو أرستقراطية؛ ولما كان البويهيون ديالمة وثيقي الصلة بالتقاليد الديليمة القائمة على التنظيم الأسري والعشائري، فقد طبع ذلك البنية الإدارية والسياسية للدولة البويهية، على الأقل حتى الجيل الأول من هذه العائلة.

ووفقاً للتقليد العائلي فقد احتفظ عماد الدولة بحق النظر والإشراف العام على هذه الإمارات، باعتبار أنه المؤسس الأول للدولة البويهية من جهة، وبصفته الأخ الأكبر – وهو

---

(1) السامرائي، تاريخ الدولة العربية الأسلامية، ص 193.

(2) فاروق فوزي، النهوض العربي، ص 108.

الأهم – من جهة ثانية، إذ كان من ضمن التقاليد العائلية الديلمية أن يطيع الأفراد الأصغر سناً في العائلة من هم أكبر منهم، لذا كان كل من ركن الدولة ومعز الدولة يكنّان كلّ الاحترام والتقدير لأخيهما الأكبر عماد الدولة، ولا يخرجان عن أمره أو مشورته [1].

وبالرجوع إلى لقاءات معز الدولة مع أخيه الأكبر عماد الدولة نجد أنه كان " يقبل الأرض بين يديه"[2] أجلالاً واحتراماً – ويقف ولا يجلس رغم إلحاح عماد الدولة. وكان في زيارته له " يتردد إليه كل يوم بالغداة والعشية فيقف ولا يجلس"[3].

وصل لأسماع عماد الدولة أن خبراً وصل لمعز الدولة حول رغبة أخيه انتزاع بعض المناطق منه، فقال: " من لي حتى احتاج إلى استكثار البلاد وإدخار المال له؟ هذا وأخوه ابناي... وإنما أريد الدنيا لهما، والله ما وافيت إلا لأعقد ما بينهما من الرياسة حتى لا يجري خلاف إن حدثت بي حادثة، فإني عليل كما ترى. وأسأله أن يقدم الكبير على نفسه كما جرت العادة. وبارك الله له في بلاده، ولو أراد بعض فارس لوهبته له. ولقد أصبحت وأمسيت وما مناي على الله إلا العافية وسلامتها، وإبقاؤهما فإنهما أخواي بالنسب وابناي بالتربية، وصنيعتاي بالولايات، ومن لي غيرهما، فيقدر ما يقدر "[4].

ومع الجيل الثاني ضعفت الروابط العائلية لدى الأجيال اللاحقة من الأسرة البويهية، وذلك بسبب صغر سن أغلب الأمراء عند توليهم السلطة،، فهذا مجد الدولة ابو طالب رستم الذي كان له من

(1) مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص289–290؛ الذهبي، العبر، ج2، ص55؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص343؛ الكروي، ابراهيم، البويهيون والخلافة العباسية، الاسكندرية: مركز الاسكندرية للكتاب، 1997، ص 197؛ فوزي يحيى، تاريخ الدولة العباسية، ج2، ص 36؛ خليل السامرائي، تاريخ الدولة العربية الأسلامية، ص 197.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 289؛ الكروي، البويهيون، ص198؛ حسن محمود، العالم الإسلامي، ص530.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 289؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص 338؛ متز، الحضارة الاسلامية، ج1، ص 55؛ حسن محمود، العالم الإسلامي، ص 530.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 288؛ أنظر: الكروي، البويهيون، ص 199.

العمر أربع سنوات لما تولى السلطة بعد وفاة والده فخر الدولة بن بويه سنة 387 هـ /997م[1]، وكان عمر سلطان الدولة ثلاثة عشرة سنة [2] . كما تضافرت عوامل أخرى كان لها أثر كبير في إضعاف الروابط العائلية لدى الجيل الثاني من الأسرة البويهية منها الصراعات المتكررة والحروب المدمرة التي كانت تقوم بين فرق الجيش البويهي المختلفة وخاصة الأتراك والديالمة، بالإضافة إلى التنافس بين كبار الموظفين والوزراء على المناصب، فضلاً عن الفساد الاداري والسياسي والمالي والديني الذي كان يتمتع به أغلب أمراء بني بويه من الجيل الثاني. فقد قال أبو الفرج ابن هندو في مجد الدولة أبي طالب بن بويه[3]:(من الطويل)

لنا ملك مـــــا فيه للملك آلة ... سوى أنه يـــــوم السلام يتوج

أقيم لإصلاح الورى وهو فاسد ... وكيف استواء الظل والعود أعوج

كان من نتائج ذلك أن دخلت الدولة البويهية في صراعات ومنازعات عسكرية نشبت بين الأخوة وأبناء العمومة، كل ذلك من أجل تحقيق المصالح السياسية، وشخصنة السيطرة على عاصمة الخلافة العباسية، مركز الشرعية في الدولة الإسلامية[4].

بدأ أول انشقاق بين أفراد البيت البويهي سنة 357 هـ / 967م عندما تمرد حبشي بن معز الدولة على أخيه عز الدولة بختيار، الذي خلف أباه معز الدولة في ملك بغداد سنة

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص387؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص185-186.

(2) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص178؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص165؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص317؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص261.

(3) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج5، ص161.

(4) خالد عزام، موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العباسي(132هـ/656م)، عمان: دار اسامة للنشر والتوزيع، ط1، 2003، ص 219؛ وفاء محمد، الخلافة العباسية، ص 105 - 106؛ فاروق فوزي، الخلافة العباسية (ج2)، ص 145.

356 هـ/ 966م. وكان السبب في تمرده هو تدخل حاشية وجند حبشي، الذين تغلبوا عليه؛ فأطمعوه في حكم البصرة والاستقلال بها، إلا أن بختيار تمكن من بسط سلطانه على البصرة بعد أن قبض على أخيه وسجنه، ولم يطلق سراحه إلا بعد شفاعة وتوسط عمه ركن الدولة[1]. وقلد ابنه المزربان البصرة مكانه[2].

تولى عز الدولة بختيار بن معز الدولة الحكم بعد وفاة والده سنة 356 هـ / 966م الذي كان قد أوصاه قبل موته بطاعة عمه ركن الدولة واستشارته في كل ما يعرض له من أمور، باعتباره كبير الأسرة البويهية، كما أوصاه بطاعة ابن عمه عضد الدولة، لأنه أكبر منه سناً، وأكثر خبرة في شؤون الحكم والسياسة[3]. كما أوصاه بالمحافظة على أمراء الدولة وخاصة (سبكتكين الحاجب) قائد جيشه الذي " كان ذا إرب وسياسة وله رئاسة في العسكر قديمة متمكنة، يهابه الجميع ويطيعونه"[4]

ضرب عز الدولة بختيار بجميع وصايا والده عرض الحائط، مما يؤكد بصورة قاطعة قلة خبرته الإدارية، وحنكته السياسية، وسوء تدبيره. فقد انصرف إلى حياة اللهو واللعب، ومعاشرة النساء والمغنين والسكر الدائم[5] وكان بحسب تعبير التوحيدي " وافر الحظ من سوء الأدب، قليل التحاشي من

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 26؛ النويري، نهاية الأرب، ج12، ص 112 – 113؛ ابن خلدون، العبر ، ج3، ص 520؛ عزام، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص 219؛ وفاء، الخلافة العباسية، ص 106 – 107.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 360؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 199؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ج2، ص 174.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 353؛ النويري، نهاية الأرب، ج12، ص 112؛ ابن خلدون، العبر ، ج3، ص 519؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج3، ص 51؛ فاروق فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص 181.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 353؛ أحمد رمضان، حضارة الدولة العباسية، ص79.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 353؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 22؛ متز، الحضارة الاسلامية، ج1، ص 60.

أهل الفضل والحكمة "[1] وليس أدل على سوء تدبيره وتهاونه بشؤون الدولة من قيامه بتعيين طباخه ابن بقية[2] وزيراً سنة 362 هـ/ 972م[3]

أساء بختيار إلى كاتبيه أبي الفضل العباس بن الحسين، وأبي الفرج محمد بن العباس، وهما ممن أوصى معز الدولة ولده بختيار باحترامهما واكرامهما وتوقيرهما والاعتماد عليهما؛ نظراً لكفاءتهما وأمانتهما. فأخذ يوقع العداوة والبغضاء بينهما، حتى استوحشا منه. أما قائد جيشه سبكتكين الحاجب، فقد طمع عز الدولة بختيار في اقطاعاته كما طمع في اقطاعات كبار حاشيته، فأحس سبكتكين بذلك، واستوحش من عز الدولة بختيار، وصار لا يركب إليه ولا يثق به[4].

كما لم يسلم الديلم من طمع وغدر عز الدولة بختيار، إذ أقدم على نفي كبارهم ووجوههم عن مملكته، طمعاً في اقطاعاتهم وأموالهم، وأموال كل من يمت لهم بصلة. مما أثار حفيظة الجند الديالمة وطالبوه بزيادة أرزاقهم. مما اضطره إلى زيادتها ليسكن بها تمردهم. ولما وجد الجند الأتراك ما تم

(1) التوحيدي، الامتاع، ج3، ص 154.

(2) ابن بقية: الوزير أبو طاهر محمد بن بقية، الملقب نصير الدولة، وزير عز الدولة بختيار، كان من جلة الوزراء وأعيان الكرماء، كان من أهل أوانا من أعمال بغداد. كان أول أمره صاحب مطبخ معز الدولة ثم عز الدولة من بعده، استوزر سنة 362هـ/972 م، قبض عليه وسملت عيناه، ثم سلم إلى عضد الدولة، فأمر بطرحه تحت أقدام الفيلة، فقتلته سنة 366 هـ/ 976م. أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص 118 – 120.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 380 – 381؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 12؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص50.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 353؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 226؛ العش، يوسف، تاريخ عصر الخلافة، بيروت: دار الفكر، 2000، ص 197م.

للديالمة من إجابة مطالبهم وتحكمهم، لجأوا إلى نفس الأسلوب للمطالبة بزيادة أرزاقهم، فكان لهم ما كان للديالمة[1].

أمام هذا الموقف لم يجد عز الدولة بختيار أمامه إلا أن يستنجد بعمه ركن الدولة وابن عمه عضد الدولة. خاصة بعد أن أقدم سبكتكين على حصار دار عز الدولة، وأسر أهلها. مستغلاً وجود عز الدولة في واسط سنة 363 هـ/973 م[2] فازداد نفوذ الأتراك الذين انضموا تحت لوائه.

كان عضد الدولة يطمع في السيطرة على بغداد[3]. لأنه على علم أن من يفرض سيطرته وهيمنته على عاصمة الدولة الإسلامية يكون له النفوذ على سائر الولايات، هذا مع الأخذ بعين الاعتبار النوايا التي كان يبيتها عضد الدولة من تحويل الخلافة من عباسية إلى بويهية كما مر سابقاً. وقد جاءت الفرصة مواتية له لتحقيق أطماعه باستنجاد عز الدولة بختيار به، ولكنه أبطأ في نجدته حتى يضعف، إلا أنه اضطر بعد إلحاح شديد من والده ركن الدولة لدعم ابن عمه سنة 364 هـ / 974م [4]. وكان عز الدولة قد استعجل عضد الدولة لنجدته قائلاً [5]: فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلا فأدركني ولما أمزق. فسار على رأس جيشه من فارس، والتقى مع وزير أبيه أبي القاسم بن العميد في جيش الري، وساروا إلى واسط حيث كان الأتراك يحاصرون عز الدولة بختيار. وما أن وصلت طلائع جيش الإنقاذ إلى واسط حتى فك الأتراك الحصار وعادوا إلى بغداد ليحكموا

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 353 – 354؛ عزام، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص 222؛ الخضري، محاضرات، ص 387.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 404؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 53؛ الأمين، دائرة المعارف الشيعية، ج8، ص 425؛ عزام، موسوعة التاريخ، ص 222.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 407؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص 407؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 56؛ حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج3، ص 52؛ وفاء علي، الخلافة العباسية، ص 107.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 408؛ منيمنة، تاريخ الدولة البويهية، ص 132.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 411؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 59.

سيطرتهم عليها ويتحصنوا، بها بعد أن طردوا منها أبي تغلب بن حمدان الذي جاء نجدة لعز الدولة بختيار وعاد إلى الموصل[1].

اجتمع عز الدولة بختيار مع ابن عمه عضد الدولة في واسط الذي اقترح عليه التوجه بسرعة إلى بغداد، فوقعت معركة فاصلة بين عضد الدولة والأتراك بقيادة (البتكين) بعد أن فرضوا على بغداد حصاراً اقتصادياً بقطع الإمدادات عن جيش الأتراك مما أدى إلى ارتفاع الأسعار، وثار العيارون، وكثر النهب.

بدأ جيش الأتراك يعاني من نقص الطعام والإمدادات؛ حتى أنهم أخذوا يغيرون على بيوت العامة للحصول على الطعام[2]. ثم خرج الأتراك للقتال، فكانت الدائرة عليهم، وقتل أكثرهم وخرجوا إلى تكريت، وأخذوا الخليفة الطائع معهم، ودخل عضد الدولة بغداد منتصرا [3]

أراد عضد الدولة أن يجمع بين حكم إقليم فارس وحكم العراق في نفس الوقت[4]، فبدأ يعمل على تحقيق أطماعه على أرض الواقع، واستعمل الحيلة ليوقع بين عز الدولة بختيار وجنده، وأخذ يحرض الديالمة عليه فزاد شغبهم مطالبين بالأموال لوقوفهم معه على حرب الأتراك. مستغلاً ضعف عز الدولة بختيار عن إدارة الدولة، وانصرافه إلى اللهو واللعب، بالإضافة إلى تجاسر الديلم والأتراك عليه، فضلاً عن الأزمة المالية التي يمر بها الناتجة عن خراب النواحي، وكثرة الفتن واتصالها[5]. مما

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج27، ص 59، ابن خلدون، العبر ، ج3، ص 523.

(2) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج1، ص 414.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 412؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 59؛ حسن أحمد محمود، العالم الإسلامي، ص 549.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 407، 412.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 412 – 413؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 60؛ أحمد رمضان، حضارة الدولة العباسية، ص 79.

يؤدي بالنهاية إلى ظهور عز الدولة بختيار بموقف العاجز، وعدم المقدرة والكفاءة على مقاومة هذا الوضع.

وحتى تكتمل صورة الخطة التي رسمها عضد الدولة للسيطرة على بغداد، فقد حرض ابن عمه عز الدولة بختيار على عدم الاستجابة لطلبات الجند، وأن يشتد معهم حتى لا يطمعوا فيه، ويهددهم بالاستعفاء من الإمارة والرئاسة عليهم، واعداً إياه أنه إذا نفذ ذلك توسط هو بينهم، وأصلح الحال، فتستقر الأمور لعز الدولة(1).

لم يجد عز الدولة بختيار سبيلاً للتخلص مما هو فيه إلا أن يأخذ بنصيحة عضد الدولة، فاستعفى من الإمارة، وأظهر تخليه عن الرئاسة، "وأغلق أبواب داره، وصرف كتابه وأسبابه،"(2) وعضد الدولة يغري الجند سراً بزيادة الشغب، حتى "كادوا يزحفون إليه ويأتون عليه"(3)، فظهر عضد الدولة أنه رجل المواقف، بعد أن تدخل وسكن الجند بعد أن وعدهم بالنظر في مطالبهم، وضمهم إلى جنده، وشملهم بإحسانه(4).

ولما ضمن عضد الدولة وقوف الجند إلى جانبه، أظهر نواياه بالسيطرة على بغداد وإقصاء عز الدولة بختيار ؛ فأعلمهم أن عز الدولة بختيار استعفى من الإمارة عجزاً منه عن تسيير الأمور، وأنه كان بمثابة نائباً عنه وعن ركن الدولة في بغداد. ثم قبض على عز الدولة بختيار وإخوته سنة

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 413؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 60؛ ابن خلدون، العبر ، ج3، ص 3، 5؛ وفاء علي، الخلافة العباسية، ص 107.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 413.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص413.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 413؛ فوزي يحيى، تاريخ الدولة العباسية، ج2، ص 34.

364هـ/ 975م[1] فاستقر الأمر في بغداد لعضد الدولة، وعظم أمر الخليفة بعد أن حمل إليه أموالاً وأمتعة كثيرة[2].

لم تستقم الأمور لعضد الدولة في بغداد كما كان يخطط لها، بسبب تدخل كبير العائلة البويهية والده ركن الدولة، والذي كان يعمل دوماً على إدامة وحدة العائلة. إذ أنكر على ولده عضد الدولة أشد الإنكار لفعلته لما وصله الخبر عن طريق المرزبان بن عز الدولة. فألقى نفسه على الأرض، وأخذ يتمرغ ويزبد، وامتنع عن الأكل والشرب أياماً، حتى مرض، لما كان يكنه من احترام ومحبة لأخيه معز الدولة[3].

اضطربت الأحوال على عضد الدولة في بغداد؛ إذ لم يبق في يده إلا قصبة بغداد، فالبصرة بيد المرزبان بن عز الدولة، وفي واسط خلع ابن بقية الطاعة عنه، كما انقلب كل من عمران بن شاهين وأبي تغلب بن حمدان عليه، "وتجاسر الأعداء، وانقطعت مواد فارس والبحر،... وتجاسرت العامة عليه وأشرف على صورة قبيحة"[4] وأمام هذا الضغط لم يجد عضد الدولة أمامه سوى الامتثال

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 413؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص60 أبو الفداء، المختصر، ج2، ص 114؛ فاروق فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص 183؛ فوزي يحيى، تاريخ الدولة العباسية، ج2، ص 34.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 414؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص 114؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج1، ص 414؛ الخضري، محاضرات، ص 395.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 418؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 61؛ متز، الحضارة الاسلامية، ج1، ص 56؛ فوزي يحيى، تاريخ الدولة العباسية، ج2، ص 34.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 416؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 60؛ فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص 153؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ج2، ص 174.

للأمر الواقع ولو مؤقتاً، فاضطر إلى إعادة عز الدولة بختيار إلى ملكه، والمسير إلى فارس[1]. مع اشتراط أن يحكم عز الدولة بختيار العراق نيابة عنه[2].

بقيت أطماع عضد الدولة بالسيطرة على العراق تشغل باله. فكان ينتظر الفرصة المواتية لتحقيق أطماعه. ويبدو أن الظروف المستجدة بدأت تخدم عضد الدولة. ففي سنة 365 هـ/ 975م خاف عضد الدولة أن يموت والده وهو غضبان عليه، كما خشي أن يختلَّ ملكه وتزول طاعته بعدما علم العام والخاص بغضب والده عليه؛ فبدأ يراسل والده ويتوسطه ليعهد إليه بالملك من بعده، فأجاب ركن الدولة على ذلك، وقسم مملكته بين أولاده الثلاثة؛ فجعل عضد الدولة ولي عهده من بعده، وجعل ابنه فخر الدولة على همذان وأعمال الجبل، وجعل لابنه مؤيد الدولة أصبهان وأعمالها. واشترط عليهما أن يحكما هذه البلاد نيابة عن أخيهما عضد الدولة[3]، بحكم أنه أكبر الأخوة سناً.

توفي ركن الدولة سنة 366 هـ / 976م، فاستغل عضد الدولة ذلك، وبدأ يعد العدة لتحقيق اطماعه التي لم تهدأ، فادّعى أولاً أن عز الدولة بختيار وابن بقية الوزير يعملان على استمالة أصحاب الأطراف مثل حسنوية بن الحسين الكردي[4]، وفخر الدولة بن ركن الدولة، وأبي تغلب الحمداني،

---

[1] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 419؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 62؛ الخضري، محاضرات، ص 395؛ بطاينة، الإيجاز، ص 58- 59.

[2] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 419؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص62؛ حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج3، ص 53؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ج2، ص 175.

[3] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 425؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 804؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص 116؛ فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص 184.

[4] حسنويه بن الحسين الكردي: كان قد استولى على نواحي الدينور وهمذان ونهاوند مدة خمسين سنة، كان ذا مال مكثير، ينفقه في الصدقات. توفي في قلعته سنة 369هـ/979م. ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص272؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 101؛ خرابشة، سليمان، امارة بني حسنويه في بلاد الجبل (350-406هـ/960-1015م) ابحاث اليرموك، مجلد14، عدد4، 1998، ص62 -66.

وعمران بن شاهين، والاتفاق على معاداته[1]، ثم قصد عضد الدولة العراق وحارب عز الدولة بختيار في واسط، فأشار ابن بقية على عز الدولة بختيار بمواجهته، لتوسيع شقة الخلاف بين الطرفين، لكنه هزم في الأهواز. فتوجه إلى واسط[2]، بعد أن أخذ ماله ومال وزيره ابن بقية.

أرسل عضد الدولة جيشاً إلى البصرة لإخضاعها، وقد تم له ذلك طواعية، ذلك أن قبيلة مضر المؤيدة لعضد الدولة استطاعت أن تقهر قبيلة ربيعة المؤيدة لعز الدولة بختيار وتسيطر على المدينة، وتعلن ولاءها وتبعيتها لعضد الدولة، وخاصة بعد هزيمة المرزبان أمام عضد الدولة، وهروبه عنها والتحاقه بعز الدولة بختيار بواسط[3].

أخذ عز الدولة بختيار يتطلع إلى الصلح، ليقينه بعدم قدرته على مواصلة الحرب؛ فعمد أول الأمر إلى القبض على ابن بقية في محاولة لإرضاء عضد الدولة، ذلك لأن ابن بقية كان يعمل على توسيع شقة الخلاف بينهما[4] فأرسل عضد الدولة إلى عز الدولة بختيار يدعوه للدخول في طاعته، وأن يختار الجهة التي يريد بعيداً عن العراق، على أن يمده عضد الدولة بحاجته من المال والسلاح. فوافق عز الدولة بختيار على أن يسير إلى بلاد الشام[5]. وسلم إليه وزيره ابن بقية بعد أن سمل عينيه، ثم

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 426؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 81؛ وفاء علي، الخلافة العباسية، ص 111؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ج2، ص 175؛ منيمنة، تاريخ الدولة البويهية، ص 134.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 428؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 81؛ وفاء علي، الخلافة العباسية، ص 111؛ فاروق فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص 184.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 429؛ ابن الأثير الكامل، ج7، ص 81؛ فاروق فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص 184.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 430؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 81؛ وفاء علي، الخلافة العباسية، ص 111.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 433؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 90؛ الخضري، محاضرات، ص 385؛ وفاء علي، الخلافة العباسية، ص 111.

خرج قاصداً الشام بصحبة حمدان بن ناصر الدولة الحمداني الذي أغراه بالسيطرة على الموصل حيث أخوه أبو تغلب الحمداني؛ طمعاً في ملكها على الرغم من تعهده بعدم التعرض لها. ولما علم أبو تغلب بمسيرهما لحربه أرسل إلى عز الدولة بختيار يقترح عليه مساعدته في محاربة عضد الدولة واسترجاع العراق منه، مقابل تسليمه أخيه ناصر الدولة. لاقى هذا الاقتراح هوى لدى عز الدولة بختيار رغم الاتفاق الذي تم بينه وبين عضد الدولة، فقبض على حمدان بن ناصر الدولة، وسلمه إلى أبي تغلب، الذي حبسه في إحدى قلاعه[1].

سار أبو تغلب الحمداني بجيشه البالغ عشرين ألف مقاتل، واجتمع مع عز الدولة بختيار، فتحالفا على نصرة بعضهما، وألا يغدر أحدهما بالآخر. ولما وصل الخبر لعضد الدولة سار بجيشه لقتالهم. والتقى بهم عند قصر الجصّ قرب مدينة سامراء[2]، وألحق بهم هزيمة نكراء، أسفرت عن وقوع عز الدولة بختيار في الأسر، ثم حمل إلى عضد الدولة، الذي أراد الإبقاء على حياته مراعاة وحرمة للقربى التي تجمعهما، إلا أن بعض خواصه أشار عليه بالتخلص منه قائلاً له: " ما تنتظر به أن يعود ثالثاً، وإلى متى يثير علينا هذه الفتن التي لعلنا نكون من صرعاه في بعضها. أفرغ منه،... فرفع عضد الدولة يده إلى عينه يمسحها من الدموع، وقال: أنتم أعلم"[3]، فقام اثنان من أصحاب عضد الدولة

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 434؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 92؛ ابن خلدون، العبر ، ج3، ص 525؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ج2، ص 176؛ فوزي، العراق والتحدي الفارسي، 184.

(2) قصر الجصّ: قصر عظيم قرب سامراء فوق الهاروني، بناه الخليفة المعتصم العباسي للنزهة. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص356.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 435؛

واحتزا رأس عز الدولة بختيار أمامه وذلك سنة 367هـ / 977 م[1]. وقيل: أن رأسه حملت إلى عضد الدولة في طشت فتأمله ثم وضع منديله على عينيه وبكى[2].

أرسل عضد الدولة برسائل إلى كل من أخيه مؤيد الدولة- يشكره فيها على الحفاظ على طاعته- وأخيه فخر الدولة معاتباً ومدارياً له لوقوفه إلى جانب عز الدولة بختيار في حربه ضد عضد الدولة، ولعله كان في رسالته له مؤملاً على أن يعود فخر الدولة إلى طاعته، ولكن جاء جواب فخر الدولة على غير ما تأمل إذ " أجابه جواب النظير الذي لا يرى لرتبة الملك مزية، ولا لكبر السن وعهد الأب فضيلة، ولا في المعاودة إلى جميل الطاعة نية" [3].

قصد عضد الدولة بلاد أخيه فخر الدولة بعد رفضه الدخول في طاعته، والهدف هو ضم همذان وبلاد الجبل لمملكته، فسار إليها بجيشه بعد أن كان قد مهد الأمور بأن اشترى ذمم قادة جيش أخيه، وضمن لهم الاقطاعات. فاستأمن له عدد كبير منهم، حتى مال إليه وزير فخر الدولة وحاشيته، وعلى أثر ذلك هرب فخر الدولة إلى بلاد الديلم، فاستولى عضد الدولة على بلاده، وسلمها إلى أخيه مؤيد الدولة ليحكمها نيابة عنه[4].

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 435؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 92؛ ابن خلدون، العبر ، ج4، ص 453؛ أحمد رمضان، حضارة الدولة العباسية، ص 79.

(2) سبط ابن الجوزي، يوسف غزاوغلي بن عبد الله (ت654هـ/1257م) مرآة الزمان في تاريخ الاعيان(الحقبة 345-447) تحقيق: جنان جليل، بغداد: الدار الوطنية، 1990، ص 199؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص 358؛ حسن الأمين، دائرة المعارف الشيعية، ج8، ص 425.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 453.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 453؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 101 – 102؛ وفاء علي، الخلافة العباسية، ص 112؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ج2، ص 176.

وفي سنة 371 هـ/ 981م اتفق فخر الدولة مع قابوس بن وشمكير [1] – امير جرجان وطبرستان– على عداوة عضد الدولة، فكانت" هذه أول فتنة بدت بين الإخوة أولاد ركن الدولة الثلاثة[2].

توفي عضد الدولة سنة 372 هـ/ 982م بعد أن بلغ من سعة الملك والسلطان ما لم يبلغه أحد من أمراء بين بويه، ودانت له البلاد والعباد، حتى امتد سلطانه على بغداد والعراق وكرمان وفارس وعمان وخوزستان وديار بكر وحران ومنبج [3]. فآل أمر الحكم من بعده إلى أولاده (صمصام الدولة، شرف الدولة، وبهاء الدولة)، ثم اجتمع قادة الجيش والأمراء وأجمعوا على مبايعة أبي كاليجار المرزبان ولقبوه (صمصام الدولة)، فأصبحت الأقاليم البويهية مقسمة بين هؤلاء الأخوة، الأمر الذي أدى إلى نشوب الحروب بينهم، طمعاً وحسداً في السيطرة، بدأت بعدها المرحلة الثانية من الصراع بين أفراد الأسرة البويهية.

كان صمصام الدولة يخشى أطماع أخيه شرف الدولة – حاكم كرمان – من أن يوسع مملكته باتجاه فارس، باعتباره الابن الأكبر لعضد الدولة، فقام صمصام الدولة بإقطاع فارس لأخويه أبي الحسين أحمد وأبي طاهر فيروز شاه. ولكن شرف الدولة وصل إليها قبلهما وسيطر عليها، وأعلن تمرده على صمصام الدولة بان قطع الخطبة له، وخطب لنفسه فيها. ولقب نفسه (تاج الملة)، كما عمل على كسب أبي الحسين أحمد إلى جانبه بعد أن أقطعه البصرة بعد أن استولى عليها[4].

---

[1] قابوس بن وشمكير بن زياد الجيلي، أبو الحسن الملقب (شمس المعالي): أمير جرجان وبلاد الجبل وطبرستان. توفي سنة 403 هـ/ 1012م أنظر: ابن العمراني، الانباء، ص185؛ الحموي، معجم الادباء، ج5، ص2181؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص266–267؛ الزركلي، الإعلام، ج5، ص 170..

[2] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 143؛ انظر: الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 14– 15.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص294–295؛ حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج3، ص 54.

[4] الأنطاكي، تاريخ الانطاكي، ص 198؛ الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 51؛ ابن الأثير، الكامل، ج57، ص 115.

أرسل صمصام الدولة جيشاً لمحاربة شرف الدولة بعد سماعه بخبر استيلائه على شيراز والبصرة. والتقى الجيشان في معركة بين واسط والبصرة، كانت الغلبة فيها لجيش شرف الدولة؛ فاستغل أبو الحسين أحمد بن عضد الدولة ذلك واستولى على الأهواز وأخذ ما فيها من أموال[1].

وفي سنة 375 هـ/ 985م توجه شرف الدولة من فارس للإستيلاء على الأهواز، التي كانت تحت يد أخيه أبي الحسين. فأرسل له يطيب نفسه ويعده بالإحسان، وأنه يقره على ما بيده من الأعمال، كما أخبره أنه قادم للسيطرة على العراق، إلا أن أبي الحسين لم يقنع بذلك وعزم على مقاومته. ولما وصل شرف الدولة إلى رامهرمز[2] بنواحي خوزستان، انقلب جيش أبي الحسين ضده، ومالوا إلى شرف الدولة، فهرب إلى عمه فخر الدولة في الري، طالباً النجدة منه ضد أخيه، واسترجاع ملكه، فوعده عمه بنصرته، وأعطاه الأموال، ولما طال انتظاره توجه إلى أصبهان للإستيلاء عليها، ومعلناً ولاءه لأخيه شرف الدولة، فألقى جند أصبهان القبض عليه، وأرسلوه أسيراً إلى عمه فخر الدولة، الذي عمد إلى حبسه ثم أرسل إليه من قتله[3].

وكان أبو الحسين احمد بن عضد الدولة قد أيقن بموته وهو بالسجن فقال هذه الأبيات[4]:

(من الطويل):

هبِ الدهر أرضاني وأعتب صرفه وأعقب بالحسنى من الحبس والأسر

فمن لي بأيام الهموم التي مضت ومن لي بما أنفقت في الحبس من عمري

---

[1] ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 115.

[2] رامهرمز: مدينة مشهورة بنواحي خوزستان. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص17.

[3] ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 127؛ ابن خلدون، العبر ، ج4، ص 552.

[4] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج4، ص309.

وفي سنة 376 هـ/ 986م سار شرف الدولة من الأهواز قاصداً بغداد، فعرض صمصام الدولة عليه الصلح. إلا أن شرف الدولة رفض، وصمم على الاستيلاء على بغداد، فسار إليها وتمكن من دخولها بعد أن ألقى القبض على صمصام الدولة وأرسله إلى فارس حيث اعتقل في إحدى قلاعها، بعد أن سملت عيناه سنة 379هـ/ 989م[1].

توفي شرف الدولة سنة 379 هـ/ 989 م، فتولى بعده أخوه بهاء الدولة[2]. فما لبثت حتى عادت الصراعات الأسرية داخل البيت البويهي تظهر من جديد، حيث بادر الجند الأتراك بإطلاق سراح صمصام الدولة من السجن[3]. كما أن أبا علي بن شرف الدولة كان قد سار إلى فارس ثم سار منها إلى شيراز، وفيها وقعت فتنة بين الجند الأتراك والجند الديلم، فمال أبو علي بن شرف الدولة إلى الأتراك الأمر الذي أغضب الديلم، فقرروا القبض عليه وتسليمه إلى صمصام الدولة. فاقتتل الطرفان أياماً، ثم سار أبو علي مع الأتراك إلى فسا[4] واستولى عليها ونهبها، وقتلوا الجند الديالمة الموجودين بها وأخذوا أموالهم وأسلحتهم، مما عزز قوتهم، ثم سار أبو علي إلى أرجان. وأما الأتراك فقد عادوا إلى شيراز، وقاتلوا صمصام الدولة والديالمة الذين معه، ونهبوا المدينة ثم عادوا إلى أرجان. وفي هذه الأثناء ورد رسول بهاء الدولة إلى أبي علي بن شرف الدولة، يطيب نفسه، ويعده بإقراره على ما تحت

---

(1) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 91؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 318 ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 138؛ النويري، نهاية الأرب، ج 12، ص 133؛ الخضري، محاضرات، ص 397؛ أحمد رمضان، حضارة الدولة العباسية، ص 80.

(2) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 94؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 339؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 138.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 139.

(4) فسا او بسا: مدينة من مدن فارس، واليها ينسب ارسلان البساسيري. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص412.

يده من البلاد، ثم عمل على استمالة جنده من الأتراك، فحسنوا له أن يسير إلى بهاء الدولة، ويدخل في طاعته،إلا أن بهاء الدولة تمكن من إلقاء القبض عليه تم قتله بعد مدة وذلك سنة380هـ/990 م[1].

عاد فخر الدولة للظهور على مسرح الأحداث البويهية. ففي سنة 373 هـ/ 983 م توفي مؤيد الدولة بجرجان، فأشار الصاحب بن عباد[2] بإعادة فخر الدولة إلى مملكته باعتباره كبير البيت البويهي، ومالك تلك البلاد قبل مؤيد الدولة، ولما يتصف به من صفات تؤهله للامارة والحكم، فكان له ذلك[3]. ولما كان الصاحب بن عباد يحب العراق، فقد وجد الفرصة سانحة أمامه للعودة إلى بغداد، بعد موت شرف الدولة، إذ عمد إلى إقناع فخر الدولة بالسيطرة على العراق، فسار إلى الأهواز وسيطر عليها. وأساء السيرة فيها، فأرسل بهاء الدولة جيشه لمقاتلتهم، وقد خدمت الطبيعة بهاء الدولة، فقد حدث أن فاضت مياه دجلة في منطقة الأهواز، فظنها جنود فخر الدولة مكيدة من طرف بهاء الدولة، فتفرق الجند عنه، وتملك جند بهاء الدولة الأهواز من جديد[4].

---

[1] ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 139؛ ابن خلدون، العبر ، ج3، ص 530.

[2] الصاحب بن عباد: ابو القاسم إسماعيل بن عباد، وزير فخر الدولة بالري، وكان واحد زمانه علما وفضلا، وتدبيرا، وجودة رأي، وكرما، عالما بأنواع العلوم، وعارفا بالكتابة وموادها، ورسائله مشهورة مدونة، وجمع من الكتب ما لم يجمعه غيره، حتى إنه كان يحتاج في نقلها إلى أربعمائة جمل. توفي بالري سنة 385هـ/995م. الأنباري، عبد الرحمن بن محمد(ت577 هـ/1181 م) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط3، 1985، ص238؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 468؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص314؛ ابن خلدون، العبر ، ج3، ص 530.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 3.1؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 117؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 222.

[4] الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 100- 101؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 140؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 555؛ وفاء علي، الخلافة العباسية، ص 115.

وفي سنة 380 هـ/ 990 م توجه بهاء الدولة إلى فارس لمحاربة أخيه صمصام الدولة. وفي طريقة مر بالبصرة فدخلها، ثم دخل أرجان[1]، ونهب جميع ما فيها من الأموال، فرقها على جنده. وفي النوبندجان[2] التقى الجيشان، فكانت الغلبة أول الأمر لجيش بهاء الدولة، ثم أعاد صمصام الدولة ترتيب جيشه وهجم على جيش بهاء الدولة الا انه مني بالهزيمة، وأخيراً استقرَّ الأمر بينهما على الصلح على أن تكون فارس وأرجان لصمصام الدولة، وخوزستان والعراق لبهاء الدولة، ويكون لكل واحد منهما إقطاع في بلد الآخر، فعاد بهاء الدولة إلى بغداد[3].

لم يكتب لهذا الصلح الإستمرار، إذ سرعان ما نقض بهاء الدولة هذا الصلح سنة 382هـ/ 992م، طمعاً منه بالسيطرة على فارس حيث أخوه صمصام الدولة، فأرسل جيشه أولاً إلى الأهواز ليجتمع فيها، ثم يتوجه منها إلى بلاد فارس، فوصل الخبر لصمصام الدولة، فجهز جيشه وتوجه إلى خوزستان حيث التقى الجيشان، وأسفرت الحرب عن انتصار جيش صمصام الدولة، وأسر قائد جيش بهاء الدولة، فملك صمصام الدولة خوزستان[4].

وفي سنة 384 هـ/ 994م استعاد بهاء الدولة ملكه للأهواز وجميع أعمالها بعد إرساله لجيش تمكن بقيادة القائد التركي طغان من إلحاق الهزيمة بجيش صمصام الدولة [5]. وبقي الحال

---

[1] ارجان: بين فارس وخوزستان وهي مدينة حسنة في غاية الطيب ولها رساتيق. الادريسي، محمد بن محمد (ت560هـ/1165م) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1409هـ، ج1، ص412.

[2] النوبندجان: مدينة من أرض فارس من كورة سابور. الحموي، معجم البلدان، ج5، ص307.

[3] الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 113؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 145؛ ابن خلدون، العبر ، ج4، ص 555؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ج1، ص 177.

[4] ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 16؛ حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج3، ص 59؛ أحمد رمضان، حضارة الدولة العباسية، ص 81.

[5] الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 152 – 153؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 164 – 165؛ وفاء علي، الخلافة العباسية، ص 116.

بينهما بعد ذلك بين كر و فر، إذ سرعان ما جهز صمصام الدولة جيشاً من الديلم، تمكن به من استعادة السيطرة على الأهواز وذلك سنة 385 هـ/ 995 م[1]. وفي السنة التالية تمكن أحد قواده من السيطرة على البصرة وأخذها من نواب بهاء الدولة[2].

قتل صمصام الدولة سنة 388 هـ/ 998 م على يد ابني عز الدولة بختيار ؛ بعد أن تمكنا من الفرار من معتقلهما واجتمع لديهما عدد من الأكراد بالإضافة إلى الديلم الحانقين على صمصام الدولة لأنه أسقط أسماءهم من ديوان العطاء بحجة أنهم ليسوا صريحي النسب، فاستوحشوا منه، والتحقوا بابني عز الدولة بختيار، فخاف صمصام الدولة على نفسه، والتجأ إلى قلعة على باب شيراز، على أمل أن يأتيه العون والمدد، وفي أثناء الطريق انقلب عليه حراسه، ونهبوا ما كان معه من الأموال، ففر منهم والتجأ إلى الدودمان[3] قرب شيراز، ولكن رئيس الدودمان ألقى القبض عليه، وأرسله إلى أبي نصر بن عز الدولة بختيار، الذي بادر إلى قتله على الفور. ولما حمل رأسه إليه قال: هذه سنة سنها أبوك[4]، أي انتقاماً لما أقدم عليه عضد الدولة – والد صمصام الدولة – من قتله عز الدولة بختيار – والد أبي نصر.

ملك أبو نصر بن عز الدولة بختيار وأخوه أبو القاسم فارس، بعد قتلهما صمصام الدولة، فأرسل إليهما بهاء الدولة جيشاً، تمكن من هزيمتهما في شيراز، فاستولى بذلك على فارس سنة 389 هـ/ 999 م، وهرب أبو القاسم ولحق بالبطيحة، أما أبو نصر فإنه هرب إلى بلاد الديلم، ثم عاد

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 172، حسن الأمين، دائرة المعارف الشيعية، ج8، ص 409.

(2) ابن الأثير، الكامل؛ ج7، ص 180؛ حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج3، ص 59.

(3) لم اجد لها تعريف او معنى، ولعلها منطقة تابعة لشيراز كونها قريبة منها.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 192 – 193؛ وفاء علي، الخلافة العباسية، ص 116؛ أبو سعيد، حامد غنيمة، العلاقات العربية السياسية في عهد البويهين، القاهرة، ط1، 1971، ص 123 – 124.

إلى فارس، وجمع حوله كثير من الزط[1] والديلم، وتمكن من الاستيلاء على أغلب بلاد كرمان، مما أثار بهاء الدولة فأرسل له جيشاً تمكن من هزيمته. ثم غدر به بعض أصحابه وقتله سنة 390 هـ/ 999م[2].

توفي بهاء الدولة سنة 403 هـ/ 1012م، فخلفه في الملك ابنه سلطان الدولة أبو شجاع[3]، لتبدأ بذلك المرحلة الثالثة من الصراعات الأسرية داخل البيت البويهي من أجل السيطرة والحكم.

بدأ سلطان الدولة حكمه في محاولة لكسب إخوانه إلى جانبه، حتى لا يصبح حالهم كالحال الذي وصل إليه أبناء عضد الدولة بعد وفاته من الاقتتال من أجل الحكم. فعمد إلى تولية أخيه جلال الدولة أبي طاهر البصرة، وتولية أخيه قوام الدولة أبي الفوارس كرمان [4].

بدأ الصراع بين سلطان الدولة وشمس الدولة بن فخر الدولة سنة 405 هـ/ 1014 م. وذلك على أثر استيلاء شمس الدولة على بعض بلاد الجبل بعد مقتل أميرها بدر بن حسنويه، فأطلق سلطان

---

(1) الزطّ: هم في الاصل من اهل السندوالبنجاب، وقعوا في سبي الفرس، واسلموا زمن الفتوحات، فانزلهمابو موسى الاشعري في البصرة. كذلك اتى الحجاج بجماعة من زط السند ومعهم اهلوهم واولادهم وجواميسهم، فاسكنهم باسافل كسكر، فغلبوا على البطيحة وتناسلوا بها. ثم انضم اليهم قوم من اباق العبيد وموالي باهلة وخولة محمد بن سليمان بن علي وغيرهم، فشجعوهم على قطع الطريق ومبادرة السلطان بالمعصية، وكان همهم بادئ ذي بدء اختلاس الشيئ الطفيف من اهل السفن، فتحامى الناس المرور بهم في ايام المامون. انظر: البلاذري، احمد بن يحيى (ت279هـ/893م) فتوح البلدان، اشراف: لجنة تحقيق التراث، بيروت: مكتبة الهلال، ط1، 1983، ص362 فما بعد، سالم، عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب، العصر العباسي الاول، الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1978، ص87-89، فراند جبرائيل، الزط، دائرة المعارف الاسلامية، ج10، ص349-351.

(2) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص 196؛ الصابئ، تاريخ، ج7، ص 11 فما بعدها؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 206.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 68؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 233.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 268.

الدولة سراح ابنه هلال، وجهزه بجيش من العراق لمحاربة شمس الدولة، إلا أن شمس الدولة تمكن من هزيمته وقتله سنة 405هـ / 1014م[1].

عاد صراع الأخوة من أجل السلطة يظهر من جديد، وذلك عندما طمع قوام الدولة أبو الفوارس – أمير كرمان – في السيطرة على أملاك أخيه سلطان الدولة وحكم العراق، بعد أن أغراه الديلم بذلك وذلك سنة 407 هـ /1016م، فجهز جيشه وتمكن من السيطرة على شيراز، بادر سلطان الدولة إلى إرسال جيشه لمحاربته وانتصر عليه وأعاده إلى كرمان، ثم تبعه إليها، فهرب أبو الفوارس إلى خراسان حيث يمين الدولة محمود بن سبكتكتين، الذي أرسل معه جيشاً، تمكن من السيطرة على شيراز عاصمة بلاد فارس، فعاد سلطان الدولة بجيشه إلى فارس، والتقى الجيشان، فكانت الغلبة لسلطان الدولة، وهرب أبو الفوارس إلى كرمان، فقرر سلطان الدولة أخذها منه، فأرسل جيشه في طلبه الذي تمكن من السيطرة على كرمان، وهرب إلى شمس الدولة بن فخر الدولة صاحب همذان، وأخيراً التجأ إلى البطيحة، وفي نهاية الأمر تم عقد الصلح بينهما على أن يعود كل منهما إلى بلاده، مع اعتراف أبي الفوارس بزعامة أخيه سلطان الدولة[2].

بدأ صراع جديد بين الأخوة من أجل الملك، وكان أبطاله هذه المرة سلطان الدولة وأخوه مشرف الدولة. ففي سنة 412هـ/ 1021م ثار الجند الديالمة في العراق على سلطان الدولة، وقطعوا الخطبة له، ونادوا بمشرف الدولة الذي كان قد وصل إلى منصب أمير الأمراء نيابة عن أخيه في بغداد، وأشار بعض خواص سلطان الدولة عليه بالقبض على أخيه، إلا أنه لم يتمكن من ذلك، وهرب

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 274؛ الأمين، دائرة المعارف الشيعية، ج8، ص 411.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 120 – 121؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 294؛ حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج3، ص 62 – 63؛ أحمد رمضان، حضارة الدولة العباسية، ص 83.

إلى واسط، ثم وقع الصلح بينهما، واجتمعا ببغداد، ثم فارق سلطان الدولة بغداد متوجهاً إلى الأهواز، واستخلف أخاه مشرف الدولة على العراق. إلا أن الصلح كان هشّاً، فسرعان ما نشبت الحرب بينهما، وحلت الهزيمة بجيش سلطان الدولة، فهرب إلى أرجان، وأصبح مشرف الدولة سيد العراق بلا منازع، مع اعتراف أخيه جلال الدولة أبي طاهر صاحب البصرة بسلطانه. وخطب له ببغداد، بعد أن لقب نفسه (شاهنشاه- اي ملك الملوك) سنة 412هـ/1021 م[1].

وقع الصلح مجدداً بين مشرف الدولة وسلطان الدولة سنة 413 هـ/ 1022م، حيث اتفق الطرفان أن يكون العراق جميعه لمشرف الدولة، وتكون فارس وكرمان السلطان الدولة[2]. وبذلك يكون أمراء البيت البويهي قد غلبوا السياسة على العنف الذي يستنفذ قواهم، ولا يزيدهم إلا ضعفاً. وقد تأكد الحل السياسي لصراعاتهم تلك بموت سلطان الدولة سنة 415 هـ/ 934م. فآلت الرئاسة إلى مشرف الدولة[3].

ويبدو أن السبب في الخلافات الأخوية التي قامت بين سلطان الدولة ومشرف الدولة عائد إلى صغر سنهما، فالأول تولى السلطنة وعمره لا يتجاوز الثالثة عشرة. والثاني تولى أمر بغداد وهو في الثامنة عشرة من عمره[4].

لم يطل الأمر لمشرف الدولة، إذا مات بعد سلطان الدولة بعام تقريباً. فأقيمت الخطبة بالعراق لأخيه جلال الدولة سنة 416 هـ/1025م. الذي كان مقيماً بالبصرة. ولما تأخر عن المسير إلى بغداد،

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 306؛ ابن خلدون، العبر ، ج4، ص 567؛ وفاء علي، الخلافة العباسية، ص 118؛ حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج 3، ص 63.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 312 – 313؛ أحمد رمضان، حضارة الدولة العباسية، ص 83.

(3) حسن أحمد، العالم الإسلامي، ص 534.

(4) حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج3، ص 63؛ أحمد رمضان، حضارة الدولة العباسية، ص 83.

قطعت الخطبة له، وخطب لابن أخيه أبي كاليجار بن سلطان الدولة – الذي تولى الملك بفارس بعد وفاة أبيه – ولما كان أبو كاليجار مشغولاً بحروبه مع عمه أبي الفوارس صاحب كرمان[1]. فقد استغل جلال الدولة الفرصة وتوجه إلى بغداد وسيطر عليها، وأقام الخطبة لنفسه فيها من جديد سنة 418 هـ/ 1027 م[2]. بعد أن استدعاه الجند بأمر الخليفة، خاصة بعد أن كثر النهب وكثرت الفتن، وخلت بغداد من سلطان[3].

وفي سنة 419 هـ/ 1028م واجه جلال الدولة تمرد الجند الأتراك عليه مطالبين بأرزاقهم. كما حدثت فتنة بين الأتراك والديلم في البصرة التي كان يحكمها أبو منصور بن جلال الدولة، فاستغل أبو كاليجار تلك الأحداث، وسير جيشاً تمكن من السيطرة على البصرة، ثم واسط. فخاف جلال الدولة من أطماعه في السيطرة على بغداد، فسار بجيشه ودخل الأهواز مستغلاً غيبة أبي كاليجار عنها، وألحق بجنده الهزيمة، وتمكن من استرداد واسط[4]، ثم استرجع البصرة. إلا أن جند أبي كاليجار تمكنوا من استعادتها[5].

---

[1] ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 317، 322 ؛ ابن خلدون، العبر ، ج4، ص 569؛ أحمد رمضان، حضارة الدولة العباسية ص 84.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 322؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 18، 22– 23؛ محمود، محمود عرفه، الأحوال السياسية والدينية في بلاد العراق والمشرق الإسلامي في عهد الخليفة القائم بأمر الله العباسي 422 – 467 هـ/ 1031 – 1075، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية العاشرة، 1989، ص 14.

[3] ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 329؛ أبو الفداء، المختصر، ج1، ص 507؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج1، ص 327.

[4] ابن الأثير والكامل، ج7، ص 332، 336؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 28؛ عرفه ، الأحوال السياسية والدينية، ص 14 – 15.

[5] ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 351.

استمرَّ الأمر بين جلال الدولة وأبي كاليجار بين مد وجزر في القتال. ففي سنة 421 هـ/ 1030م أرسل جلال الدولة جيشاً إلى منطقة المذار[1] التي كان يسيطر عليها جيش أبي كاليجار، فاقتتل الطرفان، وانتصر جيش جلال الدولة، واستولى على المذار، فاستباحها، وفعل بها كل قبيح. ثم أرسل أبو كاليجار جيشاً كبيراً لما سمع بالخبر، تمكن من هزيمة جيش جلال الدولة بمساعدة أهل البلد، انتقاماً منهم. وعاد من بقي منهم إلى واسط[2].

وفي سنة 424 هـ / 1032م، توفي بختيار نائب أبي كاليجار في البصرة فأرسل جلال الدولة جيشه بقيادة ابنه الملك العزيز، بناءً على طلب ظهير الدين أبي القاسم[3] نائب البصرة الجديد، الذي أصبح نائباً في البصرة دون تفويض من أبي كاليجار. ولسوء سيرته ونواياه، أمر أبو كاليجار بعزله، فقطع الخطبة لأبي كاليجار وأقامها لجلال الدولة[4]. وتمكن هذا الجيش من دخول البصرة، وإخراج جند أبي كاليجار منها، ومكث الملك العزيز بالبصرة نائباً عن والده جلال الدولة. غير أن الأمور لم تستقر للملك العزيز، إذ لم يكن له أمر ولا حكم مع ظهير الدين، فسرعان ما دب الخلاف بينهما، على أثر إساءة ظهير الدين معاملة الجند، فشكوه إلى الملك العزيز الذي قام بإخراجه من البصرة نزولاً عند رغبة الجند، فاضطر للمسير إلى الأبلة[5]، حيث جمع قواته من جديد، وأعاد ترتيبها،

---

(1) المذار: قصبة ميسان، تقع بين واسط والبصرة. الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص88.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 349.

(3) ظهير الدين ابو القاسم: خال ولد بختيار نائب ابي كاليجار في البصرة، تولى نيابة البصرة بعد وفاة بختيار، وهو في طاعة ابي كاليجار، اظهر طاعة جلال الدولة وخطب له في البصرة سنة 424هـ/1032م، ثم رجع الى طاعة ابي كاليجار بعد شغب الجند عليه سنة 425هـ/1033م. ابن الأثير، الكامل، ج8، ص4.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص4؛ عرفه ، الأحوال السياسية والدينية، ص 17.

(5) الابلّة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل مدينة البصرة. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص77.

ثم عاد لمحاربة الملك العزيز، وتمكن من الانتصار عليه؛ وإخراجه من البصرة، فلجأ إلى والده جلال الدولة، أما ظهير الدين فإنه أعلن ولاءه وطاعته لأبي كاليجار [1].

لم يكن أمر تغليب لغة السياسة – بإبرام الصلح – على لغة الحرب والصراع بين أفراد البيت البويهي إلا مسألة آنية، ولعل الهدف منها كسب الوقت لإعادة ترتيب الأوضاع، وتجميع الأنصار، إذ سرعان ما كان ينقض الصلح للعود من جديد إلى الحرب. ففي سنة 428 هـ / 1036م تم الصلح بين جلال الدولة وابن أخيه أبي كاليجار، وحلف كل واحد منهما للآخر على إزالة ما بينهما من خلافات، ولتثبيت هذا الصلح ثم عقد زواج مصاهرة بين الطرفين بأن تزوج أبو منصور بن أبي كاليجار من ابنة جلال الدولة[2].

بقي الأمر على الصلح إلى أن توفي جلال الدولة سنة 435 هـ /1043م فأرسل الجند إلى ابنه الأكبر الملك العزيز – الذي كان بواسط – ليخلف أباه في حكم العراق، مقابل أن يتعجل في منح الجند رسم البيعة. ولما لم يكن الملك العزيز يملك المال، فقد تأخر في الذهاب إلى بغداد، فاستغل أبو كاليجار هذا التأخير، وسار إلى بغداد بعد أن استمال الجند، واستحلفهم على الولاء والطاعة له، مقابل ترغيبهم بالمال، مطلبهم الأساسي. فتمكن من دخولها، وأقام الخطبة فيها لنفسه. حاول الملك العزيز استعادة بغداد، فلما وصل بجيشه إلى النعمانية[3] غدر به جنده، وتركوه وعادوا إلى واسط، حيث أقاموا الخطبة فيها لأبي كاليجار[4]. ثم حاول الملك العزيز الاستعانة بكل من والي الحلة نور الدولة دبيس بن

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 4–5؛ عرفه، الأحوال السياسية والدينية، ص17.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 14؛ عرفه، الأحوال السياسية والدينية، ص 19.

(3) النعمانية: بليدة بين واسط وبغداد في منتصف الطريق على ضفة نهر دجلة معدودة في أعمال الزاب الأعلى وهي قصبته، وأهلها شيعة غالية كلهم. الحموي، معجم البلدان، ج5، ص294.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 27.

مزيد، وصاحب الموصل قرواش بن المقلد العقيلي، ثم تنقلت به الأحوال حتى وصل إلى بغداد بعدد قليل من الجند، محاولاً استعادة ملكه، إلا أنه مني بهزيمة نكراء، هرب على أثرها إلى ميافارقين، وبقي فيها إلى أن توفي سنة 441 هـ/1049م[1].

توفي أبو كاليجار سنة 440 هـ/1048م، فتولى الملك بعده ابنه الملك الرحيم أبو نصر خسرو فيروز، الذي لم يكن حاله أفضل ممن سبقه من أمراء البيت البويهي من حيث الصراعات والحروب التي نشأت بينه وبين أفراد أسرته إذ استولى أبو منصور بن أبي كاليجار على شيراز بعد أن سمع خبر وفاة والده، فأرسل الملك الرحيم جيشاً بقيادة أخيه أبي سعد، تمكن من القبض على أبي منصور ووالدته، وإعادة الخطبة للملك الرحيم في شيراز[2].

كما طمع الملك العزيز بن جلال الدولة في السيطرة على البصرة بعد موت أبي كاليجار. إلا أن جندها حاربوه وانتصروا عليه، ولما علم باستقامة الأمور للملك الرحيم، انقطع أمله في العودة إلى الملك إلى أن مات سنة 441هـ/ 1049م[3].

تمكن أبو منصور بن أبي كاليجار صاحب فارس من السيطرة على الأهواز بعد أن انتصر على أخيه الملك الرحيم، إلا أن مقامه لم يطل فيها بسبب شغب الجند عليه، فعادت الخطبة فيها للملك الرحيم بعد أن تمكن من استعادتها سنة 442 هـ/ 1050م[4].

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج 27؛ ابن الوردي، تاريخ، ج1، ص 485؛ القلقشندي، مآثر الأنافة، ج1، ص 336 – 337؛ حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج3، ص 67.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 48؛ وفاء علي، الخلافة العباسية، ص 122.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 48؛ حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج4، ص 69.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 53– 54؛ عرفه، الأحوال السياسية والدينية، ص 23– 24.

وبقي الحال بين الملك الرحيم وإخوته في النزاع. ينتصر تارة، ويهزم تارة أخرى، إلى أن تمكن السلاجقة بقيادة طغرلبك من دخول بغداد، وقبض على الملك الرحيم آخر أمراء بني بويه وسجنه منهياً بذلك حكماً بويهياً شيعياً في العراق ليبدأ بعدها عهد جديد من السيطرة على الخلافة العباسية بدم تركي جديد يدعى السلاجقة وذلك سنة 447 هـ/ 1055م .

4- الحروب مع الروم البيزنطيين:

كانت الثغور الإسلامية في فترة الدراسة بحوزة سيف الدولة الحمداني، والذي كان يسيطر على حلب والعواصم وديار بكر، فكان هو الذي يقوم بحمايتها، ويدفع العدو عنها، جنبا الى جنب مع مولاه نصر الذي ولاه حماية هذه الثغور، فكانا يتناوبان الغزو، ولكن لم تكن لديهما الكفاية لمقاومة عدو كالبيزنطيين كانت الخلافة العباسية تهتم به أعظم الاهتمام.

هذا وقد أشاد ياقوت الحموي بجهود سيف الدولة الحمداني في صدّ غارات البيزنطيين الذي لولا جهوده هذه لتمكن البيزنطيون من الإستيلاء على بلاد الشام حيث قال:" ولم يزل هذا الثغر وهو طرسوس وأذنة والمصيصة وما ينضاف اليها بأيدي المسلمين والخلفاء مهتمين بأمرها، لا يلونها الا شجعان القواد الراغبين منهم في الجهاد. والحرب بين أهله والروم مستمرة، والأمور على مثل هذه الحال مستقرة، حتى ولي العواصم والثغور الأمير سيف الدولة علي بن أبي الهيجاء بن حمدان، فصمد للغزو وأمعن في بلادهم. وقد روي أن سيف الدولة جمع من الغبار الذي أصابه في غزواته ما صنع منه لبنة بقدر الكف، أوصى بأن يوضع خده عليها في لحده"[1].

أما البويهيون فقد كان اهتمامهم منصباً على تثبيت دعائم ملكهم الجديد في بغداد، بالسيطرة على مؤسسة الخلافة تارة، وبعزل وتنصيب الخلفاء تارة أخرى، كما كانوا منشغلين في محاربة القوى

---

[1] الحموي، معجم البلدان، ج2، ص80؛ سرور، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق، ص76.

العربية وغير العربية في العراق وخارجه، والتي كانت تشكل تهديداً قوياً للوجود البويهي، ناهيك عن الصراع داخل البيت البويهي من أجل السلطة، مما أشغل الجند والعساكر عن محاربة الروم، فضلاً عن استهلاك خزينة الدولة في هذه الصراعات. لذلك كان البيزنيطون يستغلون مثل هذه الظروف لمهاجمة الثغور الإسلامية، وقتل أهلها ونهبها دون أن يحرك البويهيون ساكناً.

ففي سنة 337 هـ / 945م سار سيف الدولة بن حمدان الحمداني بنفسه إلى بلاد الروم، والتقى معهم في معركة كبيرة، أدت إلى هزيمته، كما استولى الروم على مدينة مرعش[1]، وأوقعوا، بأهل طرسوس [2]. وفي سنة 339 هـ / 950م عاد سيف الدولة لمحاربة البيزنطيين فانتصر عليهم أول الأمر، وتوغل داخل بلاد الروم، وتمكن من فتح عدة حصون من حصون الروم، وسبى منهم عدداً كبيراً، وفي طريق العودة كان الروم قد ترصدوا له ونصبوا له الكمائن، مما نتج عنه هلاك من كان معه من المسلمين أسراً وقتلاً؛ كما تمكن الروم من استرجاع جميع الغنائم التي غنمها منهم، وأعادوا السبايا، وغنموا أثقال المسلمين، وأموالهم[3].

وفي سنة 341 هـ / 952م طمع الروم في مهاجمة البلاد الإسلامية نظراً لإنشغال البويهيين – حكام بغداد– بصراعاتهم الداخلية مع بعضهم البعض، بالإضافة إلى محاربتهم للقوى العربية في

---

(1) مرعش: مدينة من ثغور أرمينية بين الشام و بلاد الروم، وهي مدينة محصنة، لها سوران وخندق، وفي وسطها حصن عليه سور، الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 107؛ الحميري، الروض المعطار، ص 541.

(2) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق 2؛ ص 457 غير أنه يذكر أن هذه الواقعة حدثت سنة 336 هـ/ 944 م؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 289؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 160؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 330 – 331؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص 341.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 295؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 334. ولمعرفة التفاصيل عن هذه الواقعة أنظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج25، ص 45 – 46.

العراق كالإمارة الشاهينية في منطقة البطائح، فاستولوا على مدينة سروج[1] وسبوا أهلها، وغنموا أموالهم، حتى أن مساجد المدينة لم تسلم من خرابهم[2].

وفي سنة 342 هـ / 953م تمكن سيف الدولة الحمداني من العودة لغزو بلاد الروم حيث حقق نصراً عظيماً عليهم، وألحق بهم خسائر فادحة منها قتل قسطنطين بن الدمستق- ابن ملك الروم[3]. وقد أثر مقتله في والده الذي أراد الإنتقام له، فجهز جيشاً من الروم والروس والبلغار وغيرهم، ثم هاجم الثغور الإسلامية، فتصدى له سيف الدولة والتقوا عند (الحدث) [4]، واشتد القتال بينهم، حيث انتصر المسلمون، وانهزم الروم، بعد أن قتل منهم خلق عظيم، وأسر صهر الدمستق، وابن ابنته بالإضافة إلى عدد كبير من البطارقة[5].

أصبحت الحروب بين سيف الدولة الحمداني والروم بعد ذلك بين كرّ وفرّ، فكان كلما غزا أحدهما الآخر، ردّ عليه الطرف الثاني بغزو المناطق التابعة له. ففي سنة 345 هـ / 956م غزا سيف

---

[1] سروج: هي بلدة قريبة من حران من ديار مضر، وهي رستاق كثير القرى والكروم في بطن بين جبال. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 216؛ الحميري، الروض المعطار، ص 315.

[2] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق 2، ص469؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص305؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص166؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 342.

[3] قسطنطين بن الدمستق: ابن الدمستق ملك الروم، وقع في اسر سيف الدولة الحمداني سنة 342هـ/953م، وبقي عنده في الاسر الى ان مات. الثعالبي، يتيمة الدهر، ج1، ص50؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 90؛ الذهبي، العبر، ج2، ص63؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص309.

[4] الحدث: قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص227.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 94؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 169؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 246؛ كانار، ماريوس، نخب تاريخيه وأدبية لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني، الجزائر، 1934، ص 107 – 108.

الدولة إلى بلاد الروم في جيشه حتى وصل إلى خرشنة [1] وصارخة [2]. وفتح عدة حصون ثم سبى من أهلها وأسر وأحرق وخرب، عدا عن الكثير من القتلى. ثم رجع إلى أذنة [3] وأقام فيها. ولما سمع الروم بذلك جمعوا جيوشهم وساروا إلى ميافارقين، وأحرقوا سوادها ونهبوه، وسبوا أهلها، ونهبوا أموالهم.[4] وفي سنة 347 هـ / 958م ساروا عن طريق البحر، فأوقعوا بأهل طرسوس وقتلوا منهم ألفا وثمانمائة رجل، وأحرقوا القرى التي حولها.[5] وفي سنة 348 هـ 959م غزا الروم طرسوس والرها، فقتلوا وسبوا أهلها، ثم عادوا محملين بالغنائم[6]. وما ذاك إلا بسبب إنشغال الحمدانيين في حروبهم مع معز الدولة البويهي.

وفي سنة 349 هـ/ 960م وقع سيف الدولة الحمداني في كمين سبق وأن وقع فيه سنة 339هـ / 950م، إذ سار بجيش جرار إلى بلاد الروم انتقاماً منهم، وانتصر عليهم في معركة كبيرة، فتح على اثرها عدة حصون، وأخذ من السبي والغنائم والأسرى شيئاً كثيراً، حتى وصل إلى خرشنة، فسد عليه الروم مضائق طريق العودة، فلما أراد العودة نصحه أهل طرسوس أن يعود معهم، وألا يعود إلى بلاده لأن الروم قد اغلقوا الطريق الذي جاء منه، فلم يقبل بالنصيحة، وعاد من الطريق نفسها، فهاجمه الروم، وقتلوا منهم عدد كبير، ونهبوا ما كان معهم من غنائم، فضلاً عن استرجاع ما كان أخذه

---

(1) خرشنة: هي بلد قرب ملطية من بلاد الروم. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 359؛ الحميري، الروض المعطار، ص 218.

(2) صارخة. بلدة غزاها سيف الدولة سنة 339 ببلاد الروم. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 338.

(3) أذنة: بلد من الثغور قرب المصيصة على نهر سيحان. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 133.

(4) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 172؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 351؛ كانار، نخب تاريخيه، ص 117.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 325؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 351؛ كانار، نخب تاريخية، ص 118.

(6) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 356.

منهم، ولم ينج منهم سوى ثلاثمائة رجل [1]. ويذكر مسكويه أن عدد جيش سيف الدولة بلغ ثلاثون ألفاً " فأصيب المسلمون بأرواحهم، وأصيب هو بحاله وسواده وغلمانه" [2]. ويعلق ابن الأثير على تلك الحادثة بقوله: " وهذا من سوء رأي كل من يجهل أراء الناس العقلاء"[3].

وفي سنة 350 هـ / 961م سار جيش كبير من أنطاكية إلى طرسوس، ومعهم صاحب أنطاكية، ففاجأهم الروم بعد أن نصبوا لهم كميناً، نتج عنه قتل الكثير من المسلمين عدا الأسرى، وتمكن صاحب أنطاكية من النجاة بعد إصابته بالجراح[4]. فرد عليهم نجا غلام سيف الدولة- إذ دخل بلاد الروم من ناحية ميافارقين فقتل منهم، وأسر عدداً كبيراً، بالإضافة إلى الغنائم العظيمة إلى غنمها منهم[5].

كانت المصيبة الكبيرة التي لحقت بالمسلمين من الروم ما جرى سنة 351 هـ/ 962م عندما هاجم الدمستق عين زربة[6] التي كانت من أحصن الثغور الإسلامية طبيعياً، إذ كانت على سفح جبل عظيم، فأرسل الدمستق جزءاً من جيشه الذي تمكن من السيطرة على هذا الجبل، ثم نزل هو وحاصر المدينة بجيش قدره مائة وستون ألفا، بالإضافة إلى الدبابات- آلة حربية تستخدم لحرب الحصار- الكثيرة التي كانت معه، والتي عملت على نقب السور وهدمه، عندها طلب أهل المدينة الأمان من الدمستق، فأمنهم، ولما دخل المدينة أعمل في أهلها، السيف ولم يرحم لا صغيراً ولا كبيراً، ومن هرب

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 327؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 178؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 258، كانار، نخب تاريخية، ص 135.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 327.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 258.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 360؛ كانار، نخب تاريخية، ص 136.

(5) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 180؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 360.

(6) عين زربة (زربى): هو بلد من نواحي المصيصة. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص77.

منهم، مات في الطرقات، واستولى على كل ما خلفه الناس، وهدم سوري المدينة. وأقام الدمستق في بلاد الإسلام مدة واحد وعشرين يوماً، فتح خلالها أربعة وخمسين حصناً للمسلمين سيفاً وصلحاً، ولم يرع للمسلمين ذمة ولا عهداً حتى من سلموا حصهونهم بالأمان [1].

وفي هذه السنة تمكن الدمستق من الاستيلاء على مدينة حلب دون قلعتها، حاضرة ملك سيف الدولة الحمداني، وكان الدمستق قد قصدها ومعه ابن اخت ملك الروم، دون علم سيف الدولة بذلك، فلما علم بقدومهم– وكان الوقت قد فات على أخذ الاحتياطات، خرج لمحاربتهم – فقتل أكثر من كان معه، وقتل أكثر أهل بيته، وانهزم سيف الدولة، وترك المدينة، فظفر الدمستق بداره – خارج مدينة حلب – وأحرقها، ونهب أمواله وكنوزه وأسلحته التي كانت لا تحصى من كثرتها. ثم قتل من أهل حلب أكثرهم، ولم يرفع السيف عنهم إلا بعد أن ضجر جنوده من كثرة القتل، وتمكن من إطلاق سراح الأسرى البالغ عددهم ألف ومائتا رجل، ثم سبى من المسلمين والمسلمات بضعة عشر ألف صبي وصبية، ولما لم يبق معه ما يحمل عليه من المال والسلاح والأمتعة، أمر بإحراق ما بقي، كما أحرق المساجد فيها، وبقي على هذه الحال مدة تسعة أيام[2].

وفي سنة 353 هـ / 964م حاصر الدمستق المصيصة[3]، وقاتله أهلها، فلم يتمكنوا من دخولها، ومن باب الإنتقام والترهيب، أحرق الروم رستاقها ورستاق أذنة وطرسوس لمساعدتهما أهل

---

(1) مجهول العيون والحدائق، ج4/ ق 2، ص 501 فما بعد؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، 332 – 333؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 180؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 2؛ كانار، نخب تاريخية، ص 138 – 139.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 333 فما بعد؛ الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 181 فما بعد؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 2– 3 ؛ كانار، نخب تاريخية، ص 149 فما بعدها.

(3) المصيصة: هي مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم، تقارب طرسوس. الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 144 – 145؛ ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت 367 هـ/977 م) صورة الأرض، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ص 167 – 169.

المصيصة، وقتلوا خمسة عشر ألف رجل من المسلمين، وبقوا في بلاد الإسلام خمسة عشر يوماً لم يقصدهم من يقاتلهم، حتى رجعوا إلى بلادهم لغلاء الأسعار، وقلة الأقوات؛ وبعد انخفاض الأسعار عاد ملك الروم إلى طرسوس وحاصرها، ووقعت بينه وبين أهلها حروب كثيرة، ثم رحل الروم عن المدينة، وبقي الدمستق في عساكره يحاصر المدينة لمدة ثلاثة أشهر لم يمنعه أحد منها، حتى اضطروا إلى الرحيل بسبب شدة الغلاء وكثرة الأوبئة والأمراض التي أصابت جيش الروم[1]. ويذكر مسكويه أن سبب مقام الدمستق في بلاد الإسلام ثلاثة أشهر دون منازعة من أحد عائد إلى تبادل الهدايا التي تمت بين الدمستق وسيف الدولة الحمداني[2].

مثّلت سنة 354هـ / 965م فجيعة كبيرة للمسلمين لعظم البلاء الذي أصابهم بسبب الروم. فقد تمكن الروم من فتح المصيصة وطرسوس بقوة السيف بعد حصارها لمدة طويلة مدة. علماً أن أهلها طلبوا منه الأمان مقابل أن يدفعوا له أتاوة كما طلبوا منه إرسال مندوب عنه ليكون في بلادهم. وكاد أن يجيبهم إلى الأمان لولا أن جاءه خبر أن أهل المصيصة وطرسوس يعانون من ضعف في قوتهم الدفاعية وهم عاجزون عن التصدي له، بالإضافة إلى معاناتهم الشديدة بسبب الغلاء، مما دفعهم إلى أكل الكلاب والميتة من شدة الجوع عدا عن الأمراض والأوبئة التي فتكت بهم حتى أنه كان يموت منهم ثلاثمائة نفس يومياً. فوضع فيهم السيف، وقتل منهم عدد كبير، بعدها نقل أهلها البالغ عددهم نحو مائتي ألف شخص إلى بلاد الروم. وأما مدينة طرسوس فقد دخلها بعد أن أذعن أهلها بالطاعة، وطلبوا الأمان، فأجابهم إلى ذلك ثم أمرهم بالرحيل عن المدينة، على أن يحملوا من السلاح والأموال ما

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 337 – 338؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 189؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 155؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 11؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 26، ص 13؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج5، ص 386.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 340.

يستطيعون حمله، فخرجوا في البر والبحر حتى وصلوا إلى أنطاكية، ثم عمد إلى مسجد المدينة وجعله اصطبلاً للدواب، وأحرق المنبر، ولما أعاد ملك الروم بناء مدينة طرسوس وحصنها، وعمل على جلب المؤن إليها حتى رخصت الأسعار، عاد كثير من أهلها إليها، ودخلوا في طاعة الروم، حتى أن بعضهم أعلن تنصره[1]. "ومن غرائب العقول أن يجري هذا كله بثغور الإسلام، والخلاف والشقاق قد استحكم أمرهما بين ولاة المسلمين وأمرائهم"[2].

أخذت المصائب العظام تتوالى على المسلمين جراء غزو الروم لبلاد الإسلام، إذ أخذ الروم يجوبون البلاد الإسلامية دون ممانعة من أحد ففي سنة 358 هـ / 968م دخل ملك الروم الشام، دون أن يواجه أية مقاومة تذكر، وسار حتى وصل إلى طرابلس، فعمد إلى إحراقها، ثم حاصر قلعة عرقة[3]، وتمكن من الاستيلاء عليها، فنهبها وسبى أهلها. ثم توجه إلى حمص، التي أخلاها أهلها هرباً، بعد أن وصل خبر ما أحدثه الروم في طرابلس، فأحرقها، ثم قفل راجعاً إلى مدن الساحل فدخلها ونهبها ثم أخربها. وبقي ملك الروم في بلاد الشام مدة شهرين " يقصد أي موضع شاء، ويخرب ما شاء، ولا يمنعه أحد... وصار للروم الهيبة العظيمة في قلوب المسلمين". كما عزم ملك الروم على محاصرة أنطاكية وحلب، إلا أنه عدل عن عزمه لأن غلام سيف الدولة الحمداني (قرعوية) صانعه عليها؛ فعاد الروم إلى بلادهم ومعهم من السبي مائة ألف شخص، ولم يأخذوا إلا الصبيان والصبايا

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 341 – 342؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 190؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 162؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 13– 14؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص 17 –18؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج3، ص

(2) الخضري، الدولة العباسية، ص 250.

(3) عرقة: (بكسر العين) بلدة في طرابلس الشام، وهي أخر عمل دمشق في سفح جبل. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 109.

والشباب. وأما الكهول والشيوخ والعجائز فمنهم من قتلوهم ومنهم من أطلقوهم[1]. وكان قد أرسل سراياه إلى بلاد الجزيرة، حتى وصلوا إلى كفر كوثا، فنهبوا وسبوا وأحرقوا ثم عادوا إلى ديارهم غانمين [2].

وفي السنة التالية – أي سنة 359هـ/969م تمكن الروم بقيادة نقفور فوكاس من الإستيلاء على مدينة أنطاكية بعد أن أعانهم نصارى حصن لوقا على ذلك بالمكر والخديعة، فقتلوا أكثر أهلها، وسبوا ما يزيد على عشرين ألفا كلهم من الشباب (الصبيان والصبايا) وبعد أن أخرجوا المشايخ والعجائز والأطفال من المدينة ليذهبوا حيث يشاءون. ولما تم لهم الاستيلاء أنطاكية غزوا حلب التي كان يحكمها قرعويه الذي تحصن مع أهل المدينة في القلعة، فحاصرها الروم، إلى أن صالحهم قرعويه على مال يحمله إليهم، ورهائن يسلمهم إليهم[3].

وكان من بنود الاتفاق الذي تم التوقيع عليه بين الطرفين[4]:

1- أن تكون مدة الهدنة مؤبدة.
2- أن يحمل قرعويه المال للروم عن حلب وما جاورها.
3- أن لا يجلي أهل القرى والمدن عنها في حال قيام الروم بالغزو ليتمكنوا من شراء المؤن.
4- تسليم الرهائن للروم.

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 196؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 34؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ص 158 – 159؛ ابن كثير البداية والنهاية، ج11، ص 284؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص 304؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ج 1، ص 155.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 34؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الجنان، ص 158؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 258.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 201؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 36 – 37؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الجنان، ص 165 – 167؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 58؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ج1، ص 285.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 37.

ويعلق ابن كثير على ما حصل من الروم في بلاد الإسلام بقوله " وكل هذا في ذمة ملوك الأرض، أهل الرفض – ويقصد بهم العبيديين وبني بويه – قد استحوذوا على البلاد، وأظهروا فيها الفساد"[1].

كما أرسل ملك الروم جيشاً إلى ملاذكرد، حيث حاصرها وضيق على أهلها من المسلمين، وتمكن من فتحها بالقوة والقهر " فعظمت شوكتهم، وخافهم المسلمون في أقطار البلاد، وصارت كلها سائبة لا تمتنع عليهم، يقصدون أيها شاؤوا"[2].

وفي سنة 361هـ/ 971م أغار ملك الروم على مدينة الرها ونواحيها، ثم سار بجيشه في ديار الجزيرة حتى بلغ نصيبين، فغموا مالها، وسبوا أهلها، وأحرقوا أرضها، وخربوا البلاد، ثم توجهوا إلى ديار بكر، وفعلوا بها تلك الأفاعيل، دون أدنى مقاومة تذكر، حتى أن أبا تغلب بن حمدان صاحب الموصل لم يحرك ساكناً لدفعهم، سوى أنه حمل إليه مالاً كفل به عن نفسه. الأمر الذي أجج مشاعر العامة من المسلمين، لأن الخلافة في ضعف دون أمر ولا نهي، والأمير البويهي في شغل بلهوه وصيده، فتوجه جماعة من ديار ربيعة وديار بكر إلى بغداد، فعملوا على إثارة العامة فيها، واستنفروا المسلمين ذاكرين لهم ما فعله الروم في بلاد المسلمين من النهب والقتل والأسر والسبي، كما خوفوهم أن الطريق أمام الروم باتت مفتوحة أمامهم في بلاد المسلمين دون مانع لهم، فقصد الناس دار الخليفة الطائع لله، وحاولوا الهجوم عليها، وقلعوا بعض شبأبيكها، فمنعوا من ذلك، حتى أنهم كادوا يأتون على الخليفة نفسه" فأسمعوه ما كره، ونسبوه إلى العجز عما أوجب الله على الأئمة" [3]. أما الأمير البويهي بختيار – صاحب الأمر والنهي في بغداد – فقد كان منشغلاً بنزواته وصيده بنواحي الكوفة، والأمة

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 285.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 37.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 390.

الإسلامية تمر بمثل هذه المحن. فخرج إليه وجوه أهل بغداد مستغيثين ومنكرين عليه اشتغاله بالصيد، " واشتغاله عن مصالح المسلمين وإنصرافه عن تدبيرهم إلى مجاهدة عمران – عمران بن شاهين – وهو من أهل القبلة، وإهماله الروم وهم أعداء الملة، ثم تشاغله بالصيد واللهو عن جميع مهمات المملكة" [1] فوعدهم بأن يجهز الجيش للغزو، كما أمر قائد الجيش سبكتكين بالتجهز، واستنفار العامة للمشاركة بالجهاد، فاجتمع لديه عدد كبير، وكتب إلى صاحب الموصل بإعداد المؤن والامدادات للجيش، وأخيراً أنفذ بختيار إلى الخليفة المطيع لله يطلب منه المال للإنفاق على تجهيز الجيش، فاعتذر الخليفة له بأنه ليس صاحب الحل والعقد وأنه لا يملك من المال شيء، فأخذ بختيار يتهدد الخليفة ويتوعده حتى بذل 400 ألف درهم حتى احتاج إلى بيع ثيابه وانقاض داره وغير ذلك لتأمينها. ويبدو أن بختيار لم يكن في نيته الخروج لغزو الروم، وإنما كانت كل هذه التجهيزات والاستعدادات لإسكات العامة خوفاً من ثورتهم عليه. ومما يدلل على ذلك أن بختيار لما قبض المال صرفه في مصالحه، وبطل حديث الغزو بعدها[2]. فكان لا يفي بوعد ولا وعيد، وأنه يقول ولا يفعل"[3].

تمكن الروم خلال هذه الفترة من استرداد جميع الثغور الإسلامية الكبرى، وصارت لهم الهيبة في قلوب المسلمين من أهل الجزيرة والشام، وبنو بويه وبنو حمدان يغزو بعضهم بعضاً وهم عما نابهم من عدوهم مشتغلون[4].

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 390؛ أنظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 177.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 390؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 210؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 214(وقد ذكر أن بختيار أنفذ جيشاً فهزم الروم، وقتل منهم خلق كثير، وأسر أميرهم، وجماعة من بطارقته)؛ ابن الأثير، الكامل، ج7؛ ص 44، 45؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 291؛ فاروق فوزي، الخلافة العباسية ج 2، ص 98 – 99.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 391.

(4) الخضري، الدولة العباسية، ص 251.

وفي سنة 362 هـ / 972م طمع الدمستق في السيطرة على ناحية ميافارقين لما رأى أنه لا مانع له عن مراده فسار إلى آمد، التي كانت تحت حكم الحمدانيين، وينوب عنهم بها هزار مرد- غلام أبي الهيجاء بن حمدان – الذي طلب العون والمساعدة من صاحب الموصل أبي تغلب الحمداني، فبادر بإرسال النجدة بقيادة أخيه هبة الله بن ناصر الدولة، فكانت الدائرة على الروم، حتى أسر الدمستق نفسه، وبقي أسيراً لدى الحمدانيين إلى أن مات سنة 363 هـ / 973 م[1].

وفي نهاية الأمر توقفت الحروب والمعارك بين المسلمين والروم، فلم يعد أحد منهم يحاول غزو والآخر، لأن كل منهما لديه ما يشغله من أمور داخلية تغنيه عن الغزو، ولعل من أهم هذه الأمور هو الصراع على السلطة ومن أجلها، وهي القاسم المشترك الذي جمع بين الروم والمسلمين، في نهاية فترة السيطرة البويهية على الخلافة العباسية على أقل تقدير.

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 395؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 211؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 49.

الفصل الثاني

مظاهر الضعف المذهبية والفكرية وأثرها على المجتمع

اولاً- مذهب البويهيين 183

ثانياً- إحياء التقاليد الدينية الشيعية بشكل رسمي في الدولة 201

ثالثاً- الفاطميون ودورهم في نشر المذهب الإسماعيلي في العراق 226

أ- نشر المذهب الإسماعيلي في العراق....................................**226**

ب- دور داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي في نشر التشيع في العراق

.... 235

ج- البساسيري ودوره في محاولة الغاء الخلافة العباسية في العراق..........237

اولاً- مذهب البويهيين

استمرت مؤسسة الخلافة العباسية بالتدهور بعد أن أخلى الجند الأتراك دورهم القيادي للبويهيين، الذين تحولوا للإسلام، واتخذوا التشيع الزيدي[1] مذهباً لهم مع بداية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. وكان دخولهم للإسلام لأغراض سياسية، وبدافع المصلحة السياسية، ذلك لأن إسلامهم تزامن مع نشاطهم السياسي في بداية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي[2].

تبنى البويهيون سياسة مذهبية معارضة ومعادية للمذهب السني الذي تتبناه الخلافة العباسية، وذلك لدوافع سياسية واضحة، مما يعني المواجهة الحتمية بين الطرفين، مما سيعكس آثاراً سلبية على المجتمع، نتجت عن النشأة الشيعية الزيدية في بلاد الديلم، فتفاقمت في عهدهم الإنقسامات الفئوية القائمة على المذهبية في بغداد على وجه الخصوص.

لقد ارتكز المذهب الزيدي الذي تبناه البويهيون على مجموعة من المبادئ المذهبية، والتي تحدد نظرة الزيدية للإمامة وطبيعة الإمام. مما يعني كيفية تعامل الزيدية مع الخلافة العباسية القائمة. ومن أهم هذه المبادئ:

---

(1) لمعرفة كيفية انتشار المذهب الزيدي في بلاد الديلم أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص 271 فما بعد؛ الحسني، أحمد بن إبراهيم (ت منتصف ق 4 هـ/10 م) المصابيح، تحقيق: فيلفرد ماديلونغ(ضمن. أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان)، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، 1987، ص 71 فما بعد؛ أبو طالب، الناطق بالحق (424 هـ / 1033م) الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، تحقيق: فليفرد ماديلونغ (ضمن: أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان)، ص 85 فما بعد؛ الصابئ، المنتزع ص 45؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج4، ص 155 فما بعد؛ العمرجي، أحمد، الحياة السياسية و الفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي، القاهرة: مكتبة مدبولي، 2000، ص 141 فما بعد؛ صبحي، أحمد، الزيدية، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ط2، 1984، ص 188 فما بعد؛ الشامي، فضيلة، تاريخ الفرقة الزيدية بين القرنين الثاني والثالث للهجرة، النجف: مطبعة الآداب، 1974، ص 51 فما بعد.

(2) المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص373؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص 129؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 149.

1. الإمامة عندهم ليست وراثية، ولا تستوجب النص والتعيين، والإمام ليس معصوماً. بل هي بالاختيار، ويشترط فيها أن كل فاطمي من أولاد الحسن أو الحسين طلب الإمامة يعدّ واجب الطاعة [1].

2. جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل. وهذا يعني الإقرار بشرعية الخلفاء الراشدين الذين تولوا منصب الخلافة قبل الخليفة علي بن أبي طالب[2].

3. رفض مبدأ التقية[3].

4. الاتصال الفكري مع المعتزلة في الأصول- أي في العقيدة- ومع المذهب الحنفي في الفروع – أي في الفقه [4].

ولما كان البويهيون يعتنقون التشيع مذهباً؛ فهم بذلك يوالون العلويين في اعتقاداتهم ومبادئهم وخاصة فيما يتعلق بالخلافة والإمامة. لذلك فهم لا يعتقدون بأحقية العباسيين بالخلافة، بل يعتقدون أنهم أخذوها غصباً من مستحقيها، إذ تشير رواية لابن الأثير لذلك عند قوله:"... إن الديلم كانوا

---

(1) الناشئ الأكبر، عبد الله بن محمد (ت 293 هـ/ 905 م) مسائل الإمامة، تحقيق: يوسف فان إس، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، 1971، ص 42؛ ابن حزم الظاهري، علي بن احمد (ت456هـ/1063م) الفصل في الملل والاهواء والنحل، تحقيق: محمد ابراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، بيروت: دار الجليل، 1985، ج4، ص156–157؛ الشهر ستاني، الملل، ج1، ص 153 – 154؛ صبحي، الزيدية، ص 55؛ الشامي، تاريخ الفرقة الزيدية، ص 51.

(2) الناشئ الأكبر، مسائل الإمامة، ص 42؛ الشهر ستاني، الملل، ج1، ص 55.

(3) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم(ت548هـ/1153م) الملل والنحل، صححه: احمد فهمي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط7، 2007، ج1، ص 154 – 155.

(4) الأسفراييني، شاهفور بن طاهر(ت471هـ/1078م) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: مجيد الخليفة، بيروت: دار ابن حزم، ط1، 2008، ص 188؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج 1، ص 154؛ صبحي، الزيدية، ص 221 – 222؛ جولدتسيهر ،اجناس، العقيدة والشريعة في الإسلام: تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الاسلامية، ترجمة: محمد يوسف موسى واخرون، القاهرة: دار الكتاب المصري، 1946، ص 224؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج1، ص 124.

يتشيعون ويغالون في التشيع، ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة، وأخذوها من مستحقيها، فلم يكن عندهم باعث ديني على الطاعة"[1]. ولكن ما يطرح من تساؤل هو لماذا أبقى البويهيون الشيعة على الخلافة العباسية السنية، وهم أصحاب الأمر والنهي في الدولة؟!.

كان هاجس القضاء على الخلافة العباسية السنية وإلغائها لدى معز الدولة احمد بن بويه أول الأمراء البويهيين في العراق ومن جاء بعده من أمراء البويهيين موجوداً. إذ ساق لنا بعض المؤرخين روايات عديدة كلها تثبت أن معز الدولة فكر في الإقدام على خطوة غاية في الجرأة والخطورة وهي إلغاء الخلافة العباسية، وإقامة خلافة علوية مكانها. وغير أن الخلاف بين هذه الروايات انصب حول الشخصية العلوية البديلة لشخصية الخليفة العباسي. هل سيكون زيدياً أم اسماعيلياً أو علوياً بغض النظر عن كونه زيدي أو فاطمي؟!

فقد أورد الهمذاني أن معز الدولة " عزم أن يبايع أبا الحسن محمد بن يحيى الزيدي العلوي"[2]. مما يظهر ولاء البويهيين المذهبي. إلا أن وزيره الصيمري خوفه من مغبة هذه الخطوة وأثناه عن عزمه قائلاً: " إذا بايعته استنفر عليك أهل خراسان وعوام البلدان، وأطاعه الديلم ورفضوك، وقبلوا أمره فيك. فبنو العباس قوم منصورون، تعتلّ دولتهم مرة وتصحّ مراراً، وتمرض تارة وتستقل أطواراً، لأن أصلها ثابت وبنيانها راسخ"[3]. مما دفع معز الدولة الى العدول عن قراره.

أما ابن الأثير فيورد رواية مفادها أن معز الدولة قرر إعلان تبعيته المذهبية للدولة الفاطمية إذ يقول: " لقد بلغني أن معز الدولة استشار جماعة من خواص أصحابه في إخراج الخلافة من العباسيين

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 315.

(2) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 149.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص 149.

والبيعة للمعز لدين الله العلوي أو لغيره من العلويين"[1]. فانقسم أتباعه الى قسمين: قسم مؤيد لمعز الدولة بالتبعية للفاطميين، وهم الأغلبية. وبعض خواصه نصحوه بالتريث وعدم الإقدام على هذه الخطوة غير المدروسة، مما قد يعرض حكم البويهيين للخطر، قائلاً له: " ليس هذا برأي فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته. فلو أمرهم بقتلك لفعلوه. فأعرض عن ذلك"[2]. ويبدو أن تراجع معز الدولة عن إعلان التبعية للخليفة الفاطمي في مصر أو الى خليفة زيدي- كما ذكر الهمذاني- هو مصلحة الأسرة البويهية في الحكم في المقام الأول والأخير، دون الإنقياد والإئتمار بأمر الغير، أي أن يصبحوا تابعين لخليفة صاحب أمر ونهي، ومعترف بشرعيته بالحكم، وتجب له الطاعة، لأنه معصوم – وفقاً للمذهب الشيعي- ثم إن هنالك سبب آخر وهو الخوف والخشية من ثورة أهل السنة الموالين للخلافة العباسية في مشرق الدولة العباسية ومغربها، وخصوصاً أهل بغداد وخراسان.

وفي رواية ثالثة يسوقها البيروني تبين أن معز الدولة أراد نقل الخلافة إلى أحد العلويين دون تسمية شخصيته ودون الافصاح عن هويته المذهبية، مما يدل على أنه لا يريد أن تكون تبعيته للدولة الفاطمية الاسماعيلية التي كانت قائمة في مصر آنذاك. إذ يقول عن معز الدولة أنه " كان يفرط في التشيع وأنه أشخص من نواحي فارس أحد كبار العلويين، مشتهراً بالديانة وحسن السيرة والصيانة...

---

(1) ابن الأثير الكامل، ج6، ص 315، علماً أن المعز لدين الله الفاطمي تولى الخلافة سنة 341 هـ/ 952م أي بعد سبع سنوات من دخول البويهيين إلى بغداد، وابن الأثير يذكر هذه الرواية بعد خلع المستكفي مباشرة أي سنة 334 هـ/ 945م. أنظر: الذهبي سير، ج 15، ص 159.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 315.

وأنه استحضره ليوصل الحق إلى ذويه ويسلم الملك والخلافة إلى أهليه، وأنه أولى بسياسة الأمة بحق الوراثة وما خصه الله وجمعه فيه من الفضل والعدل وحسن الطريقة"[1].

غير أن هذا العلوي اعتذر لمعز الدولة عن قبول الخلافة، بل أنه نصحه بالعدول عن هذه المحاولة مخوفاً إياه من انقلاب الناس ضده قائلاً له:" إن عامة الناس في الأقطار والأمصار قد اعتادوا الدعوة العباسية، ودانوا بدولتهم، وأطاعوهم كطاعة الله والرسول، ورأوهم أولي الأمر، وتزاحموا على الانقياد الى ولاتهم، ولم يعهدوا من العلوية الناجمين غير الأسر والقتل، فاعتقدوا فيهم العصيان والكفران بالخروج على خلفاء الله وولاة الأمر، فإذا فعلت ما أضمرته وأزمعته بادهت- أي المفاجأة والمباغتة والمخالفة- الجمهور بما تعودوا غيره فلم ينقادوا له دفعة، وحسدك من لا يخالفك في العقد على اتخاذه ذلك بك دونه. فلن تستغن في نقل الملك من قبيلة إلى أخرى عن حروب تتوالي عليك حتى تضجرك، وأنا سببها، فتراني حينئذ بعين المقت والبغضة، وتنطوي فيما فعلت إلى الندامة والحسرة، فيحيط- ولعلها فيحبط- أجر ما انتدبت له من تلك الفعلة. هذا إذا رزقت في مغازيك الفلح والنصرة، وأما إن جرى الأمر بخلافه فقد زال ملكك..... فما الذي يدعوك الى التعرض للحتوف والمهالك"[2].

ونتيجة الأمر من هذه الروايات المتعددة أن الخلافة العباسية ما زالت قائمة، وأن البويهيين تخلوا عن فكرة إزالة الخلافة العباسية، وإقامة خلافة علوية مكانها، سوى بعض المحاولات قام بها بعض

---

(1) البيروني، محمد بن أحمد (ت 430 هـ/ 1038م) الجماهر في معرفة الجواهر، بيروت عالم الكتب، ط3، 1984، ص 22-23.

(2) المصدر نفسه، ص 23.

أمراء بني بويه لنقل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت البويهي نفسه، وهذا ما سنأتي على ذكره لاحقاً.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، ما الذي منع البويهيون من إلغاء الخلافة العباسية وتحويلها إلى خلافة علوية أو زيدية، على الرغم من قدرتهم العسكرية على ذلك؟!

يمكن تقديم ثلاث فرضيات رئيسة تفسر الأسباب التي حدت بالبويهيين إلى التخلي عن فكرة إزالة الخلافة العباسية في هذه الأوقات بالذات وهي:

أولاً: فرضية تتهم البويهيين بالانتهازية والوصولية، وبأنهم خانوا عقيدتهم الشيعية الزيدية في سبيل مصلحتهم السياسية الخاصة(1).

ثانياً: فرضية تؤكد أن البويهيين ساروا على المبدأ الزيدي في إقرارهم بالخلافة العباسية، ذلك المبدأ الذي يجوز إمامه المفضول مع وجود الأفضل خاصة إذا أملتها الظروف والمصلحة السياسية(2).

ثالثـاً: فرضية تقول إن التطورات التي استجدت في العصر العباسي دعت إلى انفصال الدين عن السياسة، وكان الشيعة- وخاصة الإمامية – أول من اعترف بذلك وقبل به. وبما أن الخليفة

(1) فاروق فوزي، العراق والتحدي الفارسي،، ص 194.

(2) فاروق فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص 194 – 195؛ حسن أحمد محمود. أحمد إبراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، القاهرة: دار الفكر العربي 1982، ط5، ص 522.

أصبح رمزاً يمثل سلطة دينية وروحية لا صلة له بالحياة السياسية الدنيوية، فقد قبل البويهيون الإبقاء على الخليفة العباسي بشرط ألا يحاول إعادة سلطته الدنيوية التي فقدها منذ مدة(1).

كما يمكن إضافة عوامل أخرى ثانوية ساعدت على المحافظة على الخلافة العباسية، وعدم إلغائها منها: أن غالبية سكان بغداد كانوا من أهل السنة وأن نصف جيش معز الدولة كان من الأتراك السنة، وأن مكانة الخليفة العباسي الدينية كانت قوية عند جماهير العامة من الناس، لا يمكن إلغاؤها بسهولة وبصورة مفاجئة(2). " فبنو العباس قوم منصورون، تعتل دولتهم مرة وتصح مراراً، وتمرض تارة وتستقل أطواراً، لأن أصلها ثابت وبنيانها راسخ"(3).

إن الروايات التاريخية التي تشير إلى رغبة معز الدولة في إلغاء الخلافة العباسية وتحويلها إلى خلافة علوية، هي روايات ضعيفة في حبكتها، عديمة في موثوقيتها(4).

فرواية الهمذاني التي تشير إلى أن البويهيين أرادوا خليفةً علوياً زيدياً تتعارض والسياسة البويهية القائمة على عدم الاعتراف بأئمة الزيدية الذي ظهروا خلال الهيمنة البويهية على العراق، كما أنها تتجاهل حقيقة سنية خراسان خلال تلك الحقبة وولائها الشديد للخلافة العباسية السنية(5).

---

(1) البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق، ادوارد سخا، بيروت: دار صادر، د. ت، ص 132؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 392؛ عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ج 11، ص 428؛ فاروق فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص 195.

(2) فاروق فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص 195.

(3) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص149.

(4) مضر طلفاح، دار الخلافة ودار المملكة، دراسة في العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة البويهية (334-447هـ/946-1055م) وأثرها في الفكر السياسي السني، إربد: مؤسسة حمادة، 2008، ص 226.

(5) المرجع نفسة، ص 226.

أما رواية ابن الأثير التي تدل على مبايعة البويهيين زيديي المذهب لخليفة فاطمي إسماعيلي المذهب، فطلفاح ينفي صحة هذه الرواية لعدم واقعيتها لأنها أمر عقائدي يتمثل في اختلاف نظرة كل منهما – الزيدية والإسماعيلية– للإمامة(1). وبالتالي فهو أمر غير وارد(2).

كما أن المستشرق (هاملتون جب) يشكك هو الآخر في صحة رواية ابن الأثير الداعية إلى تبعية البويهيين للفاطميين. فمن جهة فهو يقرّ أنها دون سند صحيح، ومن جهة أخرى فهو ينفي زيدية مذهبية البويهيين في الأصل. فلو أنهم زيدية لكان عليهم أن يلتفوا حول إمام يعتقدون بإمامته، بل أنه ذهب إلى أبعد من ذلك عندما ألمح أن البويهيين قد يكونون اثني عشرية المذهب معللاً ذلك بسلوك البويهيين في أيامهم الأخيرة(3).

فلو سلمنا ل (جب) في شكه في صحة رواية ابن الأثير من حيث أنه لا سند لها يسندها، لدفعنا هذا التسليم إلى التشكيك في معظم ما أورده ابن الأثير من أخبار وروايات بل ونفيها. فكما هو معروف أن ابن الأثير لا ينتمي إلى مدرسة المؤرخين الذين يعتمدون على اسناد رواياتهم التاريخية بذكر سلسلة الرواة الذين رووا تلك الروايات، تلك المدرسة التي كانت سائدة لدى أغلب المؤرخين الذين سبقوه.

أما قول (جب) أن البويهيين ليسوا زيدية المذهب، فلو كانوا كذلك لالتفوا حول إمام يعتقدون بإمامته يقودهم إلى ثورة علنية ضد السلطة، وهذه الفرضية غير موجودة تاريخياً، ففيه ما يدل على أن

---

(1) للتعرف على رأي كل من الزيدية والإسماعيلية في الإمامة، أنظر: البغدادي، الفرق، ص 22، 62 الشهر ستاني، الملل والنحل، ج1، ص 153، 170.

(2) طلفاح، دار الخلافة،، ص 226.

(3) فاروق فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص 194؛ أنظر كذلك: العش ، يوسف ، تاريخ عصر الخلافة العباسية، بيروت، دار الفكر، د. ت، ص 188.

(جب) لا يعرف تفاصيل واعتقادات ومبادئ المذهب الزيدي، بل أنه يجهل حتى أشهر وأهم التيارات الفكرية الداخلة في المنظومة المذهبية الزيدية، وكيف تنظر كل من هذه التيارات إلى منصب الخلافة[1].

ولعل ما يهمنا من هذه التيارات تياران باعتبار انقسام العديد من الكتابات في انتماء البويهيين إلى أحدهما:

أولهما: تيار السليمانية [2] الذي جوّز إمامه المفضول مع وجود الأفضل، ولكنها ذهبت إلى رفض النص على علي بن أبي طالب مع اعتباره الأفضل بين الصحابة، ولذلك اعترفت بصحة خلافة أبي بكر وعمر. ومن هنا فإنها لم تكفر الصحابة إلا أنها كفرت عثمان دوناً عنهم بسبب ما أخذ عليه من الأحداث[3].

---

[1] لمعرفة المزيد عن تيارات الزيدية المختلفة وانقسامها حول نظرتها للخلافة راجع: البغدادي، الفرق، ص 22 فما بعد؛ الحاكم الجشمي، المحسن بن محمد (ت 494 هـ/ 1104م) نخب من جلاء الأبصار، تحقيق فيلغرد مايد لونغ، ضمن أخبار أئمة الزيدية من طبرستان وديلمان وجيلان، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، 1987، ص 128 – 129؛ الشهر ستاني، الملل والنحل، ج1، ص157 فما بعد.

[2] السليمانية: هم أتباع سليمان بن جرير الزيدي، يقال لهم الجريرية أيضاً، كان سليمان يقول: أن الإمامة شورى، وأنها تنعقد بعقد رجلين من خيار الأمة، وأجاز إمامة المفضول، وأثبت أمامة أبي بكر وعمر. وزعم أن الأمة تركت الأصلح في البيعة لهما، لأن علياً كان أولى بالإمامة منهما، إلا أنه الخطأ في بيعتهما لا يوجب كفراً ولا مسبقاً، إلا أنه كفر عثمان بالأحداث التي أخذت عليه. أنظر الأشعري، علي بن إسماعيل (ت 324 هـ/ 935م) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. عني بتصحيحه: هلموت ريتر، ط3، د. ت، ص 68، البغدادي، عبد القاهر (ت 429 هـ/ 1037م) الفرق بين الفرق، تحقيق محمد عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، 1995، ص32 – 33، ويضيف الشهر ستاني عن سليمان بن جرير أنه" يطعن في الرافضة"، الملل، ج1، ص 159.

[3] الحاكم الجشمي، نخب، ص 128 – 129؛ ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والنحل، ج4، ص157؛ الشهر ستاني، الملل، ج 1، ص 159 – 160.

ثانياً: تيار الجارودية [1] الذي ذهب أصحابه إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علي بن أبي طالب بالصفة لا بالاسم.... وأن الصحابة كفروا كلهم بتركهم بيعة علي ومخالفتهم النص الوارد عليه[2].

وبناء عليه تكون الفرقة الجارودية التي تطرفت في أرائها وطروحاتها هي الفرقة الزيدية الأرجح كمصدر فكري للدولة الزيدية في طبرستان والديلم والأسرة البويهية[3]. ولعل هذا يتوافق مع ما جاء في رواية ابن الأثير عندما قال: " إن الديلم كانوا يتشيعون ويغالون في التشيع، ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها"[4].

وكما هو معروف فإن الغلو الذي كان عليه البويهيون لا يتفق مع التسامح الذي كانت عليه السليمانية البتة. ومما يؤكد ذلك أيضاً ما ذكره ابن دقماق من " أن معز الدولة كان رافضياً... " [5]. ولما كانت السليمانية تطعن في الرافضة[6]، تبين من ذلك أن معز الدولة ليس سليمانياً بل كان – على

---

[1] الجارودية: هم أتباع أبي الجارود بن زياد، زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علي بالوصف دون الاسم، وزعموا أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي. كان أبو الجارود رافضياً ضريراً، يصنع الحديث في مثالب أصحاب رسول الله. ويروي في فضائل أهل البيت أشياء مالها أصول. كان معدوداً من أهل الكوفة الغالين، مات بين سنين 150 و 160 هـ. أنظر: الأشعري مقالات، ص 66 – 67؛ البغدادي، الفرق، ص 30– 31؛ الشهر نساني، الملل، ج1، ص 157؛ الحفني، عبد المنعم، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط3، 2005، ص 202.

[2] ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والنحل، ج4، ص157؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص157؛ طلفاح، دار الخلافة، ص 168.

[3] طلفاح، دار الخلافة، ص 169، 171.

[4] ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 315.

[5] ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج1، ص 182 – 183، أنظر: الذهبي، دول الإسلام، ج1، ص 207.

[6] الشهر ستاني، الملل والنِحل، ج 1، ص 159.

حد قول ابن دقماق والذهبي – رافضياً، وقد اتفق ذلك مع ما ذكر عن أبي الجارود – صاحب الجارودية – أنه كان رافضياً أيضاً [1].

أما حسن أحمد محمود فإنه يقر أن البويهيين شيعة على مذهب الزيدية، غير أنه يرجح أن أقرب فرق الزيدية إلى بني بويه هي فرقة السليمانية التي سار أتباعها بالمذهب الزيدي نحو التسامح[2]. وهذا يمكن نفيه مع ما تقدم ذكره.

وعودٌ على تشكيك طلفاح في روايات نقل البويهيين للخلافة من عباسية إلى علوية، فنراه لا يثق في رواية البيروني. إذ أنه يقرّ أن هذه الرواية تقرّ بحقيقة المشروع البويهي بإلغاء الخلافة العباسية لصالح خلافة علوية من غير تحديد لهوية الخليفة الجديد المذهبية، إلا أنها تؤكد صعوبة تحقيق هذا المشروع لاصطدامه بالتوازن الإقليمي العباسي، ومعارضة تقبل الأمة للمشروع لترسخ مفهوم أبدية الاستخلاف الإلهي للبيت العباسي[3].

ويمكن الخلوص من هذا العرض إلى نتيجة مؤداها أن معز الدولة البويهي الزيدي أم الاثني عشري، السليماني أم الجارودي، قد عدل عما كان قد عزم القيام به من تحويل الخلافة العباسية إلى خلافة علوية لأمرين اثنين:

---

(1) الحفني، موسوعة الفرق، ص 202.

(2) حسن محمود، العالم الإسلامي، ص 522. ولمعرفة من وافقه على رأيه أنظر: العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي، بيروت: دار النهضة العربية، 1971، ص 164 – 165؛ عبد المولى، محمد أحمد، العيارون والشطار البغاددة، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1986، ص 110.

(3) طلفاح، دار الخلافة، ص 226.

أولهما: هو أن الخليفة أصبح رمزاً يمثل سلطة دينية وروحية لا صلة له بالحياة في الدولة لأول مرة في تاريخها السياسي[1]. هذا المبدأ الذي كان وراء ميل المستشرق (جب) في نسبة الاثني عشرية لمذهبية البويهيين بدعوى أن الاثنا عشرية كانت أول من أدرك ضرورة فصل الدين عن السياسة، واعترفت به وطبقته. وهذا يتماشى مع التطورات السياسية والإدارية والعسكرية التي شهدتها الخلافة العباسية. وما نتج عن هذا التطور من ابتعاد الدين عن المؤسسات السياسية والدنيوية مما ولد شعوراً في بعض الحلقات بأن الحل الوحيد لحفظ القيم الإسلامية بصورة فعالة يكون بفصلها عن التنظيم السياسي، وهو ما أدركته الشيعة الإمامية فكانت" غيبة الإمام الثاني عشر قبولاً ضمنياً للحقيقة القائلة بأن العمل على إقامة خلافة علوية سوف لا يغير سير الحوادث، بل أنه سيؤدي إلى اضطرابات جديدة في المجتمع الإسلامي وتفرقه دون كسب حقيقي[2].

وقد أوضح لنا البيروني بما لا يدع مجالاً للشك في أن البويهيين قد مارسوا مبدأ الفصل بين الدين والسياسة، عندما قال: " إن الدولة والملك قد انتقل في آخر أيام المتقي وأول أيام المستكفي من آل العباس إلى آل بويه، والذي بقي في أيدي العباسية إنما هو أمر ديني اعتقادي لا ملكي دنياوي... فالقائم من ولد العباس الآن إنما هو رئيس الإسلام... لا ملك"[3].

والأمر الثاني: هو الخوف السياسي – إذا جازت التسمية – مما يعني أن معز الدولة قد خاف حقيقة على مصالحه السياسية الخاصة، ومصالح أسرته عامة بفقدانها مملكتها التي طالما سعت لإقامتها. وكان خوفه يتجلى من باعثين اثنين. فالباعث الأول هو الخوف من وجود خليفة علوي أو

---

(1) البيروني، الآثار الباقية، ص 132؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 392؛ عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ج 11، ص 428؛ فاروق فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص 195.

(2) فاروق فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص 194؛ أنظر: طلفاح، دار الخلافة ، ص 174.

(3) البيروني، الآثار الباقية ، ص 132.

زيدي قوي يحلُّ محلَّ خليفة عباسي ضعيف مما سيؤدي بالتالي إلى تغيير موازين القوى بين السلطة السياسية والسلطة الدينية. وحقيقة الأمر أن هذا التغيير في موازين القوى لا شك عندها سينصبّ في صالح السلطة الدينية مما يعني تقلص سلطات وصلاحيات السلطة السياسية وممثلها معز الدولة البويهي[1].

أما الباعث الثاني للخوف فهو الخوف من إثارة أهل المذهب السني سواء كانوا أهل خراسان وغيرهم ممن كانوا يدينون مذهبياً بالاتجاهات السنية. أو أغلبية عامة بغداد والذين لا يعترفون بالولاء إلا للخلفاء العباسيين[2]. كما لا يفوتنا أن نذكر أن الجيش البويهي كان يتكون من عنصرين رئيسين هما الديلم وولاؤهم المذهبي شيعي مدعوماً بالسلطة السياسية البويهية، والأتراك وولاؤهم المذهبي سني[3].

لقد اقتضت المصلحة السياسية لدى معز الدولة أن يعترف بخلافة العباسيين وهم مفضولون مع وجود العلويين وهم الأفضل – بحسب مبادئ المذهب الزيدي– مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذا الاعتراف لا يعني بالضرورة أن يكنّ البويهيون أي شعور بالاحترام والاعتراف بأحقية العباسيين بالخلافة – أي بالشرعية– إذ أن الملاحظ في العلاقة بين الأمير البويهي والخليفة العباسي تنم عن إصرار من جانب البويهيين على فرض الهيمنة البويهية على الخلافة، والسيطرة المطلقة على مقاليد الأمور، وذلك بتكوين دولة بويهية وراثية داخل دولة الإسلام.

---

(1) أنظر: ابن الأثير الكامل، ج6، ص 315.

(2) البيروني، الجماهر، ص 23؛ فاروق فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص 195.

(3) مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص391، 405 ؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 215؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص227؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص294؛ الخضري، محمد بك، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، بيروت: دار الفكر العربي، د. ت، ص 381، أنظر:
Siddiqi, Amir, caliphate and kingship in medieval Persia, philladelphia porcupine press. P.43.

لقد تأثر البويهيون بتلك النشأة الشيعية الثورية التي قاد لواءها الجارودية، لذلك من غير المستهجن أن يكون دخولهم إلى بغداد بعقيدتهم في عدم أحقية العباسيين بالخلافة له من الآثار ما يمكن تتبعه، وبيان آثاره على الخلافة والمجتمع في آن واحد. ذلك عدا عن إتباعهم سياسة طائفية عدائية عمقت الصراعات والنزاعات بين الفئات الاجتماعية المختلفة، لتحقيق مصالح سياسية، لذلك نجدهم يساندون طائفة ضد أخرى، مما كان له الأثر في وقوع الفتن والاضطرابات المختلفة.

ويتساءل أحمد صبحي ويستهجن من قول البعض أن البويهيين حافظوا على عقيدتهم الزيدية، فهو يقول" ماذا بقي من مظهر زيدي في مثل هذه السلطة؟ لا شيء غير رسوم وأشكال منها: الاحتفالات الرسمية بالمواسم الشيعية مما آثار أهل السنة، وأدى إلى قيام الاضطرابات الطائفية بينهما، سير الوزراء حفاة الأقدام مسافة فرسخ حتى يدخلوا كلاً من مشهدي الإمام علي في النجف والشهيد الحسين في كربلاء. قدسوا الأموات بعد أن أماتوا قيمهم ومبادئهم التي من أجلها استشهدوا، فأين معز الدولة من الناصر الأطروش؛ ذلك سلطان وهذا إمام. وهذا ما نعنيه من القول: والوا أئمة آل البيت ولم يوالوا قيمهم ولا مبادئهم[1].

وبسبب مذهبية البويهيين العنصرية لم يكتفوا بأخذ السلطة الدنيوية من أيدي الخلفاء العباسيين، وسيطرتهم المطلقة عليهم بين عزل وتولية من تتحقق معه مصالحهم السياسية والدينية، بل عمدوا إلى مشاركة الخليفة في مظاهر سيادته الدينية، مما يؤكد ان البويهيين اتبعوا سياسة عنصرية قائمة على سلب الخلفاء العباسيين حتى مظاهر سلطتهم الدينية، باعتبار انهم يمثلون المذهب السني،حيث شاركوا الخلافة في امتيازاتها وشاراتها والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: الخطبة: وهي الرمز الأول لسيادة الخليفة السياسية، وأهم شارة من شارات الخلافة، حيث كان يذكر اسم الخليفة في الخطب أيام الجمع والأعياد في جميع الأقاليم التي كانت تتبع الدولة. والتي تعبر عن اعتراف صريح بالخليفة وسيادته على الإقليم الذي تقام فيه الخطبة ويذكر فيها اسم

(1) صبحي، الزيدية، ص 205.

الخليفة. أما أمراء الحضرة فلم تجر العادة بذكرهم على منابر بغداد، وإنما كان يخطب لهم على منابر البلاد البعيدة الجارية في ولاياتهم[1].

ففي سابقة هي الأولى اغتصب البويهيون هذا الرمز، وتجرأوا على قرن أسمائهم مع اسم الخليفة في خطبة الجمعة، يقول مسكويه في سنة 368 هـ/978م: " خرج أمر الطائع لله إلى خلفائه على الصلاة في جوامع مدينة السلام بأن يقيموا لعضد الدولة الدعوة تالية لإقامتها له على منابرها"[2]" ولم يكن قبل ذلك يخطب لأحد ببغداد[3]، علماً أن اسم الأمير كان يذكر إلى جانب اسم الخليفة في كل الأقاليم التي سيطر عليها البويهيون فيما عدا بغداد [4]، وفي ذلك معنى في غاية الخطورة وهو اعتراف صريح من الخليفة للأمير البويهي بالسيادة الكاملة في بغداد. كما في ذلك دلالة على قوة الامير عضد الدولة اللذي استطاع ان يوحد البويهيين، ويوسع حكمهم حتى شمل خراسان والعراق والجزيرة وعُمان وغيرها[5].

ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ من ضعف وهوان الخليفة، وتجاسر البويهيين على الخلفاء لدرجة أن يحذف اسم الخليفة من الخطبة ويبقى اسم الأمير البويهي لمدة شهرين تقريباً، ويذكر ابن الجوزي في حوادث سنة 364 هـ / 974م ما نصه " وقطعت خطبة الطائع من يوم الجمعة / لعشر بقين من جمادى الأولى إلى أن أعيدت في يوم الجمعة لعشر بقين من رجب، فلم يخطب في هذه المدة لإمام، وذلك لأجل تشعث جرى بينه وبين عضد الدولة"[6].

---

(1) الصابئ، رسوم دار الخلافة، تحقيق، ميخائيل عواد، بيروت: دار الرائد العربي، ط2، 1986، ص 133.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 413. أنظر كذلك: ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 260؛ النويري، نهاية الإرب، ج12، ص 123. Siddiqi, caliphate, p.36.

(3) ابن الأثير الكامل، ج7، ص 90؛ ابن كثير، البداية، ج11، ص 312؛ المقريزي، السلوك، ص 134 (مقدمة المؤلف)؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج10، ص 78.

(4) فاروق فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص 196 – 197.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 294–295؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج4، ص51؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص247.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 235؛ أنظر: الدوري، دراسات، ص 253.

ثانياً: قرع الطبول (النوبة): تعتبر عادة قرع الطبول على باب قصور الخلفاء من شارات الخلافة المهمة، إذ كانت الطبول تقرع على أبواب قصر الخليفة خمس مرات في أوقات الصلوات الخمس المفروضة يومياً، إلا أن عصر التسلط البويهي شهد مشاركة أمراء بني بويه للخليفة في هذا الأمر، وكان أول من منح حق ضرب الطبول على بابه من البويهيين هو عضد الدولة. ففي سنة 368 هـ / 978م أجبر عضد الدولة الخليفة الطائع على منحه حق ضرب الطبول على باب قصره ثلاث مرات يومياً – وقت الفجر، وبعد المغرب والعشاء [1]. وقد كان معز الدولة قد سأل الخليفة أن يمنحه حق ضرب الطبل على باب قصره إلا أن الخليفة لم يأذن له بذلك[2].

وفي سنة 418 هـ / 1027م دخل جلال الدولة بغداد " وتقدم بأن تضرب له الطبل على بابها في أوقات الصلوات الخمس على مثل ما كان سلطان الدولة فعله عند وروده وغيره مشرف الدولة بعده" [3]. إلا أن الخليفة غضب من طلبه ورفضه لأن فيه مساواة له في خصوصية ذلك. إلا أنه أبقى على ضرب الطبل على باب قصر الأمير ثلاث مرات كما جرت العادة بذلك أيام عضد الدولة وصمصام الدولة وشرف الدولة وبهاء الدولة[4].

ولما دخل أبو كاليجار بغداد سنة 436 هـ / 1044م أمر بضرب الدبادب – الطبول – على باب داره في أوقات الصلوات الخمس أسوة بالخليفة، فاعترض الخليفة القائم على ذلك الإجراء، وأمر

---

[1] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 443؛ الصابئ، رسوم الخلافة، ص 137؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 90 – 91؛ وأشار الذهبي في العبر إلى أنه" ضربت له النوبة ثلاث أوقات في النهار" ج 2، ص 128؛ سرور، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق، ص57؛ .Siddiqi, Caliphate,p.38.

[2] الصابئ، رسوم الخلافة، ص 136؛ الذهبي، العبر، ج2، ص 128؛ ابن كثير، البداية، ج11، ص 312؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 136 – 137؛ سرور، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق، ص57.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 183.

[4] ابن الجوزي، المنتظم، ج15،ص 183؛ سرور، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق، ص57.

بقصرها على ثلاث مرات، ولكن الأمير لم يلق لأمر الخليفة بالاً واستمر ضرب الطبول على باب داره في خمسة أوقات [1].

لم يقنع جلال الدولة بذلك بل أنه أصرّ على الخليفة أن يمنحه حق ضرب الطبل على باب قصره خمس مرات، متعللاً بسلطان الدولة الذي ضرب الطبل على بابه خمس مرات. وبقي يلحّ على الخليفة إلى أن أجبره على الأمر بضرب الطبل في أوقات الصلوات الخمس[2].

ثالثاً: السكة: يعد ضرب اسم الخليفة على السكة – النقود – دليل رمزي على السيادة السياسية والدينية للخليفة، وبمجيئ البويهيين وسيطرتهم على بغداد، وفي ظل ضعف خلفاء فترة التسلط البويهي، بدأ ذكر اسم امراء بني بويه على السكة يظهر، وما هو الا دليل على مشاركة الامير البويهي للخليفة العباسي بخصوصيات السيادة الدينية للخليفة. ففي سنة 334 هـ / 945م أمر الخليفة المستكفي " أن تضرب ألقابهم– اي القاب امراء بني بويه عماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة– وكناهم على الدنانير والدراهم" [3]. ويذكر القلقشندي أن أول من نقش اسمه من الملوك على الدنانير والدراهم مع الخلفاء معز الدولة بن بويه وإخوته ملوك الديلم"[4].

وبمرور الزمن أصبحت السكة بيد البويهيين الذين تغلبوا على جميع مقاليد الأمور في الدولة العباسية، بعد أن كانوا يباشرون الإشراف على ضرب السكة بتفويض من الخليفة، لينالوا شرعية وجودهم وحكمهم في بغداد، إذ أخذ الأمراء البويهيون يشرفون على دور ضرب السكة، ولما استضعفوا الخلفاء حذفوا لقب أمير المؤمنين على السكة، واكتفوا بذكر اسم

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، 293 ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 40.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 183؛ سرور، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق، ص57.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 275؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 314 أنظر:
Treadwell, Luke, Buyid coinage A Die Corpus (322 – 445 A. H.). London: Chameleonpress, 2001 p. 126 – 127.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص 416؛ – مأثر الأنافة، ج1، ص 300.

الخليفة فقط مجرداً من الألقاب[1]، وفي مقابل ذلك لم يكتف الأمير البويهي بذكر اسمه فقط، بل زاد على ذلك الألقاب والكنى التي استحصلها من الخليفة، وأحياناً كان يضاف اسم كبير العائلة البويهية وألقابه، بل وحتى ألقاب ولي العهد في بعض الأحيان [2].

لم يقتصر الأمر على نقش الألقاب التي كان يلقبهم بها الخليفة أو يجبرونه على تلقيبهم بها، بل أن البويهيين نقشوا على السكة ألقاباً لم يمنحها الخليفة لهم. فقد وجد على سكة ضربت بتاريخ 370هـ / 980م لقب (شاهنشاه- اي ملك الملوك) بجانب اسم عضد الدولة [3]. مع العلم أن أول من منح هذا اللقب هو جلال الدولة من قبل الخليفة القائم بامر الله العباسي وذلك سنة 429هـ/ 1037م[4].

كان اسم الخليفة يذكر دائماً على وجه السكة كدليل على مدى قوة وهيبة هذا الخليفة. غير أنه في فترات ضعف الخلفاء، وقوة الأمراء المتغلبين على السلطة كأمراء بني بويه فقد كان اسم الخليفة يذكر على خلف السكة دلالة على مدى ضعفه وتدهور علاقته بالأمير البويهي[5].

رابعاً: الخروج لاستقبال الأمير: كان من عادة الخلفاء أن يحضر الأمراء والولاة والقضاة وغيرهم من موظفي الدولة الكبار للسلام عليه وتوديعه، وأخذ الخلع والتفاويض منه، واستقباله إذا خرج من بغداد. ولم تجر العادة أن يخرج الخليفة لاستقبال أحد من الأمراء وغيرهم، إلا أن عضد الدولة استنَّ

---

(1) أنظر: ؛ سرور، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق، ص57؛
Stern. S. m, Coins and Documents from the medieval middle East, London: Variorum peprints, 1988, pp. 152 – 156, 246, 255; Siddiqi, caliphate, Ibid, p.37.
ولمعرفة المزيد عن النقود في العصر البويهي وما كتب عليها أنظر: عبد الرزاق، ناهض، النقود في العراق، بغداد: بيت الحكمة، ط 1، 2002، ص 242، فما بعد

(2) أنظر: فاروق فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص 197؛.Siddiqi, caliphate, p.37

(3) فاروق فوزي، الخلافة العباسية- السقوط والانهيار، عمان: دار الشروق، ط1، 1998 ج2، ص 125؛ Treadwell, Buyid coinaqe, p. 131

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 264؛ ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 16؛ الدوري، النظم، ص 61- 62؛ ناهض، النقود، ص 257؛ stern, coins,p. 264.

(5) فاروق فوزي. العراق والتحدي الفارسي، ص 193.

سنة جديدة عندما طلب من الخليفة الطائع لله أن يخرج لاستقباله على مشارف بغداد بعد عودته من سفره سنة 370هـ / 980م[1]. و" لم تكن العادة جارية بخروج الخلفاء لتلقي أحد من الأمراء[2].

ثانياً- إحياء التقاليد الدينية الشيعية بشكل رسمي في الدولة:

أخذ الفاطميون في نشر الدعوة الفاطمية في العراق بعد قيام دولتهم في المغرب، كما تمكنوا من استمالة بعض كبار رجال الدولة العباسية كالقائد ابن أبي الساج الذي كان يتولى حكم المشرق للخليفة المقتدر بالله ابتداء من بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. حيث ارسل ابن أبي الساج رسالة الى الخليفة عبيد الله المهدي الفاطمي يعترف فيها بصحة امامته، كما يبدي استعداده لمساعدة الفاطميين على نشر دعوتهم في المناطق التي تقع تحت حكمه [3].

ولما كان البويهيون من انصار المذهب الشيعي والمعتنقين له؛ فقد استغل الفاطميون دخولهم الى العراق، حيث ارسلوا دعاتهم للمذهب الاسماعيلي الى العراق، وقاموا بدعوة الناس الى مذهبهم.

فهذا الخليفة المعز لدين الله الفاطمي الذي اشار الى انتشار الدعوة الفاطمية في كثير من ارجاء العالم الاسلامي في كتابه الذي ارسله الى الحسن بن احمد – زعيم القرامطة ببلاد البحرين- بعد ان انحرف عن الفاطميين وعاداهم. فقال: "...فما من جزيرة في الارض ولا إقليم إلا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون لنا ويدلون علينا، ويأخذون بيعتنا، ويذكرون رجعتنا وينشرون علمنا، وينذرون بأسنا،

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 275؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص 295 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 49؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج4، ص377.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 275؛ أنظر: ابن تغري بردي، النجوم، ج4، ص 142.

(3) مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص95-96؛ سرور، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق، ص73-74؛ الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص65.

ويبشرون بأيامنا بتصاريف اللغات واختلاف الالسن، في كل جزيرة واقليم، رجال منهم يتفقهون، وعنهم يأخذون"[1].

قام البويهيون باستحداث بدعتين غاية في الخطورة خلال فترة حكمهم. وتكمن خطورتهما في استمرار العمل بهما حتى الآن، ولعل في استحداثهما محاولة من جانب البويهيين لإفساد العقيدة الإسلامية، متأثرين بذلك بعمق علاقتهم الروحية مع دياناتهم السابقة على دخولهم الإسلام كالمجوسية. بالإضافة على محاولة هدم الشخصية العربية، وذلك عن طريق إذلال الخلفاء العباسيين والتحكم بهم لأنهم يمثلون رمز السيادة العربية، وهاتان البدعتان هما:

1- الاحتفال بيوم العاشر من المحرم (عاشوراء)، وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي [2] فكان ذلك مدعاة لتمزيق وحدة العالم الإسلامي، وشق وحدة الصف العربي داخل العراق وخارجه. ففي سنة 352 هـ / 963م أمر معز الدولة البويهي بالاحتفال بيوم العاشر من المحرم، بمراسم اقتضت أن يغلق الناس حوانيتهم في هذا اليوم، وأن يبطلوا البيع والشراء. مما يعني تعطل الحياة الاقتصادية، وحرمان كثير من الناس من معاشهم اليومي، كما تتضمن مظاهر الاحتفال بذلك اليوم نصب القباب في الأسواق، وتعليق المسوح عليها للتبرك بها وإظهار البكاء والنياحة، وخروج النساء منشرات الشعور مسودات الوجوه. قد شققن ثيابهن،

---

[1]) السجستاني، اسحاق بن احمد(ت353هـ/964م) الافتخار، تحقيق: اسماعيل قربان حسين بونا والا، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ط1، 2000، ص175؛ القاضي النعمان، ابو حنيفة النعمان بن حيون(ت363 هـ/ 973م) افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1975، ص1؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص196.

[2]) عن مقتل الحسين بن علي أنظر: الطبري، تاريخ، ج5، ص 400 فما بعد؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج2، ص 47 فما بعد؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص 278، فما بعد.

يلطمن وجوههن حزناً وندماً على مقتل الحسين[1]. وقد علق الذهبي على هذا الأمر بقوله: " وهذا أول يوم نيح عليه ببغداد" [2] أما ابن كثير فيقول: " وهذا تكلف لا حاجة إليه في الإسلام، ولو كان هذا أمراً محموداً لفعله خير القرون وصدر هذه الأمة وخيرتها، وهم أولى به... وأهل السنة يقتدون ولا يبتدعون" [3].

كان الاحتفال بعاشوراء فاتحة البلاء على الدولة الإسلامية، إذ فتح معز الدولة بهذا العمل باب الفتنة على مصراعيه بين السنة والشيعة، ذلك أن هذا العمل كان البداية لاستمراره فيما بعد، إذ أصبح ذلك سنة يسير عليه الأمراء البويهيون الذين جاءوا بعد معز الدولة، خاصة وأن أهل السنة في ضعف بضعف خليفتهم السني الذي لم يكن له من الأمر شيء. وأهل الشيعة في قوة بقوة الأمير البويهي الشيعي. ويعلق ابن الأثير على ذلك الفعل بقوله: " ولم يكن للسنية قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة، ولأن السلطان معهم"[4].

كما استقبح ابن تغري بردي هذه العادة من معز الدولة الذي صار قدوة لمن جاء بعده من أمراء بني بويه في إحياء هذه العادة. إذ يقول: " وهذا أول يوم وقع فيه هذه العادة القبيحة الشيعية ببغداد، وكان ذلك في صحيفة معز الدولة بن بويه؛ ثم اقتدى به من جاء بعده من بني بويه، وكل منهم رافضي خبيث"[5]

(1) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق 2، ص 510؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص183؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 150؛ الذهبي، دول الإسلام،ج1، ص 18؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص 384.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 26(حوادث 351 – 380هـ)، ص 11.

(3) ابن كثير؛ البداية والنهاية، ج11، ص 271.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 7.

(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 3، ص 384.

لم يقف أهل السنة مكتوفي الأيدي أمام استمرار العمل على إحياء هذه العادة الشيعية في بغداد، مركز الثقل السني في العراق، لما رأوا فيه هدم لمشاعرهم، وتجاهل للأغلبية السنية في بغداد، مما أدى إلى وقوع فتن عظيمة بين الطرفين. ففي سنة 353 هـ / 964م وقعت فتنة بين السنة والشيعة في منطقة قطيعة أم جعفر وطريق مقابر قريش بسبب إحياء الشيعة لمأتم الحسين في العاشر من المحرم، مما تسبب في جرح الكثير منهم، بالإضافة إلى استغلال مثل هذه الأحداث في عمليات السلب والنهب من قبل ضعاف النفوس في المجتمع [1].

استمرّ الشيعة على إحياء ما قد صار الرسم جارياً به في كل يوم عاشوراء من كل عام بإظهار المراسيم الخاصة التي اعتادوا عليها من النوح واللطم، وتعطيل الأسواق، وتعليق المسوح حتى سنة 362 هـ/ 972م إذ لم يعمل الشيعة مأتم الحسين بسبب استباحة الروم للبلاد الإسلامية، بالإضافة إلى منع الحاجب سبكتكين– قائد الجيش – للشيعة من إقامة المأتم؛ ذلك لأنه كان يميل إلى السنة، مستغلاً وجود عز الدولة بختيار بواسط[2]. ولم يستمر أمر هذا المنع إذ سرعان ما أعاده عز الدولة بختيار إلى سيرته الأولى وذلك سنة 363 هـ/ 973م[3].

ويذكر ابن الأثير أن فتنة عظيمة وقعت بين السنة والشيعة " وذلك أن جماعة من أهل السنة أركبوا امرأة وسموها عائشة، وتسمى بعضهم بطلحة وبعضهم بالزبير، وقالوا نقاتل أصحاب علي"[4].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 155؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 12؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 26، ص 13؛ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 3، ص 386.

(2) ابن الاثير، الكامل، ج7، ص50–51(الهامش)؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 69.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 109.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 51؛ انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص 294.

ويعلق ابن كثير على ذلك بقوله:" وكلا الفريقين قليل عقل أو عديمه بعيد عن السداد" [1] فقتل بسبب هذه الفتنة خلق كثير، ولم تسكن الفتنة حتى أخذ جماعة منهم فقتلوا و صلبوا[2].

ومن طريف ما يذكر على صعوبة الفتن وقسوتها بين السنة والشيعة أيام الحكم البويهي أن رجلاً يدعى أبو بكر بن قانع مرّ بالكرخ، فقالت له امرأة: سيدي أبو بكر! فقال لها: لبيك يا عائشة. فقالت– منكرة: كأن اسمي عائشة! قال: فيقتلوني وحدي؟[3]

لم يقتصر عمل مأتم الحسين على الشيعة في العراق، بل انتقلت عادة مأتم الحسين من العراق إلى الديار المصرية تحت الحكم الفاطمي وذلك سنة 366 هـ/ 976م" فدامت هذه السنة القبيحة سنين إلى أن انقرضت دولتهم " [4].

ويبدو أن البويهيين كانوا متأثرين في إقامة مثل هذه الطقوس بدعاة المذهب الإسماعيلي الذين أرسلهم الخلفاء الفاطميين منذ إقامة دولتهم وطوال فترة حكمهم الى العراق يبشرون بمذهبهم ويدعون لائمتهم.

ويعلق الذهبي على الحال الذي وصلت إليه الدولة الإسلامية بسبب البدع والاهواء بقوله: " وفي هذا الزمان كانت البدع، والأهواء فاشية ببغداد ومصر من الرفض والاعتزال والضلال. فإنا لله وإنا إليه راجعون"[5] فأما بمصر فإنه معلوم كون خلفاء بني عبيد –

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 294.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 51؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص 294.

(3) ابن الجوزي، أخبار الظرف والمتماجنين، تحقيق: محمد أنيس مهرات، دمشق: دار الحكمة، ط1، 1987، ص188–189؛ ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 64 – 65؛ الذهبي، العبر، ج2، ص 283؛ ابن كثير البداية والنهاية، ج 12، ص 70.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 130.

(5) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج26، ص 473.

الفـاطميين – كـانوا يظهـرون الـرفض وسـب الـصحابة، وكـذلك جميـع أعـوانهم وعمـالهم، وأمـا ببغداد فإنه كان بسبب عضد الدولة البويهي فإنه كان أيضاً يتشيع ويكرم جانب الرافضة[1].

وفـي سـنة 382 هـ / 922م منـع الـوزير الـسني أبـو الحـسن علـي بـن محمـد بـن المعلـم الكـوكبي – الـذي كـان قـد اسـتولى علـى أمـور بهـاء الدولـة كلهـا –[2] أهـل الكـرخ وبـاب الطـاق– أي الـشيعة – مـن إحيـاء يـوم عاشـوراء بـالنوح وتعليـق المـسوح.[3] ولكنـه دفـع حياتـه ثمنـاً لعدائـه للشيعة[4].

ويبـدو أن الفـتن اسـتمرت قائمـة بـين أهـل الـسنة وأهـل الـشيعة بـسبب الفـتن المذهبيـة، ممـا كـان يتـسبب فـي اضـطرابات وقتـل وسـلب ونهـب، إلـى أن يـتم إيقـاف هـذه الفـتن بـالقوة. ففـي سـنة 393 هــ / 1002م منــع عميـد الجيـوش ابـو علــي بـن أبــي جعفـر اسـتاذ هرمـز – قائـد الجـيش– أهـل الكـرخ وبـاب الطـاق مـن النـوح وتعليـق المـسوح فـي عاشـوراء، الأمـر الـذي كـان يثيـر المـشاعر الـسنية، كمـا أنـه منـع أهـل بـاب البـصرة وبـاب الـشعير– مـن الـسنة – مـن إحيـاء يوم نسبوه إلى مقتل مصعب بن الزبير بن العوام [5].

---

[1] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 146.

[2] أبو شجاع الروذراوري، الذيل، ج6، ص 147؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص 158.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 361؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج27، ص 12؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج4، ص 165..

[4] الذهبي، دول الإسلام، ج1، ص 233.

[5] لمعرفة ترجمة مصعب بن الزبير أنظر: الذهبي، سير، ج4، ص 140 فما بعد. استحدث بعض السنة يوماً بإزاء يوم عاشوراء، وبعدة ثمانية أيام، وهو يوم مصرع مصعب بين الزبير، وزاروا قبره، وبكوا عليه، ونظروه بالحسين لكونه صبر وقاتل حتى قتل. ولأن أباه ابن عمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وحواريه وفارس الإسلام. كما أن أبا الحسين – علي بن أبي طالب – ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، وفارس الإسلام. ودامت السنة على هذا الشعار القبيح مدة عشر سنين. الذهبي، العبر، ج2، ص 176. أنظر: ابن الجوزي، المنتظم ج15، ص 14. ويعلق ابن كثير على ذلك بقوله: " وهذا من باب مقابلة البدعة ببدعة مثلها، ولا يرفع البدعة إلا السنة الصحيحة" البداية والنهاية، ج11، ص 349.

ذلك لأن كلاً من الحسين ومصعب قتل على يد بني أمية- وكان منعه إياهم تسكيناً للفتنة وآثارها[1].

وفي سنة 398 هـ/ 1007م تجددت الفتنة المذهبية بين السنة والشيعة وكان السبب فيها إقدام أحد الهاشميين من أهل باب البصرة على الإساءة إلى أبي عبد الله محمد بن النعمان المعروف بابن المعلم- وهو فقيه الشيعة - في مسجده بدرب رباح، مما أغاظ تلامذته الشيعة، فثاروا واستنفروا أهل الكرخ الشيعة، فتوجهوا إلى دار القاضي أبي محمد الأكفاني[2] والشيخ أبي حامد الإسفراييني[3] - وهما على المذهب السني - فسبوها؛ مما أجج الفتنة بين السنة والشيعة. ومما زاد في الطين بلة إحضار الشيعة لمصحف ذكر أنه مصحف ابن مسعود، وهو يخالف المصاحف، فأشار الفقهاء والإسفراييني بتحريفه، وأمروا بحرقه، مما دفع الشيعة الى الدعاء على من امر بحرقه- ويقصدون الاسفراييني- ويسبونه، الامر الذي زاد من نقمة الشيعة على السنة، مما كان سببا في نشوب القتال بين اهل باب البصرة وباب الشعير والقلائين من السنة، وبين اهل الكرخ من الشيعة، كما حاول الشيعة الاعتداء على الاسفراييني، فهاجموا داره، الا انه تمكن من الهرب منها قبل ان يمسكوه؛ فصاح الشيعة

---

(1) الصابئ، تاريخ، ج7، ص 71؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 37؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج27، ص 227؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 356؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 208.

(2) القاضي ابو محمد الاكفاني: هو عبد الله بن محمد المعروف بابن الاكفاني. ولد سنة 308هـ/920م، تولى قضاء مدينة المنصور ثم ولي قضاء باب الطاق، وضم اليه سوق الثلاثاء، ثم جمع له قضاء جميع بغداد سنة 396هـ/1005م، توفي سنة 405هـ/1014م. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج10، ص140؛ الذهبي، سير، ج17، ص151-152.

(3) ابو حامد الاسفراييني: احمد بن محمد الفقيه الشافعي، انتهت اليه رئاسة الدنيا والدين في بغداد، وعظم جاهه عند الملوك والعوام، ولد سنة 344هـ/955م، وتوفي سنة 406هـ/1015م. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج5، ص132-133؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص72-74.

" يا حاكم يا منصور " [1] أي الحاكم بأمر الله الفاطمي – الأمر الذي أغضب الخليفة العباسي، فأرسل فرسانه لمعاونة أهل السنة ومساعدتهم على أهل الشيعة، مما تسبب في احراق كثير من دور الشيعة. وبقي الأمر على ذلك إلى أن توسط الأشراف والتجار لدى الخليفة ليعفو عن الشيعة، فعفا عنهم[2].

ولما وصل خبر الفتنة إلى قائد الجيش عميد الجيوش استاذ هرمز عاد إلى بغداد، وأمر بنفي ابن المعلم– فقيه الشيعة – عن بغداد درءاً للفتنة، ثم قبض على من كان السبب وراء الفتنة ؛ فضرب قوم، وحبس آخرين، إلى أن توسط علي بن مزيد – احد زعماء قبيلة بني مزيد في الحلة– في ابن المعلم؛ فعاد إلى بغداد[3].

كان الأمراء البويهيون يميلون بشكل واضح للشيعة، وإن كانوا أحياناً يمنعوهم من إقامة مأتمهم و احتفالاتهم تجنباً للفتنة، ولمصلحة سياسية تقتضيها الظروف، ولكن ما إن تتغير هذه الظروف حتى يعود البويهيون لإعلان ميولهم للشيعة، مما يثير حفيظة السنة. ففي سنة 402هـ / 1011م إذن الوزير فخر الملك لأهل الكرخ وباب الطاق الشيعة في عمل عاشوراء فعلقوا المسوح، وأقاموا النياحة في المشاهد[4]. إلا أنه بسبب ذلك وقعت الفتنة من جديد بين السنة والشيعة مما دفع الوزير إلى منع الشيعة من إقامة مأتم الحسين سنة 406 هـ / 1015م وذلك تجنباً للفتنة[5].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 58– 59؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 239 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج27، ص 237 – 238؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص 228؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 363.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 58– 59؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 239 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج27، ص 237 – 238؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص 228؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 363.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 59 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج27، ص 238؛– العبر، ج2، ص 191 – 192؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص 338.

(4) ابن الجوزي، المنتظم،ج15، ص82؛ ا لذهبي، تاريخ الإسلام، ج 28 (حوادث وفيات 401–410هـ). ص 11.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص 111؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 28، ص 23؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 4، ص 239.

إلا أن منع عمل المأتم لم يكن لينهي حالة الاحتقان والحقد المذهبي القائم بين السنة والشيعة، وذلك عائد بطبيعة الحال إلى استشعار الشيعة بقوتهم بوجود بني بويه الذين يملكون زمام الحكم في الدولة. ففي سنة 407 هـ / 1016م تفجرت الفتنة بين الشيعة والسنة بواسط، انتصر فيها أهل السنة، ونهبوا محال الشيعة والزيدية ثم أحرقوها، وهرب وجوه الشيعة والعلويين منها. والتجأوا إلى أمير الحلة علي بن مزيد وطلبوا النصرة منه[1]. ويبدو ان علي بن مزيد قد نجح في وساطته كما نجح في وساطته لابن المعلم سابقاً. واستمرت الفتنةُ قائمةً بين الطرفين وتفاقمت في سنة 408 هـ/1017 فأقام السنة من أهل نهر القلائين [2] باباً على منطقتهم لمنع الشيعة من التجارة، فرد الشيعة عليهم بأن أقاموا باباً على الدقاقين مما يليهم. واقتتل الطرفان، فقتل عدد كبير من الناس على هذين البأبين؛ ولما أراد قائد الشرطة المقدام أبو المقاتل دخول الكرخ لتسكين الفتنة، منعه أهله والعيارون[3] من ذلك، وقاتلوه، فانتقم منهم بان أحرق الدكاكين وأطراف سوق نهر الدجاج[4].

وفي سنة 415 هـ/ 1024م وقعت فتنة بين السنة والشيعة وكان سببها أن الشيعة منعوا من إقامة المأتم على الحسين، مما تسبب في مقتل عدد كبير من الطرفين . ولم تلبث الفتنة إلا أن تجددت بين الطرفين سنة 421 هـ / 1030 أدت إلى مقتل جماعة من الفريقين[5].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 120؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 295؛ الذهبي، دول الإسلام، ج1، ص 243؛ اليافعي، مرآة الحنانن ج3، ص 16؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 240، 241.

(2) نهر القلائين: هي محلة كبيرة ببغداد في شرقي الكرخ، اهلها اهل سنة. انظر: احموي، معجم البلدان/ج5، ص322.

(3) سيتم الحديث عن عن العيارين والشطار في فصل لاحق.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 125؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 299؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج28، ص 28؛ اليافعي، مرآة الحنان، ج3، ص 17..

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 198.

ولعل فيما حدث سنة 420 هـ / 1029م ما يدل على مدى الحقد المتولد في قلوب كل من السنة والشيعة على الآخر من جراء الأعمال الاستفزازية التي كان يقوم بها كل طرف ضد الآخر، كما تدل على أن الشيعة كانوا يستفزون السنة معتمدين على ان السلطة والقوة بأيدي البويهيين الشيعة. فقد كان الشيعة يخطبون في مسجد براثا، ويظهرون شعار الشيعة في خطبهم، ولما كان هذا المسجد وخطبائه من الشيعة مصدراً للفتن؛ فقد تم تعيين خطيب سني ليخطب فيه ويظهر شعار السنة، باعتبار ان الدولة العباسية دولة سنية. ولما لم يكثر الخطيب السني من ذكر علي بن أبي طالب في خطبته؛ واقدامه على دق المنبر بعقب سيفه – الأمر الذي تنكره الشيعة – وعند ختمه للخطبة قال: " اللهم اغفر للمسلمين، ومن زعم أن علياً مولاه" [1] رماه المصلين بالآجر وكادوا يقضون عليه، مما أثار حفيظة الخليفة القادر بالله، واعتبره إهانة مقصودة وموجهة اليه باعتباره الخليفة وحامي المذهب السني. ويبدو أن الخليفة كان يحاول اغتنام مثل هذه الأحداث والفرص للحدّ من سلطة البويهيين وتحكمهم بالدولة العباسية السنية. فارسل الى الأمير البويهي جلال الدولة ووزيره ابن ماكولا[2] برسالة شديدة اللهجة تدل على رغبة أكيدة من الخليفة للتخلص من السيطرة البويهية[3].

ويبدو أن الخليفة القادر بالله كان حازماً في محاولته للقضاء على الخطر الشيعي المتمثل بسلطة البويهيين، وتحكمهم بالدولة، إذ لم يخطب بمسجد براثا بعد تلك الحادثة لمدة أشهر إلا بعد أن

---

(1) المصدر نفسه، ج15، ص 198.

(2) ابو علي الحسن بن علي بن ماكولا: وزر لجلال الدولة البويهي ولقبه علم الدين سعد الدولة امين الملة شرف الملك سنة 416هـ/1023م، وهو اول من لقب بالالقاب الكثيرة من الوزراء. قتل على يد غلام وجارية له بالاهواز سنة 422هـ/1031م. ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص170، 221؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص323؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص35–36؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص276.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 198 فما بعدها؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 344، الذهبي، العبر، ج 2، ص 238 – 239؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص 28، أنظر: متز، الحضارة الإسلامية، ج 1، ص 125.

أعتذر رؤوساء الشيعة عن سفهائهم إلى الخليفة، فأعيدت الخطبة للمسجد ولكن بعد أن عملت نسخة يعتمدها الخطيب، مع امتناع الخطيب عن دق المنبر بعقب سيفه، لما فيه استفزاز للشيعة الذين ينكرون عمل ذلك[1].

كانت المناسبات الدينية الشيعية وما يقوم به الشيعة من مظاهر احتفالية وطقوس فيها عمل استفزازي مقصود في نظر السنة تمثل الشرارة التي توقد نار الفتنة. ففي سنة 421هـ/ 1030م عاد الشيعة إلى عادتهم الأولى في إغلاق أسواقهم، وتعليق المسوح على دكاكينهم، مستغلين فرصة خروج الأمير البويهي والأتراك عن بغداد، مما آثار السنة، فحدثت الفتنة بينهم ووقع القتال بين الشيعة وبين أهل القلائين من السنة، ثم أنزلت المسوح، بعد أن قتل جماعة من الطرفين، وخربت دكاكين كثيرة في الأسواق[2].

وفي سنة 422 هـ/ 1030م عادت الفتنة بين السنة والشيعة لتأخذ منحى أقوى من ذي قبل. نظراً لتدني هيبة السلطة البويهية، وضعف الامير البويهي وعجزه عن ايقاف حمام الدم الذي كان يستنزف دماء اهل السنة والشيعة على السواء [3]. وكان السبب في هذه الفتنة هو خروج الخزلجي الصوفي الملقب (بالمذكور) لغزو الروم، فاستأذن الخليفة بذلك، فأذن له وكتب له منشوراً بذلك ليقرأ على الناس، وأعطاه علماً كدلالة على موافقة الخليفة على الغزو، واجتمع لديه عدد كبير من العوام

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 201؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 344؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج28، ص 270؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص 28.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 204؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج29، ص 5، – العبر، ج 2، ص 242؛ – دول الإسلام، 15، ص 250؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 4، ص 274.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 214؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،ج 29، ص 10؛ اليافعي، مرآة الجنانن ج3، ص 32.

للمشاركة في الغزو، ولما اجتاز الخزلجي وجيشه منطقة طاق الحراني[1]، صاح العوام بذكر أبي بكر وعمر، يترضون عنهما، وقالوا: هذا يوم معاوي[2]، يعنون فيه إظهار شعار معاوية بن أبي سفيان في الذكر لأبي بكر وعمر دون علي رضي الله تعالى عنهم[3]. مما اعتبره الشيعة استفزازاً لهم خاصة وأن هؤلاء العوام كانوا في حي من أحياء الشيعة، فهاجمهم أهل الكرخ الشيعة ورموهم، فثارت الفتنة بينهم، نتج عنها نهب دار الشريف المرتضى – نقيب العلويين – ومنعت الصلاة، كما نهبت دور اليهود وخانتاراتهم، ذلك لأنهم أعانوا أهل الكرخ الشيعة ضد السنة[4]. ثم تجهز الطرفان للحرب، فاجتمعت عامة السنة، بعد أن انضم إليهم كثير من الاتراك وتوجهوا إلى الكرخ حيث الشيعة؛ فأحرقوا أسواقهم وهدموها، حتى احترق في هذه الفتنة اكثر اسواق الشيعة في الكرخ. ووصل الامر بالشيعة الى درجة الفناء من كثرة ما قتل منهم في هذه الفتنة [5].

أنكر الخليفة ما جرى بسبب هذه الفتنة، واتهم الشيعة انهم السبب وراء اشعال فتيلها، واتهمهم بتمزيق علمه الذي أعطاه للغزاة، فأمر بإقامة الحد على الجناة، فركب الوزير لتهدئة الفتنة إلا أنه فشل في ذلك. بل وقد أصابوه بالآجر في صدره، وأسقطوا عمامته، فقتل جماعة من الشيعة انتقاما منهم، ثم اشتد الأمر حتى قتل العامة صاحب الشرطة الكلالكي وأحرقوه؛ فثارت الفتن من جديد، ووقع القتال في جانبي بغداد بين السنة والشيعة، ولم يتوقف القتال بينهم حتى تم قطع الجسر الذي يربط بين جانبي

---

(1) طاق الحراني: محلة ببغداد بالجانب الغربي. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص5.

(2) عند ابن الجوزي(مغازي)، ج15، ص 14؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 355؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 9؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص 32.

(3) اليافعي، مرآة الجنان، ج 3، ص 32.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 214؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 355؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 29، ص 10.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 214؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 355؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج29، ص 10؛ عرفه ، الأحوال السياسية والدينية، ص 59.

بغداد ويفصل بين السنة والشيعة[1]. " فبات الناس في ليلة صعبة... فالنهار فتن ومحن، والليل عملات- أي سرقات- ونهب"[2].

ونتيجة لهذه الأحداث وكردّ فعل على أعمال الشيعة الإستفزازية- في نظر أهل السنة- اعترض أهل باب البصرة من السنة قوماً من قم[3] أرادوا زيارة مشهد علي والحسين فقتلوا منهم ثلاثة أشخاص، وامتنعت زيارة مشهد موسى بن جعفر[4].

تتابع تجدد القتال والفتنة بين السنة والشيعة فيما تلى ذلك من السنين بسبب عمل الشيعة لمأتم الحسين. ففي سنة 424 هـ/ 1032م أقام الشيعة يوم عاشوراء على العادة وذلك بمساعدة العيارين الذين كانوا تغلبوا على بغداد، وعجزت الحكومة عنهم [5] فاحترقت المساجد والأسواق[6]. ثم اتصلت الفتنة سنة 425 هـ / 1033م بين أهل الكرخ مع أهل باب البصرة والقلائين وأهل باب الطاق وأهل سوق يحيى، وأهل نهر طابق مع أهل الأرحاء وباب الدير. مما مثل بيئة خصبة للسلب والنهب[7].

ويبدو أن الفتنة بين السنة والشيعة قد هدأت قليلاً منذ سنة 425 هـ/ 1033م، وذلك عائد إلى ظهور العيارين، الذين كانوا لا يفرقون في قتالهم ونهبهم بين السنة والشيعة، مما دفع الطرفان للتوحد في مواجهتهم "فرب ضارة نافعة"، ولكن سرعان ما عادت الفتنة لتظهر بين السنة والشيعة وذلك سنة 432 هـ / 1040م فوقع القتال بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة على القنطرتين الجديدة والقديمة، مما

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 214 – 215؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 355 – 356؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 29، ص 10.

(2) الذهبي، العبر، ج2، ص 246؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج 3، ص 32.

(3) قم: مدينة بين اصفهان وساوة، اهلها كلهم شيعة امامية. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص397.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 216؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 356.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 234؛ ابن تغري بردي، النجوم، الزاهرة، ج 4، ص 280.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 34.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 240؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 29، ص 30.

أدى إلى مقتل جماعة من الطرفين " وكان السبب في ذلك انخراق الهيبة وقلة الأعوان"[1]. وفي سنة 437هـ / 1045م تجددت الفتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة، قتل فيها جماعة من الطرفين ويبدو أن لليهود دور في وقوع هذه الفتنة، إذ استنفر صاحب المعونة العامة على اليهود، فأحرقوا لهم الكنيسة العتيقة، ونهبوا دورهم [2]. ولما اشتدت الفتنة بين الطرفين سنة 439 هـ / 1047م هرب صاحب المعونة من المكان الذي كان فيه إلى مكان آخر أكثر أمناً لشدة القتال[3]. الذي لم يكن ليهدأ حتى يثور من جديد في السنة التالية[4].

وخوفاً من الفتنة التي كانت تأتي على الأخضر واليابس، فقد مُنع أهل الكرخ الشيعة من إقامة ليلة عاشوراء سنة 441 هـ / 1049م ومنعوا من النوح على الحسين وتعليق المسوح على عادتهم. إلا أنهم أخلفوا وعدهم الذي قطعوه بألا يظهروا مظاهر عاشوراء درءاً للفتنة، فأقاموا المأتم، فوقع بينهم وبين أهل السنة قتال أدى إلى الكثير من القتلى والجرحى بين الطرفين، ولم تهدأ الفتنة بينهما حتى خرج لهم الجند الأتراك، فأسكنوها. ثم شرع أهل الكرخ الشيعة في بناء سور على الكرخ حتى يمنعوا أهل السنة من الانتفاع من سوقها واقتصادها، فلما رأى أهل باب القلائين السنة ذلك، شرعوا في بناء سور على سوق القلائين، وأنفق الطرفان في ذلك أموالاً كثيرة. فوقعت بينهما الفتن وتعطلت الأسواق،

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 277، الذهبي، العبر، ج 2، ص 266؛ تاريخ الاسلام، ج 29، ص 320؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج 3، ص 42.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 302؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 42؛ الذهبي سير، ج29، ص 331؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 59.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 308.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 313؛ الذهبي، سير ج 29، ص 336.

وزاد القتل والجراح بينهما وهرب الناس من بيوتهم، حتى أمر الخليفة أبا محمد بن النسوي[1] بالعمل على وقف الفتنة الذي بادر إلى قتل جماعة من الطرفين لإزالة الفتنة[2]. فكان في ذلك منفعة للجميع إذا اتفق العامة من السنة والشيعة من أهل الكرخ والقلائين وباب الشعير وباب البصرة على الوقوف في وجه النسوي، وهددوه بإحراق أسواقهم، والخروج من بغداد، فوقع الصلح بين السنة والشيعة، فأذن الشيعة في القلائين بـ(حي على خير العمل) – وفي ذلك دلالة على مدى تأثير دعاة المذهب الاسماعيلي الفاطمي في العراق– وأظهروا الترحم على الصحابة، وبالمقابل إذن السنة في الكرخ بـ (الصلاة خير من النوم). وخرجوا مع الشيعة لزيارة المشاهد[3] " وهذا أمر لم يتفق مثله" [4]. والمعروف أن " أهل الكرخ طائفة نشأت على سب الصحابة، وليس للخلافة عليها أمر... وعدم أمر الخليفة عليهم لميل بني بويه إليهم في الباطن، فإنهم أيضاً من كبار الشيعة، وهم يوم ذلك سلاطين بغداد، غير أنهم كانوا لا يظهرون ذلك خوفاً على الملك"[5]. احتفال بعيد الغدير[6]: استحدث معز الدولة البويهي مناسبة

---

[1] ابو محمد النسوي: الحسن بن محمد بن ابي الفضل، كان ذكياً في صناعة الولاية، ومعرفة التهم والمتهومين من الغرماء بلطيف من الصنيع. عينه الخليفة القائم بامر الله على شرطة بغداد. توفي سنة 452هـ/1060م. ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص63؛ ابن الاثير، المامل، ج8، ص90؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص93.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 320.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 318 فما بعد؛ ابن الأثير الكامل، ج 8، ص 53؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 30، ص 6–7؛ – دول الإسلام، ج 1، ص 259– 260؛– العبر، ج 2، ص 278، 280؛ عرفه ، الأحوال السياسية والدينية، ص 59..

[4] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 30، ص 7. وفي دول الاسلام " وهذا شيء لم يعهد" ج 1، ص 60.

[5] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 49..

[6] غدير خم: بين مكة والمدينة ؛الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 188. وهو موضع تآخى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علي بن أبي طالب. أنظر: الهروي، علي بن أبي بكر (ت 611هـ / 1214م) الإشارات إلى معرفة الزيارات، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1953، ص 89؛ القاضي النعمان، دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام عن اهل بيت رسول الله عليهم افضل السلام، تحقيق: اصف فيضي، القاهرة: دار المعارف، ط3، 1985، ص14 فما بعد.

شيعية واحتفل بها على نحو لم يحدث من قبل دون أن يدرك مدى خطورة استحداث مثل هذه المناسبات والاحتفال بها على مشاعر أهل العراق السنة. ففي اليوم الثامن عشر من ذي الحجة من عام 352 هـ / 962م احتفل الشيعة بعيد الغدير بأمر من معز الدولة. حيث يعتقد الشيعة أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بالأمر من بعده لعلي بن أبي طالب وقال: " من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعاد من عاداه، وأنصر من نصره، وأخذل من خذله، وأدر معه الحق حيث دار "[1] وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم منزلة علي منه، بمنزلة هارون من موسى؛ فقد امر معز الدولة الشيعة في مثل هذا اليوم بإظهار الزينة في بغداد، وإشعال النار بدار الشرطة، وأبواب الأمراء إظهارا للفرح بهذا اليوم، كما أمر بفتح الأسواق بالليل كما يفعل في ليالي الأعياد، وضربت الدبادب – أي الطبول – والبوقات. وبكر الشيعة في صبيحة ذلك اليوم إلى مقابر قريش ومشاهد الشيعة وصلوا هناك[2].

---

[1] الشيرازي، المجالس المؤيدية(المائة الاولى) تحقيق: مصطفى غالب، مصر، ص26؛ المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص437؛ البغدادي، تاريخ، ج8، ص284؛ الهروي، الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص 89؛ القاضي النعمان، دعائم الاسلام، ج1، ص14 فما بعد؛ – الهمة في اداب اتباع الائمة، تحقيق: محمد كامل حسين، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت. ن، ص81؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص254 فما بعد؛ حسن الامين، دائرة المعارف الشيعية، ج16، ص175 فما بعد.

[2] الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 187؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 151؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص7–8؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 26، ص12؛– دول الإسلام، ج1، ص 219؛– العبر، ج2، ص90.

علق المقريزي على هذا الاحتفال بقوله:" اعلم أن عيد الغدير لم يكن مشروعاً، ولا عمله أحد من سالف الأمة المقتدى بهم، وأول ما عرف في الإسلام بالعراق أيام معز الدولة علي بن بويه، فإنه أحدثه في سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة، فاتخذه الشيعة من حينئذ عيداً"[1].

ويصف الذهبي احتفال الشيعة بيوم عاشوراء ويوم الغدير بقوله: " والشعار الجاهلي يقام يوم عاشوراء، ويوم الغدير"[2]. أما ابن كثير فيصفها بقوله:" فكان وقتاً عجيباً مشهوداً، وبدعة شنيعة ظاهرة منكرة"[3]

تمادى الشيعة بالاحتفال بعيد الغدير بنصب القباب والزينة، مما دفع السنة إلى إستحداث مناسبة لتقابل بها يوم عيد الغدير؛ إذ أحدث بعض السنة ما يسمى (يوم الغار)، وجعلوه بعد ثمانية أيام من يوم الغدير أي في السادس والعشرين من ذي الحجة وذلك سنة 389 هـ / 998م، وأدعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر الصديق دخلا في غار ثور أثناء الهجرة [4]. في حين أن أهل السنة في مصر اتخذوا يوم الغار مناسبة دينية يحتفلون بها مضاهاة لعيد الغدير عند الشيعة ونكاية لهم سنة 362هـ/972م [5].

---

[1] المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص254–255. انظر: ابن ميسر، اخبار مصر، ص162؛ ابن الطوير، عبد السلام بن الحسن(ت617هـ/1220م) نزهة المقلتين في اخبار الدولتين، تحقيق: ايمن فؤاد سيد، بيروت: دار صادر، ط1، 1992، ص186؛ ايمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص461.

[2] الذهبي، العبر، ج2، ص 102.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 259.

[4] ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 14؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 176 ويضيف" وهذا جهل وغلط، فإن أيام الغار، إنما كانت بيقين في شهر صفر وفي أول ربيع الأول". أنظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص255؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص349.

[5] سرور، النفوذ الفاطمي، ص81.

وفي يوم الغدير من سنة 381 هـ/ 991م جرت فتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة، استنفر فيها أهل باب البصرة السنة، وحرقوا أعلام السلطان، ولم تهدأ الفتنة بينهم حتى قتل منهم جماعة اتهموا بإثارة الفتنة وصلبوا على القناطر ليرتدع أمثالهم، فهدأت الفتنة، وعادت الهيبة[1].

ويبدو أن آثار الفتنة التي كانت تحدث يوم عاشوراء كانت أكبر من تلك التي تحدث بالاحتفال في يوم الغار. لذلك نجد أن بعض المؤرخين يذكرون أن الشيعة أقاموا الاحتفال بيوم الغدير، كما أن السنة أقاموا الاحتفال بيوم الغار على سكون وطمأنينة [2].

ويرجع ابن كثير ما حلّ ببلاد الإسلام والمسلمين على يد الروم دون مقاومة تذكر إلى فساد العقيدة بما أظهره الشيعة فقال: "... وذلك لتقصير أهل ذلك الزمان، وظهور البدع الشيعية فيهم، وكثرة العصيان من الخاص والعام منهم، وفشو البدع فيهم، وكثرة الرفض والتشيع منهم،وقهر أهل السنة بينهم، فلهذا أديل عليهم أعداء الإسلام... "[3]

لم يقتصر النزاع بين السنة والشيعة على أيام الأعياد والمآتم الدينية، بل كانت كل طائفة منهم تتربص بالأخرى استفزازاً لها، وانتقاماً منها. ولو أخذنا بعين الاعتبار أن الجيش في العصر البويهي كان ينقسم إلى جند ديالمة شيعة المذهب، وجند أتراك سنية المذهب؛ لأدركنا تماماً حجم الخطر المحدق بالمجتمع في بغداد على وجه الخصوص، الذي قد ينبئ باندلاع حرب أهلية طاحنة. ففي سنة 351 هـ / 962م أمر معز الدولة البويهي عامة الشيعة أن يكتبوا على أبواب المساجد" لعن الله معاوية

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 356؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 156؛ ابن كثير، البداية والنهاية ج 11، ص331.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 85؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 201..

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 259.

بن أبي سفيان ولعن من غصب فاطمة رضي الله عنها حقها في فدك[1] ومن منع من أن يدفن الحسن عند قبر جده عليه السلام[2]، ومن نفى أبا ذر الغفاري[3]، ومن أخرج العباس من الشورى[4]، ولما كان الليل قام أهل السنة بمسح ما كتب دون إثارة للفتنة، ولعل معز الدولة اعتبر ما أقدم عليه أهل السنة تحدياً لسلطانه لأن السلطة كانت بيده، " فأما الخليفة فكان محكوماً عليه لا يقدر على المنع"[5] لذلك أمر معز الدولة بإعادة كتابة اللعن الصريح لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. لولا أن تدخل الوزير أبو محمد المهلبي[6]، الذي أدرك نوايا معز الدولة في إضعاف المجتمع وشق صفوف وحدته ليسهل بعدها سيطرته على الحكم، فأشار على معز الدولة أن يكتب مكان ما محي" لعن الله الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم" [7] ولا يذكر أحداً في اللعن بشكل صريح. والتصريح بذكر معاوية

(1) فدك: قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، أفاءها الله على رسول صلى الله عليه وسلم في سنة سبع صلحاً. وهي التي قالت فاطمة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحلنيها. فقال أبو بكر الصديق. أريد لذلك شهوداً. وقد ردها عمر بن الخطاب إلى ورثة رسول الله. وما زال الخلفاء بردها خليفة إلى ولد فاطمة، ويقبضها عنهم آخر حتى ولي المأمون الخلافة فسجلها لهم. الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 238 فما بعد.

(2) يعنون بذلك مروان بن الحكم. وكان والياً على المدينة أيام معاوية، وهو الذي أبى أن يدفن الحسن مع جده، أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 256..

(3) يعنون بذلك عثمان بن عفان. أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 256..

(4) يعنون به عمر بن الخطاب. أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 256..

(5) ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 4.

(6) الحسن بن محمد اللمهلبي: ابو محمد، من ولد المهلب بن ابي صفرة، مات وهو يتولى وزارته سنة 352هـ/963م. مسكويه. تجارب الأمم، ج5، ص 335–336؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص142–143؛ الحموي، معجم الادباء، ج3، ص976؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11 ص257.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 140؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 4؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 26ن ص 8؛– العبر، ج 2، ص 86؛– دول الإسلام، ج 1، ص 217؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 256؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 3، ص 382؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج1، ص 129.

في اللعن، ففعل ذلك[1]. مما خفف من حدة التوتر. وفي ذلك تأكيد على مدى تأثير دعاة الفاطميين في أمراء بني بويه الذين اعترفوا بشرعية إمامة الفاطميين وإن لم يتبعوا لهم سياسياً. علماً أن أول خليفة فاطمي أمر بلعن الصحابة علناً كان الحاكم بامر الله. ففي سنة 395هـ/1004م أمر بنقش سبّ الصحابة على جدران المساجد وفي الأسواق والشوارع والدروب، ولكنه ارضاءً لأهل السنة من رعاياه أبطل ذلك سنة 397هـ/1006م[2].

انتقلت عدوى الفتنة بين السنة والشيعة من بغداد إلى البصرة، حيث اقتتل الطرفان ومات بسببها عدد كبير [3]، وما ذلك إلا بسبب إقدام الشيعة على سب ولعن الصحابة، لشعورهم بقوتهم بقوة البويهيين المناصرين لهم.

زادت الفتن ببغداد بين السنة والشيعة على أضعاف ما كانت عليه سنة 443 هـ / 1051م، على الرغم من الاتفاق والصلح الذي تم بين الطرفين سنة 442هـ/ 1050م لمّا اتفق الطرفان على الوقوف في وجه صاحب الشرطة أبي محمد الحسن بن محمد النسوي. إذا كان هذا الاتفاق" غير مأمون الانتفاض لما في الصدور" [4] ويرجع سبب ذلك إلى أن أهل الكرخ من الشيعة عملوا أبراجاً كتبوا عليها بالذهب (محمد وعلي خير البشر) فأنكر أهل السنة وادعوا أن المكتوب (محمد وعلي خير البشر، فمن رضي فقد شكر ومن أبى فقد كفر) وأنكر أهل الكرخ هذه الزيادة،

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 140؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 4؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 26ن ص 8؛- العبر، ج 2، ص 86؛- دول الإسلام، ج 1، ص 217؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 256؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 3، ص 382؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج1، ص 129..

[2] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص54؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج5، ص293؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص219؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص83.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 257.

[4] ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 329؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 59.

فأرسل الخليفة القائم بأمر الله نقيب العباسيين ابا تمام الزينبي[1] ونقيب العلويين عدنان بن الرضى[2] للتحقق من حقيقة الأمر، فتوصلا الى صدق إدعاء الشيعة، فأمر الخليفة بوقف القتال، فلم يقبل أهل السنة بنتائج التحقيق، خاصة وأن الوزير أبا القاسم علي بن المسلمة [3] كان من أهل السنة الحنابلة المتشددين الذين يبغضون الشيعة، الذي أصرّ على تغيير العبارة من (خير البشر) إلى (عليهما السلام)، ففعل الشيعة ذلك.مما قوى من موقف أهل السنة الذين قالوا: لا نرضى إلا أن يقلع الآجر الذي عليه (محمد وعلي) وأن لا يؤذن بشعار الشيعة (حي علي خير العمل). فلم يقبل الشيعة بذلك، وتعصب كل فريق لمذهبه، فوقع القتال بين الطرفين، وانتشرت الفتن، فهاجم أهل السنة مشهد باب التبن ونهبوا ما فيه، وأشعلوا النار بالمقابر، فاحترق كثير من الأضرحة الخاصة بكبار الشيعة وأمراء بني بويه والوزراء، مثل ضريح موسى بن جعفر، ومعز الدولة وجلال الدولة والأمين بن الرشيد وأمه زبيدة، وبالمقابل قام أهل الكرخ بنهب خان الفقهاء الحنفية، وقتلوا أبا سعد السرخي [4]– مدرسة الحنفية – وأحرقوا الخان ودور الفقهاء، ولما علم نور الدين دبيس بن مزيد – الذي كان وسائر أهله وعماله

---

[1] الحسين بن محمد، ابو تمام الزينبي: كان يتولى نقابة وقضاء البصرة، قدم بغداد مع معز الدولة، وتولى نقابة العباسيين في بغداد سنة 363هـ/973، ثم صرف عنها، ثم اعيد سنة 364هـ/974م. توفي سنة 372هـ/982م .الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص213؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 223؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 116.

[2] ابو احمد عدنان بن الشريف الرضي، تولى نقابة الطالبيين. توفي سنة 449هـ/1057م. ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص28؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص81.

[3] علي بن الحسن بن المسلمة: كان احد الشهود المعدلين، استكتبه الخليفة القائم بامر الله واستوزره، ولقبه (رئيس الرؤساء شرف الورى جمال الورى) كان مضطلعا بعلوم كثيرة، مع سداد راي ووفور عقل. قتل على يد البساسيري سنة 450هـ/1058م. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج11، ص390 فما بعد؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص41–42.

[4] عبد الملك بن عبد الرحمن، ابو سعد السرخسي: ولد في بغداد، وتولى قضاء البصرة. توفي في البصرة سنة 443هـ/1051م. انظر: ابن النجار، محمد بن محمود(ت643هـ/1245م) ذيل تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997، ج16، ص48–50؛ القرشي، عبد القادر بن محمد (ت775هـ/ 1373م) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، القاهرة: مؤسسة الرسالة، ط2، 1993، ج2، ص274.

من الشيعة – بخبر احتراق المشهد قطع الخطبة للخليفة العباسي القائم بأمر الله متذرعاً أن الخليفة لم يتمكن من معاقبة من أحرقوا المشهد[1].

تجددت الفتنة سنة 444 هـ / 1052م بين الطرفين بعد أن خطب بجامع براثا وأسقط فيه شعار(حي علي خير العمل) من الأذان، ودق الخطيب المنبر بعقب سيفه– وهو ما تكرهه الشيعة– كما وذكر العباس في الخطبة، ويبدو أن الخلافة كان لها يد في هذا الأمر. وقد نتج عن هذه الفتنة احتراق الكثير من المحلات، وأعاد الشيعة كتابة (محمد وعلي خير البشر) على مساجدهم، وأذنوا بشعار الشيعة (حي على خير العمل)، فأعيد أبو محمد بن النسوي قائداً للشرطة، ووقع القتال، وعظم الشر. فازدادت الفتن خاصة بعد انضمام، طائفة من الجند إلى جانب السنة، فقبض قادة الجند على رجل علوي من أهل الكرخ وقتلوه سنة 445 هـ / 1053 م فثار أهله واستغاثوا بالشيعة للاخذ بالثأر، فجرى بينهم وبين القواد قتال شديد، احرق فيه الجند الأتراك أسواق الكرخ، ولم يهدأ الحال حتى تدخل الخليفة بالأمر، فأنكر ما حدث وأمر الأتراك بكف أيديهم وعدم التمادي[2].

لقد تجاوز البويهيون في حقدهم كل حدٍ، فقد كانت مواقفهم المذهبية تدل على وقوفهم ضد أهل السنة، وتعبر في نفس الوقت عن رغبة أكيدة من جانب البويهيين لزعزعة ثقة المسلمين بشكل عام وأهل السنة بشكل خاص بعقيدتهم، عن طريق محاولة إفساد العقيدة الإسلامية، بوسائل شتى انتهجوها لهذه الغاية منها: إظهار التعاطف مع أفكار وعقائد الحلول والتناسخ المناهضة للعقيدة الإسلامية. ففي سنة 341 هـ / 952م بلغ الوزير أبو محمد الحسن المهلبي أن رجلاً مات ببغداد كان يعتقد بمذهب

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 330 – 331؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 59 – 60؛ الذهبي، دول الإسلام، ج 1، ص 26 – 27؛ – العبر، ج 2، ص 282؛ ابن كثير، البداية والنهاية ج 12، ص 69؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 52.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 331 – 335 – 336، 340؛ ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 64 – 65؛ الذهبي، العبر، ج2، ص 283؛ ابن كثير البداية والنهاية، ج 12، ص 70.

الحلول. إذ كان يدعي أن روح أبي جعفر محمد بن علي بن أبي القراقر [1] – قتل على الزندقة – قد حلت فيه. وكان له إتباع يجبي منهم الأموال ويعتقدون بربوبيته، ويدعون أن أرواح الأنبياء والصديقين قد حلت بهم. وقد وجد في منزله ما يدل على مذهبهم[2] كما اطلع الوزير على جماعة منهم يؤمنون بالتناسخ، إذ كان فيهم شاب يدعي أن روح علي بن أبي طالب قد حلت فيه. وزعمت امراة أن روح فاطمة الزهراء قد حلت فيها. كما ادعى رجل آخر أنه جبريل[3]. أراد الوزير المهلبي إنزال العقوبة بهم فضربهم وأنالهم المكروه، وحتى يتخلصوا مما هم فيه ادعوا أنهم شيعة تستراً، فحماهم معز الدولة البويهي، وأمر بإطلاق سراحهم، ولم يستطع الوزير المهلبي إلا تنفيذ الأمر بإطلاق سراحهم خوفاً على نفسه من معز الدولة، ومن ثورة الشيعة عليه[4].

وفي القول بتناسخ الارواح الذي شاع وانتشر في ظل الامراء البويهيين، وتسترهم على من يقول فيه دليل واضح على تاثر هؤلاء بالديانة الفارسية– المانوية والمزدكية والزردشتية– كما انه دليل على تاثر اهل العراق الشيعة في العصر البويهي بالحركات الدينية والسياسية الفارسية التي ظهرت في العصر العباسي الاول.

---

[1] محمد بن علي، ابو جعفر الشلمغاني: نسبة الى (شلمغان) بنواحي واسط، ويعرف بابن ابي القراقر او(العزاقر) متأله مبتدع، كان أول أمره اماميا، ثم ادعى أن اللاهوت حلّ فيه، وأحدث شريعة جاء فيها بالغريب، ومن شريعته أن الله يحل في كل انسان على قدره، وتبعه أناس من أعيان دولة المقتدر بالله العباسي. أفتى علماء بغداد بإباحة دمه، فألقي القبض عليه وقتل واحرقت جثته. الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص86؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص 342، 340؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 241–242؛ الحموي، معجم الادباء، ج1، ص106 فما بعد.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 339؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 238..

[3] يذكر ابن الأثير أن " خادم لبني بسطام يدعي أنه ميكائيل" الكامل، ج 6، ص 339..

[4] ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 87 – 88؛ ابن الأثير، الكامل ج6، ص 339؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 61؛ اليافعي، مرآة، الجنانن ج 2، ص 25 ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11ن ص 238؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 3، ص 351؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 4، ص 221.

ارتبطت الزيدية ارتباطاً وثيقاً بالمعتزلة، لدرجة أن بعض مؤرخي الفرق عدّ المعتزلة من فرق الزيدية؛ فيقول الملطي "والفرقة الرابعة من الزيدية هم معتزلة بغداد" (1). ذلك ان الزيدية " يرون رأي المعتزلة في الأصول ويحذون حذوهم، ويعظمون شيوخ الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت"(2). ويقول الشهرستاني عن زيد بن علي انه:" تتلمذ في الأصول لواصل بن عطاء الغزّال رأس المعتزلة.......... فاقتبس منه الإعتزال، وصارت أصحابه كلها معتزلة"(3).

ونظراً لكون البويهيين زيدية المذهب، جارودية المعتقد، فلا بد وأنهم قد ناصروا المذاهب والمعتقدات المتطرفة الغالية، المخالفة لأهل السنة. ولعلهم في ذلك كانوا مدفوعين بحقد على مذهب أهل السنة الذي لاقى رواجاً كبيراً لدى غالبية أهل العراق، كما أنهم أرادوا تقوية مثل هذه المذاهب كمحاولة لإضعاف الخلافة العباسية ، ليسهل بعد ذلك هدم أركانها بضرب مذهبها الرسمي السني . ولا شك أن في إفساد العقيدة الإسلامية الصحيحة بنشر عقائد فاسدة، وترويجها عن طريق السلطة البويهية الهدف المنشود الأول للبويهيين. ومما يدلل على ذلك أن الخليفة العباسي القادر بالله وقف في وجه المؤامرات التي كانت تحاك وتعمل في الخفاء أحياناً، وجهاراً أحياناً أخرى وخاصة من قبل الشيعة والمعتزلة. ففي سنة 408 هـ / 1017م استتاب الخليفة فقهاء المعتزلة الحنفية والشيعة (4)، نظراً لازدياد خطر

---

(1) الملطي، محمد بن أحمد (ت 377 هـ / 987 م) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الازهرية للتراث، مصر، 1997، ص34.

(2) للتعرف على المعتقدات التي تجمع بين الزيدية والمعتزلة انظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين1990، ص136 فما بعد؛ الملطي، التنبيه، ص33 فما بعد؛ القاضي عبد الجبار، عبد الجبار بن أحمد الهمذاني (ت 415هـ/1025م) شرح الأصول الخمسة،تحقيق: عبد الكريم عثمان، القاهرة: مكتبة الاسرة، 2009، ص749 فما بعد.

(3) الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص154.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 125؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 399؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 215.

المعتزلة على وحدة الدين الإسلامي من الناحية الدينية، فضلاً عن تشجيعهم ومساندتهم للحركات المناهضة للخلافة العباسية من الناحية السياسية. وأمام ضغط الخليفة القادر بالله العباسي اضطر فقهاء المعتزلة إلى الرضوخ، وأظهروا رجوعهم عن أفكار الاعتزال، وتبرأوا منها. وحتى يستوثق الخليفة من وقف خطرهم، ودرء مفاسدهم العقدية على الناس، نهاهم عن الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للإسلام، وتوعدهم بالتنكيل والعقوبة إذا خالفوا. كما طلب من السلطان محمود الغزنوي[1] ملاحقتهم والتصدي لهم فامتثل محمود الغزنوي لأمر الخليفة، فقتل بعض المعتزلة والرافضة والإسماعيلية والقرامطة والجهمية[2] والمشبهة[3]، كما صلب وحبس ونفى البعض الآخر، وأمر بلعنهم

(1) محمود بن سبكتكين الغزنوي: يمين الدولة ابو القاسم، ولد سنة 360هـ/970م، ملك خراسان بعد وفاة والده سنة 387هـ/997م، زالت على يده دوالة السامانيين الذين كانوا يملكون سمرقند وفرغانة وغيرها، واقام الخطبة للخليفة القادر بالله العباسي سنة 389هـ/998م. توفي سنة 421هـ/1030م. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص21–212؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص346–348؛ الطالبي، عبد الحي بن فخر الدين(ت1341هـ/1922م)الاعلام بمن في تاريخ الهند من الاعلام المسمى(نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1999، ج1، ص71؛ كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، بيروت: دار احياء التراث العربي، ج12، ص167.

(2) الجهمية: اتباع جهم بن صفوان الذى قال بالاجبار والاضطرار الى الاعمال وانكر الاستطاعات كلها وزعم ان الجنة والنار تبيدان وتفنيان وزعم أيضا ان الايمان هو المعرفة بالله تعالى فقط وان الكفر هو الجهل به فقط وقال لافعل ولا عمل لاحد غير الله تعالى وانما تنسب الاعمال الى المخلوقين على المجاز كما يقال زالت الشمس ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين او مستطيعين لما وصفتا به وزعم ايضا أن علم الله تعالى حادث وامتنع من وصف الله تعالى بانه شىء او حى او عالم أو مريد وقال لا أصفه يجوز اطلاقه على غيره كشىء موجود وحى وعالم ومريد ونحو ذلك ووصفه بانه قادر وموجود وفاعل وخالق ومحيى ومميت لان هذه الاوصاف مختصة به وحده وقال بحدوث كلام الله تعالى كما قالته القدرية ولم يسم الله تعالى متكلما به واكفره أصحابنا فى جميع ضلالاته. عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ج1، ص199؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص86.

(3) المشبهة: هم الذين يشبهون الخالق عز وجل بالمخلوق. عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ج1، ص214؛ الاسفراييني، التبصير في الدين، ص119؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص112.

علـى المنـابر، وتوعـد أهـل البـدع بالعقـاب والطـرد مـن الـديار حتـى صـار هـذا الأمـر سـنة فـي الإسـلام[1]. وفـي سـنة 409 هـ / 1018م قـرئ كتـاب بمـذاهب السنة بـدار الخلافـة، إذ حمـل مـا معنـاه محاربـة الاعتـزال والتـصدي لرمـوزه فجـاء فيـه: "مـن قـال أن القـرآن مخلـوق فهـو كـافر حلال الدم"[2]. مما يعني تصدي الخلافة العباسية لمذهب الاعتزال ورجالاته.

ثالثاً- الفاطميون ودورهم في نشر التشيع في العراق:

أ- نشر المذهب الاسماعيلي في العراق

نجح دعاة الفاطميين في جذب الكثير من أهالي العراق إلى اعتناق المذهب الإسماعيلي[3]. مستغلين في تحقيق ذلك ضعف الخلفاء العباسيين، واستفحال نفوذ المؤسسة العسكرية وتحكم قادتها بالدولة، فضلاً عن استقلال الأمراء بولاياتهم مما حرم خزينة الدولة المركزية من الأموال، ناهيك عن وصول البويهيين الشيعة إلى سدة الحكم في بغداد، وتأسيس إمارة وراثية لهم فيها.

يعد القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي قرن انتشار التشيع، إذ قامت فيه ثلاث دول شيعية هي:

1- دولة في شمال افريقيا ومصر على يد الفاطميين (297-567 هـ /909-1171م).

2- دولة في العراق وإيران على يد بني بويه (334-447 هـ /945-1055م).

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 125 – 126؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 299؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 215 ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 7؛ متزن الحاضرة الإسلامية، ج 1، ص 124.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 128؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 8.

(3) ينسب هذا المذهب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق. وكان اتباعه يعرفون بالإسماعيلية وهم فرقة من الشيعة تعتقد أن الإمامة انتقلت بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي بن أبي طالب تم إلى ابنه الحسن تم إلى أخيه الحسين، ثم تنقلت في بني الحسين إلى جعفر الصادق، ويدعون أن الإمامة انتقلت من جعفر الصادق إلى ابنه إسماعيل تم تنقلت في بنيه. أنظر: الشهر ستاني، الملل، ج 1، ص 170- 171.

3- دولة في اليمن على يد الزيديين (334-447 هـ /945-1055م).

كان وجود بني بويه أحد عوامل انتشار التشيع في العراق، نظراً لأنهم كانوا يعتنقون التشيع الزيدي مذهباً، لذلك غضّ البويهيون النظر عن دعاة المذهب الاسماعيلي ونشاطاتهم، وعملوا على انتشاره. الأمر الذي شجع الفاطميون على زيادة نفوذهم في العراق. خاصة وأن معز الدولة البويهي قد فكر جدياً في نقل الخلافة من العباسيين إلى العلويين، مما شجع الفاطميون على تكرار المحاولة تلو الأخرى من أجل استمالة البويهيين إلى جانبهم عقدياً وسياسياً فيما بعد، فقد كانت العراق دائماً نصب أعين الخلفاء الفاطميين لبسط سلطانهم عليها. ومما يدل على ذلك ما عبر عنه الخليفة الفاطمي المعز لدين الله عند استقباله لرسول ملك الروم سنة 365 هـ / 978م إذ قال له: " أتذكر إذ أتيتني رسولاً وأنا بالمهدية، فقلت لك: لتدخلن علي وأنا بمصر مالكاً لها. قال. نعم. قال: وأنا أقول لك لتدخلن على بغداد وأنا خليفة" [1].

كان البويهيون يمليون إلى العباسيين سياسياً، ذلك لان وجودهم السياسي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بوجود الخليفة العباسي الضعيف. ولكنهم كانوا يؤثرون الفاطميين مذهبياً لانهم كانوا يتشيعون ومن انصار المذهب الشيعي والمعتنقين له [2]. فقد حاول الخليفة الفاطمي العزيز بالله التقرب من عضد الدولة البويهي في محاولة لجس النبض لمعرفة موقف الامراء البويهيين من الفاطميين. إذ تم تبادل الرسائل الودية بين الطرفين والتي أظهرت اعتراف عضد الدولة البويهي بإمامة الخليفة الفاطمي الشيعي، مع إقراره أن الخليفة العزيز بالله الفاطمي هو" من أهل تلك النبعة الطاهرة"[3]. ذلك أن الخليفة

[1] ابن الأثير الكامل ؛ ج 7، ص 67؛ سرور، محمد جمال الدين، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة، بيروت: دار الفكر العربي، ط 3، 1964، ص 77.

[2] سرور؛ النفوذ الفاطمي، ص 80- 81؛ وفاء علي، الخلافة العباسية، ص 74.

[3] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص124-123؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص67.

الفاطمي العزيز بالله حاول التقارب مع البويهيين مستغلاً غارات البيزنطيين المتكررة على الثغور، طالباً منه التعاون في لصد تلك الهجمات وذلك سنة 369 هـ/ 979م. حيث جاء في تلك الرسائل ما نصه" من عبد الله نزار بن أبي منصور الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين إلى عضد دولته وتاج ملته أبي شجاع مولى امير المؤمنين..." [1]. فردّ عليه عضد الدولة برسالة يظهر فيها التودد، جاء فيها" كان أبو الوليد عتبة بن الوليد[2] ورد علينا وافداً عن تلك الحضرة الشريفة – حرسها الله تعالى – ومتحملاً رسائل يعتقد بمثلها المودة.. ويستصفى بحكمها الثقة، فأصخنا لها، واعدنا أبا الوليد إلى تلك الحضرة المحروسة موصول الجناح برسولنا فلان"[3]

جاء ردُّ الخليفة الفاطمي العزيز بالله على هذه الرسالة ردّ المؤمل في قطف النتائج التي كان يسعى لتحقيقها، فجاء في رسالته".... فإن رسولك وصل إلى حضرة امير المؤمنين مع الرسول المنفذ إليك، فأدى ما تحمله من إخلاصك في ولاء أمير المؤمنين ومودتك، ومعرفتك بحق إمامته، ومحبتك لآبائه الطائعين الهادين المهديين، فسرَّ أمير المؤمنين بما سمعه عنك، ووافق ما كان يتوسم فيك، وإنك لا تعدل عن الحق... وقد علمت ما جرى على ثغور المسلمين من المشركين، وخراب الشام وضعف

---

(1) ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول، ج 1، ص 184. ويورد ابن تغري بردي ما نصه" من عبد الله دوليه نزار ابي منصور الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين إلى عضد الدولة الإمام نصير ملة الإسلام أبي شجاع بن أبي علي" النجوم الزاهرة، ج 4، ص 128؛ أنظر: حامد غنيمة، العلاقات السياسية، ص 116.

(2) هو رسول الخليفة العزيز بالله، الذي بالغ عضد الدولة في استقباله. ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول،ج1،ص 184.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 4، ص 128؛ أنظر: ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول، ج 1؛ ص 184؛ غنيمة، العلاقات العربية، ص 116.

أهلـه، وغـلاء الأسـعار، ولـولا ذلـك لتوجـه أميـر المـؤمنين بنفسه إلـى الثغـور، وسـوف يقـدم إلـى الحيرة. وكتابه يقدم عليك عن قريب، فتأهب إلى الجهاد في سبيل الله"[1]

وصل كتاب العزيز بالله إلى عضد الدولة، فارسل عنه رداً يعترف فيه بفضل أهل البيت ويقر للعزيز أنه من أهل تلك النبعة الطاهرة، وأنه في طاعته. ويتعجب ابن تغري بردي " من كون عضد الدولة كان إليه أمر الخليفة العباسي ونهيه، ويقع في مثل هذا لخلفاء مصر، وقد علم كل أحد ما كان بين بني العباس وخلفاء مصر من الشنآن، وما أظن أن عضد الدولة كتب له ذلك إلا عجزاً عن مقاومته" [2].

قرئت رسالة الخليفة الفاطمي لعضد الدولة في حضرة الخليفة العباسي الطائع لله. كما تم الإجابة عنها بعلمه، ويبدو أن عضد الدولة قد تعمد ان تكون قراءة الرسالة الفاطمية بحضرة الخليفة العباسي وذلك لكي يجعل منها سلاحاً ينتزع به بعض الامتيازات من الخليفة العباسي[3].

حاول الفاطميون أن يكسبوا تأييد القوى المحلية في العراق إلى جانبهم. ونظراً لالتزام الفاطميين بالسرية التامة في محاولاتهم لكسب هذه القوى. فقد استطاع الخليفة العزيز بالله الفاطمي بفضل اهتمامه بأمر الدعوة الفاطمية وانفاقه الكثير من الاموال على نشرها، ان يستميل بعض امراء العرب في العراق الى جانب الدولة الفاطمية. ففي سنة 382 هـ /992م اعلن حاكم الموصل ابو الدرداء محمد

---

(1) انظر: مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص451؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص268-369؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص102؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 4، ص 129؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص 82.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 4، ص 129.

(3) حامد غنيمة، العلاقات العربية، ص 117.

بن المسيب العقيلي ولاءه للفاطميين، فأقام الخطبة للخليفة العزيز بالله الفاطمي في الموصل، وأمر ان ينقش اسمه على الاعلام والسكة[1].

كما تمكن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله من استمالة الأمير قرواش بن المقلد العقيلي، الذي سار على سياسة من سبقه في التردد في الولاء بين الخلافة العباسية والخلافة الفاطمية، بحسب المصالح السياسية والمكاسب المادية التي يستطيع تحقيقها. إذ قطع الأمير قرواش الخطبة عن الخليفة العباسي في جميع المناطق التي يحكمها وهي الموصل والكوفة والانبار والمدائن، وأقامها للخليفة الفاطمي وذلك سنة 401 هـ / 1010م [2]؛ فشق عصا الطاعة للعباسيين، وتحول ولاءه للفاطميين. الأمر الذي أزعج الخليفة العباسي لإدراكه حجم الخطر المحدق الذي يهدد الخلافة العباسية، فأنفذ إلى بهاء الدولة يخبره بالخطر الفاطمي، طالباً منه العمل على صده. الامر الذي اضطر فيه الامير بهاء الدولة إلى إجابة طلب الخليفة- ولعله أدرك تماماً أن وجود سلطانه مرتبط بوجود الخليفة العباسي، وأرسل جيشاً إلى قرواش، أجبره على الرجوع إلى طاعة العباسيين وقطع الخطبة عن الفاطميين[3].

وكان الحاكم بامر الله الفاطمي قد بعث الى قرواش بن المقلد ثلاثين الف دينار لقاء إقامة الخطبة له؛ فلما وصل رسول الخليفة الفاطمي الى الرقة، وعلم بإعادة الخطبة للخليفة العباسي في

---

(1) ابن ميسر، اخبار مصر، ص 130؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج5، ص374؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج27 (حوادث ووفيات سنة 386هـ)، ص131؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص 84؛ بيطار، أمينة، موقف أمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجري، دمشق: در دمشق للطباعة والنشر، ط 1، 1980، ص 332.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 74؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 253؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 197-198؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص3؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 4، ص 225؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص84-85.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 77؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 253 - 254؛ الذهبي، العبر، ج2، ص 197 - 198؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص67؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص86.

الموصل واعمالها، امتنع عن المسير الى قرواش وسلم الاموال الى والي الرقة– الذي كان من عمال الفاطميين(1).

أحسَّ الخليفة العباسي القادر بالله بالخطر الذي بات يهدد أركان الخلافة العباسية من جراء انتشار الدعوة الفاطمية في العراق، ومن استمالة أمراء محليين إلى جانبهم، فبادر إلى استعمال أسلوب الحملة الدعائية الاعلامية من خلال الطعن والقدح في نسب الفاطميين و محاولة التشهير بهم لتقليل عدد المتقبلين للدعوة الفاطمية حيث نسبهم فيها الى الفرس تارة واليهود تارة اخرى خاصة بعد ان بلغه ما لقيته هذه الدعوة من نجاح وامتداد النفوذ الفاطمي في مكة والمدينة. ففي سنة 402 هـ / 1011م أصدر ديوان الخلافة بأمر الخليفة القادر بالله محضراً يطعن في صحة نسبهم إلى فاطمة الزهراء، وأشهد على ذلك الإشراف والقضاة والفقهاء والصالحين والمعدلين والثقات والأماثل، كما شهد عليه أكابر العلويين كالشريف الرضي وأخوة المرتضى. وأرسلت منه نسخ إلى بلدان الخلافة العباسية. جاء فيه: "…. وهم منسوبون إلى ديصان بن سعيد الخرمي أحزاب الكافرين، ونطف الشياطين، شهادة متقرب إلى الله جلت عظمته، وممتعض للدين والإسلام، ومعتقد إظهار ما أوجب الله تعالى على العلماء أن يبينوه للناس ولا يكتمونه، شهدوا جميعاً أن الناجم بمصر وهو منصور بن نزار المتلقب بالحاكم – حكم الله عليه بالبوار والدمار والخزي والنكال والاستيصال – بن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد – لا أسعده الله – فإنه لما صار إلى الغرب تسمى بعبيد الله وتلقب بالمهدي، ومن تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس – عليه وعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين– ادعياء خوارج لا نسب بهم في ولد علي بن أبي طالب، ولا يتعلقون منه بسبب، وأنه منزه عن باطلهم، وأن الذي أدعوه من الانتساب إليه باطل ووزر، وأنهم لا يعلمون أن أحداً من أهل بيوتات الطالبيين توقف عن إطلاق القول

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 77.

في هؤلاء الخوارج أنهم أدعياء وقد كان هذا الانكار لباطلهم ودعواهم شائعاً بالحرمين، وفي أول أمرهم بالغرب [1] منتشراً انتشاراً يمنع من أن يتدلس على أحد كذبهم، أو يذهب وهم على تصديقهم. وان هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار فساق فجار يلحدون زنادقة معطلون، وللإسلام جامدون ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون، وقد عطلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمور، وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية"[2].

كان من شأن هذا القدح في نسب الفاطميين، والقدح في عقائدهم وأنهم زنادقة، أن يشوه صورة هؤلاء أمام الناس، مما يفرض أمراً واقعاً أمام الناس عن التخلي عن تبني معتقدهم، والانتماء إليهم، كيف لا وقد ذكر ابن ظافر الأزدي أن " عضد الدولة بن بويه الديلمي لما ملك العراق وجميع الديار إلى حمص أنفذ رسولاً إلى العزيز – الخليفة الفاطمي – يسأله عن نسبه، ويطالبه بتحقيق دعواه، ويتهدده بالمسير إليه... ولم يقنع عضد الدولة حتى استدعى جميع أشراف العراق من بغداد والبصرة والكوفة وسألهم عن نسبه، فكلهم أنكروه وامتنعوا من تصحيحه، ورجع إلى النسخة القديمة ببغداد المحتوية على كل نسب قديم من أصول أنساب الطالبيين، فلم يجدوا فيها ذكراً للجد الذي ينتسبون إليه من بعد محمد بن إسماعيل بن جعفر... "[3].

ويبدو ان سياسة التودد التي قامت بين الخليفة الفاطمي وعضد الدولة البويهي قد تبدلت في أواخر حكم عضد الدولة. ولعله أدرك مدى الخطر الذي يتهدد سلطان البويهيين من الدولة الفاطمية إذا

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 82؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 263؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، (حوادث وفيات 401 – 410 هـ). ص 11؛ امينة البيطار، موقف امراء العرب، ص334.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 82– 83. أنظر: ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 263؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 200؛– تاريخ الإسلام، (حوادث وفيات 401 – 410هـ)، ص 11– 12؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 4، ص 230؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص 87.

(3) ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول، ج 1، ص 18..

ما بسطت سلطتها على العراق، وأصبح البويهيون تابعين لها مذهبياً وسياسياً. لدرجة أن عضد الدولة جهز جيشاً لغزو مصر ومحاربة الدولة الفاطمية، وإخضاعها لسلطة العباسيين الإسمية، وسلطة البويهيين الفعلية. ففي سنة369 هـ /979م تأهب عضد الدولة " لقصد مصر وانتزاعها من أيدي الباطنية– أي الفاطميين– وكتب على أعلامه بالسواد– وهو شعار العباسيين–: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد خاتم النبيين، الطائع لله أمير المؤمنين(وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) [1]. إلا أن هذه المحاولة لم تتم بسبب وفاة عضد الدولة البويهي[2].

وقد قيل إن ما قام به عضد الدولة البويهي كان نتيجة لشكه في نسب الفاطميين، ذلك أنه دعا العلويين في بغداد وقال لهم:" إن الخليفة بمصر يدعي أنه علوي، فانكروا انتسابه اليهم، فبعث الى العزيز رسولاً يقول له: نريد نعرف ممن أنت؟" فعظم ذلك على الخليفة الفاطمي وأزمع رسول عضد الدولة على العودة الى بغداد، وبينما هو في طريق العودة قتل في طرابلس"[3].

وفي سنة 415 هـ /1024م قام جنود البويهيين من الديلم بالدعوة للخليفة الظاهر لاعزاز دين الله الفاطمي(411–427 هـ /1020–1035م) في كل من البصرة والكوفة والموصل، وذلك انتقاماً من

---

(1) سورة يوسف، الاية99.

(2) التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، بيروت: دار صادر، ط1، 1988، ج6، ص101–102؛ عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص291–292؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص83. ويذكر المقريزي ان عضد الدولة البويهي قرر ارسال جيشه الى مصر لمحاربة الفاطميين الذين بدا يرى انهم يشكلون تهديدا واضحا للدولة البويهية خاصة بعد ان ثبت له كذب ادعاء الفاطميين بالنسب الى ال البيت. الا انه لم يتمكن من ذلك بسبب انشغاله بمحاربة اخيه فخر الدولة الذي كان قد اتفق مع عز الدولة بختيار على محاربة عضد الدولة، الامر الذي اضطره الى ارسال الجيوش الى تاديب اخيه، مما اشغله عن محاربة الفاطميين. اتعاظ الحنفا، ص252.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 30–31؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص83.

الجنود الاتراك الذين تمكنوا من السيطرة على بغداد واخراج الديلم منها، فسار الديلم الى البصرة ودعوا الى الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله [1].

لم يثن الطعن في النسب الفاطمي الذي لجأ إليه الخليفة القادر بالله العباسي الخلفاء الفاطميين من مواصلة جهودهم لنشر دعوتهم، خاصة وأن الظروف باتت مهيأة لمثل هذا العمل الدعوي الذي طالما مارسه الفاطميون من حيث الصراع والنزاع الذي بات السمة الغالبة بين أمراء البيت البويهي من أجل الاستئثار بالسلطة، بالإضافة إلى ثورات الجند المتكررة، فضلاً عن تدخل قادة الجند في تعيين وعزل الأمراء. ففي سنة 425 هـ/ 1034م استغل الخليفة الفاطمي الظاهر لاعزاز دين الله الظروف التي تمر بها الخلافة العباسية من سيطرة الجند الأتراك على الأمر في بغداد، ومن نقص الأموال، فأرسل الدعاة إلى بغداد لنشر دعوته– ولعله استغل المال في تحقيق غرضه لمعرفته بظروف الناس الصعبة – فاستجاب لهم كثير من أهلها[2].

كما تمكن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله من استمالة قرواش بن المقلد العقيلي مرة أخرى، بعد أن أرسل إليه سنة 436 هـ / 1044م أعلاماً وخلعاً فلبسها مما يعني إعلان الولاء والتبعية للفاطميين، فأرسل إليه الخليفة القائم يعاتبه على ذلك، فاعتذر له، ولبس السواد، ورجع عن دعوة المستنصر [3].

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 2، ص 168؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص68.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 2، ص 181؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص68؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص89.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 2، ص 193.

ب- دور داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي في نشر التشيع في العراق:

اتبع البويهيون سياسة مذهبية تشير إلى ميلهم الواضح إلى الزيدية، مما ساعد على انتشار الدعوة الفاطمية في العراق على يد الدعاة الذين كان يرسلهم الخلفاء الفاطميون[1]. الا ان نشاطهم الدعوي زاد بصورة اكثر فاعلية وعملية بعد انتقال الخلافة الفاطمية الى مصر في منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، صاروا يعملون على نشر دعوة الاسماعيلية في بغداد حاضرة الخلافة العباسية نفسها.وكان من بين هؤلاء الدعاة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي، الذي أخذ على عاتقه نشر الدعوة الفاطمية في بلاد فارس والأهواز والعراق، فكان له الدور الأكبر في استمالة كثير من أهل العراق بالإضافة إلى استمالة عناصر من الديلم والأتراك. ولم يكن تحرك هذا الداعية لينجح في مسعاه لولا أن وجد احتضان من السلطة البويهية. إذ نجح الداعية في اجتذاب الأمير أبي كاليجار البويهي إلى الدعوة الفاطمية[2].

وقد اشار بعض المؤرخين ان السبب وراء تقرب الامير أبي كاليحار من الفاطميين والانضمام الى دعوتهم عائد الى رغبته في الضغط على الخلافة العباسية من خلال ارهابها بالتعامل مع الفاطميين، لقطع الطريق على العباسيين لكي لا يحاولوا الاستنجاد بالسلاجقة السنة للحدّ من نفوذ البويهيين في العراق من جهة، وتخفيف الضغط على الخلافة العباسية من جهة ثانية [3]. الذي كان لانحيازه الى الدعوة الفاطمية اكبر الاثر في حرية حركة دعاة المذهب الاسماعيلي في العراق والمشرق

---

(1) المصدر نفسه، ج 1، ص 196.

(2) المؤيد في الدين، هبة الله الشيرازي (ت 470 هـ / 1077 م) ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، تحقيق: محمد كامل حسين، القاهرة: دار الكتاب المصري، 1949، ص 26؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص92.

(3) سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، القاهرة: دار الفكر العربي، 1973، ص180؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص69.

لنشر النفوذ الفاطمي، وخاصة وان سياسة امراء بني بويه كانت تقوم على تشجيع المذهب الشيعي الذي يعتنقونه مذهبياً، بالاضافة الى ذكاء داعي الدعاة المؤيد في الدين الذي عمل على نشر الدعوة الفاطمية في بلاد فارس بتشجيع ورعاية الامير البويهي، فاتخذ من شيراز مركزا لنشاطه الدعوي. كما صار الامير ابو كاليجار نفسه يتردد الى حضور مجالس داعي الدعاة، الامر الذي زاد من التقارب بين الطرفين لدرجة ان الامير الابويهي اعتنق المذهب الاسماعيلي بجهود داعي دعاة الفاطميين[1].

تبدلت العلاقات بين الامير البويهي وداعي الدعاة بعد ان تمكن الوشاة من تخويفه من خطر الدعوة الفاطمية على الدولة البويهية اذا ما نجحت الدعوة في الانتشار في العراق. حيث أبدى أبو كاليجار تخوفه من داعي الدعاة هبة الله خاصة بعد أن دسّ إليه بعض أعداء داعي الدعاة أنه يسعى للفتنة في العراق، حتى قيل عنه أنه يعمل على إقامة الخطبة باسم الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، والأذان بشعار الشيعة (حي على خير العمل) ولولا ذلك لحظي داعي الدعاة بعناية الامير البويهي[2]. مما اضطر داعي الدعاة إلى الهرب إلى الأهواز. ومن هناك بدأ دعوته بشكل علني؛ إذ اقام الأذان في مسجد الأهواز بشعار الشيعة (حي على خير العمل) كما خطب للخليفة الفاطمي المستنصر بالله. إلا أن أمره في الأهواز لم يستمر طويلاً، ذلك ان قاضي الأهواز أبو الحسن بن منصور بن المشتري أرسل رسالة إلى الخليفة القائم بامر الله ينعى فيها خلافة العباسيين، ان لم تضع حداً لنشاطات داعي الدعاة، الذي اخذ نشاطه الدعوي يزداد في ظل الحماية البويهية للدعاة الشيعة في بغداد. كما طلب من الخليفة العباسي أن يصانع أبا كاليجار، وأن يقبض على داعي الدعاة في محاولة لوقف انتشار الدعوة الفاطمية التي باتت تشكل خطراً حقيقياً على الخلافة العباسية، بل أنه طلب من الخليفة أن يهدد أبا

---

[1] هبة الله الشيرازي، مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية، تحقيق: عارف تامر، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1983، ص 67–68.

[2] هبة الله الشيرازي، مذكرات داعي الدعاة، ص 22؛ – المؤلف نفسه، ديوان المؤيد، ص 25.

كاليجار بالاستنجاد بالسلاجقة السنة إن لم يسلم داعي الدعاة لرسول الخليفة العباسي،[1] وهذا ما كان يخشاه امراء بني بويه من ان يزول سلطانهم في العراق. مما اضطر داعي الدعاة إلى التوجه إلى الموصل بعد ضغط الامير أبي كاليجار عليه، خاصة بعد أن بلغه أن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله أرسل خلعاً وألقاباً إلى قرواش العقيلي، ظناً منه أنه سيساعده في نشر الدعوة الفاطمية في البلاد. إلا أن ظنه قد خاب لما وجد أن قرواش كان متقلب الولاء بين الفاطميين والعباسيين، فهو لا يركن إليه، فاضطر إلى تركه واتجه إلى مصر حيث الخلافة الفاطمية سنة 438 هـ / 1046 م [2].

لم يكتف الخليفة العباسي القائم بأمر الله بخروج داعي الدعاة المؤيد، وعودته إلى مصر، ذلك لأن الآثار التي خلفتها دعوته في العراق كانت خطيرة، خاصة وإن كثير من قادة الترك والديلم قد انضموا إليها، فأراد العمل على تشويه صورة الفاطميين في نظر أتباعهم، وبالتالي التقليل ما أمكن من عدد الأتباع. ففي سنة 444 هـ / 1052م أصدر مرسوماً يقضي بالطعن والقدح في نسب الفاطميين، وتكذيب إدعائهم نسبهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أو إلى علي وفاطمة، ونسبهم فيه إلى الديصانية من المجوس، والقداحية من اليهود، وأشهد على ذلك الإشراف والقضاة والشهود والعلماء من السنة والشيعة[3]، مما يعيد إلى الأذهان ما قام به الخليفة القادر بالله سنة 402 هـ / 1011م. ويبدو أن هذا الأسلوب الدعائي كان يؤتي نتائج جيدة وإلا لما كان الخليفة القائم بأمر الله يقدم على تكراره.

ج- البساسيري ودوره في محاولة الغاء الخلافة العباسية في العراق:

تعدُّ حركة البساسيري من اخطر الحركات التي هددت كيان الخلافة العباسية في العصر العباسي الثاني من حيث النتائج التي كانت الحركة تسعى الى تحقيقها لو قدر لها النجاح. فقد كانت

---

(1) هبة الله الشيرازي، مذكرات داعي الدعاة، ص 79 – 80؛ – المؤلف نفسه، ديوان المؤيد، ص 28، 30؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص94.

(2) المؤيد، مذكرات داعي الدعاة، ص 102؛ – المؤلف نفسه، ديوان المؤيد، ص 33، 35؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص69–70.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 336؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 94؛ الذهبي، العبر، ج2، ص 284؛ عرفه، الأحوال السياسية والدينية، ص 67؛ الكروي، البويهيون، ص 189.

الخلافة العباسية تعيش في اسوأ الظروف السياسية والامنية والاقتصادية والاحتماعية والدينية؛ حيث كان الخلفاء العباسيون مجردين من السلطة، فلم يكن لهم من الخلافة الا الاسم. كما ان الامراء البويهيين الذين كانوا مهيمنين على الأمور انذاك قد وصلوا الى غاية من الوهن والضعف، والبعد عن النظر السياسي. فالدسائس والمكائد كانت تحاك في بلاط البويهيين، وقلة الأموال في أيديهم جعلتهم يسلبون الناس أموالهم عن طريق الغصب والمصادرات غير الشرعية. كما أنهم شجعوا العامة على الفتن والنهب، وإثارة النعرات الطائفية البغيضة، فعظم أمر اللصوص والعيارين في بغداد حتى باتوا يأخذون الأتاوة من التجار وأصحاب المصالح علناً، أو يكبسون متاجرهم ومحالهم ليلاً [1]. وبسبب الفوضى والإضطرابات العامة الجارفة سلمت واجبات حماية الجانب الغربي من بغداد الى القائد التركي الأصل أبي الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري سنة 425هـ/1033م الذي نجح لفترة من الزمن في وضع حدّ لعمليات السلب والنهب، وكبح جماح العيارين واللصوص [2].

كان البساسيري في الأصل من مماليك بهاء الدولة البويهي. اشتد ساعده وعظم أمره أيام الأمير جلال الدولة؛ فكثر ماله وازداد عدد اتباعه [3]. والذي يدل على النفوذ الواسع الذي تمتع به ما كتبه الخطيب البغدادي عنه أنه" انتشر ذكره وطار اسمه، وتهيبه العرب والعجم، ودعي له على كثير من المنابر العراقية وبالأهواز ونواحيها، وجبى الأموال، وخرب الضياع، ولم يكن الخليفة القائم بأمر الله يقطع أمرً دونه، ولا يحل ويعقد إلا عن رأيه" [4]. وقدمه الخليفة القائم بأمر الله على جميع الأتراك،

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 236، 245.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 250.

(3) انظر ترجمته في: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص414؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 299؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص192–193؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص66.

(4) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص407؛ انظر ايضا: الحسيني، صدر الدين علي بن ناصر (ت575هـ/1180م) اخبار الدولة السلحوقية، صححه: محمد اقبال، بيروت: دار الافاق الجديدة، ط1، 1984، ص18؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص348؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص87؛ ابن ظافر الازدي، اخبار الدول المنقطعة، ج2، ص427.

وجعله القائد العام للجيش في بغداد [1]. واستمر يشغل منصبه هذا طيلة أيام إمارة الملك الرحيم أبي نصر آخر الأمراء البويهيين في بغداد.

استغلّ كبار رجال الدولة الاتجاهات المذهبية في تحقيق الاطماع السياسية، وتهديد الخصوم. ذلك ان الوزير ابا القاسم بن المسلمة [2] كان يحقد على البساسيري لاستئثاره بالسلطة دونه[3]، بينما كان الوزير يتطلع الى تحقيق أطماعه السياسية والتحكم بأمور البلاد، مما يعيد الى الأذهان فترة الصراعات السياسية التي قامت بين السلطة المدنية وعلى رأسها شخص الوزير، والسلطة العسكرية وعلى رأسها قائد الجيش، مما أدخل الدولة في دوامة من الصراعات السياسية والدموية لتحقيق الأطماع الشخصية. فقد عمل الوزير على افساد العلاقة بين الخليفة وبين البساسيري في محاولة للحد من نفوذه والتخلص منه، فاتهم البساسيري بالميل الى الدعوة الفاطمية والعمل على نشرها في العراق، وبصورة مقابلة عمل البساسيري على ضرب مصالح كلا من الخليفة والوزير معا مستغلا مركزه كقائد للجيش. ففي سنة 446 هـ /1054م استولى أمير الموصل قريش بن بدران العقيلي[4] على مدينة الأنبار، وأقام الخطبة فيها للسلطان السلجوقي طغرلبك. كما نهب ممتلكات البساسيري في الأنبار واستولى عليها. ولعل السبب الذي دفع قريش العقيلي الى إعلان الخطبة في الأنبار باسم السلطان طغرلبك السلجوقي عائد الى اقتراب السلاجقة من حدود إمارته، بالإضافة الى رغبته بالحصول على الإعتراف به من

---

(1) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص407؛ ابن ظافر الازدي، اخبار الدول المنقطعة، ج2، ص427؛ ابن دحية الكلبي، عمر بن الحسن(ت633هـ/1235م) النبراس في تاريخ بني العباس، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2000، ص137؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص192؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص98.

(2) ابو القاسم علي بن الحسن بن المسلمة: استكتبه الخليفة القائم بامر الله العباسي ثم استوزره ولقبه رئيس الرؤساء شرف الوزراء جمال الورى. قتله البساسيري وصلبه سنة 450هـ/1058م. انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج11، ص390-391؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص41-42؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص84.

(3) ابن العمراني، الانباء، ص188؛ سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، ص185؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص76.

(4) قريش بن بدران العقيلي: تولى امارة الموصل بعد وفاة عمه بركة بن المقلد. اجتمع مع البساسيري على نهب دار الخلافة واعلان التبعية للخلافة الفاطمية. توفي بالطاعون سنة 453هـ/1061م. انظر: ابن الاثير، الكامل، ج8، ص91؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج5، ص267.

قبلهم. الأمر الذي أثار غضب البساسيري ذلك لأن مدينة الأنبار كانت تحت نفوذه، ومما زاد الطين بلة هو إقدام الخليفة على استقبال رسل أمير الموصل وإكرامهم، فقام بالردّ على هذه الخطوة باتخاذ مجموعة من التدابير زادت من حدة الخلاف بينه وبين الخليفة والوزير، وخاصة بعد أن اتهم الوزير ابن المسلمة بتدبير الأمر ضده؛ فقام بإسقاط ما كان يحمل الى الخليفة والوزير والحاشية من مال من دار الضرب في بغداد في كل شهر(المشاهرات)، ثم قاد جيشه وتوجه به الى الأنبار، فاستولى عليها بعد أن قتل وأسر عدداً كبيراً من اتباع قريش بن بدران[1].

انتهز الوزير ابن المسلمة هذه الفرصة لتوسيع شقة الخلاف بين الخليفة والبساسيري، حيث اتهم البساسيري بالميل الى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، والعمل على نشر دعوته في العراق[2]. كما عمل الوزير على تحريض الأتراك والعامة على ذم البساسيري والإعتداء على أملاكه، بعد أن اتهمه أنه وراء نقص رواتبهم وسوء أحوالهم الإقتصادية، وذلك لإضعاف قدرات البساسيري العسكرية بإحداث إنشقاقات بين صفوف المؤيدين له وخاصة الأتراك. فتوجه جماعة منهم الى الخليفة القائم بأمر الله واستأذنوه في نهب دور وأملاك البساسيري، ولما تأكد للخليفة صحة ما نسب الى البساسيري من العمل على الميل للخليفة المستنصر بالله الفاطمي ونشر الدعوة الفاطمية في العراق[3]، خاصة بعد أن قدم اليه جماعة من الأتراك من أصحاب البساسيري بواسط وأخبروه أن البساسيري عازم على نهب دار

---

[1] ابن الاثير، الكامل، ج8، ص67–68؛ النويري، نهاية الارب، ج23، ص128؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص76؛ عرفه ، الاحوال السياسية والدينية، ص68.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص347؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص70؛ ابن ميسر، اخبار مصر، ص14؛ النويري، نهاية الارب، ج23، ص129؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص76؛ سرور، النفوذالفاطمي، ص100–101.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص348؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، 71؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص71.

الخلافة والقبض على الخليفة[1]. أذن لهم في نهب دور البساسيري، فنهبوها ثم أحرقوهاونكلوا بنسائه وأهله وموظفيه، ونهبوا دوابه واستولوا على جميع ممتلكاته في بغداد وذلك سنة 447 هـ /1055م[2].

وصل سوء العلاقة بين الخليفة والبساسيري الى درجة يتعذر معها الإصلاح، فاستعان الخليفة بالأمير البويهي الملك الرحيم للتصدي له، مع علمه بضعفه عن مواجهته فيما لو أن البساسيري هاجم بغداد، ليكون ذلك ذريعة له للاستنجاد بالسلاجقة الأتراك.اذ أرسل الخليفة الى الملك الرحيم برسالة فيها نوع من التهديد والوعيد جاء فيها:" إن البساسيري خلع الطاعة وكاتب الأعداء يعني المصريين- أي الفاطميين- وإن الخليفة له على الملك عهود وله على الخليفة مثلها، فإن آثره قطع ما بينهما، وإن أبعده وأصعد الى بغداد تولى الديوان تدبير أمره"[3]. فاستجاب الملك الرحيم الى طلب الخليفة، حيث طلب من البساسيري الرحيل عن واسط- حيث كان يقيم- مما اضطر البساسيري الى الاعتراف بالأمر الواقع وهو ضعفه أمام كل هذه التحديات؛ حيث فضل الإنسحاب والتوجه الى حلة دبيس بن مزيد لمصاهرة بينهما، ثم توجه من هناك الى الرحبة، في الوقت الذي كان الخليفة العباسي قد طلب المساعدة من السلطان طغرلبك السلجوقي الذي كان يرابط بجيشه على مشارف بغداد، ويتحين الفرصة التي تسنح له لضم العراق الى دولته مع علمه بتردي الاوضاع فيها، حيث طلب منه الخليفة المسير الى بغداد لانقاذه من البساسيري، الذي بات يشكل خطرا حقيقيا على الخلافة العباسية السنية. ويذكر ابن القلانسي ان البساسيري " قصد دار الخلافة في بغداد وهي بالجانب الغربي.....فهاجمها ونهبها

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص348؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص70؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص76.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص347؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص70؛ ابو الفداء، المختصر، ص173؛ النويري، نهاية الارب، ج23، ص129؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص71؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص76؛ عرفه ، الاحوال السياسية والدينية، ص68.

(3) ابن الاثير، الكامل، ج8، ص71.

وأحرقها ونقض أبنيتها واستولى على كل ما فيها"[1] لمّا علم بأمر مكاتبة الخليفة القائم بأمر الله للسلاجقة؛ قدم السلطان طغرلبك السلجوقي الى بغداد في اواخر شهر رمضان من سنة 447 هـ /1055م بعد ان اظهر انه يريد الذهاب الى الحج واصلاح الطريق المؤدية الى مكة المكرمة، ثم التوجه الى الشام ومصر لازالة الخلافة الفاطمية منها[2]. حتى لا يثير شكوك الامير البويهي الملك الرحيم.

بدأ البساسيري اتصالاته مع الفاطميين من مركزه الجديد في الرحبة. ذلك ان داعي الدعاة المؤيد في الدين الفاطمي استغل ظروف تدهور العلاقات بين الخليفة العباسي والبساسيري واتباعه، كما انه وقف على المكاتبات التي تبودلت بين الخليفة القائم بامر الله والسلطان السلجوقي وادرك مدى خطورتها على الدعوة الفاطمية ؛ فبدأ بمراسلة بعض الامراء العرب، حيث نجح في ضم كل من امير الحلة دبيس بن مزيد، وحاكم ميارفاقين وديار بكر احمد بن مروان، وصاحب حلب ثمال بن صالح بن مرداس[3]. بعد ان راسلهم بكتب تضمنت تأييد الخليفة الفاطمي لهم واستعداده لمساعدتهم والوقوف الى جانبهم بالمال والسلاح، وقد مثلت هذه المكاتبات للبساسيري طوق النجاة له ولاصحابه الذين انضموا اليه، حيث سارع البساسيري الى الرد الفوري على مكاتباتهم يلتمس منهم الاسراع في الامدادات بالاموال والسلاح مقابل اعلان الدعوة الفاطمية في العراق. فجاء في رسالته:" ان اخذتم بايدينا اخذنا

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص87.

(2) هبة الله الشيرازي، مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية، ص125؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص348؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص71؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص249؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص76؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص102؛ خرابشة، التنافس السلجوقي الفاطمي على بلاد الحجاز وامرة الحج، منشورات جامعة اليرموك– عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، اربد، 1999، ص28.

(3) هبة الله الشيرازي، مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية، ص136، 142، 154؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص80؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص106–107.

لكم البلاد، وان قلدتمونا نجاد نصركم وانجادكم، فتحنا من جهتكم الاغوار والانجاد"[1]. وكان البساسيري قد أرسل الى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي يطلب منه النجدة، مقابل أن يسيطر على بغداد، ويعلن الخطبة فيها للمستنصر بالله بعد أن يسقط الخلافة العباسية منها[2].

بالغ الخليفة المستنصر بالله الفاطمي بالاهتمام برسالة البساسيري مبدياً فرحه الشديد بالحليف الجديد للدعوة الفاطمية. اذ كانت بمثابة الثمرة لجهود الدعوة الفاطمية لنشر التشيع في العراق اولاً، ومحاولة لاسقاط الخلافة العباسية ثانياً. خاصة وان الذي يعمل على هذا الامر قائد عسكري كالبساسيري قد يكتب له النجاح اذا ما وجد الدعم المالي والعسكري الكافيان لتحقيق هذه المهمة، خاصة بعد فشل الدعاة الفاطميين –الى حد ما– في تلك المهمة. لذلك اخذ الخليفة الفاطمي بتجهيز الاموال والسلاح لارسالها الى البساسيري، ثم عهد الى داعي دعاة الفاطميين المؤيد في الدين بحملها الى البساسيري، كما ارسل معه الخلع وكتب له بولاية الرحبة نيابة عنه[3]. كما نص عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي على ان يتولى البساسيري القيادة العامة للجيش المؤلف من هؤلاء الامراء الذين انضموا اليه[4].

كان مجمل المساعدات المالية والعينية التي ارسلها الخليفة الفاطمي للبساسيري قد بلغ خمسمائة الف دينار نقداً، ومن الثياب ما قيمته خمسمائة الف دينار ايضاً، بالاضافة الى خمسمائة

---

(1) هبة الله الشيرازي، مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية، ص127؛ – ديوان المؤيد في الدين، ص41–42.

(2) ابن ميسر، اخبار مصر، ص14؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص233.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص87؛ ابن ظافر الازدي، تاريخ الدول المنقطعة، ص151؛ ناصر الحسيني، الدولة السلجوقية، ص18؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص79 .

(4) هبة الله الشيرازي، مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية، ص159–160؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص77؛ عرفه ، الاحوال الدينية والسياسية في بلاد العراق، ص71.

فرس وعشرة الاف قوس، والكثير من الرماح والنشاب[1]. ويقدر المقريزي قيمة الاموال المرسلة من الفاطميين الى البساسيري بمليونين وثلاثمائة الف دينار، ومن العين مليون وتسعمائة الف دينار، ومن العروض ما قيمته اربعمائة الف دينار[2]. ويشير بعض المؤرخين الى ان المستنصر " لم يترك في خزائن اموال القصر شيئ البتة"[3].

نجح البساسيري في تحقيق الانتصار الاول له على السلاجقة، حيث تمكن من الانتصار على قوات الجيش السلجوقي بقيادة الامير قتلمش السلجوقي وحليفه امير الموصل قريش بن بدران في موقعة سنجار[4] سنة 448 هـ /1056م [5]. وكان من نتائج هذة المعركة انه لم ينجُ من الجيش السلجوقي البالغ عدده الفين وخمسمائة فارس سوى مائتين او اقل[6]. وكان اخطر هذه النتائج على الخلافة العباسية بشكل عام والسلطة السلجوقية على وجه الخصوص هو انضمام بعض امراء العرب الى الى الدعوة الفاطمية ؛ فقد انضم قريش بن بدران العقيلي الى جانب البساسيري، واقام الخطبة للخليفة المستنصر بالله الفاطمي على منابر الموصل، كما انضم امير خفاجة محمود بن الاخرم الى

---

(1) الذهبي، تاريخ الاسلام(حوادث ووفيات 441–450هـ، 451–460هـ) ص37؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص13؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص79 .

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص232؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص79 .

(3) ابن ميسر، اخبار مصر، ص15؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص233.

(4) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص262.

(5) هبة الله الشيرازي، مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية، ص168، 170؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص77؛ ابن الصيرفي، الاشارة الى من نال الوزارة، ص44؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص73؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص80.

(6) ابن الصيرفي، الاشارة الى من نال الوزارة، ص44 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص234؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص80. ويذكر الشيرازي في مذكراته ان عدد جيش السلاجقة بلغ اربعة الاف ، ص170.

الدعوة الفاطمية، واقام الخطبة للخليفة الفاطمي على منابر الكوفة[1]، وفي واسط حيث خلع اميرها علاء الدين ابو الغنائم بن المحلبان طاعة الخليفة القائم بامر الله العباسي وخطب للمستنصر بالله الفاطمي، كما امر ان تلون مساجد واسط باللون الأبيض- شعار الفاطميين، بالاضافة الى سك النقود باسم الخليفة الفاطمي[2].

وقد نظم بعض الشعراء في هذا الانتصار بعض القصائد منها قول ابن حيوس[3] [4]:

عجبت لمدّعي الافاق ملكاً   وغايته ببغداد الركود
يصول على رعاياها اعتداء   ويحجم كلما صلّ الحديد
يدبّره ابن مسلمة سفـاهـــا   برأي غيره الرأى السديد
ومن مستخلَف، بالهون يرضى   يُذاد عن الحياض ولا يذود
واعجب منهما سيف بمصر   تقام له بسنجار الحدود

وجد داعي دعاة الفاطميين المؤيد في الدين ان الفرصة اصبحت مواتية امامه للعمل على نشر الدعوة الفاطمية في العراق من جديد اذا ما توحدت جهوده مع جهود البساسيري، اذ بدأ يعمل على صرف السلاجقة عن تاييد العباسيين، محاولاً جذبهم لتاييد الدعوة الفاطمية ان استطاع، والا فهو يعمل على شق الوحدة بينهم لتفريقهم واضعافهم عن طريق التشكيك في صحة خلافة العباسيين. اذ كتب

---

(1) هبة الله الشيرازي، مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية، ص173، 176 ؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص77؛ عرفه ، الاحوال السياسية والدينية في بلاد العراق، ص72؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص80.

(2) هبة الله الشيرازي، مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية، ص174، 176 (حيث يذكر ام اسم امير واسط هو ابن قائد بن رحمة) ؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص76؛ عرفه ، الاحوال السياسية والدينية، ص72.

(3) ابن حيوس: هو ابو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس الفحل، توفي سنة 473هـ/1080م.ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج4، ص438 فما بعد؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص111.

(4) ابن حيوس، محمد بن سلطان(ت473هـ/1080م) ديوان ابن حيوس، تحقيق: خليل مردم بك، دار صادر، بيروت، 1984، ج1، ص181-183؛ ابن الصيرفي، الاشارة الى من نال الوزارة، ص44 ؛ ابن العمراني، الانباء، ص191؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص234.

رسالة للوزير السلجوقي عميد الملك الكندري يقلل فيها من شأن الخليفة العباسي، ويشيد بمكانة الخليفة الفاطمي[1].

كان الوزير السلجوقي على قدر كبير من المكر والدهاء، إذ أدرك نوايا داعي الدعاة الفاطمي في محاولته لتفريق الأنصار عن السلاجقة. فأخذ يعمل على إحباط نواياه، وقلب السحر على الساحر؛ إذ بدأ الوزير السلجوقي العمل على بثّ بذور الفرقة والخلاف بين الأمراء الموالين للبساسيري، واعداً إياهم بمنحهم بعض الولايات فيما لو تركوا تأييد البساسيري وانضموا الى جانب السلاجقة، فوعد أحدهم بالموصل، ووعد غيره بولاية البصرة وواسط. وقد تكللت هذه المحاولة بالنجاح مما كان له أكبر الأثر في تفريق أكثرهم عن مناصرة البساسيري [2]. بل إن بعضهم كدبيس بن مزيد وقريش بن بدران راسلا السلطان السلجوقي طغرلبك لاستعطافه والعفو عنهما، فقبل طغرلبك عذرهما وعفا عنهما، وأقرهما على أعمالهما السابقة. مما اضطر البساسيري الى العودة الى الرحبة وتبعه الأتراك البغداديون وجماعة من بني عقيل[3].

كان وقع الصدمة على السلطان طغرلبك السلجوقي قوياً جدا عندما علم بخبر هزيمة الجيش السلجوقي في سنجار، والتي مكنت البساسيري من السيطرة على الموصل وإعلان الخطبة فيها للخليفة الفاطمي. فخرج بجيشه حتى وصل الى تكريت[4]، حيث تمكن من استعادتها وأعاد الخطبة فيها الى الخليفة العباسي، ثم تابع مسيره حتى وصل الى مدينة الموصل التي تمكن من دخولها بدون قتال، ذلك

---

(1) هبة الله الشيرازي، مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية، ص195–197.

(2) هبة الله الشيرازي، مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية، ص198؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص110؛ الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص81.

(3) هبة الله الشيرازي، مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية، ص198؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص234؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص78؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص111.

(4) تكريت: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي اقرب الى بغداد. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص38.

لأن البساسيري كان قد خرج منها عندما علم بقدوم الجيش السلجوقي،لأنه كان يدرك انه لايملك القدرة على مواجهته.

عيّن السلطان طغرلبك السلجوقي أخاه إبراهيم ينال حاكماً عسكرياً على الموصل، ثم عاد هو الى بغداد سنة 449 هـ /1057م [1]. فاستغلَّ ابراهيم ينال عودة أخيه السلطان طغرلبك الى بغداد فخرج من الموصل وتوجه الى بلاد الجبل، حيث كان يرغب في حكمها والاستقلال بها عن أخيه.الأمر الذي أغضب السلطان طغرلبك واتهمه بالتمرد والعصيان، وأرسل اليه يطلب منه القدوم الى بغداد خاضعاً وطالبا للطاعة، فاستجاب إبراهيم ينال الى ذلك، فأصلح الخليفة القائم بأمر الله بينهما وذلك سنة 450 هـ /1058م [2].

استغل البساسيري فرصة الخلاف الذي وقع بين السلطان طغرلبك وأخيه، كما استغل فرصة خلو الموصل من أي قوات سلجوقية، فعاد واستولى عليها بمساعدة قريش بن بدران. مما اضطر السلطان طغرلبك للخروج ثانية الى الموصل لاسترجاعها، بعد أن أخرج معه أخاه إبراهيم ينال، الذي انتهز الفرصة من جديد وانفصل بجزء من الجيش متوجهاً الى همذان، عاصمة بلاد الجبل، وسيطر عليها[3]. الأمر الذي دفع طغرلبك الى التوجه الى همذان للقضاء عل ثورة أخيه هناك. إلا أنه مني

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، 16، ص19؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص147؛ ابو الفداء، المختصر، ج2،ص176؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص81.

[2] ابن الاثير، الكامل، ج8، ص152.

[3] ناصر الحسيني، الدولة السلجوقية، ص19؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص30؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص82–83 ؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص81.

بالهزيمة أمامه، مما اضطره الى طلب المساعدة من حاكم سجستان ألب أرسلان السلجوقي، فتمكنا معا من إلحاق الهزيمة بإبراهيم ينال وجيشه وقتله سنة 451 هـ /1059م [1].

ويعزو بعض المؤرخين السبب الذي دفع إبراهيم ينال الى الثورة على أخيه السلطان طغرلبك السلجوقي الى" أن المصريين كاتبوه والبساسيري قد استماله وأطمعه في السلطنة والبلاد"[2]. ويذكر البعض الآخر أن البساسيري هو من حرض إبراهيم ينال على العصيان، ويطمعه في الملك والتفرد به دون أخيه طغرلبك[3].

كان البساسيري يترقب الأحداث التي تجري بين الأمراء السلاجقة أولاً بأول؛ فاستغلَّ فرصة خروج إبراهيم ينال من الموصل متوجهاً الى همذان واستولى على الموصل، كما استغل انشغال السلطان طغرلبك في القضاء على ثورة أخيه وخروجه من بغداد، حيث اصبحت بغداد خالية من أي تواجد للجيش السلجوقي باستثناء حامية قليلة العدد؛ فسار بجيشه الى بغداد ودخلها سنة 450 هـ /1058م رافعاً الرايات المستنصرية الفاطمية وعليها ألقاب الخليفة المستنصر بالله الفاطمي [4].

---

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص90؛ ابن ظافر الازدي، اخبار الدول، ج2، ص428؛ ناصر الحسيني، الدولة السلجوقية، ص19؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص45؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص85 ؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص81.

(2) ابن الاثير، الكامل، ج8، ص82؛ انظر كذلك: ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص30–31؛ ابن خلدون، العبر ، ج3، ص562..

(3) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص408؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص87؛ ابن ظافر الازدي، اخبار الدول، ج2، ص428؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص249؛ الزهراني، نفوذ السلاجقة، ص82.

(4) هبة الله الشيرازي، مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية، ص222؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج3، ص1351؛ ابن ظافر الازدي، اخبار الدول المنقطعة، ج2، ص428؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص250؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص6؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص298.

حيث خطب البساسيري للخليفة المستنصر بالله الفاطمي في جامع المنصور، وزاد في الأذان – بشعار الشيعة- (حي على خير العمل) [1].

تمكن البساسيري من إقامة الخطبة للخليفة المستنصر بالله الفاطمي في جميع مساجد مدينة بغداد بعد أن أتم سيطرته عليها[2]، كما تمكن من ضرب ألقابه على السكة[3]. ثم أمر أن يخطب للخليفة الفاطمي على منابر واسط والبصرة وأعمالهما[4]. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن البساسيري جمع أعيان العلويين والعباسيين وقاضي القضاة وأخذ عليهم البيعة للخليفة المستنصر بالله الفاطمي[5]. ويضيف المقريزي أن البساسيري أجبر الخليفة القائم بأمر الله العباسي على أن يكتب له اعترافاً بأنه لا حق له ولا للعباسيين في الخلافة مع وجود بني فاطمة الزهراء، وأشهد عليه الشهود، ثم بعث بالإعتراف الى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي[6].

---

(1) هبة الله الشيرازي، مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية، ص222؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص32؛ ابن ظافر الازدي، اخبار الدول، ج2، ص428؛ ابن ميسر، اخبار مصر، ص18؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص83؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج3، ص1352؛ الزهراني، نفوذ السلاجقة، ص83.

(2) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص408–409؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص34؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص89؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص83؛ ابن تغري بردي، مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز اجمد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج1، ص280؛ الزهراني، نفوذ السلاجقة، ص84.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص37؛ ابن الصيرفي، الاشارة الى من نال الوزارة، ص45؛ الزهراني، نفوذ السلاجقة، ص84.

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص256؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص84 السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص252.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص44؛ الذهبي، العبر، ج2، ص295؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص252؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص7؛ الزهراني، نفوذ السلاجقة، ص84.

(6) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص253؛ الزهراني، نفوذ السلاجقة، ص84؛ عرفه ، الاحوال السياسية والدينية، ص75.

ويذكر داعي دعاة الدولة الفاطمية الشيرازي أن أهل بغداد رحبوا بالدعوة الفاطمية بسبب ما كانوا يعانوه من الظلم الذي لحقهم من الأتراك السلاجقة عند دخولهم الى بغداد، وبسبب حقدهم على الخليفة العباسي ووزيره الذين استدعيا السلاجقة الى بغداد، فبدأوا يتسلطون على أموال الناس ودمائهم(1).

ضاقت جميع السبل على الخليفة القائم بأمر الله العباسي الذي لم يجد الا طريقاً واحداً فقط يستطيع معه الخروج من المحنة التي هو فيها بأقل الأضرار والخسائر، ألا وهو طلب الأمان والحماية من الأمير قريش بن بدران العقيلي، وقد استجاب الأمير العقيلي لطلب الخليفة ؛ فأمنه وأمن أسرته، حيث أرسلهم الى حديثة عانة(2) مع ابن عمه مهارش العقيلي(3). وبقي لديه الى حين عودته مجدداً الى بغداد بعد دخول قوات طغرلبك اليها وهروب البساسيري وجيشه.

سارع البساسيري الى زفّ البشرى الى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي بدخوله الى بغداد واعلان الخطبة فيها للفاطميين، مما بعث على السرور في نفس الخليفة الفاطمي؛ فقد تحقق بذلك حلم ابائه في القضاء على الخلافة العباسية، كما تحقق حلمهم في السيطرة على العالم الاسلامي في اسيا وافريقيا ايضاً.. فقد احتفل الفاطميون بسقوط بغداد في يد البساسيري احتفالا مهيبا، حيث عمت الافراح الديار المصرية، وزينت القاهرة احتفاءاً بتحقيق الإنتصار، حتى ان جارية للمستنصر بالله أنشدت بين يدي الخليفة في قصر الخلافة الفاطمية (4)(الرمل):

يا بني العباس ردوا	ملك الامر معدّ
ملككم ملك معار	والعواري تستردّ

---

(1) هبة الله الشيرازي، مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية، ص222 ؛ الزهراني، نفوذ السلاجقة، ص84.

(2) حديثة عانة: بلدة مشهورة بين الرقة وهيت، وتشرف على الفرات. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص72.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص33-35؛ ابن ميسر، اخبار مصر، ص19؛ الزهراني، نفوذ السلاجقة، ص84.

(4)ا ابن ميسر، اخبار مصر، ص19؛ لنويري، نهاية الارب، ج28، ص220؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص254؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص12.

في الوقت الذي تمكن فيه البساسيري من السيطرة على بغداد، واعلان الخطبة للخليفة الفاطمي على منابرها، وقف اهل الكرخ الشيعة الى جانبه واظهروا فرحهم بما تحقق لهم. حيث اعتبروا هذه الخطوة انتصاراًلهم هلى اهل السنة، مثلما كانوا قد تمادوا لما سيطر البويهيون على العراق. فعملوا على اعادة الاذان بشعار الشيعة (حي على خير العمل) الذي كان قد توقف العمل به منذ ان تمكن السلاجقة من دخول بغداد سنة 447 هـ /1055م، بل ان بعضهم تمادى في الانتقام من اهل السنة بان هاجموا دورهم ونهبوا اموالهم تشفياً منهم بسبب المذهب. اما عامتهم فانهم رفعوا راية بيضاء- لون الدولة الفاطمية- في وسط الكرخ وكتبوا عليها بكل جرأة اسم الخليفة المستنصر بالله الفاطمي[1]. وفي ذلك قال ابن نحرير الكاتب(السريع) [2]:

أقبلت الرايات مبيضة   يقدمهن الأسد الباسل

وولّت السوداء منكوسة   ليس لها من ذلة شائل

حاول الخليفة المستنصر بالله الفاطمي إقناع مهارش العقيلي لإرسال الخليفة العباسي المحتجز لديه الى مصر عن طريق إغرائه بالمال. اذ وعده بمبلغ عشرة الآف دينار مقابل ذلك[3]. الا أن الأمير مهارش رفض الاستجابة لطلب الخليفة الفاطمي، ولعله كان يطمح في تحقيق مكاسب أكبر إن هو أبقى على الخليفة العباسي تحت تصرفه، خاصة وأن السلطان طغرلبك السلجوقي تمكن من الاإنتصار على تمرد أخيه إبراهيم ينال، ثم تفرغه للعودة الى بغداد لنجدة الخليفة العباسي، وبالتالي حصوله على شرعية وجوده كحاكم فعلي في عاصمة الخلافة العباسية، مما يعني فرص تحقيق مكاسب مادية

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص32.

[2] ابن العمراني، الانباء، ص194؛ النويري، نهاية الارب، ج23، ص132.

[3] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص254-255؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص85،

وسياسية أكبر في ظل وجود خليفة عباسي ضعيف، بدلاً من البقاء تحت راية الخلافة الفاطمية. ومما يدل على ذلك أنه عند إعادة الأمير مهارش للخليفة القائم بأمر الله العباسي الى بغداد أعطاه الخليفة الكثير من الأموال، بالإضافة الى منحه الإقطاعات الكبيرة حتى صار الأمير مهارش من أغنى رجالات العقيليين[1].

كتب السلطان طغرلبك السلجوقي الى كل من البساسيري وقريش بن بدران العقيلي يطلب منهما اعادة الخليفة العباسي الى بغداد، خاصة بعد ان تمكن من الانتصار على اخيه ابراهيم ينال، وتفرغه للعودة الى بغداد. اذ وعدهما بعدم دخول بغداد في حال موافقتهما على اعادة الخليفة، وسيكتفي هو بذكر اسمه في خطبة الجمعة، بالاضافة الى ضرب اسمه على السكة[2].

أرسل قريش العقيلي الى البساسيري يسأله أن يستجيب لما طلبه السلطان السلجوقي، مقللاً في الوقت نفسه من اعتماده على الفاطميين. فقد أورد بعض المؤرخين أن قريش العقيلي قال للبساسيري مسفهاً اعتماده على الفاطميين في ظل تغير موازين القوى لصالح السلاجقة:" قد دعوت إلى السلطان على ستمائة فرسخ فخدمناه، وفعلنا ما لم يكن يظنه، ومضى لنا ستة أشهر مذ فتحنا العراق ما عرفنا منه خبراً، ولا كتب إلينا حرفاً، ولا فكر فينا، وقد عادت رسلنا بعد سنة وكسر صفرًا من شكر وكتاب، فضلاً عن مال ورجال، ومتى تجدد خطب فما يشقى به غيري وغيرك، والصواب المهادنة،أو المسالمة، ورد الخليفة إلى أمره، والدخول تحت طاعته، وأن يستكتب أمنه"[3].

---

(1) شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي،ط1، ج1، ص107.

(2) ابن الاثير، الكامل، ج8، ص158؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص256.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص45.

حاول البساسيري أن يستفيد من الموقف في تحقيق ما يستطيع من المكاسب بعد أن اقتنع الى حدٍ ما بكلام قريش العقيلي بعدم الاعتماد على الفاطميين. فأجاب البساسيري إلى عودة الخليفة الى بغداد، ولكنه اشترط مقابل ذلك شروطًا منها: أن يكون هو النائب على باب الخليفة، والخادم دون غيره، ورد خوزستان والبصرة إليه كما كان في السابق، وأن يخطب للخليفة فقط دون أن يشاركه السلطان طغرلبك السلجوقي في الخطبة. وليتأكد من تحقيق هذه الشروط بعث مع رسل السلطان طغرلبك إلى الخليفة من يتولى إحلاف الخليفة له على ما اشترط. الا أن محاولاته هذه باءت بالفشل الذريع(1).

كان مهارش العقيلي- حاكم حديثة عانة- الذي كان الخليفة العباسي مودعاً عنده، قد حلف للخليفة على حمايته وعدم تسليمه للفاطميين، بسبب انقلاب البساسيري عليه بوعود كان قد وعده بها ولم ينفذها(2). ولذلك عمل على إرسال الخليفة العباسي الى بغداد، في نفس الوقت الذي كان السلطان طغرلبك السلجوقي قد بعث برسله لإعادة الخليفة الى بغداد(3).

استقر السلطان السلجوقي في بغداد، في الوقت الذي وصل فيه الخليفة، حيث استأذنه السلطان لملاحقة البساسيري والقضاء عليه، ثم التوجه الى بلاد الشام لتطهيرها من الحكم الفاطمي الشيعي، ثم التوجه الى مصر للقضاء على الخلافة الفاطمية في عقر دارها(4). فأذن له بذلك، فارسل خلفه سرية تمكنت من الانتصار عليه وقتله، حيث حزت راسه وحملت الى بغداد، وطيف بها هناك وذلك سنة 451 هـ /1059م(5).

---

(1) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص410؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص48.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص49.

(3) المصدر نفسه، ج16، ص49.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص51؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص159؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص253.

(5) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص410؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص54؛ ابن ميسر، اخبار مصر، ص19؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص161؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج3، ص1354؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص253؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص257؛ مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص87.

الفصل الثالث

مظاهر الضعف الاجتماعية وأثرها على المجتمع

أولاً – استغلال العامة في الصراع بين القوى السياسية وحراكهم الشعبي....255

ثانياً – العيارون والشطار ودورهم في اضعاف المجتمع 275

ثالثاً – الكوارث الطبيعية واثرها على المجتمع 294

أ– الكوارث المائية من امطار وفيضانات وترد وصقيع وثلوج 295

1: الفيضانات والأمطار نقصها وقلة سقوطها...................................295

2: البرد والصقيع والثلوج..298

ب– الأمراض والأوبئة 99

ج– موجات الغلاء وارتفاع الأسعار 303

د– الزلازل 309

اولاً – استغلال العامة في الصراع بين القوى السياسية وحراكهم الشعبي.

يمكن تقسيم دور العامة في بغداد، بحسب المعطيات التاريخية للأحداث الجارية على الساحة السياسية والإقتصادية والإجتماعية في بغداد إلى شكلين أساسيين يمكن رصدهما. كان الشكل الأول: يتناول أشكال التضامن بين العامة في بغداد بصور مختلفة بحسب الأزمات السياسية والإقتصادية التي كانت تلمّ بالمجتمع، وكلما تعرضت بلاد المسلمين للعدوان الخارجي، أما الشكل الثاني: فكان يصور شكل حركات التمرد التي كان العامة يمارسونها والتي كانت تستهدف الحكام أحياناً، والتجار أحياناً أخرى، كما كانت تستهدف جماعات أخرى من العامة– كما هو الحال بين السنة والشيعة– في أحيان أخرى.

مثلت سنة 334 هـ/ 945م بداية الصدام بين العامة من جهة وبين جنود الجيش الذي رافق معز الدولة البويهي في احتلاله لبغداد من جهة ثانية، اذ رافق نزول الجند من عناصر: الديلم والجيل والأتراك دور الناس حتى لحقهم من ذلك شدة عظيمة، حتى أن هذا الأمر أصبح رسماً جارياً على الناس أن ينزلوا الجند في بيوتهم. ولعلهم كانوا يفرغون لهم بعض غرف البيت، بالإضافة إلى إطعامهم مما يشكل عبئاً ثقيلاً في ظل الظروف المعيشية والاقتصادية الصعبة الناتجة عن تسلط الجند على الناس، وخراب الارض الزراعية بسبب تعديات ملاك الاراضي عليها، بالاضافة الى الضرائب العالية والمستمرة المفروضة عليهم، مما أرهق الناس وزاد من معاناتهم[1].

وفي سنة 334 هـ / 945م وقفت عامة بغداد إلى جانب الحمدانيين أثناء الحرب التي نشبت بين امير الموصل ناصر الدولة الحمداني ومعز الدولة البويهي، فانضموا إلى ناصر الدولة، الذي جعل

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم،ج5،ص275–276؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14؛ ص43، ابن الأثير، الكامل،ج6،ص 314.

منهم جنداً في جيشه، فقد أورد مسكويه أن ابن شيرزاد – الذي كان يقف إلى جانب ناصر الدولة الحمداني ضد معز الدولة البويهي في حربه – قد " استعان بالعامة والعيارين من بغداد على حرب معز الدولة والديلم وفرض قوماً منهم"[1]، إلا أن ذلك لم يمنع من هزيمته أمام الجيش البويهي، فدفع العامة ثمن موقفهم هذا، إذا أخذ الديلم يقتلون وينهبون أموال الناس، ويحرقون أسواقهم، حتى حمل الخوف الناس على الهرب وهم حفاة من بغداد إلى عكبرا [2]، فمات أكثرهم في الطريق بسبب الحر الشديد، ولم يتوقف الجند الديالمة عن قتل العامة إلا بعد أن قتل وزير معز الدولة البويهي أبو جعفر الصيمري جماعة منهم، وصلب بعض غلمان الديلم، وقد رافق هذه الحرب انتشار الغلاء نتيجة تسلط الجند الديالمة على غلات الناس، الذين كانوا يحصدونها ويدرسونها ثم يحملونها إلى معسكرات الجيش البويهي، ومن شدة الغلاء الذي لحق بالناس فقد أكلوا الموتى والحشيش والميتة والجيف وروث الدواب؛ فأصابتهم الأمراض التي كانت تودي بحياة أكثرهم، وقد زاد الأمر حدة لدرجة أن ضبط جماعة من الناس وهم يشوون الصبيان ويأكلونهم[3]. وعلى الرغم من شدة المبالغة في ذكر النتائج التي تمخضت عن هذه الأحداث كقتل الأولاد وشويهم ثم أكلهم، إلا أن فيه إشارة الى أن العامة كانوا أكثر المتضررين من مثل هذه الأحداث التي كانت تنشب بين الأمراء والقادة ويقع العامة ضحيتها.

ويمكن أن نضيف سبباً آخر لوقوف العامة ضد البويهين وجيشهم الديلمي وهو أن هذا الجيش كان لا تأخذه رأفة ولا رحمة في كل مدينة يدخلهامن قتل ونهب وسفك للدماء وهتك للمحارم والاعراض. ففي أثناء حرب البويهيين مع الحمدانيين نزل معز الدولة وديالمته في الجانب الغربي من دجلة متوجهاً

---

[1] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 279؛ انظر: ابن الاثير، الكامل، ج6، ص316.

[2] عكبرا: اسم بليدة من نواحي دجيل قرب صريفين واوانا. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص142.

[3] مجهول العيون والحدائق، ج4/ ق 2، ص 450؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 278، 281؛ ابن الجوزي، المنتظم ج 14، ص 48؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 152.

إلى تكريت [1] حيث عاث فيها أصحابه الفساد ونهبوها، كما كانت سامراء عرضة لأعمال النهب أيضاً، عندما وصلها بعض الجند الديالمة ونهبوها. مما أثار حفيظة الناس من هول الفظائع التي ارتكبها هؤلاء الديالمة، فرغبوا في الانتقام منهم [2].

وفي سنة 335 هـ /946م نهب الجند الديالمة- الذين رافقوا معز الدولة البويهي اثناء سيطرته على بغداد- اموال الناس، حيث اعتبروها غنائم حرب، خصوصاً بعد ان تمكنوا من الانتصار على قوات ناصر الدولة الحمداني، واعادة الخليفة المطيع لله الى قصره في بغداد، حيث قدر مجموع ما نهب من أموال الناس بحوالي عشرة ملايين دينار [3].

كما كان العامة من أكثر المتضررين بسبب كثرة الجند الأتراك في بغداد خاصة بعد أن انتصر معز الدولة البويهي على روزبهان الديلمي [4] سنة 345 هـ /956م، حيث كان الأخوة الثلاثة (بلكا، روزبهان، وأسفار) قد اتفقوا على الثورة على معز الدولة البويهي، والتخلص من البويهيين على أن يصبح روزبهان الديلمي هو أمير الأمراء[5]. فقد ثار بلكا ضد معز الدولة في شيراز بعد أن انضم اليه أخوه روزبهان، الذي كان قد خسر في حربه مع عمران بن شاهين في البطائح [6]، وفي الوقت

---

[1] تكريت: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي الى بغداد اقرب. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص38.

[2] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 278؛ ابن الوردي تاريخ، ج1، ص 269.

[3] ابن الاثير، الكامل، ج6، ص316.

[4] روزبهان بن ونداد(او ونداذ) خرشيد الديلمي: كان من رجال موسى فياذة وصغار اصحابه، اصطنعه معز الدولة ونوّه باسمه، فعظم قدره. ثار على معز الدولة مع اخيه بلكا في شيراز، ثم انضم الى ثورة اخيه الثالث اسفار في الاهواز، فحاره معز الدولة معتمداً على جند الاتراك. قتل سنة 345هـ/956م. انظر: مجهول، العيون والحدائق، ج4/ق2، ص477؛ مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص316؛ ابن الاثير، الكامل، ج6، ص350.

[5] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ق2، ص477 فما بعد.

[6] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 297؛ ابن الأثير، الكامل؟ ج 6، ص 236؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 223؛ ابن خلدون، العبر ، ج 4، ص 607.

نفسه أعلن الأخ الثالث لروزبهان ويدعى أسفار العصيان في الأهواز؛ فانتقل روزبهان من شيراز الى الأهواز لمناصرة أخيه أسفار، غير أن معز الدولة استطاع القضاء على التمرد، كما تمكن من قتل قادته الثلاثة، وذلك بالاعتماد على الجند الأتراك، الذين وقفوا إلى جانبه وساندوه وأتمروا بأمره [1]، على العكس من ذلك فانه لم يعتمد على الجند الديالمة لانه لم يعد يثق بهم، وذلك عائد بطبيعة الحال إلى مجموعة من الأسباب التي دفعت معز الدولة إلى عدم الثقة بالجند الديالمة منها: أن هؤلاء الديالمة انحازوا إلى روزبهان عندما أرسل معز الدولة جيشاً من الديالمة تحت قيادة الوزير أبي محمد المهلبي لمحاربته واستأمنوا اليه [2]. كما حاول الجند الديالمة الإنقلاب على معز الدولة ليجدوا المبرر لانضمامهم إلى روزبهان[3]. أما الجند الديالمة الذين بقوا في بغداد بعد خروج معز الدولة منها فقد ثاروا مطالبين بأرزاقهم مستغلين فرصة الظروف العسكرية والسياسية التي يمر بها معز الدولة [4]. وعندما تمكن معز الدولة من القضاء على حركة روزبهان وإخوته، حيث سجن روزبهان في حصن في

(1) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ق2، ص483؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص171؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص316-318؛ ابن الأثير، الكامل،ج 6، ص349-351؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج11، ص 261.

(2) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ق2، ص483؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص171؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 316-318؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 349-351؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 261.

(3) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ق2، ص483؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص171؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 316-318؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 349-351؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 261.

(4) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ق2، ص483؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص171؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 316-318؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 349-351؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 261.

الصراة [1] وصل إلى مسامع معز الدولة أن الديالمة عازمون على إخراجه من السجن قهراً ومبايعته أميراً للأمراء مكانه، حيث أعطوه الريحانة على رسم لهم عند تأمير الأمراء، الأمر الذي كان يخشاه معز الدولة على ملكه وملك البويهيين، فأمر بإخراجه من السجن وقتله غرقاً[2].

وبناءاً على ذلك فقد مال معز الدولة إلى الأتراك حتى صاروا يتحكمون بأمور الدولة" فملكوا البلاد، واستطالوا على العمال وحاموا على التجار ومن اعتصم بهم، فضعفت أيدي العمال، واستعبدوا الناس" [3]. أي أن الجند الأتراك أصبحوا يتحكمون في أمور الدولة من شدة إدلال معز الدولة البويهي لهم، حتى أصبحوا يحمون التجار ومن يلجأ اليهم ويمنعون عمال الدولة من تحصيل الأموال المفروضة عليهم. ولعل ذلك كان مقابل مبالغ مالية يدفعها التجار لهم لحمايتهم من عمال الدولة، ومن دفع الضرائب.

استطاع معز الدولة البويهي أن يكسب العامة إلى جانبه، بعد أن رأى أن انتفاضتهم قد تعرض دولته وسلطته للخطر، كما أيقن أن حكمه لن يسود بدون العامة، لذلك بادر إلى القيام بالإصلاحات التي من شأنها أن تخدم الناس وتحسن مستوى معيشتهم. ومن هذه الإصلاحات العمل

---

[1] الصراة: نهر يتشعّب من الفرات، ويجرى إلى بغداد. سمّى بذلك لأنّه صرى من الفرات، أى قطع. البكري،أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز(ت487هـ/1094 م) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع،عالم الكتب، بيروت، ط3، 1982، ج3، ص829.

[2] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ق2، ص477 فما بعد؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص171؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 318؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 350؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 261.

[3] مجهول، العيون والحدائق، ج 4 / ق 2، ص 491؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 323.

على سد البثوق[1] في الأنهار. لذلك وصف مسكويه العامة في أيام حكم معز الدولة بقوله: " وقد كانت العامة محبين لأيام معز الدولة وذلك لما كان منه في سدّ بثق نهر الرفيل وسدّ بثق بادوريا. فإنه خرج بنفسه حتى سد هذا البثق، وحمل التراب بنفسه... ثم خرج إلى النهروانات فسدّ بثاقها....... فلما سدّ بثاقها عمرت بغداد، وبيع الخبز النقي عشرين رطلاً بدرهم، فمالت العامة إلى أيام معز الدولة وأحبوه"[2].

كما استعان ناصر الدولة الحمداني بالعامة للقضاء على التمرد الذي قام به جنده من الأتراك والديلم في الموصل سنة 347 هـ /958م. حتى تمكن من القضاء على حركة التمرد بعد أن قتل بعضهم، وسجن البعض الآخر، ومن سلم منهم ولى هارباً إلى بغداد[3].

ويبدو أن العامة أصبحت قوة أساسية في أي نشاط سياسي أو ديني في المجتمع البغدادي، ففي سنة 360 هـ/ 970م وقفت العامة ضد المعتزلة حين هاجموا كل من تتهمه بالقول بخلق القرآن. إذ هاجموا المطهر بن سليمان[4] في جامع المنصور بعد أن نسبوا إليه القول بخلق القرآن[5].

وفي سنة 361 هـ / 971م كانت العامة أكثر المتضررين من الأحداث التي وقعت في تلك السنة، لدرجة أن العامة تجاسرت وتمادت على السلطة، فاندلعت الفتن حتى انتشر الخراب والدمار والقتل والنهب جميع بغداد. فقد قام الروم بمهاجمة الجزيرة واحتلوا نصيبين وأحرقوها، وقتلوا أهلها وسبوا

(1) البثوق: كَسْرُكَ شَطَّ النَّهرِ لِيَنْبَثِقَ الماءُ، بَثَقْتُه بَثْقاً، اسْمُ الموضِع الذي حَفَرَه الماءُ. انظر: الصاحب بن عباد،أبو القاسم اسماعيل بن عباد(ت385هـ/995م) المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن ال ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1994، ج5، ص383.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 318.

(3) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق2، ص 491.

(4) ابو بكر المطهر بن سليمان: اصله من الانبار، كتب للقاضي ابي محمد بن معروف وخلفه على الجانب الغربي. كان عالماً بالفرائض، وينتحل في الفقه مذهب اهل العراق. توفي سنة 363هـ/973م. انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج13، ص220–221؛ القرشي، الجواهر المضية، ج3، ص486.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 206.

نساءها واطفالها، وكذلك فعلوا بديار بكر. فتوجه جماعة من أهل ديار ربيعة وديار بكر إلى بغداد واستنفروا المسلمين في المساجد الجامعة والأسواق، وذكروا لهم ما فعله الروم من النهب والسلب والقتل. فتجمع معهم عدد كبير من أهالي بغداد وتوجهوا إلى دار الخليفة المطيع لله (334-363 هـ /945-973م)، وحاولوا اقتحامها وقلع بعض شبأبيكها، حتى كادوا يصلون إلى الخليفة نفسه ويقضون عليه، فشتموه وسبوه، " ونسبوه إلى العجز عما أوجب الله على الأئمة" [1]. ولما كان الأمير البويهي عز الدولة بختيار مشغولاً وقتذاك بلهوه وصيده، توجه إليه وفد من وجهاء أهل بغداد مستغيثين به، ومنكرين عليه انشغاله عن النظر في مصالح المسلمين بالصيد في نواحي الكوفة، ومحاربة عمران بن شاهين – وهو من المسلمين – وترك محاربة الروم- أعداء الإسلام والمسلمين[2]. وأمام هذا الضغط الشعبي اضطر عز الدولة بختيار (357-367 هـ /967-977م) إلى تكليف سبكتكين الحاجب بتجهيز جيش يضم كل من يرغب في الجهاد ومحاربة الروم، فاجتمع لديه عدد كبير من العامة يحملون أصناف السلاح والسيوف والرماح والقسي[3]. ولما كانت العامة دون تنظيم عسكري أو اجتماعي فقد كان من الصعب على سبكتكين الحاجب أن يخضعهم لقيادته. بل جعلهم كالعدة لنفسه " فصاروا وبالاً عظيماً، وضروا على المحرمات بينهم، وأظهروا العصبية، وأثاروا الفتن، وأقدم بعضهم على بعض بالقتل واستباحة الأموال، والهجوم على الحرم والفروج، وتفاقم الأمر بينهم وبلغ كل المبلغ في الشر. وعجز السلطان عن إصلاحهم وإطفاء ما أثاره من نائرتهم، حتى صار ذلك سبباً لخراب بغداد"[4].

---

[1] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص390؛ ابن الجوزي، المنتظم،ج14، ص 214؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص45.

[2] مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 390؛ ابن الاثير، الكامل، ج 7، ص 45.

[3] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص391؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص214؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص45.

[4] مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 391؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص45.

ويذكر ابن الاثير ان هؤلاء العوام اخذوا يتحزبون ويتعصبون كل الى حزبه، حتى انقسموا الى سنة وشيعة وعيارين، يقاتل بعضهم بعضاً، كما استغل العيارون هذه الظروف وقاموا بنهب اموال الناس، واحراق الدور والمحلات، حتى شمل الحريق محلة الكرخ جميعها، لانها مركز التجار الشيعة[1].

تجاوز العامة في انتفاضتهم الشعبية غير المنظمة حتى قتلوا صاحب الشرطة الذي يسمى (خمار) في بغداد، لانه كان يحقد على بعض صغار الاتراك، وأحرقوا جسده بعد تقطيعه، وذلك بمساعدة الجند الأتراك، ذلك لأنه قتل رجلاً من العوام، فلما عُين خلفاً له مكانه، عمل على قتال العامة من الشيعة في الكرخ، ذلك لانه كان شديد التعصب للسنة،مما يعيد الى الاذهان دور التعصب الديني في اثارة الفتن المذهبية وما يرافقها من نتائج في غاية الخطورة على المجتمع ككل. فثاروا في وجهه وقاتلوه وذلك سنة 361 هـ /971م حتى احترقت أسواق الكرخ، واحترق الرجال والنساء في الدور والحمامات، ونهبت الأموال وزاد القتل في العامة يوماً بعد يوم[2]. وكان في جملة ما احترق في هذه الفتنة سبعة عشر ألف وثلاثمائة دكان[3]، وثلاثمائة وعشرين داراً، وكان أجرة ذلك ثلاثة وأربعون ألف دينار شهرياً، كما احترق ثلاث وثلاثون مسجداً[4] فضلاً عن احتراق سبعة عشر ألف إنسان[5].

كانت سياسة عز الدولة بختيار تنطوي على استمالة فرقة من فرق الجيش وتقريبها على حساب الفرق الأخرى ذات أبعاد خطيرة، ذلك أن تقريبه لفرقة ما يعني زيادة الإنفاق عليها، ومنحها ما تريد من الإمتيازات مع زيادة إدلالها عليه لحظوتها عنده. وبالمقابل فإن الفرق المستبعدة يخامرها الحقد والحسد، فتأخذ في إثارة الفتن والاضطرابات في محاولة للحصول على أكثر قدر من الامتيازات. وعلى

---

[1] ابن الاثير، الكامل، ج7، ص45.

[2] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 391؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 211؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 214 – 215؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 45.

[3] الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 211؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 215. ويذكر ابن كثير أن عدد الدكاكين المحترقة بلغ ثلاثمائة دكان فقط. البداية والنهاية، ج 11، ص 291.

[4] الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 211؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 215.

[5] ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 291.

هذا فقد حاول عز الدولة بختيار – لما كثر تمرد الجند عليه – استرضاءهم بالمال، إذا كلف وزيره أبا الفضل العباس بن الحسين بمنح الجنود الأموال بسخاء، وحتى يتمكن الوزير من توفير المال اللازم لنفقات الجند المستمرة، لجأ إلى سياسة مصادرة الناس والتجار لتوفير الأموال. ذلك لان الدولة كانت تعاني من ازمة مالية مستحكمة ناتجة عن الاسراف والتبذير الذي أصبح السمة الغالبة لأكثر أمراء البيت البويهي. إذ بدأ الوزير أولاً بمصادرة أموال أهل الذمة، ولما لم يكن المال المتحصل منهم كافياً لجأ إلى مصادرة أهل الملة – أي المسلمين – فأخذ اموال الشهود ووجوه البلد، ولم يكتف بذلك بل بعث الجواسيس بين الناس ليتعرف على أحوال الأغنياء والموسرين لمصادرتهم، الأمر الذي دفع العامة إلى القيام بعمليات السلب والنهب والحرق، حتى تعطلت الحركة في الأسواق، وانقطعت المعايش، لدرجة تعذر على الناس الوصول إلى ماء نهر دجلة من الفتن. فكانوا في شبه حصار في بغداد. ولما لم يستطيع الوزير السيطرة على الموقف أرسل لهم الجند، وجرت بينهم الحروب، فكانت الغلبة فيها للعامة، فنقصت هيبة الدولة في نظرهم وذلك سنة 361 هـ /971م [1].

وفي سنة 364هـ / 973م وقعت الحرب بين الأتراك بقيادة الفتكين – الذي تولى قيادة الأتراك بعد وفاة القائد سبكتكين– وبين الديالمة بقيادة الأمير البويهي عز الدولة بختيار، بسبب الفتنة التي وقعت بين الاتراك والديلم في الاهواز. ذلك لان الامير بختيار ووزيره محمد بن بقية طمعا في املاك واقطاعات كبار قادة الجند الاتراك، اذ حاولا التخلص من متولي الاهواز (بختكين آزاذرويه) ويستوليا على اموال الاهواز، فرفض قائد الجيش سبكتكين الخروج معهما، فاستغل بختيار وقوع نزاع بين ديلمي وتركي في الاهواز واتخذه ذريعة للقبض على كبار قادة الاتراك، كما امر بالقبض على سبكتكين نفسه، ثم اطلق يد الديلم في نهب اموال الاتراك، حتى انه نودي باباحة دم الاتراك في البصرة [2]. فحاربهم سبكتكين وانتصر عليهم، وهرب الديلم من بغداد والتحقوا بعز الدولة بختيار في الاهواز، واستولى

[1] مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 392.

[2] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 401–402؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 214؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 214 – 215؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 52.

سبكتكين على اموال عز الدولة واسلحته التي تركها في بغداد، كما انتقم الاتراك من الديلم بان نهبوا دورهم، ونهبوا دور التجار لدرجة ادت الى افتقار الناس من كثرة السلب والنهب(1). فاستنجد بختيار بالحمدانيين وكان على رأسهم أبي تغلب الحمداني، الذي انتهز فرصة خروج عز الدولة بختيار إلى الأهواز للقاء عضد الدولة البويهي. فدخل بغداد، ثم اضطر إلى مغادرتها بسبب قدوم الفتكين وجنده ومحاربتهم لقوات أبي تغلب، خرج على أثرها عائداً إلى الموصل. فشنّ عز الدولة بختيار حصاراً اقتصادياً شديداً على الفتكين وجنوده، وضيق عليه الخناق في بغداد، ولم يكتف بذلك بل كاتب ضبة بن محمد الأسدي(2) ليشنّ الغارات على أطراف بغداد، ويمنع دخول المؤن إليها، كما قام الأسدي بنهب السواد وقطع الطريق، بالإضافة إلى قطع المؤن والميرة القادمة من الموصل، مما شدد الحصار على القائد الفتكين وقلت المؤن لديه، فثار الناس ونهبوا كل ما وجدوه أمامهم في المدينة وأغلقت الأسواق خوفاً من النهب. حتى أن القائد الفتكين صار يصادر الناس، ويتتبع المناطق التي يوجد بها بعضها القوت أو البذار أو العدة فيأمر جنوده بنهبه. وقد اشتد به الأمر لدرجة أنه خرج بنفسه إلى منزل أحد الإشراف في بغداد، ونهب كل ما في داخله(3).

إن الأحداث الجسام التي وقعت بين الجند الأتراك والجند الديالمة سنة 364 هـ/ 974 م(4) تركت أثاراً صعبة ونتائج خطيرة على المجتمع البغدادي. إذ استغل كثير من عامة بغداد السنة هذه الفتنة للإنتقام من الشيعة، خاصة وأن الأتراك كانوا سنة، فانحاز كثير من العامة إلى جانب القائد

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 401–402؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 214؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 214 – 215؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 52.

(2) ضبة بن محمد الاسدي: كان في عين التمر، وكان يسلك سبيل اللصوص وقطاع الطرق. ارسل اليه عضد الدولة سرية تمكنت من اخذ ماله واهله، وملكت عين التمر، ونجا هو بنفسه. ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص271؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص103.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 411.

(4) لمعرفة تفاصيل الفتنة التي وقعت بين الأتراك والديالمة أنظر. مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 401 فما بعد ؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 214؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 52– 53.

التركي سبكتكين ينصرونه ضد الديالمة الشيعة" لأنه كان يتسنن" [1]، فاستطاع أن يتقرب منهم ويعطف عليهم لاستغلالهم للوقوف في وجه الديالمة ومقاومة عز الدولة بختيار وأنصاره. وحتى يستميلهم أكثر إلى جانبه، عيّن بعضهم قواداً وعرفاء ونقباء في جيشه، وخلع عليهم الخلع، حتى صار له منهم جيش تمكن فيما بعد من طرد الجند الديالمة من بغداد[2]. فاستغل العامة ذلك وهاجموا الشيعة وحاربوهم، حتى قتل من الطرفين عدد كبير وأحرق الكرخ بأسواقه[3].

وعلى أثر تلك الحادثة انقسم عامة بغداد إلى حزبين متصارعين في أمر الدين والدنيا: حزب الشيعة الذي أخذ ينادي بشعار عز الدولة بختيار والديلم، وحزب السنة الذي نادى بشعار سبكتكين والأتراك[4].

كما وقفت عامة بغداد ضد عضد الدولة البويهي لما جاء نصرة لعز الدولة بختيار ضد الأتراك. فما كان من عضد الدولة إلا أن طمع في السيطرة على العراق، مما أغضب عمه ركن الدولة البويهي الذي ألب ضده كل حكام الأقاليم المجاورة لبغداد كالبصرة والموصل. حتى" اضطربت هذه النواحي ضد عضد الدولة، وضاق به الأمر، وتجاسر عليه الأعداء من كل وجه، وانقطعت عنه مواد فارس والبحر. ولم يبق في يده إلا قصبة بغداد، وتجاسرت العامة عليه، وأشرف على صورة قبيحة" [5].

ومما يدل على مدى خطورة هذه الفتن التي تنشأ بين العامة، ودورها في الدمار والخراب الذي حل في بغداد ما رواه ابن الجوزي من أن عضد الدولة دخل بغداد سنة 367هـ / 977م "وقد هلك

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 53.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 404؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 226.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص405؛ ابن الجوزي، المنتظم،ج14، ص227؛ ابن الأثير الكامل، ج7، ص 53.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 405؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 215.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 416.

أهلها قتلاً وحرقاً وجوعاً للفتن التي اتصلت فيها بين الشيعة والسنة. وقال: آفة هؤلاء القصاص يغرون بعضهم ببعض ويحرضونهم على سفك دمائهم، وأخذ أموالهم، فنادى في البلد لا يقص أحد في جامع ولا طريق" [(1)].

كان تحرك العامة يتم دون تنسيق مسبق أو تنظيم، بل كان يأتي بصورة عفوية كإجراء إعتراضي على ما يمكن أن يتسبب أو يزيد من معاناتهم. كما أن تحركهم كان يمثل ردة فعل على الظروف التي كانوا يعانون منها من فقر وجوع، فلذلك نجدهم يتحركون كلما غلت الأسعار أو فرضت ضرائب جديدة لا طاقة لهم عليها، ولكن سرعان ما كانت انتفاضتهم تهدأ بمجرد زوال المسبب فيها. ففي سنة 373 هـ / 983م ضجت العامة بسبب غلاء الأسعار وانتشار المجاعة في بغداد[(2)]. اذ وصل سعر الكرّ من الحنطة في رمضان ثلاثة الآف درهم، ووصل السعر في ذي القعدة من نفس السنة الى أربعة الآف وثمانمائة درهم، وبقيت الزيادة في الأسعار مستمرة حتى تناقصت في ذي الحجة. وقد كان لانتفاضتهم هذه آثار خطيرة منها أن العامة كسرت منابر الجوامع، ومنعت الصلاة في عدة جمع، ومات خلق كثير من الفقراء جوعاً [(3)]. ومع تولي صمصام الدولة امرة الامراء سنة 373 هـ /983 م، وتعيين أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان[(4)] في الوزارة، ارتفعت الأسعار مرة أخرى، فتشاءمت

[(1)] ابن الجوزي، المنتظم ، ج 14، ص 254.

[(2)] ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 302؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 122.

[(3)] ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 302؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 122.

[(4)] ابو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان: كان رجلاً كريماً، باذلاً لعطائه، ويحتجب عن الناس كثيراً، ولا يرى الا عند نزوله من داره الى قاربه، ومع ذلك كان لا يخيب طالب الاحسان. تولى وزارة صمصام الدولة سنة 373هـ/983م، وقبض عليه سنة 374هـ/984م. انظر: الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص54؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص122.

العامة في عهده، فرجموا قاربه، فاستغل الجند الديالمة تلك الاحداث وثاروا ضده ونهبوا داره، وكادت الامور ان تخرج عن السيطرة لولا ان تدخل صمصام الدولة بنفسه لايقافها[1].

وفي سنة 375 هـ / 985م تحركت العامة من جديد بسبب إقدام صمصام الدولة البويهي على فرض ضرائب جديدة على الناس، اذ فرض ضرائب على ثياب الابريسم والقطن التي تنسج في بغداد مقدارها عشر الثمن، فاجتمعوا في جامع المنصور وقرروا منع إقامة صلاة الجمعة، وكاد البلد أن يفتتن ولم يهدأ الحال إلا بعد أن أجبر صمصام الدولة على إلغاء هذه الضرائب[2].

وفي سنة 383 هـ / 993م اضطربت العامة في بغداد جنباً إلى جنب مع الجند الديالمة الذين ثاروا بسبب فساد النقد وغلاء الأسعار. فمنعوا الناس من الصلاة في جامع الرصافة، ونهبوا دار الوزير أبي نصر سابور[3] الذي نجا بنفسه منهم، ولم تهدأ الأمور إلا بعد أن وعدوا بتغيير النقد وإصلاحه، وإطلاق العطاء للجند الديالمة حتى سكنت الفتنة[4].

---

[1] أبو شجاع الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج6، ص 54؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص122؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص323؛ عبد الرزاق، فهي، العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين، بيروت. الأهلية للنشر والتوزيع، 1983، ص 316.

[2] أبو شجاع الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج 6، ص 72؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 311؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 128.

[3] ابو نصر سابور: تولى الوزارة سنة 380هـ/990م، ثم قبض عليه بهاء الدولة سنة 381هـ/991م، ثم اطلقه حبث التجأ الى البطيحة مستتراً. وفي سنة 383هـ/993م عاد لتدبير امور الوزارة. ثار ضده الجند الديالمة بسبب الازمات الاثبصادية وغلاء الاسعار وفساد النقد، كما تقلد الوزارة مرة اخرى سنة 386هـ/996م. أبو شجاع الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج 6، ص 111، 115، 11–152، 163؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 363، 366، ابن الأثير الكامل، ج7، ص 451.

[4] أبو شجاع الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج 6، ص 151؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 366، ابن الأثير الكامل، ج7، ص 161.

لم تكن العامة بمنأى عن التحرك والتمرد والوقوف ضدّ أي مساس بحياتهم المعيشية وخاصة اذا كان الأمر يتعلق بحياتهم اليومية كفرض الضرائب الجديدة عليهم، أو زيادة في الضرائب الموجودة اصلاً. ففي سنة 389 هـ / 998م ثارت العامة ضد الوزير أبي نصر سابور الذي قرر فرض ضريبة العشر على جميع المنسوجات الإبريسمية [1] والقطنية في بغداد، فثار أهل العتأبيين وباب الشام، وقصدوا المسجد الجامع بالمدينة، ومنعوا الخطبة والصلاة، وضجوا واستغاثوا، وطافوا بالأسواق، وحاولوا الوصول إلى دار الوزير أبي نصر سابور، فمنعهم أحداث العلويين منها، ثم هاجموا موظفي الدولة وأشعلوا النار في الدواوين. ولم تهدأ حركتهم إلا بعد أن قبض على جماعة منهم اتهموا بالتسبب بالحريق، وصلب منهم أربعة، واستقر الأمر على فرض العشر من أثمان الثياب الإبريسمية فقط[2].

وفي سنة 391 هـ / 1000م وقعت العامة ضحية فتنة قامت في بغداد. إذ قامت حركة للجند الأتراك مطالبين بأجورهم، فوقف العامة والعلويون في وجوههم ورموهم بالآجر؛ ذلك لأن أي ثورة للجند كانت تخلف أثاراً سلبية على العامة بشكل خاص، ثم لم تلبث الأمور أن انقلبت إلى فتنة مذهبية، إذ اقتتل الأتراك مع العامة من أهل الكرخ الشيعة، حتى وقع الكثير من القتلى بين الطرفين. فوقف أهل

[1] الابريسم: الحرير. وهو لفظ فارسي معرّب. الهروي، ابو منصور محمد بن احمد(ت370هـ/981م) تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001، ج8، ص292؛ الثعالبي،أبو منصور عبد الملك بن محمد(ت429هـ/1038م) فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: عبد الرزاق المهدي،دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2002، ص27، 170؛ ابن سيده، ابو الحسن علي بن اسماعيل(ت458هـ/1066م) المخصص، تحقيق: خليل ابراهيم جفال، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1996، ج1، ص384.

[2] الصابئ، تاريخ، ج 7، ص4؛ فهمي، العامة في بغداد، ص 317؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 166؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج1، ص 237.

السنة إلى جانب الأتراك بسبب المذهب، ولم تسكن هذه الفتنة إلا بعد أن تدخل الأشراف في اخمادها[1].

لم تكن الفتن في بغداد تطال السنة والشيعة فقط، بل أن أهل الذمة وخاصة النصارى منهم لم يكونوا بعيدين عن التأثر بها. ففي سنة 392 هـ / 1001م ثار العامة في بغداد بالنصارى، ونهبوا البيعة بقطيعة الرقيق وأحرقوها، فسقطت على جماعة من المسلمين، أودت بحياة الكثير منهم[2]. ولعل رجال السلطة كانوا وراء أذكاء مثل هذه الفتن بين العامة حتى يتمكنوا من السيطرة على المجتمع.

كانت موجات الغلاء المتكررة إلى تلحق بالناس في بغداد من جراء سياسة التعسف من الأسباب الرئيسة للإنتفاضات الشعبية، ففي سنة 397 هـ /1006 م ضجت العامة وشغب الجند نتيجة لغلاء الأسعار مما كاد يؤدي إلى فتنة عظيمة في بغداد[3].

ثارت الفتنة بين المسلمين والنصارى من جديد وذلك سنة 403 هـ / 1012م. فقد توفيت بنت الطبيب أبي نوح الاهوازي النصرانية[4]، فأخرجت جنازتها في النهار ومعها النوائح والطبول والزمور والرهبان والصلبان والشموع. ويبدو أن الدولة لم تكن تسمح لأهل الذمة بإشهار معتقداتهم علانية، فقام رجل من الهاشميين برجم الجنازة بالحجارة، مما اغاظ بعض الغلمان النصارى فضرب الهاشمي على رأسه فأسال دمه. وهرب النصارى بالجنازة إلى بيعه دار الروم[5]. فتبعهم المسلمون ونهبوا البيعة كما

---

(1) الصابئ، تاريخ، ج 7، ص 32؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 211.

(2) الصابئ، تاريخ، ج 7، ص48؛ ابن الجوزي، المنتظم،ج15، ص32؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 354.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 238.

(4) كانت المرأة النصرانية المتوفاة زوجة ابي نصر بن اسرائيل كاتب المناصح أبو الهيجاء تختكين الجرجاني. انظر: ابن الحوزي، المنتظم، ج15، ص91.

(5) بيعة دار الروم: محلةٌ من محال بغداد، بجانبها الشرقي يقطنها جماعةٌ من الروم أنزلوا بها، ولهم فيها بيعتان. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص46؛ – الخزل والدالبين الدور والدارات والديرة، تحقيق: يحيى زكريا عبادة ومحمد اديب حُمران، وزارة الثقافة، دمشق، 1998، ق2، ص47–48؛ ابن شمائل القطيعي، عبد المؤمن بن عبد الحق(ت729هـ/1328م) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991،

نهبوا أكثر دور النصارى المجاورة لها. وكاد المسلمون يقتلون أبي نصر بن اسرائيل– زوج المرأة المتوفاة– لولا ان تمكن المناصح ابو الهيجاء[1] من انقاذه، واخفائه في بيته لئلا يقتص منه. ثم ثارت الفتنة بين العامة وغلمان المناصح أبي الهيجاء، حتى رفع المسلمون المصاحف في الأسواق، وأغلقوا أبواب المساجد، وقصدوا دار الخليفة يتقوون به، فبادر الخليفة القادر بالله العباسي بإرسال رسالة إلى المناصح ينكر فيها عليه ما جرى، ويأمره بتسليم ابن إسرائيل، فرفض المناصح تسليمه. مما أغاظ الخليفة وقرر الخروج عن بغداد[2]، بعد أن جمع الهاشميين حوله كأجراء احتجاجي يدل على قلة حيلته. مما أجج الفتنة بين المسلمين والنصارى حتى اجتمعت العامة أمام دار المناصح يطلبون ابن إسرائيل، فقتل منهم رجل علوي، مما أشعل الفتنة، وامتنع الناس من صلاة الجمعة، وتمكن العامة من القبض على جماعة من النصارى فقتلوهم، وبقي الأمر على هذه الحال حتى استجاب المناصح للأمر، وسلم ابن إسرائيل لدار الخلافة، فهدأت العامة، وفرض الغيار[3] على أهل الذمة [4].

وفي سنة 423هـ / 1031 ثارت العامة وتهيأت لثورة عامة ضد الأمير البويهي جلال الدولة (416–435هـ/1025–1043م) لإقدامه على الإساءة إلى منصب الخلافة والخليفة شخصياً – الرمز الديني والسياسي للعامة – ذلك أنه دخل يوماً الى دار الخلافة، وجلس في حديقتها وأخذ بالشرب والغناء منتهكاً بذلك حرمتها، فاستاء الخليفة من ذلك، وأغلق أبواب القصر تعبيراً عن سخطه ورفضه

ج2، ص561؛ ابن فضل الله العمري، احمد بن يحيى(ت749هـ/1348م) مسالك الابصار في ممالك الامصار، المجمع الثقافي، ابو ظبي، ط1، 2002، ج9، ص399.

(1) ابو الهيجاء تحتكين الجرجاني: لقبه بهاء الدولة البويهي بالمناصح، واشركه في ادارة امور الاتراك في بغداد سنة 390هـ/999م، كان من رجال الدهر وعقلائهم، ومن اعلاهم همة. الصابئ، تاريخ الصابئ، ج7، ص9؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص242.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 92.

(3) الغيار: نوع من الملبوس كالزنار تميز بها أهل الذمة عن المسلمين في العصور الوسطى. انظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج13، ص289؛ زناتي، أنور محمد، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، عمان: دار زهران للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص291.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 91– 92؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 373.

لذلك. وأمر بإخراجه من الدار، ثم اجتمعت العامة بأعداد غفيرة على نهر دجلة، استقبلوا خلالها الأمير البويهي بالسخرية والاستهزاء وهم يحملون سيوفاً وسكاكين تحت ثيابهم استعداداً للانقضاض عليه[1]. معبرين بذلك عن وقوفهم الى حانب خليفتهم السني، ومؤكدين في الوقت نفسه على رفضهم القاطع للتطاول على شخص الخليفة بانتهاك حرمة قصره بهذه الطريقة.

وفي سنة 429 هـ / 1037م تحركت العامة في بغداد ضد قرار تلقيب جلال الدولة بلقب (شاهنشاه الأعظم ملك الملوك) [2]، مما يدل على مدى ارتباط البويهيين باصولهم الفارسية. ولما خطب له بذلك على المنابر ثار الناس على الخطباء ورموهم بالحجارة؛ لأنهم ظنوا أن في هذا اللقب تطاول على الذات الإلهية. ولم تهدأ العامة حتى أفتى الفقهاء بجواز إطلاق مثل هذه الألقاب على البشر[3]. حيث أفتى كل من القاضي أبي عبد الله الصيمري الحنفي[4] والقاضي أبي الطيب الطبري[5] والقاضي ابن البيضاوي [6] وأبي القاسم الكرخي[7] بجواز مخاطبة جلال الدولة بملك الملوك، ولم يخالف هذه

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 228، فوزي يحيى، تاريخ الدولة العباسية، ج2، ص 52 – 53.

[2] معناه ملك الملوك. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 264 – 265؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص16.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 264 – 265؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص16.

[4] ابو عبد الله الصيمري: الحسين بن علي بن محمد بن جعفر الصيمري، احد الفقهاء الكبار، ولد سنة 351هـ/961م. تولى قضاء المدائن اول امره ثم تولى القضاء بربع الكرخ، وبقي فيه الى حين وفاته في بغداد سنة 436هـ/1044م. القرشي، الجواهر المضية، ج1، ص214؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 293؛ الذخبي، تاريخ الاسلام، ج29، ص425؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص52.

[5] ابو الطيب الطبري: طاهر بن عبد الله بن طاهر، الفقيه الشافعي. ولد بآمل سنة 348هـ/959م، تولى القضاء بربع الكرخ بعد موت الصيمري سنة 436هـ/1044م. توفي سنة 450هـ/1058م. ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص 39؛ ابن الأثير، الكامل،ج 8، ص41، 87؛ ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن(ت643هـ/1245م) طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الاسلامية، بيروت، ط1، 1992، ج1، ص492؛ ابو الفداء، المختصر، ج2، ص179؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج30، ص242.

[6] ابن البيضاوي: ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الفقيه الشافعي، تولى القضاء بربع الكرخ، توفي سنة 470هـ/1078م. ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص 197؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص125.

[7] ابو القاسم الكرخي: منصور بن عمر بن علي، من اهل الكرخ، سكن بغداد ودرس بها الفقه. توفي سنة 447هـ/1055م. الخطيب البغداد، تاريخ بغداد، ج13، ص87؛ الذهبي، سير، ج18، ص8؛ السبكي، =

الفتوى سوى قاضي القضاة أبو الحسن الماوردي، الذي كان مختصاً بخدمة جلال الدولة؛ فلما أفتى بعدم جواز إطلاق هذا اللقب على جلال الدولة انقطع عنه ولزم داره مدة ثلاثة أشهر، ثم استدعاه جلال الدولة وشكره على إيثاره الحق دون خوف أو محاباة على الرغم من الصداقة التي تجمع بينهما[1].

وكان القاضي الصيمري قد أفتى بالجواز لأن هذه الأسماء- أي ملك الملوك- يعتبر فيه القصد والنية، مستدلاً بقوله تعالى:" إن الله قد بعث طالوت ملكاً"[2]، وقوله تعالى:" وكان وراءهم ملكاً"[3] إذن فهي لا تحمل على ظاهرها، لان الملوك في الأرض يتفاضلون في القوة والإمكان فيما بينهم، ويجوز أن يكون بعضهم أقوى وأعظم من بعض، فهذا لا يعني التكبر والتطاول على الذات الإلهية، أو المماثلة بين الخالق والمخلوق[4].

أما القاضي أبو الطيب الطبري فإنه أجاز ذلك اللقب لأن معناه ملك ملوك الأرض، فإذا كان في اللفظ ما يدل على أن المراد به ملوك الأرض زال المانع من جواز إطلاق هذا اللقب، معتمداً في ذلك على جواز أن يقال (كافي الكفاة وقاضي القضاة)، وكما يقال: اللهم أصلح الملك، فيدل ذلك على أن المقصود بذلك هم البشر[5].

= طبقات الشافعية، ج5، ص334؛ ابن قاضي شهبة، ابو بكر بن احمد(ت851هـ/1448م) طبقات الشافعية، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407هـ، ج1، ص236.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص265؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص16؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص48.

(2) سورة البقرة، اية 427.

(3) سورة الكهف، اية 79.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 265؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص48.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 265 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص48.

أما الأمر الذي دفع الماوردي إلى الإفتاء بعدم جواز إطلاق اللقب هو ما ورد في السنة النبوية من أحاديث صحيحة، فقد روى الإمام أحمد والترمذي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال:" أَخْنَعُ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأَمْلاَكِ"[1]، وفي حديث اخر رواه الامام احمد في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" " أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ، رَجُلٌ كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ "[2]. وفي حديث آخر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَجُلٍ قَتَلَهُ نَبِيُّهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى رَجُلٍ تَسَمَّى بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ لَا مَلِكَ إِلَّا اللهُ عَزَّ وجلَّ" [3].

كان أصحاب السلطة في بغداد كثيراً ما يلجأون الى استغلال العامة في صراعاتهم السياسية أو في الانتقام من الخصوم أو حتى في الصراع المذهبي والديني بين الفرق والجماعات، لإثارة النعرات الطائفية والمذهبية بين الناس، أو انتقاماً منهم لمواقفهم التي تؤدي إلى حدوث الفتن والإضطرابات. ففي سنة 437هـ/1045م وقعت فتنة بين أهل السنة، ممثلين بأهل باب البصرة وبين أهل الشيعة وممثلين بأهل الكرخ كما جرت العادة، حتى قتل الكثير من الناس من الطرفين، ولكي يتمكن صاحب الشرطة من إخماد نار هذه الفتنة، قام باستنفار العامة على قتال اليهود والإقتصاص منهم، حيث أحرقوا لهم

---

[1] ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد(ت 241هـ/ 855م) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1،2001، ج12، ص283 ؛ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى(ت 279هـ/892م) الجامع الكبير – سنن الترمذي،تحقيق: بشار عواد معروف،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998،ج4،ص431؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 265 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص48.

[2] ابن حنبل مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج12، ص508؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 265 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص48.

[3] ابن حنبل مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج12، ص508؛ الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 405هـ/ 1015م) المستدرك على الصحيحين، حقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990، ج4، ص306؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 266.

الكنيسة القديمة، ونهبوا دورهم[1]. ويبدو من ذلك أن اليهود كانوا في كثير من الأحيان وراء النزاعات والفتن التي تحدث بين السنة والشيعة بتغذيتهم لمثل هذه الفتن بالوقوف إلى جانب طرف من الأطراف ضد الطرف الاخر ودعمه.

كما أن العامة لم تكن تقف مكتوفة الأيدي امام التجاوزات التي كانت تقع من قبل أصحاب السلطة في بغداد. فمن ذلك ما حدث سنة 438 هـ /1046م عندما ثار العامة ضد الجرائم التي كان صاحب الشرطة أبي محمد النسوي يقترفها أثناء عمله كقائد للشرطة، والذي كان يتصف بظلمه وسفكه للدماء، إذ كان النسوي يتتبع التجار من الغرباء والعجم في بغداد ويقبض عليهم ليلاً ويأخذ أموالهم ثم يقدم على قتلهم، ثم يلقيهم في آبار وحفر أعدت خصيصاً لهذا الغرض،لكيلا يتقدم أحدهم بشكوى ضده لأصحاب السلطة في بغداد، مستغلاً بذلك وظيفته أبشع استغلال، فثار العامة ونشروا المصاحف، تعبيراً على إرادتهم في تحكيم كتاب الله في أعماله وعدم التهاون في معاقبته، ثم حملوا العظام التي وجدوها في الآبار والحفر التي كان يدفن فيها هؤلاء التجار وطافوا بها في أطراف بغداد، تعبيراً عن غضبهم وسخطهم، كما شهد عليه الشهود بارتكابه مثل تلك الجرائم، مما اضطر الخليفة القائم بأمر الله إلى الأمر باعتقاله استجابة للحراك الشعبي، كما حكم عليه بالقتل قصاصاً[2].

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 302؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص42.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 305.

ثانياً- العيارون [1] والشطار [2] ودورهم في أضعاف المجتمع:

لقد مثل العصر البويهي قمة النفوذ الاجتماعي للعيارين، حيث أخذوا بالتحزب والتعصب، ويفتكون وينهبون ويقتلون ويغتصبون، الأمر الذي لم يمكن الدولة من الصمود أمام عيارتهم.

والعيارون والشطار فئة إجتماعية مهضومة الحقوق إجتماعياً وسياسياً، كانت حركتهم وليدة الظروف السياسية والإجتماعية والإقتصادية. ارتبطت اولاً بالفتوة، ثم استغلّت الحركة من قبل بعض الفئات الإجتماعية لتحقيق مصالحها ومآربها في السلب والنهب باسم العيارة.

ظهرت هذه الفئة من المجتمع الاسلامي في عصر كانت له مبرراته ودوافعه وبواعثه السياسية والاقتصادية والاحتماعية، ولا سيما في عصور التسلط الأجنبي والإضمحلال الحضاري والتفاوت الطبقي، وأيام الفتن الأهلية أو المذهبية أو الأزمات الإقتصادية الخانقة[3].

ويصف بعض المؤرخين حركة العيارين والشطار أنها تمت في عصر له أبعاد سياسية وإجتماعية وإقتصادية خاصة، اتسم بالتسلط الأجنبي والتفاوت الإجتماعي وعلى ذلك فهم نتاج إيجابي لتنامي شعور فئة من السكان لواقع العصر وما ساد به من انحراف سياسي، وظلم إجتماعي. فحركتهم

---

(1) العيارون: جمع مفردها (العيار) وتعني الشحاذ والمتشرد الكثير التجوال، الذي يتردد بلا عمل. فيقال: عار الفرس يعير: ذهب كأنه متفلت يهيم على وجهه، لا يثنيه شيئ، فهو عائر أي متردد جوال. ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص622؛ الفيروز أبادي ، القاموس المحيط، ج2، ص101-102.

(2) الشطار: مفردها(شاطر) والشاطر لغة: من أعيا أهله خبثاً. ويقال: شطر عن أهله بمعنى نزح عنهم وعصا أهله، وعاش في الخلاعة. ويقال: شطر فلان شطارة: اتصف بالدهاء والخباثة، والشاطر اللص الذي يستخدم الحيلة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص408-409؛ الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ج2، ص60.

(3) خليل السامرائي، تاريخ الدولة العربية الإسلامية، ص 167.

إذن حركة شعبية تنكرت لبعض مفاهيم عصرها،وأدانت أبعاده السياسية والإجتماعية، وعبرت عن نفسها بنشاط عنيف على وفق نظم وتقاليد خاصة [1].

ولكن على الرغم من أن فئة العيارين والشطار مثلث جزءاً من العامة وانتفاضاتهم الشعبية ضد الانحلال السياسي، والظلم الاجتماعي، إلا أن ذلك لم يمنع من تجاوز هذه الفئة الحدود حتى وصل بها الأمر إلى إشعال الفتن، وافتعال المشكلات ليتسنى لها القيام بأعمال السلب والنهب، فضلاً عن استغلال أصحاب السلطة لهذه الفئة في الصراعات التي تنشأ بين كبارهم. مما أوجد حالة من الكراهية لدى العامة لهذه الفئة وأعمالها التي طالت الأحياء والأسواق والبيوت.

بدأ نشاط العيارين في العصر البويهي في نفس السنة التي أقام فيه البويهيون إمارتهم في بغداد، وقد زاد اعتماد بعض الخلفاء والأمراء وأصحاب السلطة عليهم في أثناء الحروب والمنازعات الداخلية من قوتهم وفاعلية نشاطهم، مما أعطى لهم مكانة في الدولة وفي نظر العامة. فكان لهم دورهم الخطير في اضطراب حبل الأمن، بحيث اصبحت الدولةعاجزة عن مقاومتهم ودفع شرورهم. ففي سنة 334 هـ / 941م استغلّ أمير الأمراء ابن شيرزاد العيارين، واستعان بهم الوقوف إلى جانب قوات ناصر الدولة الحمداني في حربه مع قوات معز الدولة البويهي بعد دخول البويهيين الى بغداد وتطاولهم على الخليفة واهالي بغداد. حيث نزل ناصر الدولة بقواته بالجانب الشرقي لبغداد، ونزل معز الدولة بالجانب الغربي. "وانتشرت أعراب ناصر الدولة بالجانب الغربي فمنعوا أصحاب معز الدولة من الميرة

[1] خليل السامرائي، تاريخ الدولة العربية الإسلامية، ص 167.

والعلف، فغلت الأسعار على الديلم..." [1] ثم استعان ابن شيرزاد بالعيارين والعامة على حرب معز الدولة، وجعل منهم جنوداً في جيشه. وكان يركب في الماء وهم معه ويقاتل الديلم[2].

ثار العيارون في بغداد سنة 350 هـ / 961م مستغلين حالة التأزم والاحتقان المذهبي بين السنة والشيعة، حيث نتج عن ثورتهم الكثير من الفتن، كان سببها أن رجلاً عباسياً أقدم على قتل رجل علوي وهما على خمر. فنشبت الفتنة بين الطرفين، ولم تهدأ إلا بعد أن قبض الوزير أبو محمد الحسن المهلبي[3] على جماعة من وجوه العباسيين والأحداث وأصحاب العصبية وحملة السكاكين ونفاهم خارج بغداد[4]. ويبدو ان السبب الرئيسي الكامن وراء قيام كثير من هذه الفتن التي كانت تحدث بين السنة والشيعة هو الصراع المذهبي القائم بين الطرفين. بيد ان كل منهما كان ينتظر الفرصة المتاحة ليشعل فتيلها.

كان العيارون يستغلون الظروف الصعبة التي تمرّ بها الدولة العباسية لزيادة فعالية نشاطاتهم، والتي كانت آثارها تنعكس على المجتمع. فمن ذلك ما حدث سنة 361 هـ/971م عندما غزا الروم نصيبين وديار بكر، وأحرقوا ما حولها من بلاد الجزيرة، وقتلوا رجالها وسبوا ذراريها، فوصلت أصداء هذه الأعمال الشنيعة إلى بغداد، فهاج الناس، وتطاولوا على الخليفة، وأنكرو على الأمير عز الدولة بختيار إنشغاله بمحاربة عمران بن شاهين عن التصدي للروم، مما اضطر عز الدولة بختيار إلى

---

[1] مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 279؛ مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق2، ص 449.

[2] مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 279؛ مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق2، ص 449؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص2 151؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 316.

[3] الحسن بن محمد اللمهلبي: ابو محمد، من ولد المهلب بن ابي صفرة، بدأ حياته كاتباً لمعز الدولة في بغداد، ثم تقلد الوزارة سنة 339هـ/950م. مات وهو يتولى وزارته سنة 353هـ/964م. مسكويه. تجارب الأمم، ج5، ص 335-336؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص142-143؛ الحموي، معجم الادباء، ج3، ص976؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11 ص257.

[4] التنوخي، نشوار المحاضرة، ج1، ص 86 – 88؛ الصابئ، الوزارء، ص 358 – 359.

مصالحة ابن شاهين، فاستغل العيارون تحزب العامة، وظهور العصبيات بينهم، حتى وقعت فتنة كبيرة في بغداد" فأظهروا الفساد، وأخذوا أموال الناس[1]"

وكان السبب في ظهور العيارين تلك السنة هو" استنفار العامة للغزاة، فاجتمعوا وكثروا فتولد بينهم من أصناف البنوية والسنية والشيعة والعيارين، فنهبت الأموال وقتل الرجال وأحرقت الدور. وفي جملة ما احترق محلة الكرخ وكانت معدن التجار الشيعة[2]. ويصف مسكويه حال بغداد بعد إغاره الروم على نصيبين بقوله: " ورجع بختيار إلى بغداد وهي خراب لكثرة الفتن واستطالة العامة. وحدوث الحروب فيها، وإغارة بعضها على بعض، وكثرة رؤسائهم الناجمين فيهم، حتى حصل في كل محلة عدة رؤساء من العيارين يحامون على محلتهم ويجبونهم الأموال. ويحاربون من يليهم، فهم لذلك متحاقدون يغزو بعضهم بعضاً نهاراً وليلاً، ويحرق بعضهم دور بعض، ويغير كل قوم على إخوانهم وجيرانهم"[3].

استوزر عز الدولة بختيار محمد بن بقية[4] سنة 362هـ / 973م " فعجب الناس لذلك لأنه كان وضيعاً في نفسه......... لكنه كان قريباً من بختيار وكان يتولى له المطبخ ويقدم إليه

---

[1] ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 45.

[2] المصدر نفسه، ج7، ص45.

[3] مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 391. أنظر: عبد المولى، محمد، العيارون والشطار البغاددة في التاريخ العباسي، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ص 107.

[4] ابو طاهر محمد بن بقية: نصير الدولة، أبو طاهر: وزير، من الأجواد، أصله من (أوانا) بقرب بغداد. خدم معز الدولة بن بويه، وحسنت حاله عنده. ولما صار الأمر إلى ابنه عِزّ الدَّولَة (بختيار) استوزره (سنة 362 هـ/972م واستوزره المطيع العباسي أيضا. فأقام يسوس الأمور ويغدق على الناس إحسانه، حتى نقم عليه عز الدولة أمرا فقبض عليه (سنة 366هـ/976م) بواسط، وسمل عينيه، فلزم بيته. ولما ملك عضد الدولة بغداد طلبه وألقاه تحت أرجل الفيلة وصلبه، فقال فيه ابن الأنباري قصيدته المشهورة: (علو في الحياة وفي الممات) ولم يزل مصلوبا إلى أن توفي عضد الدولة، فأنزل عن خشبته ودفن. مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 393–394؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص215–216.

الطعام....... إلى أن استوزر"[1] فبادر إلى ظلم الناس، وأخذ أموالهم، وأثار الفتن بين السنة والشيعة، مما أدى إلى فساد الادارة وخراب النواحي، فاستغل العيارون ذلك، واشتد خطرهم في بغداد" وعملوا ما أرادوا" [2] حتى وصل الأمر إلى أن أصبح في كل قرية رئيس لها من العيارين، مستولي عليها، ويحارب بعضهم بعضاً حتى" حصل السلطان صفر اليد، والرعية هالكون والدور خراب، والأقوات معدومة، والجند متهاجرون"[3].

عاد خطر العيارون يظهر من جديد في بغداد، ذلك لأنهم كانوا يستغلون الأزمات السياسية والاقتصادية التي تمرّ بها الدولة لإثارة الشغب والسلب والنهب وترهيب الناس. ففي سنة 363 هـ / 974م هدد أبو تغلب بن حمدان الحمداني بغداد، بعد أن توجه عز الدولة بختيار إلى الموصل للسيطرة عليها من أبي تغلب. فاستغل العيارون تلك الأحداث فثاروا في بغداد وشاركهم في ذلك أهل الشرور، ويبدو أن كبسات العيارين كانت تقتصر على الجانب الغربي من بغداد ذلك لأن " الجانب الشرقي كان آمناً والجانب الغربي مفتوناً" [4] لان الجانب الغربي من بغداد يمثل حي الكرخ، وهو حي التجار واصحاب رؤوس الاموال الشيعة، لذلك كان اكثر عرضة لعمليات السلب والنهب. ولم يطمئن الناس على أنفسهم وأموالهم إلا بعد أن أخذ الوزير جماعة عن رؤساء العيارين فقتلهم، فهدأت الاحوال الى حد ما وسكن الناس بعض السكون[5].

---

[1] ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 50، أنظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 395.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 50، أنظر: مسكويه، تجارب، الأمم، ج 5، ص 395 – 396.

[3] مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 396.

[4] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 51؛ عبد المولى، العيارون والشطار، ص 108.

[5] مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 405؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 51.

ثار الجند الأتراك بقيادة قائدهم سبكتكين التركي على عز الدولة بختيار بعد أن عقد الصلح بين أبي تغلب بن حمدان وعز الدولة بختيار؛ فاستنجد بختيار بأبي تغلب لإنهاء شغب الأتراك. فوصل أبو تغلب" إلى بغداد والناس في بلاء عظيم مع العيارين، فحمى البلد، وكف أهل الفساد"[1].

وقف العيارون إلى جانب القائد التركي الفتكين – الذي أصبح قائداً للأتراك بعد وفاة القائد سبكتكين – في حربه ضد عز الدولة بختيار. فاستعان عز الدولة بختيار بجند فارس والأهواز والري والموصل وعين التمر، وحاصروا بغداد من جميع الجهات، وبدأوا يغيرون على أطراف بغداد، وقطعوا الميرة عنها،" فغلا السعر ببغداد وسار العيارون والمفسدون فنهبوا الناس ببغداد، وامتنع الناس من المعاش لخوف الفتنة، وعدم الطعام والقوت بها" [2]. فانهزم جيش الأتراك أمام الديالمة، وهربوا على الجسور التي كانوا عملوها على نهر ديالي، فغرق أكثرهم من التزاحم، وقتل وغرق كثير من العيارين الذين وقفوا إلى جانب الأتراك[3].

وفي سنة 364 هـ / 975م اشعل العيارون النار بسوق الخشأبين من باب الشعير، فاحترق أكثره، حتى امتد الحريق إلى سوق الجزارين وأصحاب الحصر، وصف البواري، حتى احترق أكثر هذه الأسواق[4]. ولما كانت الدولة البويهية تعاني من الضعف بسبب الصراعات القائمة بين أمرائها، فقد قوي أمر العيارين في هذه السنة، حتى ركبوا الخيول، وتلقبوا بألقاب القواد، واخذوا يتحكمون بالناس،

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 56، يقول مسكويه" وصار – أي أبو تغلب– إلى مدينة السلام، فألفاها مفتتنة بالعيارين، فقمعهم وقتل جماعة منهم". تجارب الأمم، ج5، ص 410، الهمذاني، تكلمة تاريخ الطبري، ج1، ص 217..

(2) ابن الأثير، الكامل ج8، ص 59؛ أنظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 411.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 412؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 59.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 234 – 235؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 117.

وبداوا يجبون الضرائب من الاسواق وعلى الطرق، حتى عمّ البلاء وزادت الفوضى في ارجاء بغداد [1].

وقد اشتهر من هؤلاء العيارين قائد يعرف باسم (أسود الزبد) [2] وكان قبل أن يصبح عياراً يشحذ وهو عريان[3]. ولما كثرت الفتن في بغداد، وعجزت السلطة عن فرض الامن والاستقرار أخذ سيفاً وبدأ يغير على الناس والقرى وينهب، حتى قوي أمره، فاجتمع إليه عدد من الزعار، فأخذ أموال الناس، وتقوى بها[4]. وزاد الهمذاني في وصفه بقوله: " وظهر منه شيطان في مسك إنسان، وصبح وجهه، وعذب لفظه، وحسن جسمه، وأطاعه رجال، فصار جانبه لا يرام، وحريمه لا يضام، وظهر من حسن خلقه مع شره ، ولعنه وسفكه الدم، وهتكه الحريم، وركوبه الفواحش، وتمرده على ربه القاهر ومالكه القادر "[5].

وفي سنتي 379 هـ / 989 م و380هـ / 990م تفاقم أمر العيارين في بغداد حتى شمل جانبيها الشرقي والغربي. حتى صاروا حزبين، حزب من الشيعة وحزب من السنة، وصاروا يقاتل بعضهم بعضاً، ومن شدة هذه النزاعات التي قامت بينهما وقعت بغداد في فتنة كبيرة بين الطرفين، نتج عنها إتصال القتال بين أهل الكرخ من الشيعة وباب البصرة من السنة، حتى قتل منهم عدد كبير، ونهبت أموال الناس، وصار في كل حرب أمير وفي كل محلة متقدم. وتواترت العملات، واتصلت الكبسات ليلاً ونهاراً. وأحرق بعضهم محلات بعض[6]. كما استغل العيارون فرصة خروج بهاء الدولة

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 234 – 235؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 117.

[2] سمي بهذا الاسم لأنه كان يأوي إلى قنطرة الزبد، وكان يطلب الطعام ممن يمر بهذه القنطرة على سبيل الشخاذة، وهو عريان لا يتوارى. أنظر: التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج 3، ص 160؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 217؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 235.

[3] التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج 3، ص 160؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 217؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 235.

[4] ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 235؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 4، ص 112.

[5] الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 217. أنظر: التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج3، ص 160 – 161..

[6] ابن الجوزي، المنتظم،ج 14، ص344؛ الذهبي، العبر، ج2، ص 54؛ عبد المولى، العيارون والشطار، ص 112.

البويهي من بغداد متوجهاً إلى الأهواز لمحاربة صمصام الدولة البويهي، مما أوجد حالة من الفراغ الأمني في بغداد، فثار العيارون في جانبي بغداد، وأثاروا الفتن بين السنة والشيعة ليتحكموا بالأمور، فكان من نتيجة ذلك أن كثر القتل بين السنة والشيعة، وزالت الطاعة، وأحرق عدد كبير من المحلات التجارية، فضلاً عن نهب أموال الناس، وتخريب البيوت والمساكن لمدة أشهر، ولم تستقر الأمور إلا بعد رجوع بهاء الدولة البويهي إلى بغداد[1].

ظهر زعيم جديد للعيارين يسمى (عزيز البابصري) من باب البصرة سنة 384 هـ / 994م، وزاد شره بعد أن التحق به عدد كبير من الزعار، فأخذ يطرح النار في المحلات التجارية، ويتتبع رجال الشرطة، ثم اجتمع مع أهل الكرخ، وصالحهم على مبلغ من المال يدفعونه له حتى تخلصوا من شروره، ذلك لأن الدولة كانت عاجزة عن التصدي له، ثم اخذ يغير على الاسواق ويجبي الاموال من دخولها، وياخذ الضرائب على الامتعة، بل لقد تمادى الى ان تطاول هو وجماعته على السلطان وأصحابه بالشتم والسباب، والرمي بالحجارة، لدرجة أنه كان ينزل إلى السفن، ويطالب بالضرائب، دون أن يحرك رجال الدولة ساكناً، فلما قوي أمر العيارين واشتد؛ أرسل الأمير البويهي في طلبهم، فهربوا من بين يديه[2].

ومن شدة الخطر الذي احدثه العيارون في بغداد فقد وصف بعض المؤرخين حال بغداد مع العيارين في سنة 384 هـ / 994 م بقوله: " عظم الخطب بأمر العيارين، عاثوا ببغداد فساداً وأخذوا الأموال، والعملات الثقال، ليلاً ونهاراً، وحرقوا مواضع كثيرة، وأخذوا في الأسواق الجبايات، وتطلبهم

---

[1] أبو شجاع الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج 6، ص 111؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 145؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 330.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 369؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 167 – 168؛ الذهبي، العبر، ج2، ص 163.

الشرط، فلم يفد ذلك شيئاً، ولا فكروا في الدولة، بل استمروا على ما هم عليه من أخذ الأموال، وقتل الرجال وإركاب النساء والأطفال في سائر المحال. فلما تفاقم الحال بهم، تطلبهم السلطان بهاء الدولة، وألح في طلبهم، فهربوا بين يديه، واستراح الناس من شرهم"[1].

تجرأ العيارون حتى ان هجماتهم وخطرهم أصبح يطال السلطة البويهية نفسها، مما دفع بعض أمراء بني بويه للتحرك سريعاً للحد من خطرهم. ففي سنة 392هـ / 1002م زاد أمر العيارين وزاد شرهم في بغداد، حتى انضم إليهم العباسي والعلوي، فأخذوا الأموال وقتلوا الناس، وزاد الفساد بالنهب والسلب ليلاً ونهاراً. فبعث بهاء الدولة البويهي – الذي كان خارجاً عن بغداد- بعميد الجيوش أبي علي بن أستاذ هرمز[2] إلى بغداد ليضبط الأمن فيها، فما أن علم اللصوص والزعار بمقدمه حتى بادروا بالهروب، فقبض على مسببي الفتن وتتبع العيارين من العلويين والعباسيين، فكان يقرن العباسي بالعلوي ويغرقهما في النهر نهاراً وأمام الناس ليكونوا عبرة[3]، " وهدأت بذلك الفتن المستمرة وتجددت الاستقامة المنسية، وأمن البلد والسبل، وخاف الغائب والحاضر" [4].

ولم يقتصر نهب العيارين وسلبهم على الأسواق والمحلات التجارية وبيوت الناس، بل أن الأمر تعدى ذلك حتى أنهم تعرضوا بالنهب لبعض المساجد وخاصة مساجد الشيعة، ولعل في ذلك محاولة لإثارة الفتن بين السنة والشيعة ليتسنى لهم المزيد من أعمال السلب والنهب في ظل إنعدام الأمن

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص369؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 335.

[2] ابو علي الحسن بن ابي جعفر استاذ هرمز: ولد سنة 350هـ/961م. كان اميراً من جهة بهاء الدولة على العسكر وعلى الامور في بغداد، اتصل بخدمة بهاء الدولة، ولما فسد حال بغداد من الفتن، ارسله بهاء الدولة اليها، فأصلح الامور وقمع المفسدين. توفي سنة 401هـ/1010م.) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص78-79؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص 254؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص369.

[3] الصابئ، تاريخ، ج 7، ص 60؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 32، ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 214؛ الذهبي، العبر، ج2، ص 182؛ ابن الكثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 354.

[4] الصابئ، تاريخ، ج 7، ص 60.

والإستقرار. ففي سنة 398 هـ / 1007م كثر النهب في بغداد على يد العيارين والزعار، حتى هاجم بعضهم مسجد براثا– وهو مسجد للشيعة – وأخذوا حصره وستوره وقناديله، فتصدى لهم رجال الشرطة، فقبضوا على بعضهم، فشهروا بهم، وكحلوا بعضهم، وقطعوا أيدي البعض الآخر[1].

عاد العيارون لنشر الرعب والفتن في بغداد من جديد، مستغلين ضعف السلطة البويهية، وإنشغال أمرائها في حروبهم مع بعضهم البعض. ففي سنة 416هـ/ 1025م تفاقم أمر العيارين وتمادوا في اعمال السلب والنهب في الليل والنهار، وأزهقوا أرواح الناس، وكانوا يدخلون على الرجل، فيطالبونه بما عنده من أموال وذخائر مخبأة، ويستخرجونها منه بالضرب كما يفعل المصادرون، دون أن يجد من يغيثه أو يعينه. وقد اشتد الحال على أهل بغداد لدرجة أن الإجراءات التي اتخذتها الدولة للحدّ من خطرهم من إنارة الطرق بالليل، ووضع الأبواب على خطط المدينة ومحلاتها لم تكن هي الحل الشافي لانها لم تفد في منعهم من الاعتداءات حتى على الجند الاتراك، فهرب رجال الشرطة من بغداد لعجزهم عن مقاومتهم، مما ادى الى ارتفاع الاسعار بشكل كبير جداً[2]. ولم تهدأ الأمور حتى قدمت فرقة الأصفهسلارية [3] إلى بغداد، و راسل قوادها العيارين وطلبوا منهم الخروج من بغداد. فلم يلتفت العيارون لمراسلتهم ولم يأبهوا بهم لكثرتهم، بل أنهم تجرأوا على شتم وسب رجال هذه الفرقة، مما أشعل الحرب بين الطرفين الأمر الذي أدى إلى نهب الكرخ، وإحراق الأسواق على أيدي الجند، وبالمقابل قام

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 58؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 363.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 170– 171؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 323..

[3] اصفهسلار او اسفهسلار: من ألقاب أرباب السيوف، وكان في الدولة الفاطمية لقبا على صاحب وظيفة تلي صاحب الباب، ومعناه: مقدّم العسكر، وهو مركب من لفظين: فارسيّ وتركيّ، فأسفه بالفارسيّة بمعنى: المقدّم، وسلّار بالتركية بمعنى: العسكر .والعامّة تقول لبعض من يقف بباب السلطان من الأعوان: أسباسلّار. والإسفهسلّاريّ: اسم لوظيفة من وظائف ارباب السيوف وعامة الجند، وصاحبها زمام كل زمام، واليه امر الاجناد والتحدث فيهم. وفي خدمته وخدمة صاحب الباب تقف الحجاب على اختلاف طبقاتهم. وهي كلمة اعجمية معناها قائد الجيش. القلقشندي، صبح العشى، ج3، ص479؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج3، ص1350.

العيارون والزعار بعمليات النهب مستغلين حالة الفوضى، حتى أشرف الناس على الهلاك، ثم هدأت الفتنة، وفرض على أهل الكرخ مائة ألف دينار مصادرة لهم لإثارتهم الفتن والشرور[1].

تكررت كبسات العيارين على المحلات التجارية نتيجة ضعف رجال الشرطة في حفظ الأمن سنة 420 هـ / 1029م. [2] ذلك أن الانفلات الأمني يعتبر بيئة خصبة لأعمال السلب والنهب التي كان يقوم بها العيارون في بغداد. وكان يرأس هؤلاء العيارين شخص يعرف (بالبرجمي) فكان ينقب الدار ويدخلها وينهبها وصاحبها يطلب الغوث والعون من الأتراك، فلا يجد من يغيثه، حتى فتحت المحلات في النهار[3]. هذا مع إنشغال الناس في الفتن المذهبية التي كانت تنشب بين السنة والشيعة باستمرار. ولم تسلم دار المملكة من خطر العيارين. إذ تمكن جماعة من العيارين من نقب دار المملكة، ودخلوا إلى حجرة من حجرها، وأخذوا منها بعض الثياب، فخاف التجار على محلاتهم، حتى أخذوا يبيتون في الأسواق لحمايتها وذلك سنة 422هـ/1030م[4]. حتى أضحى حال بغداد يرثى له" فالنهار فتن ومحن، والليل عملات ونهب"[5].

استمر البرجمي ينهب التجار دون أن يكون له رادع من قبل السلطة. ففي سنة 423 هـ /1031م هاجم البرجمي وجماعته خاناً للتجار، وقتل منهم جماعة لأنهم قاتلوه دفاعاً عن أموالهم[6].

---

(1) أبن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 175؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 325؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 232؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 22– 23.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 200، 204، 208؛ الذهبي، العبر، ج2، ص 239، 242 – 243؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 34.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 197؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 344؛ الذهبي، العبر، ج2، ص 239؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 29.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 213؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 356؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 245.

(5) الذهبي العبر، ج 2، ص 246.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 223؛ 226؛ الذهبي، العبر، ج2، ص 249.

وفي السنة التالية أي سنة 424 هـ /1032م هاجم مخازن في درب أبي الربيع فيها أموال كثيرة، فخاف الناس من هجماته، وحرصاً منهم على حفظ اموالهم قاموا بنقلها إلى دار الخليفة لأنها شديدة الحراسة، وواصلوا المبيت في الدروب والأسواق لحفظها، وزاد الخوف لدى الناس من البرجمي وعياريه حتى أنهم لم يتجاسروا على مناداته باسمه بل كانوا ينادونه: القائد أبو علي، ثم تطور الأمر إلى أن قتلوا صاحب الشرطة، ونهبوا لتاجر واحد ما قيمته عشرة آلاف دينار. ولما زاد شره وفساده خرج قادة الأصفهسلارية في طلبه حتى وصلوا إلى الأجمة التي يحتمي بها – وهي ذات قصب وماء كثير وفي وسطها تل جعله معقلاً ومنزلاً – فخرج لهم وقال لهم مستهزءاً: " من العجب خروجكم إلي، وأنا كل ليلة عندكم، فإن شئتم أن ترجعوا وأدخل إليكم فعلت، وإن شئتم أن تدخلوا إلي فافعلوا"[1]. فلم يتجرأ أحد منهم على الاقتراب منه خوفاً. مما شجع العيارون على تكثيف كبساتهم للسلب والنهب وحرق الأسواق والمساجد[2].

ثار الناس العوام في جامع الرصافة يوم الجمعة احتجاجاً على تقصير الدولة في حمايتهم من العيارين ومنعوا الخطيب من الخطبة، حتى قالوا له: " إما أن تخطب للبرجمي وإلا فلا تخطب لخليفة ولا لملك[3]. وما ذاك إلا لضعف السلطة البويهية عن التصدي للعيارين. حتى وصل الأمر إلى مقايضة الأسرى الذين يأسرهم البرجمي وعياروه مع أسراه لدى صاحب الشرطة[4] حيث كان يخاطبهم بلغة التهديد والوعيد، لا بلغة الخوف، إذ كان يقول لهم: قد أخذت اربعة من أصحابك عوضاً عمن

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 234؛ ا لذهبي، العبر، ج 2، ص 250.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 234؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 250؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص38–39.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 237؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص7؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 251.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 237؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 7.

أخذته من اصحأبي، فإما أن تطلق من عندك لأطلق من عندي، وإما أن أضرب رقابهم، وأحرق دارك وانصرف وشأنك ومن عندك، فلم يجد صاحب الشرطة أمامه من حلّ إلا أن يطلق الأسرى أصحاب البرجمي، وبالتالي يحافظ على سلامة نفسه وأهله وماله من خطر العيارين(1). ومما يذكر من الوهن والضعف الذي أصاب السلطة في بغداد، حتى أصبحت عاجزة تماماً امام العيارين ونشاطاتهم، أن أحد وجوه الأتراك أراد أن يختن ولداً له، فقدم للبرجمي هدايا كثيرة من الفواكه والشراب، قائلاً له: هذا نصيبك من طهر فلان ولدي، كل ذلك مقابل حمايته وحماية داره من أعمال السلب التي كان العيارون لا يفرقون بها بين شخص وآخر(2).

وصل الأمر بالبرجمي الى أن اتفق مع بعض موظفي الدولة على حماية المناطق التي يعملون بها مقابل مبالغ مالية يدفعونها إليه. فمن ذلك أن البرجمي اتفق مع الموظف المسؤول على المأصر(3) الأعلى بقطيعة الدقيق على أن لا يهاجم الميناء ولا يتعرض لشيئ من البضائع الموجودة به، مقابل عشرة دنانير من دخل الميناء شهرياً، بالإضافة الى السماح بدخول سفينتين له دون اعتراض أو ضرائب(4). ولما اشتد أمر العيارين وعظم فسادهم، وعجز أصحاب السلطة عن الحد من خطرهم، عيّن الأمير جلال الدولة البويهي شخصية عسكرية قيادية هو البساسيري نائباً عنه، وأنيطت به

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 237؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 5.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 237.

(3) المأصر: حبل يمد على نهر أو طريق تحبس السفن والسابلة لتؤخذ منهم العشور. الهروي، تهذيب اللغة، ج12، ص163؛ الانباري، محمد بن القاسم(ت328هـ/940م) الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1992، ج2، ص54؛ الحريري، القاسم بن علي(ت516هـ/1122م) درة الغواص في اوهام الخواص، تحقيق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1998، ص137؛ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص95.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 239.

مسؤولية حماية الجانب الغربي من بغداد من خطر واعتداءات العيارين واللصوص، نظراً لكفايته ومقدرته العسكرية وذلك سنة 425 هـ /1033م[1].

لم يكن الجانب الغربي هو الوحيد الذي كان يتعرض لغارات العيارين، بل إن الجانب الشرقي ايضاً كان عرضة لفعالياتهم، حتى خرب أكثر هذا الجانب[2]. وبقي البرجمي وعياروه على هذه الحال حتى قتل غرقاً سنة 425هـ/1033م[3].

حاولت الدولة استمالة العيارين لكف أذاهم عن الناس، فأعلن بعضهم التوبة والإستقامة والتوبة، وتعهدوا بحفظ بغداد، فمنحتهم الدولة جباية ما كان أصحاب المسالح يجبونه من الأسواق، بالإضافة إلى إعطائهم الدخل المتحصل من المواخير[4] والقيان[5] التي كان يأخذها صاحب الشرطة، كما كانوا يخاطبون بالقواد[6]. غير أن هذه الأمور لم تمنع من عودة العيارين إلى عهدهم السابق من السلب والنهب والحرق والقتل ونشر الفتن[7].

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 7؛ وعند ابن كثير ان البساسيري كلف بحماية الجانب الشرقي من بغداد. البداية والنهاية، ج12، ص39؛ الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص74.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 239.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 241؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 5، 7 الذهبي، العبر، ج2، ص 252؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص40.

(4) المواخير: جمع ماخور وهو بيت الريبة، ومجمع اهل الفسق وبيوت الخمارين. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص161.

(5) القيان: القينة هي الامة المغنية كانت او غير مغنية، ويقول عوام الناس: القينة المغنية، وقيل: انما قيل للمغنية قينة اذا كانت تتخذ الغناء صنعة لها وذلك من عمل الاماء دون الحرائر. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص351.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 240.

(7) المصدر نفسه، ج 15، ص 240.

كان للعيارين دور كبير في إثارة الفتن والعصبيات المذهبية بين السنة والشيعة. ففي سنة 425 هـ / 1033م عمل بعض العيارين – الذين كانوا أظهروا التوبة وعملوا في دار المملكة كفراشين – مجانيق مذهبة للخروج لزيارة قبر مصعب بن الزبير، في مقابل ما عمله عيارو الكرخ الشيعة للخروج لزيارة المشهد بالحائر، فرفعوا المجانيق وطافوا بها بالأسواق بالأبواق. مما أدى إلى وقوع القتال بينهم وبين أهل الكرخ الشيعة، وقتلوا بعضهم بعضاً، ونهبت الأموال، ولحق الناس من ذلك مشقة كبيرة إلى أن تم الصلح بينهم[1].

كانت المصيبة تنزل بأهل بغداد بسبب نهب العيارين لهم ولأموالهم، وأصبحت المصيبة أكبر عندما استغل الأعراب الأحداث الجسام التي نتجت عن انتشار العيارين في بغداد، ووقوع الفتن المذهبية بين السنة والشيعة، بالإضافة الى القتال الذي وقع بين السنة والشيعة من الجند الأتراك سنة 426هـ/1034م حتى أنه من كثرة القتلى لم يستطع أحد إقامة الحدود والقصاص على أحد؛ فنهب الأعراب بادوريا وقطربل، وأخذوا المواشي، وقطعوا الطرق على المارة، ووصل بهم الأمر إلى أن تمكنوا من الوصول الى أطراف بغداد، ووصلوا الى المسجد الجامع، وسلبوا ثياب النساء في المقابر[2].

عرضت الدولة على العيارين التوبة مقابل توفير عمل لهم في الشرطة، أو الخروج من بغداد آمنين على أنفسهم ثلاثة أيام؛ فوافق أكثرهم على الخروج من بغداد[3] على أمل أن لا يعودوا إلى أعمال السلب والنهب. وما أن كانت سنة 426 هـ / 1034م حتى ظهر العيارون من جديد فنهبوا وقتلوا؛ فحاولت الدولة وقف نشاطاتهم بأن قام صاحب الشرطة ابو الغنائم بن علي وقتل منهم شخصاً ظناً منه

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 241؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 7.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 241 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 8؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص41.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 241.

أنه يستطيع إرهابهم وإخافتهم، إلا أنهم كثفوا من هجماتهم حتى قتلوا شخصين، وحاربوا صاحب الشرطة وجماعته، وأصبحت هجماتهم أشد من ذي قبل، فكانوا يقيمون في دور الأتراك نهاراً ويخرجون منها ليلاً، لممارسة نشاطاتهم في السلب والنهب في ظل ضعف هيبة السلطة، لدرجة أن العيارين قدموا عرضاً للدولة بحماية بغداد وحفظها، مقابل عزل صاحب الشرطة[1].

تمكن العيارون من السيطرة على بغداد بسبب شدة ضعف هيبة السلطة وعدم قدرتها على الوقوف بوجههم، كما أن أملاك الخليفة نفسه لم تسلم من عبث العيارين، على الرغم من الحراسة المشددة عليها. فقد تمكن أحد العيارين من سرقة الثمار من أحد بساتين الخليفة سنة 426 هـ /1034م، مما أغضبه وكتب الى الأمير البويهي جلال الدولة ووزيره أبي القاسم بن ماكولا بضرورة القاء القبض على الجاني ومعاقبته ليكون عبرة لغيره، ولما تهاون الأمير البويهي في الإستجابة لطلب الخليفة، زاد غضبه، وكإجراء إعتراضي أمر الخليفة القضاة بالإمتناع عن القضاء، وأمر الفقهاء بترك الفتاوى، كما أمر بإغلاق باب المسجد الجامع، ومنع الصلاة فيه، الى أن تم القبض على الجاني، إلا أنه أطلق بعد مدة قصيرة، مما كان السبب في عود الفتن، حتى كثر القتل بين الناس، ومنعوا من حمل الماء من نهر دجلة[2].

ولما لم تستطع الدولة التصدي لهم، أشتد أمرهم حتى أخذوا يجاهرون بالمعاصي والذنوب كالإفطار في نهار رمضان، وشرب الخمر وارتكاب الفجور[3]. كما استغل العيارون الحريق الذي وقع

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 245؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص41.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 246.

(3). ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 246، ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 8. كان صاحب الشرطة أبو محمد النسوي قد استعان بالعيارين فأقامهم أعواناً، وأصحاب مصالح" أنظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 207.

في سوق العطارين، والذي أحرق الدور والدكاكين والمخازن، فنهبوا أموال الناس، وكانوا ينقلون النار من مكان إلى آخر حتى يتسنى لهم مزيداً من السلب والنهب [1].

عاد العيارون ونهبوا دار أحد قادة الأتراك بباب خراسان وأخذوا ما فيها وذلك سنة 427هـ/1035م، فحاول صاحب الشرطة أبو محمد النسوي التصدي لهم، فألقى القبض على أحد الهاشميين وقتله، فردّ عليه العيارون بإحراق داره، ونهب بعض الخانات [2]. ولما كانت دار صاحب الشرطة لم تسلم من العيارين؛ لعجز السلطة البويهية[3]. أمامهم، فقد هاجم العيارون السجن وقتلوا بضعة عشر رجلاً من رجال الشرطة وذلك سنة 428 هـ / 1036م[4]. ويبدو انهم ارادوا اخراج بعض العيارين المسجونين في السجن.

وفي سنة 431 هـ /1039م استغل العيارون ثورات الجند المتكررة بسبب تأخر رواتبهم، والإستيلاء على إقطاعاتهم. فقد ثار الجند الأتراك بسبب " تأخر الاقساط عليهم، وامتناع الاقوات على كثير منهم، ووقوع الإستيلاء على إقطاعاتهم"[5]، وزادت البلوى بقيام العيارين بنهب نواحي بغداد، مما أدى الى زيادة الأسعار، كما لم يتمكن الناس من الخروج الا بحراسة مشددة مقابل مبلغ من المال تدفع للحارس، اذ كان هذا الحارس يأخذ من الشخص الماشي دانقين[6]، ومن راكب الحمار أربعة دوانيق،

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 246.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 253؛ الذهبي، العبر، ج2، ص 255..

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 256 – 257؛ الذهبي، العبر، ج2، ص 257.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 256؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 214؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص44–45.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 273.

(6) دانق: كلمة فارسية، تعادل سدس درهم. ابن منظور، لسان العرب، د10،ص105؛ الفيومي، المصباح المنير، ج12، ص193؛ مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج6، ص86.

ونُهب جانبي بغداد، وسُرقت المواشي، وقد وصل الأمر بالناس من الشدة بمكان لدرجة أنهم لم يتمكنوا من الخروج لأداء الصلوات إلا بحراسة [1].

استغل العيارون الفتنة المذهبية التي وقعت بين السنة والشيعة سنة 441 هـ /1049م فهاجموا الجانب الغربي من بغداد- أي حي الكرخ الشيعي- ونهبوه، حتى اضطر اهله الى هجره والانتقال الى اماكن اكثر أمناً، وبعيدة عن متناول ايدي العيارين[2]. ومع استمرار الفتنة المذهبية الى سنة 442 هـ /1050م فقد ظهر رئيس جديد لقيادة العيارين يعرف بـ(الطقطقي) [3]. ويبدو ان هذا الرئيس كان من العيارين السنة، لانه كان يناصب الشيعة- وخصوصاً اهل الكرخ- العداء، حيث كان يتتبع رؤساءهم وكبراءهم، فيغتالهم بغتة، او يقتلهم علناً دون خوف، حتى عظمت محنة الشيعة ومصيبتهم من اعماله، لدرجة ان امير الحلة دبيس بن علي بن مزيد قطع خطبة الخليفة القائم بامر الله العباسي- لما سمع بالأمر- كاجراء احتجاجي على تقصير الخلافة في القضاء على الطقطقي، وحماية اهل الكرخ الشيعة من اعتداءاته، الذي استمر في الاغارة والتسلط على الشيعة، فهاجم باب التبن ونهب ما فيه من اموال وبضائع، ونبش القبور، واشعل النار في المقابر حتى احترق اكثر القبور فيها؛ فكان الشيعة يعانون من اعماله اشد المعاناة[4].

وفي سنة 444هـ/1052م استغل الطقطقي العيار القتال الذي دار بين اهل الكرخ الشيعة واهل باب البصرة السنة، فهاجم طاق الحراني- وهو من محال الكرخ- وقتل رجلين من اهله، وقطع رأسيهما

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 275.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 321؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص53.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 330؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص69-70.(يسميه القطيعي).

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 330؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص69-70.

ونصبهما على حائط المسجد في باب القلائين[1]. ولعله كان يفعل ذلك لاثارة الفتن بين السنة والشيعة، لتعم الفوضى ليتسنى له وليعياريه القيام بالسلب والنهب في ظل انشغال السلطة في اطفاء نار الفتن.

ونظراً للانفلات الأمني الناتج عن كثرة الحروب والصراعات بين امراء بني بويه؛ فقد عجزت الدولة من وضع حد لخطر العيارين، لدرجة ان البرجمي تحكم في بغداد لمدة خمس سنوات، بحيث كان يجبي الضرائب من الاسواق ويأخذ دخل المواخير والقيان لنفسه [2].

وبناءً على ما سبق من تبيان فعاليات العيارين ونشاطاتهم طيلة فترة العصر البويهي فإنه يمكن الخلوص إلى أثر هؤلاء في إضعاف المجتمع حتى انخرط في صفوفهم العلويون والعباسيون على السواء، ولعل في ذلك إشارة إلى تدهور الوضع الاجتماعي للأشراف في ظل الحكم البويهي[3]. كما عمق انضمام الشيعة والسنة إلى حركة العيارين من الفتن المذهبية[4]، التي كانت مستشرية أصلاً في المجتمع البغدادي بسبب ميول البويهيين الشيعية، وتشجيعهم ودعمهم لإحياء المناسبات الدينية الشيعية في مجتمع يغلب عليه الطابع السني، ويحكمه خليفة سني.

ومهما تباينت آراء المؤرخين حول طبيعة حركة العيارين وأهدافها فإن عنف هجماتهم على الأسواق والتحكم في أرباب التجارة بفرض ضرائب معينة عليهم، ونهب دور الأثرياء منهم، وما صاحب ذلك من أعمال قتل وحرق يشير دون شك إلى دخول عناصر دخيلة غير منظمة في حركة العيارين واستغلالها مبادئ العيارين من أجل مصلحتهم الشخصية في النهب والدمار غير المشروع. مما نشر الفوضى وأعاق التطور والنمو التجاري، والصناعي والحضري، مما دعا بعض المؤرخين إلى نعت الحركة باللصوصية والإجرام، وهذا هو الوجه الثاني للعيارين[5].

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 336؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص94.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 240؛ فاروق فوزي، الخلافة العباسية، ج 2، ص 142 – 143.

[3] أنظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 241؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 7.

[4] ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 240..

[5] فاروق فوزي، الخلافة العباسية'، ج2، ص 142 – 143.

لقد مثّل العيارون والشطار تكتل إجتماعي نتج عن شعور تكّون لدى فئة من الطبقة العامة نتيجة لزيادة حدة التباين الاجتماعي والاقتصادي، الناتج عن سوء الوضع المعاشي للطبقة العامة. وكنتيجة لانتشار الفوضى السياسية بسبب هيمنة البويهيين على الحكم في الدولة العباسية، وما صحب ذلك من فقدان الأمن، واضطراب الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية، وفساد النظم الإدارية والمالية في الدولة، وتعرض البلاد الى الإنقسامات الطائفية، التي أثارها هؤلاء الحكام الأجانب. وكذلك استمرار شغب الجند بسبب مطالبهم المستمرة بزيادة مرتباتهم مما أدى الى ضعف الجيش، وأدى الى انفصال بعض الولايات عن جسم الدولة العباسية، واشتعال الحروب الداخلية، مما شجع الروم على غزو البلاد الإسلامية والإستيلاء على بعضها. كل هذه الأخطار التي سادت البلاد، والخليفة مغلوب على أمره مع البويهيين، الذين سيطروا على مقاليد الأمور في الدولة العباسية، واستحوذوا على الأموال، بحيث أصبحت الدولة عاجزة عن معالجة ما يتهددها من الأخطار[1].

ثالثاً- الكوارث الطبيعية وأثرها على المجتمع:

تعددت الكوارث الطبيعية التي ألمّت بالسكان في العراق في العصر البويهي بين كوارث مائية من فيضانات نهري دجلة والفرات بسبب الأمطار وبالإضافة إلى البرد الذي كان يتلف كل ما يسقط عليه، والأوبئة والأمراض التي فتكت بأهل بغداد خاصة، فضلاً عن موجات الغلاء المتلاحقة التي أهلكت الحرث والنسل.

وتكمن خطورة هذه الكوارث وخطورة تأثيرها على المجتمع في كونها خارجة عن نطاق السيطرة، باعتبارها تدبير إلهي، ليس لأحد عليها سلطة لا في أسبابها ولا في نتائجها المدمرة أحياناً.

---

[1] اليوزبكي، العيارون والشطار، ص151.

أ. **الكوارث المائية من أمطار وفيضانات وبرد وصقيع وثلوج**

1: الفيضانات والأمطار: زيادتها، نقصها، وقلة سقوطها:

شكلت فيضانات نهري دجلة والفرات أخطاراً حقيقية على حياة الناس في بغداد خاصة، ففي سنة 337 هـ / 948م ارتفع منسوب مياه نهر دجلة حتى وصلت الزيادة فيه إلى إحدى وعشرين ذراعاً، حيث أحاط الماء ببغداد وكاد يغرقها، فغرقت الضياع والدور. حتى كاد الجانب الشرقي من بغداد أن يتهدم، وهمّ كثير من السكان على الرحيل من بغداد[1]. كما تكررت زيادة منسوب مياه دجلة بنفس المقدار في سنة 367 هـ /947م حتى انفجرت السدود بالزاهر وبباب التبن، وغرق اكثر الجانب الشرقي من بغداد، كما غرقت مقابر في باب التبن في الجانب الغربي منها، وقد نتج عن هذه الزيادة تدمير الطرق والبيوت، وخاف الناس على أرواحهم، وخرجوا من دورهم، خوفاً من غرق البلد كله[2].

أما في سنة 370 هـ / 980م فقد زاد منسوب مياه نهري دجلة والفرات زيادة كبيرة، استمرت لمدة ثلاثة اشهر، كاد اهل الجانب الغربي من بغداد ان يلقوا حتفهم غرقاً، كما سقطت على أثرها قناطر الصراة الجديدة والعتيقة، حيث أنفق عضد الدولة البويهي على إعادة بنائهما الكثير من الأموال[3]. اما في سنة 391 هـ /1000م فقد دمر فيضان نهر الفرات سدّ (قبين)، وطغت المياه على سواد الانبار وبادوريا حتى المحول[4].

---

(1) مجهول، العيون والحدائق؛ ج 4 / ق2، ص 458؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 72؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 161؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 72؛ الذهبي، والعبر، ج2،، ص 52؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 3، ص 340.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 247. أنظر: ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 93؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج 4، ص ؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص26.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 277؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 106؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 4، ص 142.

(4) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص26.

وفي سنة 401 هـ / 1010م فاض نهر دجلة بسبب الزيادة في منسوب مياهه حتى بلغت الزيادة إحدى وعشرين ذراعاً، حتى غمر الماء أكثر البيوت القريبة من الشاطئ. كما فاض الماء على مسجد الكف بقطيعة الدقيق، فهدمه، وحمل جذوعه وسقوفه، بالإضافة إلى تفجر السدود وتغريق القرى والحصون القريبة[1].

لم تكن فيضانات نهري دجلة والفرات الناجمة عن شدة تساقط الامطار وذوبان الثلوج هي العامل الوحيد الذي يؤدي الى الزيادة في معاناة الناس بسبب الآثار السيئة التي تخلفها الفيضانات على مجمل الأنشطة البشرية وخاصة الإقتصادية منها، بل إن نقصان كمية الأمطار وقلة سقوطها أيضاً من العوامل التي تلحق الاضرار بالناس وتزيد من حجم معاناتهم. ففي سنة 420هـ/ 1029م نقص ماء نهر الفرات نقصاناً شديداً، لدرجة أن برزت فيه بعض الجزر، مما عطّل عمل الطواحين، وبالتالي أدى ارتفاع أجرة طحن الكارة [2] من القمح من دينار إلى ثلاثة دنانير. مما انعكس على ارتفاع أسعار القمح والدقيق[3]. وقد تكرر ذلك في سنة 446 هـ /1054 م حيث انقطع الماء على نهر عيسى أدى إلى تلف المحاصيل وتعطلت الطواحين[4].

لم تكن كثرة سقوط الأمطار والبرد هي وحدها التي تسبب الأضرار بل أن قلة سقوط الأمطار وتأخرها كان لها نتائج وخيمة على المجتمع ككل. ففي سنة 422 هـ / 1030 تأخر سقوط الأمطار،

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 77؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 256؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص369؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص27.

(2) الكارة: مَا يجمع ويشد وَيحمل على الظّهْر من طَعَام أَو ثِيَاب. ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص156؛ مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج14، ص76.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 197؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص29.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 344.

مما يعني قلة توفر المياه اللازمة للزراعة، فتعطلت الزراعة في أغلب السواد، وأصاب الناس الجفاف في أبدانهم، وعانوا من الأمراض الرأسية والصدرية من الحمى والسعال. كما نتج عن ذلك ارتفاع حاد بالأسعار حتى وصل سعر كل ثلاثين حبة من الرمان بدينار. وقد وصل الأمر بالناس إلى الموت بسبب نقص الماء وتأخر سقوط الأمطار [1]. وقد استمر تأخر سقوط الأمطار إلى السنة التالية مما أدى إلى إجداب الأرض وتلف المحاصيل الزراعية من حبوب وثمار، وهلاك المواشي، وزيادة الأسعار[2].

وفي سنة 426 هـ / 1034م حصل المدّ في ماء نهر دجلة في البصرة، حتى وصل إلى القرى المجاورة ودمرها، بالإضافة إلى تدمير نحو ألفي بيت من بيوت البصرة[3]. واما الزيادة التي حصلت في سنة 431 هـ /1039م فقد ادت الى تحطيم الجسر المعقود على نهر دجلة، كما حملت المياه الكثير من الناس والقت بهم في مكان اخر، حتى اشرفوا على الهلاك[4].

ولعل الآثار الناجمة عن الأمطار والرياح التي وقعت سنة 443 هـ / 1051م كانت الأكثر ضرراً. إذ هطلت الأمطار الغزيرة رافقها هبوب رياح شديدة اقتلعت رواشن دار الخلافة ودار المملكة الواقعة على نهر دجلة. كما اقتلعت عدة دور على الشواطئ. كما أغرقت هذه الأمطار عدة سفن تحمل بضائع تجارية أدت إلى وفاة بعض من كان على متنها. بل ازداد الأمر إلى أن اقتلعت بعض أشجار النخيل والسرو والتوت[5].

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص52.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 226.

(3) ابن الجوزي، المنتظم ، ج 15، ص 246.

(4) المصدر نفسه، ج 15، ص 226.

(5) المصدر نفسه، ج 15، ص 329.

2: البرد والصقيع والثلوج:

سقط برد كبير على قطربل[1] سنة 335 هـ / 946م حيث وصل وزن الحبة الواحدة منه أوقيتان فأكثر، مما نتج عنه تلف المحاصيل الزراعية والغلات [2].

وفي سنة 350 ه / 961م سقط برد على الجانب الغربي من بغداد من نواحي قطربل وناحية نهر بوق، قيل أنه كان بحجم بيض النعام، حيث قتل الكلاب والخنازير وقتل طيور الماء في الآجام، كما قتل جاموساً. وأتلف كل ما سقط عليه من محاصيل وأشجار وبعض أسطح المنازل[3].

وفي سنة 388 هـ / 998م سقط برد كثيف، أدى إلى تجمد الماء تجمداً لم يعهد قبله، كما جمدت منه مياه الحمامات وبول الدواب و الخيل، بالإضافة إلى تجمد النبيذ المخزن، مما أدى إلى تعطل الحياة الاقتصادية، والحياة المعاشية اليومية للناس[4]. أما البرد الذي سقط سنة 389 هـ / 998م فإنه ترافق مع هبوب ريح شديدة وأمطار غزيرة حتى أهلكت الألوف من أشجار النخيل في سواد بغداد، وأما بقيته فإنه لم يثمر إلا بعد سنين بسبب العجز الذي أصابه[5].

أما البرد الذي سقط سنة 417 هـ / 1026م فلم يعهد مثله من قبل، فقد استمر لعدة أيام، حيث تجمدت مياه الأنهار والسواقي ومجاري الماء، فعانى الناس من جراء ذلك معاناة كبيرة، حيث لم يستطع أحد الخروج من بيته لقضاء حوائجه، وبعده تأخر سقوط المطر، فتوقفت عمليات الزراعة، فلم يزرع أحد في سواد العراق الا القليل[6].

---

(1) المصدر نفسه، ج 15، ص 329.

(2) قطربل: اسم قرية بين بغداد وعكبرا. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص371.

(3) مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق2، ص 508؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 4، ص 133.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 8.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 14- 15.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 176، ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 326 - 327.

وفي سنة 418 هـ / 1027م سقط برد كبير في أكثر نواحي العراق كنواحي قطربل والنعمانية والنيل والعاصمة بغداد بالإضافة إلى واسط، حيث بلغ وزن حبة البرد رطلان فأكثر، نتج عنه تدمير المزروعات، وهلاك الأغنام[1]. كما هبت رياح باردة من جهة الغرب أدت إلى جمود مياه نهر دجلة كما تجمد الخل والنبيذ وبول الدواب، حتى أن النواعير تعطلت بسبب جمود الماء، وقد أدى ذلك إلى انعدام التمر، وهلاك عشرات الآلاف من أشجار النخيل في بغداد[2].

أما في سنة 420 هـ / 1029م فقط سقطت أمطار غزيرة رافقها سقوط البرد الكبير بنواحي النعمانية ودير العاقول، وقد صاحب ذلك هبوب ريح سوداء اقتلعت أشجار الزيتون والنخيل، وأسقف بعض المساجد في بعض القرى[3].

ب- الأمراض والأوبئة:

كانت الأمراض والأوبئة كثيراً ما تترافق مع موجات الغلاء، وارتفاع الأسعار، وقلة الطعام، مما كان يزيد من أثارها ومخاطرها على الناس.

ففي سنة 343 هـ / 954 م أصاب الناس أمراض متعددة وحميات ونزلات بالإضافة إلى أوجاع الحلق[4]. أما في سنة 344 هـ /955م فقد أصاب الناس مرض مركب من الدم والصفراء[5].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 181، ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 330.

(2) ابن الجوزي، المنتظم ج 15، ص 183 – 184، 191؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 330.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 194.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 94؛ ابن الاثير، الكامل، ج6، ص347 ويذكر(ان الوباء انتشر في خراسان والجبال)؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص225.

(5) الدم والصفراء: هي احد عناصر الجسم الاربعة بالاضافة الى السوداء والبلغم، فاذا ما اختلط الدم مع الصفراء فانه يؤدي الى امراض خطيرة. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج2، ص866.

وقد عم هذا المرض وانتشر حتى شمل الاهواز وبغداد وواسط والبصرة. ولما كان الناس مصأبين بأمراض متعددة في السنة الماضية، فقد اقترن ذلك مع العلة المركبة مما ضاعف من الأضرار والخسائر. حتى كان يموت بسبب هذه الامراض ما يقارب الألف نفس في كل يوم[1].

وفي سنة 346هـ / 957م أصاب الناس أمراضاً أدت إلى أورام في الحلق، والماشرا[2]، حتى كان الناس يموتون فجأة دون معرفة الأسباب وخاصة في فترة التشرينين[3]. وكان الناس يلجأون إلى عملية الفصد[4] التي كانت لا تفيد من يلجأ اليها للتخلص من هذا المرض، اذ سرعان ما كان يؤدي الى وفاة المريض او يبقى على مرضه الى ان يموت. كما كان مرض الطاعون من جملة الأمراض التي تعرض لها أهل بغداد. إذ يذكر ابن الجوزي" أن لصاً نقب ببغداد في زمن الطاعون الذي كان في سنة ست وأربعين وثلمائة فمات مكانه وهو على المنقب، وأن إسماعيل القاضي لبس سواده ليخرج إلى الجامع فيحكم، ولبس أحد خفيه وجاء ليلبس الآخر فمات"[5].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 98.

(2) الماشرا: ورم حادّ ينتج عن دم صفراوي يعمّ الوجه، وربّما غطّى العين. انظر: السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2004، ص190.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 319؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 109 – 110. وقد تكرر تعرض الناس لمثل هذه الأمراض سنة 357 هـ / 967م، وعند الهمذاني (سنة 358هـ / 968م) تكملة تاريخ الطبري ج 1، ص 201.

(4) الفصد: هي قطع العرق(الوريد) واخراج شيئ من دمه بقصد التداوي. ابن سيده المرسي، المخصص، ج4، ص29؛ – المحكم والمحيط الاعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ج8، ص292؛ ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص336.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 109؛ انظر: الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 176.

وفي سنة 376 هـ / 986م مات كثير من الناس بسبب الحميات الحادة، التي لم يكن يعرف لها سبب أو دواء[1]. وفي سنة 377 هـ / 987م ترافق حدوث الأمراض مع موجات الغلاء مما زاد من الأضرار التي لحقت بالناس[2].

كما وقع وباء في البصرة سنة 406 هـ / 1015م – ولعله مرض الطاعون- كان من نتائجه موت الكثير من الناس حتى عجز الحفارون عن حفر القبور لدفن الموتى من كثرتهم [3].

اما الوباء الذي اصاب الناس سنة 423هـ/1031م فقد كان سببه الغلاء الشديد الذي نتج عن انحباس الامطار وانقطاعها، وقد انتشر هذا الوباء في كل من بغداد والموصل والشام وبلد الجبل وخراسان وغزنة والهند. وقد مات بسببه الكثير من الناس؛ فقد مات في اصفهان وحدها اربعون الف انسان في عدة ايام، كما اصاب الناس في الموصل مرض الجدري، مات بسببه اربعة الاف صبي[4].

وقد ترافق وقوع مرض يسمى الخوانيق [5] في بغداد والموصل مع الأحداث الدامية التي كانت تشهدها بغداد من فتن العيارين وزعيمهم البرجمي. إذ كثر موت الناس بهذا المرض وخاصة من النساء وذلك سنة 425 هـ / 1033م[6]. وفي ذي الحجة كان موت الناس بمرض – ولعله الطاعون – حتى ذكر انه مات سبعون ألف شخص من أهل بغداد بسببه[7].

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 317.

[2] المصدر نفسه، ص 323.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 111؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 4، ص 239.

[4] ابن الاثير، الكامل، ج8، ص3. وقد اضاف " ولم تخلُ دار من مصيبة لعموم المصائب وكثرة الموت"..

[5] هو المرض المسمى بالذبحة، ومن انواعه الذبحة الصدرية. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج18، ص21؛ زناتي، معجم مصطلحات التاريخ، ص143.

[6] ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 240.

[7] ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 242؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 252.

كما لم تسلم الحيوانات كذلك من الأمراض والأوبئة التي كانت تنتشر بين الفترة والأخرى حالها كحال الإنسان، ففي سنة 437هـ / 1045م وقع وباء وأصاب الخيل تحديداً، أدى إلى نفوق اثني عشر ألف رأس من الخيل من معسكر أبي كاليجار البويهي، ثم انتشر الوباء ليعم البلاد كلها حتى امتلأت حواف نهر دجلة بجيف الخيل النافقة[1]. وفي السنة التالية أي سنة 438 هـ /1046م أصاب الدواب مرض يعرف باسم الموتان، فكان يموت مائة أو أكثر من الدواب في اليوم الواحد. وكانت الجيف كلها تلقى في نهر دجلة مما أدى إلى تلوث المياه، فامتنع الناس من شرب مياه النهر[2].

واستمر انتشار الوباء في بغداد، وكثرت الأمراض التي أصابت الناس والدواب. مما أدى إلى إرتفاع الأسعار وذلك 439 هـ / 1047م[3]. وكان هذا الوباء قد تزامن مع الغلاء الشديد الذي وقع في بغداد والموصل وسائر البلاد العراقية والجزرية، حتى اكل الناس الميتة، مما أدى الى موت الكثير منهم، فخلت الأسواق من الناس، وارتفعت أسعار الأطعمة والأدوية التي يحتاج اليها المرضى[4]. ثم عاد الوباء لينتشر ويترافق معه غلاء كبير في الأسعار، وقد زاد انتشاره ليشمل كل من مكة والعراق والموصل والجزيرة والشام ومصر وغيرها من البلاد سنة 440 هـ /1048م[5].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، 302 – 303؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص42.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 305.

(3) المصدر نفسه، ج 15، ص 308.

(4) ابن الجوزي، المنتظم؛ ج 15، ص 308؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص46.

(5) ابن الاثير، الكامل، ج8، ص50.

ج- موجات الغلاء

كان للحروب والصراعات التي شهدتها الساحة السياسية في العراق في ظل الدولة البويهية الأثر الأكبر لحدوث موجات الغلاء. فضلاً عن سياسة الاحتكار والمصادرة من قبل المتنفذين في الدولة البويهية وناهيك عن الحشرات المتنوعة التي كانت تأتي على الأخضر واليابس.

بدأت أولى موجات الغلاء في بغداد منذ سنة 334 هـ / 945م عندما وقعت الحرب بين ناصر الدولة الحمداني ومعز الدولة البويهي. فنزل ناصر الدولة بالجانب الغربي من بغداد، فحاربه معز الدولة واضطره إلى الانتقال إلى الجانب الشرقي من بغداد وحتى يضيق ناصر الدولة الخناق على قوات معز الدولة ويضطره للإستسلام أو الإنسحاب من بغداد، اتبع سياسة الحصار الإقتصادي فقطع الميرة والمؤن عن بغداد، مما أدى إلى وقوع الغلاء الشديد، وانعدمت الأقوات وارتفعت الأسعار حتى اشتري لمعز الدولة البويهي كرّ دقيق بعشرين ألف درهم. فلحق الناس من جراء ذلك شدة عظيمة حتى افتقر أكثر الناس ولحقهم جوع وفقر شديد[1]. لدرجة أن الناس أكلوا بعضهم بعضاً. فقد ذكر أن امرأة سرقت صبياً فشوته في تنور وهو حي، وأكلت بعضه وقد اعترفت أن شدة الجوع حملتها على ذلك، فألقي القبض عليها وضربت عنقها[2]. كما ذكر أن رجلاً واخته أخذا صبية، فشقاها نصفين وطبخاها[3]. ووجدت امرأة أخرى تقتل الصبيان وتأكلهم: ثم فشا ذلك فقتلت عدة منهن"[4]. وعلى الرغم

---

[1] مجهول العيون والحدائق، ج 4/ ق 2، ص 448؛ مسكويه تجارب الأمم، ج 5، 278 – 279؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 151؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص 329.

[2] مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق 2، ص 448؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 281؛ أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 432.

[3] مجهول والعيون والحدائق، ج 4/ ق 2، ص 448؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 281؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 3، ص 329.

[4] مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 281.

من شدة المبالغة في إيراد مثل هذه الأخبار والأحداث إلا أنها مؤشر على مدى المعاناة وشدة الجوع التي كان الناس يعانون منها بسبب الحروب والصراعات من أجل السلطة.

ومما زاد من محنة الناس من جراء تلك الحرب أن الجنود تسلطوا على غلات الناس، فكانوا يحصدونها ويدرسونها، ثم يحملونها إلى معسكراتهم(1). ذلك لأن ناصر الدولة الحمداني منع الغلات من دخول بغداد.

ويصف صاحب العيون والحدائق نتائج الغلاء الذي حصل في بغداد سنة 334 هـ / 945م بقوله: " وفيها أفرط الأمر في الغلاء حتى عدم الناس الخبز البتة، وأكل الناس النوى والحشيش والميتة وغير ذلك، فلحق الناس في أحشائهم أورام، ومن بقي كان في صورة الموتى، وكان الرجل والمرأة والصبي يقف على ظهر الطريق وقد فني فيصيح: الجوع، إلى أن يسقط فيموت، فكانت الكلاب تأكل لحومهم، وكان لا يلحق على دفنهم، وكانت الدور والعقار تباع بالرغفان"(2).

أما مسكويه فقد كان أكثر دقة في الوصف فيقول".. وكانت الدابة إذا راثت اجتمع على الروث جماعة ففتشوه ولقطوا ما يجدون فيه من شعير وأكلوه. وكان يؤخذ بزر قطوناً. ويضرب بالماء ويبسط على طابق حديد ويجعل على النار حتى نقب ويؤكل. ولحق الناس من ذلك في أحشائهم أورام... وخرج الضعفى إلى البصرة خروجاً مفرطاً متتابعين لأكل التمر، فتلف أكثرهم في الطريق. ومن وصل منهم مات بعد مديدة"(3).

---

(1) مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق 2، ص 449.

(2) مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق 2، ص 450.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 281. أنظر: الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري ج1، ص 152؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص258.

ومن شدة ارتفاع الأسعار والغلاء الذي وقع في الموصل سنة 349 هـ / 960م فقد وصل ثمن الكرّ من الحنطة ألف ومائتي درهم، وبلغ ثمن الكرّ من الشعير ثمانمائة درهم؛ فهرب الناس من الموصل متوجهين إلى بغداد والشام[1]. ولعل السبب وراء ارتفاع الاسعار والغلاء راجع الى الهجمات التي كان يشنها الروم على البلاد الاسلامية بين الحين والاخر.

استمر تكرار موجات الغلاء في العراق عامة الناجمة عن أسباب خارجة عن قدرة الإنسان، وأسباب أخرى كان الإنسان هو صانعها كالإحتكار مثلاً. ففي سنة 358 هـ / 968م وقع غلاء شديد في العراق. مما أدى إلى ارتفاع الأسعار زيادة ملحوظة حتى بيع الكرّ من الدقيق بتسعين ديناراً، ونتيجة لذلك فقد انعدم الخبز مما أثر على حياة الكثير من الناس[2]. ويذكر ابن الأثير أن الغلاء اشتدّ في العراق سنة 358 هـ /969م مما تسبب في إرهاق الناس وزاد في معاناتهم؛ فاضطر الأمير البويهي الى إتباع سياسة تسعير المواد الغذائية للتخفيف على الناس، ومنعاً للتجار من التلاعب بالأسعار، إلا أن معاناتهم زادت بسبب هذا التسعير، حتى اضطر الأمير البويهي الى إزالته، الأمر الذي كان أخف أثراً على الناس، لوجود المنافسة بين التجار، مما خفف على الناس من معاناتهم[3]. ويبدو أن السبب وراء إرتفاع الأسعار في هذه السنة راجع الى قلة خبرة عز الدولة بختيار في إدارة شؤون البلاد، وانصرافه الى لهوه وملذاته، وتسليم أمور الدولة الى كتّابه.

أما الغلاء الذي وقع سنة 364 هـ / 974م فقد كان أثره شديداً على الناس بسبب ارتفاع أسعار المواد الأساسية. حيث ارتفعت الأسعار ارتفاعاً كبيراً، وقلت الأطعمة في الأسواق حتى تم بيع

---

(1) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري؛ ج1، ص 178.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 196؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص201؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 2، ص 26..

(3) ابن الاثير، الكامل، ج7، ص36.

الكر من الدقيق بمائة ونيف وسبعين ديناراً، وبيعت كل عشرة أمناء [1] من السكر بنيف وأربعين درهماً، أما التمر فقد بيع كل ثلاثة أرطال بدرهم. أما فيما يتعلق بطعام الدواب من العلف فقد بيع الحمل من التبن بعشرة دراهم. مما اضطر الأمير البويهي إلى إخراج دوابه إلى السواد[2]. ويمكن ارجاع السبب في هذا الارتفاع في الاسعار والغلاء في هذه السنة الى الحرب التي قامت بين عضد الدولة البويهي وعز الدولة بختيار من اجل السلطة.

زادت الأسعار سنة 373 هـ /983م زيادة كبيرة، حتى أصاب الناس مجاعة أودت بحياة الكثير منهم. حيث بلغ ثمن الكرّ من الحنطة في رمضان ثلاثة الآف درهم، أما في ذي القعدة فقد زاد السعر حتى وصل الى أربعة الاف وثمانمائة درهم؛ مما تسبب في هيجان الناس وضجوا في الأسواق وكسروا منابر الجوامع، ومنعوا أن تقام صلاة الجمعة في عدة جمع، تعبيراً عن سخطهم من الظروف المعيشية الصعبة التي يعيشونها في ظل إرتفاع الأسعار، واحتجاجاً على تقصير الدولة في توفير وتلبية حاجاتهم الأساسية، وبسبب هذا الإرتفاع في الأسعار مات عدد كبير من الفقراء جوعاً، لعدم تمكنهم من شراء الطعام[3]. ولم تكن سنة376 هـ /986م تحلّ حتى زادت الأسعار مرة أخرى لدرجة أن بيعت الكارة من الدقيق الخشكار بنيف وتسعين درهماً[4].

---

(1) المن: يساوي شرعاً رطلين، كل رطل 130 درهماً. هنتس، والمكاييل والأوزان، ص45.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 236؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 221؛ الذهبي، العبر، ج2، ص 117 ويضيف الهمذاني أنه" كانت الدراهم أربعة عشر بدينار".

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 302؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص122؛ اما الذهبي فيقول:" وبلغ حساب الغرارة اربعمائة درهم"، العبر، ج2، ص 140؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص148.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 317؛ ويضيف ابن الاثير انه(وقع غلاء شديد في العراق فجلا اكثر اهله)، الكامل، ج7، ص131.

استمر غلاء الأسعار في الارتفاع في سنة 377 هـ / 987م بسبب تأخر سقوط الأمطار، حتى بيعت الكارة من الدقيق الخشكار بمائة وخمسة وستين درهماً في شهر ربيع الأول، ثم زاد السعر فبلغ ثمن الكارة مائتين وأربعين درهماً في شهر ربيع الآخر[1]. مما يعني الإرتفاع المستمر في الأسعار دون تدخل من السلطة الحاكمة للحد من زيادة الأسعار، ولا يخفى أن أكثر المتضررين من زيادة الأسعار هم طبقة العامة في المجتمع. وفي ذي الحجة من السنة نفسها ترافق وقوع الغلاء في الأسعار مع وقوع وباء عظيم مما زاد في معاناة الناس[2].

كان للفتن المختلفة وخاصة المذهبية منها التي كانت تنشأ بين السنة والشيعة الأثر الكبير في زيادة الأسعار كما حدث سنة 382 هـ / 992م حيث ارتفعت الأسعار حتى بيع الرطل من الخبز بأربعين درهم[3]. وقد استمرت زيادة الأسعار في الارتفاع حتى بلغ ثمن الكر من الحنطة ستة آلاف درهم غياثية [4] وبلغ ثمن الكارة من الدقيق مائتين وستين درهم وذلك سنة 383 هـ / 993م [5].

وفي سنة 392 هـ /1001م وصل سعر الكارة من الدقيق الخشكار الى ثلاثة دنانير مطيعية، ثم زاد السعر حتى وصل الى خمسة دنانير، مما انعكس سلباً على حياة الناس، ولحقهم بسبب ذلك

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، 14، ص 32 أنظر: الذهبي، العبر، ج2، ص 149.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 323.

(3) ابن الاثير، الكامل، ج7، ص158.

(4) الدراهم الغياثية: هي دراهم منسوبة إلى غياث الدين. وهو لقب بهاء الدولة بن بويه. ابن الاثير، الكامل، ج7، ص162(هامش 3).

(5) ابن الجوزي المنتظم، ج14، ص 363، 366؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 161؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 4، ص 165.

مجاعةً شديدة[1]. كما شهد العراق غلاءً في الاسعارسنة 397 هـ /1006م حتى ضجَّ الناس وثار الجند من شدتها، وكادت ان تؤدي الى ثورة عارمة وفتنة في العراق[2].

كما كانت الحروب التي قامت بين الأمراء البويهين داخل البيت البويهي سبباً في معاناة الناس وصعوبة عيشهم بسبب ما كان يرافق هذه الحروب من نقص في المواد الاساسية وخاصة الغذائية منها، وإغلاق الأسواق. ففي سنة 411 هـ / 1020م مثلاً اشتدت مجاعة الناس في واسط، بسبب الحرب التي دارت بين جند سلطان الدولة البويهي ومشرف الدولة البويهي؛ فلجأوا إلى قطع عشرين ألف شجرة نخيل، أكلوا ثمارها وجمارها، ثم دقوا جذوعها، واستفوها، ولما زادت معاناتهم أكلوا البغال والكلاب، وزادت الأسعار حتى بيع الكرّ من الحنطة بألف دينار[3].

إن غارات العيارين على بغداد وما حوله، كان لها دور كبير في ارتفاع الاسعار، نظراً لتعطل الاسواق، وقطع طرق التجارة. فمن ذلك ما حدث سنة 416 هـ /1025م عندما استغل العيارون فرصة وفاة مشرف الدولة البويهي، ووجود اخيه جلال الدولة في البصرة بعيداً عن بغداد، حيث اختلَّ نظام الدولة، واستهان العيارون بالسلطة فقتلوا الناس، ونهبوا الاموال، واحرقوا محلات اهل الكرخ الشيعة؛ مما تسبب في ارتفاع الاسعار حتى وصل سعر الكرّ من الحنطة الى مائتي دينار[4].

أما الغلاء الذي وقع سنة 439 هـ / 1047م والذي رافقه انتشار الأمراض والأوبئة وخاصة مرض الطاعون فقد كان شديداً على الناس، لدرجة أنهم أكلوا الميتة، وكثر الموت حتى أنه أحصي

---

(1) الصابئ، تاريخ، ج7، ص49.

(2) ابن الاثير، الكامل، ج7، ص238.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 143؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص306؛ الذهبي، العبر، ج2، ص 219.

(4) ابن الاثير، الكامل، ج7، ص323.

عدد الذين صلوا الجمعة في الموصل فكانوا أربعمائة شخص، كما أحصي عدد أهل الذمة فيها فكانوا نحو مائة وعشرين شخص[1].

وفي سنة 443 هـ /1031م زادت الاسعار، بسبب تلف الغلات والمحاصيل في الموصل، ولعل السبب في ذلك هو تأخر سقوط الامطار. وهجمات العيارين من اجل السلب والنهب، واشتعال الحرائق، حتى انعدمت الاطعمة. وبسبب شدة ارتفاع الاسعار وقلة الطعام اضطر اهل بعض المناطق الصحراوية الى اكل مواشيهم اولاً، فلما نفقت المواشي اضطروا الى اكل بعض اولادهم، حتى ان الواحد منهم كان يبادل ولده بولد رجل اخر لئلا تدركه رقة ورأفة في ذبحه[2]. ومهما كان في ذلك مبالغة فإن فيه اشارة الى شدة وصعوبة المعيشة اليومية للناس.

د- **الزلازل:**

تعتبر الزلازل من أخطر الكوارث الطبيعية على البشرية، ذلك بسبب ما تحدثه من أضرار، وتخلفه من خسائر في الأرواح والممتلكات، ومما يزيد من حدة خطرها عنصر المفاجأة بحيث لا يستطيع الإنسان اتخاذ الإحتياطات اللازمة حيالها. وتجدر الإشارة الى أن مما يزيد من تأثير هذه الزلازل من نتائجها وآثارها الخطيرة على المجتمع تزامنها مع وقوع كوارث أخرى كموجات الغلاء، والحروب والصراعات الداخلية والخارجية، بالإضافة الى الفتن بأنواعها، مما يزيد من معاناة الناس.

وقع أول زلزال في بغداد خلال فترة الحكم البويهي سنة 347 هـ /958م، وهو زلزال قوي أحدث هبوطاً في الأرض، ولعل هذا الزلزال كان تابع لسلسلة من الزلازل ضربت كلاً من الري وطالقان وحلوان في نفس السنة. وقد نتج عنه تهدم الكثير من البيوت، حيث دمر 150 قرية[3]. ومما زاد من

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 308؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص54.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 227.

(3) السيوطي، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، تحقيق: محمد عز الدين، بيروت: عالم الكتب، ط1، 1987، ص175؛ سليمان، مصطفى محمود، الزلازل، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996، ص95.

خوف الناس هو ما رافق الزلزال من هبوب رياح حارة وظلام وبرق، حتى ظن الناس أن القيامة قد قامت[1]. ويذكر بعض المؤرخين أن هذه الزلازل" دامت اربعين يوماً تسكن وتعود، فتهدمت الأبنية وغارت المياه، وهلك تحت الهدم من الأمم الكثير"[2].

وفي سنة 363 هـ / 973م ضرب زلزال شديد مدينة واسط[3]. وبعد أربع سنوات أي سنة 367 هـ /977م وقع زلزال آخر في بغداد[4]، لم تذكر المصادر التاريخية حجم الخسائر التي خلفها. غير أن بعض المصادر ذكر أن " بغداد زلزلت مراراً"[5]. كما ضرب الموصل زلزال مدمر سنة 376 هـ /986م، نتج عنه موت الكثير من الناس تحت الأنقاض، فضلاً عن تدمير الكثير من البيوت[6].

اما الزلزال الذي ضرب مدينة خلاط[7] ودياربكر سنة 438 هـ /1046م فقد نتج عنه خسائر بشرية كبيرة؛ حيث قتل الكثير من الناس تحت الهدم، فضلاً عن الخسائر المادية الكبيرة نتيجة تهدم القلاع والحصون[8].

وبناءً على ما تقدم في الحديث عن مظاهر ضعف المجتمع الاجتماعية في فترة النفوذ البويهي يمكن ملاحظة أن الفتن والمحن التي انبسطت على العراق كله قد استمرت قائمة طيلة فترة

---

(1) مجهول العيون والحدائق، ج 4/ ق 2، ص 493؛ مسكويه تجارب الأمم، ج 5، ص320؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 114؛ السيوطي، كشف الصلصلة ، ص175.

(2) ابن الاثير، الكامل، ج6، ص352–353.

(3) ابن الاثير، الكامل، ج7، ص58؛ السيوطي، كشف الصلصلة، ص176.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 252؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص97؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص309.

(5) ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص309 ؛ السيوطي، كشف الصلصلة، ص176.

(6) ابن الاثير، الكامل، ج7، ص131؛ السيوطي، كشف الصلصلة، ص178.

(7) خلاط: مدينة كبيرة مشهورة قصبة بلاد أرمينية. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص381؛ القزويني، اثار البلاد، ص534.

(8) ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 317؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص131؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص326؛ السيوطي، كشف الصلصلة، ص178.

التسلط البويهي على الخلافة العباسية، بالإضافة إلى نشاط العيارين المتنامي خلال هذه الفترة التاريخية.

لقد مثلت الكوارث الطبيعية اكبر التحديات التي واجهت المجتمع العراقي بشكل عام بسبب النتائج المدمرة التي كانت تخلفها هذه الكوارث، بالاضافة الى عجز السلطة والناس عن مواجهتها والحدّ من خطورتها، وذلك لصعوبة التنبؤ بحدوثها اولاً، مما يزيد من حجم الخسائر البشرية والمادية التي تنتج عنها، ثم صعوبة التأقلم بعد الكارثة، ومعرفة حجم الدمار الذي خلفته، خاصة اذا ترافق ذلك مع قيام الفتن الطائفية والمذهبية، وتحركات العيارين والشطار، بالاضافة الى الامراض والاوبئة الفتاكة التي كانت تعصف بالناس بعد حدوث مثل هذه الكوارث.

الفصل الرابع

مظاهر الضعف الإقتصادية وأثرها على المجتمع

اولاً- الإقطاع العسكري ودوره في خراب الأرض................................. 313

ثانياً- سياسة البويهيين المالية وفرض الضرائب 326

ثالثاً- سياسة المصادرات لرجال الدولة وأثرها على المجتمع 336

رابعاً- الإسراف والتبذير في النفقات..349

خامساً- نهب دار الخلافة ودار الإمارة..354

1- نهب دار الخلافة 354

2- نهب دار الإمارة...356

اولاً- الإقطاع العسكري ودوره في خراب الأرض

انطلق البويهيون في تعاملهم مع الأرض من ممارساتهم القبلية التي ورثوها من تنظيمهم القبلي، إذ كانوا ينظرون الى الأرض على أنها ملكاً مشاعاً لكل أفراد القبيلة. لذلك يمكن ملاحظة – مع بعض الإستثناء – إهمال الأمراء البويهيين لأمر الإصلاح المتعلق بنظام الأراضي.

كانت الإقطاعات من الناحية النظرية تصنف إلى صنفين رئيسين تبعاً للحقوق المترتبة على كل صنف:

1- اقطاع التمليك: تكون ملكية هذا الصنف ملكية تامة، وقد تكون وراثية أيضاً، ويترتب على صاحب هذا الإقطاع دفع العشر.. ويعطى إقطاع التمليك من الأرض الموات لإحيائها أو من أرض توفي صاحبها دون وارث [1].

2- إقطاع الإستغلال: وهو إعطاء الأرض مقابل الإيجار أو الضمان أو المزارعة، وكان يعطى من أراضي الصوافي عادة مقابل نسبة من المحصول أو دفع مبلغ نقدي محدود. ولكن مع مجيء البويهيين أصبح إقطاع الاستغلال ناشئ عن تسلط الجند، وأصبح هذا الإقطاع يعطى لرجال الجيش من أرض الخراج، وهو إقطاع لا يورث. وكان الأساس فيه أن يستفيد، المقطع من وارده

---

[1] قدامة بن جعفر، ابو الفرج (ت329هـ/940م) الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981، ص218؛ الخوارزمي، ابوعبد الله محمد بن احمد(ت 387هـ/ 997م) مفاتيح العلوم، تقديم: جودت فخر الدين، دار المناهل، بيروت، ط1، 1991، 72؛ الماوردي، علي بن محمد (ت 450هـ / 1058 م) الأحكام السلطانية، والولايات الدينية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1؛ 1985، ص 239؛ ابو يعلى الفراء، محمد بن الحسين(ت458هـ/1065م) الاحكام السلطانية، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983، ص228؛

Lokkegaard,F.Islmic Taxation in The Clssic Period,Copenhagen,1950,pp. 58-59 ؛ سوبرنهيم (M. Sobernheim) اقطاع، دائرة المعارف الاسلامية، ج2، ص476؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، 1995، ص 47.

بالإضافة إلى استفادة الدولة منه بما يدفعه المقطع من وارد إقطاعه لها، غير ان الجند لم يدفعوا شيئاً مقابل إقطاعاتهم، كما أدى إلى أن أصبح الزراع والفلاحون تحت رحمة المقطعين العسكريين، بالإضافة إلى شلل الإدارة [1].

ومن الناحية العملية فقد قام البويهيون بتوزيع الاقطاعات دون أية التزامات مالية يؤديها المقطع، وقد بات نوع الإقطاع يعتمد على مركز صاحبه. لا على ما يصحبه من حقوق نظرية.

لقد ميّز الدوري بين أربعة أنواع من الإقطاع كانت سائدة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي هي:

1- اقطاعات مدنية: التي كانت تمنح للموظفين بدل الرواتب، فعندما يتسلم الوزير مقاليد الوزارة يعطى اقطاعات، فإذا ما عزل، أخذت منه وسلمت إلى خلفه في الوزارة [2]. ولا يفرض هذا النوع من الإقطاع أية مسؤولية على صاحبه[3].

2- إقطاعات خاصة: وهي التي كانت تمنح إلى أفراد لهم خدمات خاصة، أو قابليات خاصة، دون أن يكونوا موظفين كالشعراء والمحدثين والمغنين. ويكون لصاحبها الملكية التامة، وحق توريثها من بعده[4].

---

[1] الماوردي، الأحكام، السلطانية، ص 243؛ الفراء، الأحكام السلطانية، ص232؛ سوبر نهيم، اقطاع، دائرة المعارف الاسلامية، ج2، ص477؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 4847؛ .Lokkegaard,Islmic taxation ,pp. 58-59

[2] عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ج11، ص414؛ مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص75، 88؛ الصابئ، الوزراء، ص28؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 48- 50؛ سرور، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق، ص112.

[3] الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 48.

[4] التنوخي، نشوار المحاضرة، ج8، ص58-59؛ ص166؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 49.

3- إقطاعات الخليفة: فلما استولى معز الدولة على ضياع الخليفة، خصص للخليفة إقطاعاً خاصاً به. وكان هذا الإقطاع يشبه الإقطاع المدني، وفوق ذلك كان هذا الإقطاع في حماية الأمير البويهي وكان للخليفة كاتب يقوم بإدارة هذا الإقطاع[1].

4- إقطاعات عسكرية: مرّ الإقطاع بمرحلة عسكرية مع مجيء البويهيين إلى بغداد سنة 334 هـ / 945م. إذ وزعت الأراضي على الجند بنطاق واسع[2]. وحصل هذا التبدل نتيجة أمرين هما: أزمة الخزينة من جهة، و نظرة البويهيين للأرض من جهة ثانية[3].

لقد سلم الدوري بأن من أسباب إتباع البويهيين لسياسية الإقطاع العسكري عدم توافر النقد اللازم للإنفاق على الجيش، وأضاف سبباً آخر يتجسد في رغبة معز الدولة البويهي في ربط الجند بالأرض، ولكنه أرجع السبب الرئيسي في إتباع هذه السياسة إلى ماضي البويهيين وخلفيتهم الإقطاعية، ونظرتهم القبلية- إلى الأرض التي يسيطرون عليها بسبب الحروب- كغنيمة[4]. فقد جاءوا من بلاد الديلم حيث يسود نوع من الإقطاع القبلي وحيث رئيس العائلة الكبيرة هو السيد الإقطاعي، وكانت الدولة في نظرهم مسؤولية عائلية، وبهذا المفهوم الإقطاعي فإن توزيع الأراضي التي غلبوا عليها عن

(1) مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص286؛ ابن الاثير، الكامل، ج6، ص315؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 49؛ سرور، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق، ص112.

(2) مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص، 281، 286؛ ابن الاثير، الكامل، ج6، ص317؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 49.

(3) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 50.

(4) المرجع نفسه، ص 50.

طريق الإقطاع هو سبيل المشاركة في ثمرات الغزو. خصوصاً أن الذين بدأوا بالتمرد الذي أدى بمعز الدولة إلى سياسته الإقطاعية هم الجند الديالمة لا المرتزقة الأتراك[1].

جاءت بداية الانتشار الحقيقي لنظام الإقطاع العسكري في الدولة الإسلامية بشكله الجديد مع سيطرة البويهيين على مقاليد الخلافة العباسية سنة 334 هـ/ 945م. وقد أدت عدة عوامل إلى انتشار هذا النظام زمن البويهيين، كضعف الخلافة العباسية، وازدياد نفوذ الطبقة العسكرية، وسوء الأحوال الاقتصادية والسياسية التي أدت إلى صعوبات مالية متفاقمة.

بدأ معز الدولة البويهي بتطبيق نظام الإقطاع العسكري قبل نهاية عامه الأول في بغداد سنة 334هـ / 945م عندما تمرّد عليه الجند الديالمة – خاصة بعد أن تمكنوا من الانتصار على ناصر الدولة الحمداني – مطالبين بصرف أرزاقهم وعطائهم، حتى أنهم سبوه وشتموه، وسمع منهم كل مكروه، مما أجبره على أن يقطع لهم الوعود على تلبية مطالبهم خلال مدة زمنية حددها لهم[2]. وحتى يتسنى له الوفاء بوعده " اضطر إلى خبط الناس– أي ظلمهم بفرض الضرائب عليهم واستخراج الاموال منهم بطريقة عشوائية وغير مدروسة–، واستخراج الأموال من غير وجوهها"[3]. ويبدو أن مصادرة الناس لم تكن تكفي عطاءً للجند، خاصة وأن الناس كانوا يعانون من موجة غلاء شديدة، وارتفاع أسعار كبير؛ فلجأ معز الدولة إلى منح الإقطاعات لقادته وخاصته وللجند بدل العطاء، وكانت هذه الإقطاعات تقطع

---

(1) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 50؛ الجالودي، عليان، الاقطاع العسكري في عصر سلاطين السلاجقة الكبار ودور الوزير نظام الملك الطوسي في نشاته وتطوره429هـ/1037م–486هـ/1092م، المجلة الاردنية للتاريخ والاثار، العدد2، المجلد1، 2008، ص46.

(2) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق 2، ص 451؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 281؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 317.

(3) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق 2، ص 451؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 281؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 317.

من الضياع السلطانية وضياع المستترين وضياع ابن شيرزاد ومن أراضي الخراج، بالإضافة الى إقطاعهم حق بيت المال في ضياع الرعية- الضرائب المفروضة على الزرع[1]- وبذلك يكون الإقطاع قد شمل معظم أراضي السواد[2].

كان لسياسة الإقطاع التي انتهجها معز الدولة البويهي نتائج سلبية وخيمة على الدولة والمجتمع في آن واحد.إذ أن هذا الإجراء كان سببه فراغ الخزينة وضرورة تجهيز الأموال ونفقات الجيش، وقلة خبرة معز الدولة جرته إلى إتباع سياسة زراعية هدامة في السواد [3].

وقد تمثلت النتائج والآثار السلبية لسياسة الإقطاع العسكري في حرمان خزينة الدولة من الواردات المالية التي كانت تتحصل من الأراضي والضياع المقطعة. ذلك أن معز الدولة أقطع قادة الجيش وخواصه والجند حتى الضرائب والرسوم المستحقة على الأراضي المملوكة للناس[4]، مما يعني تحول وارد هذه الضرائب والرسوم من خزينة الدولة إلى خزينة المقطع. وكذلك فإن معز الدولة" اقطع أكثر أعمال السواد على حال خرابه ونقصان ارتفاعه وقبل عودته إلى عمارته"[5]. ذلك أن أراضي السواد خربت نتيجة للحروب والمعارك والصراعات التي شهدتها العراق، حيث دمرت القنوات والسدود، وأهملت الأرض، وهرب أكثر الفلاحين عن اراضيهم، فضلاً عن إهمال الدولة للإصلاحات المتعلقة

---

(1) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 63(هامش 166).

(2) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق 2، ص 451؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 281؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 217؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 51؛ طرخان، ابراهيم، النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى، القاهرة: دار الكتاب العربي، 1968، ص23.

(3) الدوري، دراسات، ص 262.

(4) مجهول العيون والحدائق، ج 4/ ق2، ص 451؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 281؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 217؛ الدوري، دراسات، ص 262.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 282.

بالأرض، فعندما تقطع الأرض وهي على هذه الحال فإن قيمة المردود المالي المفروض على هذا الإقطاع ستكون أقل عما إذا كانت الأرض المقطعة موصولة العمارة.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الشخص المقطع يتوجب عليه التزامات مقابل إقطاعه منها: دفع مبلغ معين لبيت المال إما نقداً أو عيناً، كما أنه يتحمل مسؤولية العناية بمنشآت الري في إقطاعه[1]. ولكن في الواقع كان المقطعون يتهربون من التزاماتهم دون أن يدفعوا لبيت المال أي مال، مما يعني حرمانه من دخل كان من المفترض أن يحمل ليسدّ العجز الحاصل في الخزينة[2].

ومما ضاعف من حجم الآثار السلبية لسياسة الإقطاع قبول بعض وزراء الدولة البويهية للوساطات والرشى حتى أعطيت الإقطاعات للمقطعين بمعدلات إيجار متفاوتة، وذلك بحسب الشخص المقطع ومدى علاقته بالوزير. ويعلق مسكويه على ذلك بقوله: " ثم سامح الوزراء المقطعين وقبلوا منهم الرشى وأخذوا المصانعات في البعض، وقبلوا الشفاعات في البعض، فحصلت الإقطاعات لهم بعبر – أي بأجور – متفاوتة"[3].

ولما كان إقطاع أرض السواد للجنود قد تمّ في وقت كانت فيه البلاد تعاني من القحط الشديد، فقد أعطيت الإقطاعات مقابل إيجار بسيط لا يتناسب وحجم الأرض المقطعة في مواسم الرخاء، ولكن بعد انتهاء موجات الغلاء والقحط " وعمرت النواحي وزاد الارتفاع في بعضها بزيادة

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 282؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 217؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 49.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 282؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 217؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 52.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 282. أنظر: الدوري، دراسات ص 262.

الغلات، ونقص في بعضها بانحطاط الأسعار" [1] فقد انقسم أصحاب الإقطاع إلى قسمين: قسم الرابحين الذين زاد ارتفاع إقطاعاتهم، فتمسكوا بهذه الإقطاعات بحيث أن الدولة لم تتمكن من استرجاعها منهم، او حتى أخذ حقوق الخزينة بكاملها عن هذه الإقطاعات. وقسم الخاسرين الذين نقص ارتفاع إقطاعاتهم، فعمدوا إلى ردّ إقطاعاتهم مقابل أن تعوضهم الدولة عنها إقطاعات أخرى أكثر ارتفاعاً[2].

لم يكن الجندي المقطع يهتم بعمارة الأرض، من حيث صيانتها او كري الانهار فيها او حتى الاهتمام بمرافقها، مما يعني خراب قسم كبير من أرض الإقطاع. ذلك لأن جلّ هم هذا المقطع هو جمع المال وحيازته بغض النظر عن الدمار والخراب الذي يلحق الاقطاع، او المعاناة التي تصيب الفلاحين الذين يعملون فيه من جراء الضرائب المفروضة عليهم، لذلك كان الجنود يختارون الإقطاعات ذات الدخل المرتفع، وفي حال خرابها بعدم عمارتها والإنفاق على إصلاحها، كانوا يقومون بردها للدولة، ويأخذون عوضاً عنها إقطاعات أكثر ربحاً حتى " صار الرسم جارياً بأن يخرب الجند إقطاعاتهم ثم يردوها ويعتاضوا عنها من حيث يختارون ويتوصلون إلى حصول الفضل والفوز بالربح"[3]. أما الإقطاعات المرتجعة فإنها كانت تعطى لكل من كان يجد في نفسه القدرة على تحصيل كل ما يجد من دخل من الإقطاع يستطيع الانتفاع منه حتى ولو على ظلم الفلاحين. وحتى يتسنى له

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 282.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 282؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 217؛ الدوري، دراسات، ص 262 –263.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 282؛ ويعلق ابن الأثير بقوله" وترك الأجناد الاهتمام بمشارب القرى وتسوية طرقها فهلكت وبطل الكثير منها " الكامل، ج 6، ص 217؛ طرخان، النظم الاقطاعية، ص23.

ذلك فإنه يقدم حساب بعض وارد إقطاعه للخزينة، ليظن أن هذا هو كل الدخل المتحصل من هذا الإقطاع، ويستولي هو على ما يتبقى، دون أن يلتفت إلى الأرض بالعمارة والعناية والإصلاح[1].

انعكست الإجراءات الإقطاعية التي اتبعها معز الدولة سلباً على الأرض الزراعية من جهة وعلى الفلاحين من جهة ثانية. ذلك لأن المقطعين لم يشرفوا على إدارة إقطاعاتهم بأنفسهم بل اعتمدوا في ذلك على غلمانهم ووكلائهم فكانوا " لا يضبطون ما يجري على أيديهم ولا يهتدون إلى وجه تثمير ومصلحة"[2]. وكم كان هؤلاء الوكلاء عرضة هم وأموالهم للمصادرة من قبل صاحب الإقطاع خاصة إذا نقص المال المتحصل من الإقطاع [3]. وحتى يعوض الوكلاء مال المصادرة كانوا يلجأون إلى الظلم والحيف بحق الفلاحين[4].

ونتيجة لتسلط المقطعين وجورهم هرب بعض الملاك أو تخلوا عن أراضيهم لصالح أصحاب الإقطاع، ليصبحوا مجرد مزارعين أو فلاحين عندهم، بالإضافة إلى انتشار نظام الحماية[5] إلى السادة الجدد ليتخلص الملاك من الظلم والتجاوز عليهم. بل إن معز الدولة البويهي نفسه طبق نظام الحماية عندما فوض لبعض كبار القادة العسكريين مسؤولية حماية بعض المناطق، فاستغل هؤلاء القادة حظوتهم لدى معز الدولة، بالإضافة الى توفر الأموال المتحصلة من هذه المناطق، فحاولوا الإستقلال بها عن الدولة المركزية، اذ اتخذوا من هذه المناطق أماكن لإقامتهم وسكنهم، وجمعوا حولهم الأتباع

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 282؛ الدوري، دراسات، ص 263.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 282.

(3) مسكويه، تجارب الأمم؛ ج 5، ص 282؛ ابن الاثير، الكامل، ج6، ص217.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 282 ؛ ابن الاثير، الكامل، ج6، ص217.

(5) الحماية : هو أن تحمى الضيعة أو القرية، فلا يدخلها عامل، ويوضع عليها شيء يؤدى في السنة لبيت المال في الحضرة أو في بعض النواحي. أنظر : قدامة الخراج، ص218؛ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص 73؛ ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص287؛ ابن الاثير، الكامل، ج6، ص217؛ السيوطي، معجم مقاليد العلوم، ص161؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص56–57.

والأقارب[1]. ومع هذا لم يكتف الجنود بما خصص لهم من واردات الإقطاع، بل أنهم تجاوزوا إلى الدخول فيما يسمى (بالتلاجي أو الإلجاء) [2]. خاصة وأن الملاك الأصليين أصبحوا عاجزين عن حماية أنفسهم من الظلم والحيف والضرائب وتسلط المقطعين، فملكوا البلاد واستطالوا على العمال، واقتنوا الأملاك، وجاروا على حقوق بيت المال وأصبحت مساحات كبيرة من الأراضي والضياع ملكاً للأجناد[3]. ويعلق مسكويه على حال الفلاحين في ظل نظام الحماية والإلجاء بقوله: " وأتت الجوائح- أي النكبات والمصائب- على التناء- أي الفلاحين والمزارعين-، ورقت أحوالهم- أي ضعفت، فمن بين هارب جال- أي نزح عن ارضه، وبين مظلوم صابر لا ينصف، وبين مستريح إلى تسليم ضيعته إلى المقطع ليأمن شره ويوافقه"[4].

أعطيت الأراضي التي لم تقطع بالضمان إلى صنفين من الناس. أما الصنف الأول فهم كبار القادة والجند الذين حرصوا كل الحرص على جمع الأموال، وحيازة الأرباح، والإدعاء أن الظلم قد لحقهم من إقطاعاتهم لكونها لا تدر دخلاً مرتفعاً، بالإضافة الى التماس التخفيف من مقدار الضمان المفروض عليهم، مما يعني حرمان الخزينة من واردات ضخمة كانت تتحصل من جراء هذه الأراضي، مما يترتب عليه عدم توفر الأموال اللازمة لإشباع جشع الأمراء البويهيين، وقلة الأموال للانفاق على

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 282-283 ؛ ابن الاثير، الكامل، ج6، ص217.

(2) التلجئة او الالجاء: أن يلجيء الضعيف ضيعة إلى قوي ليحامى عليها، او هو لجوء بعض المزارعين الى الاحتماء باسم احد كبار رجال الدولة كالوزير من ظلم الجباة على ان يدفع له مقابل ذلك مقداراً من المال في السنة. أنظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، 73؛ السيوطي، معجم مقاليد العلوم، ص163، الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص55-56؛ - العصر العباسي الاول- دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالي- مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، ص273.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 282؛ انظر: الدوري، دراسات، ص 264.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 323- 324؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص64.

الإصلاحات الاقتصادية بشكل عام. أما الصنف الثاني فهم أصحاب الدراريع[1] والمتنفذين من المدنيين الذين" كانوا أهدى من الجندي إلى تغريم السلطان والحيلة عليه في كسب الأموال"[2].

كان همُّ المقطعين ينحصر في أمرين رئيسيين، الأول: جمع المال وحيازته، والثاني: العمل على عدم تدخل الدولة في إقطاعاتهم بمعنى استقلال شبه كامل عن السلطة المركزية، وضعف سيطرة الدولة على هؤلاء المقطعين الذين تصرفوا بإقطاعاتهم برقبتها وارداتها وفلاحيها باستقلالية تامة عن تدخل الدولة. مما نتج عنه أن " تفردوا بنواحيهم، وخلوا بمعامليهم، فمن مستضعف يصادر ويغير رسمه وتنقص معاملته على قدر حاله وماله، ومن مانع جانبه، فيخفف عنه الرسوم، ويرتفق على ذلك منه بالأموال يتخذه الضامن عضداً في شدائده، وعند مناظرة سلطانه، ويصطلم المستضعفين"[3].

توسع معز الدولة البويهي في إقطاع جنوده، وزاد في نفقاتهم لدرجة الإسراف، خاصة الأتراك منهم. ذلك لأن الجند الديالمة هم الذين قاموا بحركة التمرد ضده، لذلك قرب إليه الجند الأتراك وزاد في اعطياتهم وإقطاعاتهم، على حساب ابعاد الجند الديالمة، وقد كان من نتيجة ذلك أن تضاءلت موارد الخزينة، كما أدت إلى إفلاس معز الدولة نفسه إذا تعذر عليه أن يذخر ذخيرة لنوائبه أو يستفضل شيئاً من الدخل، ولم تزل مؤونته تزيد وموارده تنقص حتى حصل عليه عجز لم يكن واقفاً على حدّ منه، بل يتضاعف تضاعفاً متفاقماً "[4]. كما نتج عن ذلك قيام الفتن والصراعات بين الجند الأتراك

---

[1] الدراريع: جمع المدرعة او الدراعة، وهي جبة من الصوف مشقوقة المقدم ويقصد بهم رجال الإدارة المدنية. انظر: الرازي، زين الدين محمد بن ابي بكر(ت بعد 666 هـ/ بعد 1268 م) مختار الصحاح، تحقيق: وسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1999، ص104؛ مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج20، ص538؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص65.

[2] مجهول، العيون والحدائق، ج4/ق2، ص451؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 282، أنظر: الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص65؛ – دراسات، ص 264.

[3] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 283، أنظر: ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 217.

[4] مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 283؛ أنظر: الدوري، دراسات ص 65، 266.

والجند الديالمة بسبب الحسد، لتقريب الأتراك واستبعاد الديالمة[1]. الأمر الذي فاقم من معاناة الناس بسبب الحروب، بالإضافة إلى الخراب والدمار الذي لحق بالأرض الزراعية بشكل خاص.

ويبدو أن معز الدولة كان يهدف من وراء سياسة الإقطاع العسكري تكوين قطائع عسكرية يربط فيها جنده بالأرض. فكانت النتيجة خراب نظام الري ودمار الزراعة[2]. لأن الحكومة المركزية عجزت عن السيطرة على الجند ولم تستطع إثبات سلطانها إلا سنة 369هـ/ 979م عند مجيء عضد الدولة[3].

توفي معز الدولة البويهي سنة 356هـ/ 966 م وقد ترك وراءه 400.000 دينار أنفقها ابنه عز الدولة بختيار الذي تولى الحكم بعد أبيه [4]. ومن شدة جهله في السياسة والإدارة " كان لا ينظر في دخل ولا خرج، وإنما يلزم وزيره تمشية الأمور من حيث لا يعينه ولا ينصره. ولا يمنع أحداً من جنده شيئاً يلتمسه، ولا يقبض يده ولا لسانه عن كل ما يفسد حاله وشأنه.... فإذا وقفت أموره قبض على وزيره واستبدل به فلا يلبث الأمر أن يعود من الالتياث والانحلال إلى أسوأ ما كان"[5]. وما ذاك إلا "الانشغاله باللهو واللعب ومعاشرة المساخر والمغنين والنساء " [6]. فطمع في السيطرة على إقطاعات كبار حاشيته وخاصة إقطاع قائد الجيش ناصر الدولة سبكتكين التركي الذي يبدو أنه كان إقطاعاً

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 323.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 282؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 217.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص282؛ ابن الأثير، الكامل،ج7، ص217؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 65.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 355، أنظر: الدوري، دراسات، ص 266.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 392، أنظر: الدوري، دراسات، ص 266. .

(6) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 35؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 220.

كبيراً، ويدر دخلاً كبيراً جداً، ثم عمد إلى نفي كبار الديلم ووجوهم خارج دولته، للسيطرة على إقطاعاتهم وأموالهم[1]. ذلك لأنهم كانوا يسيطرون على إقطاعات واسعة جداً منذ زمن معز الدولة.

أصبحت سياسة شغب الجند عادة متبعة استمرت طيلة العهد البويهي، ذلك أنهم كانوا يستغلون الظروف السياسية والاقتصادية السيئة التي تمر بها الدولة فيبدأون بالشغب والتذمر مطالبين بزيادة أرزاقهم. كما كان شغبهم يزداد في حال تولي خليفة أو أمير منصبه الجديد مطالبين بما يسمى (رسم البيعة) ولذلك كان الأمراء وحتى الوزراء غالباً ما يعملون على إرضاء الجنود بمنحهم الأموال والإقطاعات. فلما تولى أبو الفضل العباس بن الحسين[2] وزارة عز الدولة بختيار لجأ إلى مصادرة الحاشية، وأسرع في جباية الخراج قبل موعده المحدد، وكل ذلك من أجل إرضاء الجنود الديالمة، وأما الجنود الأتراك فإنه فرقهم على الاقطاعات ليحصلوا على مخصصاتهم[3].

ويبدو أن سياسة الإقطاع العسكري استمرت بالتوسع طيلة فترة الحكم البويهي. ذلك أنها استمرت زمن عضد الدولة رغم قوة سلطانه[4]. ثم توسع بعده حتى أن الأراضي الزراعية حول بغداد أعطيت بالإقطاع زمن جلال الدولة[5]. وقد توسعت الإقطاعات العسكرية على حساب الأنواع الأخرى

---

[1] مسكويه تجارب الأمم، ج5، ص 353؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 22.

[2] ابو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي: كاتب معز الدولة، ناب في الوزارة عن المهلبي، وتزوج بابنته، ثم كتب لعز الدولة، ثم وزر له سنة 357هـ/967م، ثم تقلد وزارة المطيع، فبقي فيها وزارتهما ثلاثة أشهر، ثم عمل وزارة المطيع، ثم أُمسك، ثم أعيد إلى الوزارة سنة 360هـ/970م، وعزل سنة 362هـ/972م، ثم نكب وحمل إلى الكوفة، فمات برمي الدم بعد مديدة،. وكان ظالماً عسوفاً مجاهراً بالقبائح. عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ج11، ص414، 425، 429–430؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص204، 208، 212؛ مسكويه وتجارب الأمم، ج 5،، ص 354؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج16، ص222.

[3] مسكويه وتجارب الأمم، ج 5،، ص 54؛ أنظر: الدوري، دراسات، ص 267.

[4] أبو شجاع الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج 6، ص 47؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 51.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 220؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 52. .

للأراضي، مثل الضياع الخاصة وضياع الخليفة. وقد تطرف عضد الدولة فمنح الجند إقطاعات من أراضي الوقف [1].

وقد أضاف مصطفى التواتي نوعاً جديداً من الإقطاع استحدثه معز الدولة الذي تناسب في قوته بصورة تناسبية مع ضعف السلطة البويهية، وهو ما يسميه(إقطاع المعاقل) [2]. وقد اعتمد في ذلك على ما ذكره بعض المؤرخين: " وفوض تدبير كل ناحية إلى بعض الوجوه من خواص الديلم، فاتخذه مسكناً وطعمة... وعقدت النواحي الخارجة من الإقطاعات على طبقتين من الناس... فأما القواد فإنهم حرصوا على جمع الأموال وحيازة الأرباح... ولما كثرت أموالهم وانفتقت بهم الفتوق خرج منهم الخوارج"[3].

وبناءً عليه فإن سياسة معز الدولة الزراعية الهدامة قد أضرت ضرراً بالغاً بالأراضي الزراعية، وبواردات الخزينة المالية، بالإضافة إلى أثرها السيء على الفلاحين. فقد قسم معز الدولة الأراضي إلى صنفين: صنف أعطي بالإقطاع إلى الجند – كما مر سابقاً – يتصرفون فيه كما يشاؤون، فأثقلوا الفلاحين بكثرة طلباتهم حتى صادورهم إذا عجز الحاصل[4]. كما أنهم أهملوا القنوات والطرق[5] واصاب الفلاحين والمزارعين الفقر والحاجة، وضعفت أحوالهم المعيشية. وأعطي الصنف الثاني من الأراضي بالضمان، فتفنن الضامنون في استخراج الأموال من الفلاحين بكل وسيلة؛ فزادوا

---

(1) أبو شجاع الروذراوري، ذيل تجارب الأمم،ج 6، ص46–47؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي،ص51– 52.

(2) التواتي، المثقفون والسلطة، ج1، ص 1006.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 282 – 283؛ ابن الاثير، الكامل، ج6، ص217.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 282؛ ابن الأثير والكامل، ج 6، ص 217؛ الدوري؛ دراسات، ص 278.

(5) ابن الأثير، الكامل، ص 6، ص 217.

في الضرائب، واستحدثوا جبايات جديدة، وأكثروا من مصادرة الفلاحين، ولم يعتنوا بالقنوات أو إصلاح الزراعة وتحسينها، ومنعوا الموظفين من التدخل، وجعلوا الرعية تحت رحمة جشعهم وجورهم[1].

ويمكن أن نخلص من الحديث عن سياسة الإقطاع العسكري التي انتهجها معز الدولة البويهي ومن جاء بعده من الأمراء البويهيين إلى الآثار السيئة المترتبة على هذه السياسة والتي أصابت الأرض الزراعية، من حيث عدم الاهتمام بها وعمارتها، كما طالت هذه الآثار الفلاحين بفرض الضرائب المجحفة عليهم، مما دفعهم إلى هجر قراهم ومزارعهم وإقطاعاتهم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن كثيراً من أجهزة الدولة الإدارية قد تعطلت بسبب هذه السياسة. ويعطينا مسكويه وصفاً دقيقاً لتلك الآثار بقوله: " وكانت الاصول تذوب على مر السنين، ودرست العبر القديمة، وفسدت المشارب، وبطلت المصالح، وأتت الجوائح على التناء ورقت أحوالهم" [2].

ويستطرد بالقول" فبطلت العمارات وأغلقت الدواوين، وأمحى أثر الكتابة والعمالة، ومات من كان يحسنها ونشأ قوم لا يعرفونها" [3]. ويقول في موضع آخر:" فهذه جملة الحال في ضياع الدخل، فأما الخرج فإن النفقات تضاعفت، وسوق الدواوين أزيلت، والأزمة بطلت" [4].

ثانياً– سياسة البويهيين المالية وفرض الضرائب.

تميز أمراء بني بويه بحبهم وحرصهم الشديد على جمع المال وحيازته.حيث كانوا يستطيعون جمع المال من كل وجه، وأن يدخروه حتى يكون بين أيديهم دائماً[5]. فكان ركن الدولة بن بويه صاحب

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 281؛ الدوري، دراسات، ص 279 .

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 282.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 282، أنظر: ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 217.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 283.

(5) متز، الحضارة الإسلامية، ج 1، ص 53.

الري " لا يستجيب إلى عمارة نواحيه خوفاً من إخراج درهم واحد من الخزانة، ويقنع بارتفاع ما يحصل للوقت"[1]. وقد جمع عضد الدولة بما كان فيه من حرص ثروة هائلة [2]. وكذلك ترك فخر الدولة (ت 387هـ / 997م) في العصور الأخيرة، التي لم تكن عصور الغنى العظيم، مالاً كثيراً، فقد خلف أكثر من مليونين وثمانمائة وخمس وسبعين ديناراً، ومن الورق والنقد والفضة أكثر من مائة مليون وثمانمائة وستين لألف درهماً، ومن الجواهر واليواقيت واللؤلؤ، والماس والبلور والسلاح وضروب المتاع شيئاً كثيراً. وكان شحيحاً حتى كانت مفاتيح خزائنه في الكيس الحديد مسمّراً بالمسامير لا يفارقه [3]. كما أن بهاء الدولة جمع من الأموال مالم يجمعه أحد من بني بويه، وكان يبخل بالدرهم الواحد ويؤثر المصادرات[4].

لما استولى معز الدولة البويهي على بغداد سنة 334 هـ/ 845م، أقدم على خلع الخليفة المستكفي بالله من الخلافة، لأنه ليس صنيعته، وعمل على تنصيب الخليفة المطيع لله مكانه، مما أغضب ناصر الدولة الحمداني، الذي توجه إلى بغداد على رأس جيش من الموصل، ليدافع عن الخليفة المستكفي بالله، ويمنع تحكم البويهيين الديالمة بالدولة العربية فتمكن من دخول بغداد، والتقى مع قوات معز الدولة في حرب أسفرت عن هزيمة ناصر الدولة الحمداني وجيشه. ويبدو أن أهل بغداد وقفوا إلى جانب الحمدانيين دفاعاً عن خليفتهم، وكرهاً للديالمة الشيعة، ومما يدل على ذلك ما أقدم

---

(1) أنظر: مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص377؛ الذهبي، دول الإسلام، ج1، ص 235؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص346.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص295؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج 1، ص42،50.

(3) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج 6، ص 178؛ ابن الجوزي، المنتظم ج14، ص 394؛ ابن كثير، البداية والنيابة، ج 11، ص 346، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 4،ص 200؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج 1، ص42.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص95؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج 1، ص 55.

عليه الديالمة من نهب باب الطاق وسوق يحيى وإحراقه بالإضافة إلى نهب اموال التجار، حيث قدرت قيمة ما نهبوه عشرة ملايين دينار، ولم يتوقف الديالمة عن نهب أموال الناس إلى أن تدخل معز الدولة البويهي، فارسل وزيره أبا جعفر الصيميري(1)، الذي قام بقتل بعضهم وصلب البعض الآخر حتى أمن الناس على حياتهم وأموالهم(2).

وكان من عادة الجند المطالبة بزيادة أرزاقهم كلما تجدد حكم أمير أو كلما بدأت دولة جديدة. ففي سنة 334هـ/ 945م أقام البويهيون إمارة لهم في بغداد بعد أن تمكن معز الدولة البويهي من احتلالها، فاستغل الجند فترة عدم الاستقرار السياسي الذي رافق الانتقال من فترة عصر إمرة الأمراء (324–334هـ/935–945م) إلى الحكم الوراثي للامراء البويهيين(334–447هـ/945–1055م)، بالإضافة الى الإقدام على خلع الخليفة المستكفي بالله، وتنصيب الخليفة المطيع الله، فضلاً عن نجاح جنود الجيش البويهي في الانتصار على قوات ناصر الدولة الحمداني، الأمر الذي زاد في إدلال الجند وتحكمهم حتى أقدموا على الثورة والتمرد على معز الدولة البويهي مطالبين بالأرزاق والعطاء، حتى إنهم أسمعوه من الكلام البذيء كل ما يكره؛ فاضطر معز الدولة إلى الاستجابة الى مطالبهم، فضمن لهم منحهم أرزاقهم خلال مدة حددها لهم، ولما كانت خزينة الدولة خاوية، ومعز الدولة لا يملك الأموال لإرضاء الجند الثائر فقد الجأه حتى اضطره الامر الى فرض المكوس والضرائب على الناس، ومدّ يده

---

(1) ابو جعفر الصيمري: وزير معز الدولة البويهي، كلفه معز الدولة بمحاربة عمران بن شاهين في البطائح، فاصابته حمى شديدة توفي على اثرها سنة 339/850م. مجهول العيون والحدائق، ج1/ ف 2، ص 462–463؛ مسكويه تجارب الأمم، ج5، ص 294؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 314.

(2) مجهول العيون والحدائق، ج1/ ق 2، ص 450؛ مسكويه تجارب الأمم، ج5، ص 280؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 53؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص313–316؛ ابن خلدون، العبر ، ج 4، ص 522.

إلى أموالهم وصادرها، بالإضافة إلى تحصيل الأموال من غير وجوهها، ليتسنى له تهدئة خواطر الجند[1].

عانى الناس في العراق بعامة، وبغداد بخاصة من سوء الوضع المعيشي، نتيجة مجموعة من العوامل، لعل أهمها تعديات الجند على الناس، ومصادرة الوزراء للرعية، وفرض الضرائب المختلفة لجمع الأموال اللازمة للنفقات المختلفة والكثيرة. فعندما اصبح عز الدولة بختيار اميراً للامراء سنة 356هـ/ 966 م خلفاً لوالده معز الدولة، وكان قليل الخبرة الادارية والحكمة السياسية نظراً لشغفه وحبه للمال وتبذيره له، واهتمامه باللهو والترف ومعاشرة النساء، فقد أخذ يعمل على ضرب فرق الجيش البويهي بعضها ببعض، الأمر الذي جمع الجند مع بعضهم، ووحد كلمتهم ضده، فاتفقوا على مطالبته بالأموال التي كان والده معز الدولة قد زادها لهم[2]. ولما كان الحال خلو الخزينة من الأموال وكثرة نفقات الأمير عز الدولة بختيار بحيث أصبح من المتعذر عليه الوفاء للجند بما يطلبون من أموال ولا حتى بجزء منه، فاضطر إلى إجبار وزرائه على تحصيل ما يمكن تحصيله من المال بغض النظر عن الطريقة والاسلوب والمصدر، ودون الالتفات إلى طريقة تحصيله من حلال أو حرام، بالتعدي على أموال الناس ونهبها أو بفرض الضرائب عليهم[3].

---

(1) مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق2، ص 451؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 281؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص295؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 217؛ ابن خلدون، العبر ، ج 4، ص 521 .

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 283؛ أنظر: ابن الأثير،الكامل، ج6، ص 217 .

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 354، أنظر: ابن الأثير،الكامل، ج6، ص 22– 23 .

طمع الأمير عز الدولة بختيار بأموال البصرة عامة، وبأموال عاملها أبو طاهر الحسين بن الحسن [1] لسعاية أهل البصرة عليه بسبب ظلمة لهم. فتوجه عز الدولة بختيار إلى البصرة سنة 360هـ / 970م، التي حاول عاملها ان يتقرب منه بالهدايا والتحف، وخصص له مبلغاً شهرياً يرسله اليه، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل انه ضمن لعز الدولة بختيار استخراج الاموال من البصرة عن طريق تجارها وأهلها، مقابل ان لا يتعرض له بالأذى، وابقائه في منصبه، خوفاً على نفسه، ونظراً لحب بختيار للأموال فقد أمر وزيره أبا الفضل العباس بن الحسين بمنح أبي طاهر الحسين بن الحسن صلاحيات أكبر وإطلاق يده في البصرة، فاستغل عامل البصرة هذه الصلاحيات، فبدأ بظلم الناس والتجار، فقبض على أموالهم وصادرها وتأول عليهم في محلاتهم، واستخرج منهم أموالاً كثيرة [2].

كان لاستهتار عز الدولة بختيار، وإنشغاله عن تمشية أمور دولته باللهو والترف، أن أخذ يعتمد على وزيره أبي الفضل العباس بن الحسن في توفير الأموال وصرفها على الجنود، وإرضاء طبقات الجند، ولما لم يجد الوزير أية طريقة يستطيع بها تحصيل الأموال بطرق مشروعة لجأ إلى تحصيلها بطرق مذمومة، " تقبح الأحدوثة بها وتحرم ولا تحل في شيء من الأديان"[3].

كانت النفقات التي يحتاجها الوزير أبو الفضل العباس بن الحسين للجند والحاشية أكثر بكثير من الواردات المالية. لذلك أخذ بمصادرة أموال الناس عامة، ثم صادر التجار وفرض الضرائب على محلاتهم، فبدأ بمصادرة أموال أهل الذمة، ونتيجة لعدم كفايتها لحاجته لجأ إلى مصادرة المسلمين

---

[1] ابو طاهر الحسين بن الحسن: عامل البصرة زمن الامير عز الدولة بختيار، طمع عز الدولة بماله ومال البصرة، فكان ذلك سبب في القضاء عليه وعلى جميع اهله واقاربهوكل من اتصل به وذلك سنة 360هـ/970م. مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 384–385.

[2] مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 384 – 385.

[3] مسكويه، تجارب الأمم، ج 25 ص 392؛ أنظر: الدوري، دراسات، ص267 .

فأخذ أموال الشهود ووجوه البلد، وعين له جواسيس على الناس يترصدونهم، ويتعرفون من عنده أموال فيخبرونه، ثم يعمل على مصادرتهم. حتى قامت فتنة عظيمة أخذ الناس فيها ينهبون بعضهم بعضاً[1].

ولما أصبح عضد الدولة البويهي أميراً للأمراء في بغداد سنة 369هـ/979 م بدأ العمل على اصلاح أحوال مملكته، وقد وصف مسكويه الإصلاحات التي قام بها عضد الدولة وخاصة تلك التي تتعلق بإزاله الضرائب الجائرة المفروضة على الناس. فيقول مسكويه: " وأمضيت للرعية الرسوم الصحيحة، وحذفت عنهم الزيادات والتأويلات، ووقف على مظالم المتظلمين، وحملوا على التعديل، ورفعت الجباية عن قوافل الحجيج، وزال ما كان يجري عليهم من القبائح وضروب العسف"[2]. مما يدل على أن الناس كانوا يعانون من كثرة الضرائب المفروضة عليهم، حتى أن قوافل الحج لم تسلم من بعض الضرائب والظلم.

وقد عمل عضد الدولة كذلك على زيادة مساحة الأراضي الزراعية واحداً في عشرة، وأضافه إلى الأصول وجعله رسماً جارياً حتى شمل ذلك جميع أراضي السواد، وما ذاك إلا ليزيد في مقدار ما يؤخذ على مساحة الأرض الزراعية من ضرائب حسب المساحة الجديدة [3]، وفي آخر أيامه" أحدث جنايات لم تكن، و رسوم معاملات لم تعهد"[4]. منها أنه كان يجبي دخل جميع الأراضي التي تشتمل عليها مملكته، ولا يترك لأصحابها إلا القليل، وبقي الأمر على هذه الحال إلى أن جاء صمصام الدولة

---

[1] مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 392؛ أنظر: الدوري، دراسات، ص 267.

[2] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 449.

[3] الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج 6، ص 46؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 115؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 263.

[4] الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج 6، ص 46.

وأعاد دخل هذه الاراضي لاصحابها الملاك[1]. كما فرض ضرائب على المراعي، وجعل لها ديواناً خاصاً بها، له عماله وكتابه وجهابذته وقد تعدى الأمر إلى أراضي الأوقاف، حيث سيطر عليها وعين لها عمالاً يشرفون عليها أما أصحابها فقد عوضهم عنها بإيجار يعطى لهم[2].

كان عضد الدولة لا يؤثر ولا يحبذ سياسة المصادرات لرجال دولته، إلا أنه كان يستعيض عن المال المتحصل منها بفرض واستحداث ضرائب ومكوس جديدة. منها أنه فرض ضرائب على كل ما يباع في أسواق الدواب والحمير والجمال[3]. كما فرض ضرائب أخرى على البضائع الصادرة والواردة بحيث أصبحت أعلى من الرسوم القديمة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أنه عمل على إتباع سياسة الاحتكار، ونافس الرعية في مكاسبهم، مما أدى الى اختلال النظم في الدولة. إذا احتكر صناعة الثلج وتربية دودة القز لإنتاج الحرير، نظراً لما تدره هاتان الصنعتان من أرباح طائلة[4]. حتى وصفه ابن الأثير أنه "كان يتوصل إلى أخذ المال بكل طريق"[5]. ويبين الماوردي العلل الناتجة عن مزاحمة الملوك والحكام للرعية في التجارة بقوله:" فإن زاحموا العامة في درك مكاسبهم، أوهنوا الرعايا ودنسوا الممالك، وعاد وهنهم عليها فاختلّ نظامها، واعتلّ مرامها"[6].

---

(1) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم ، ج 6، ص 46.

(2) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج 6، ص 46– 47؛ التواتي، المثقفون والسلطة، ج1، ص 91؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 58.

(3) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج 6، ص 47 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 115.

(4) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج 6، ص 47؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 115؛ متز الحضارة الإسلامية، ج 1، ص 236 .

(5) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 115؛ أنظر: متز، الحضارة الإسلامية، ج1، ص 50.

(6) الماوردي، قوانين الوزارة، تحقيق: فؤاد عبد المنعم احمد ومحمد سليمان داود، الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ط3، 1991، ص65.

ومما يدلّ على مدى حبّ عضد الدولة للمال وحرصه على جمعه، أن دخله السنوي بلغ ثلاثمائة مليون وعشرين الف درهم، فأراد أن يكون دخله ثلاثمائة وستين مليون درهم سنوياً، ليكون دخله كل يوم مليون درهم. ولعله زاد في بعض الضرائب والمكوس حتى يبلغ ذلك[1].

ولم يبقِ أمراء بني بويه وجهاً من الوجوه ولا باباً من الأبواب إلا فرضوا عليه الضرائب الجائرة، وذلك عائد بطبيعة الحال الى خلو الخزينة من الأموال، وطمع الأمراء البويهيين ووزرائهم، وجشع الجند، مما أرهق الناس وزاد في معاناتهم، فعندما تولى صمصام الدولة أمور الدولة بعد وفاة عضد الدولة سنة 372هـ / 982 م، عمل على إلغاء الضرائب والرسوم التي كانت مفروضة على الطواحين التي تطحن الحبوب، وأعاد الناس على رسومهم القديمة[2]. وفي ذلك دلالة على ان أمراء بني بويه الذين سبقوا صمصام الدولة كانوا يفرضون الضرائب على الطواحين وطحن الحبوب.

ولما تولى أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان[3] وزارة صمصام الدولة سنة 373 هـ / 983م، ابتدأ عهده بفرض ضريبة – وهي أشبه ما تكون بضريبة الدخل في أيامنا هذه – مقدارها عشر دخل الأولياء والكتاب والحواشي[4] وقد ترافق فرض هذه الضريبة مع ارتفاع الأسعار مما آثار العامة في بغداد معبرين بذلك عن رفضهم لسياسة البويهيين المالية، فرجموا الوزير بالحجارة وهجم الجند الديالمة على داره لنهبها ولم يهدأ الحال إلا بعد أن تدخل الأمير صمصام الدولة شخصياً[5].

---

(1) أنظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 294؛ الذهبي تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات 350 – 380 هـ) ص524؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 226.

(2) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج 6، ص 50؛ التواتي، المثقفون والسلطة، ج 1، ص 94. .

(3) ابو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان: كان رجلاً كريماً، باذلاً لعطائه، ويحتجب عن الناس كثيراً، ولا يرى الا عند نزوله من داره الى قاربه، ومع ذلك كان لا يخيب طالب الاحسان. تولى وزارة صمصام الدولة سنة 373ه/983م، وقبض عليه سنة 374ه/984م. بقي في السجن الى ان امر صمصام الدولة بقتله سنة 375ه/985م. انظر: الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج6، ص54؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص122.

(4) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج 6، ص 54؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 227.

(5) الروذراوري، ذيل تجارب الأم، ج 6، ص 54؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 166.

وفي سنة 375 هـ/ 985م فرض صمصام الدولة ضريبة جديدة على المنسوجات الحريرية والقطنية التي تنسج في بغداد ونواحيها، وذلك بسبب كثرة المال المتحصل من وراء فرضها، وقد كان مقدار هذه الضريبة عشر الثمن بعد بيعها. مما تسبب في هياج السكان، واجتمعوا في جامع المنصور، وعزموا على قطع صلاة الجمعة، وكاد الأمر يتحول إلى ثورة شعبية عارمة، قد تتحول إلى فتنة مذهبية، مما اضطر صمصام الدولة إلى الرضوخ الى مطالب الناس فأمر بإلغائها[1].

ويبدو أن الدولة البويهية لم تستفد من الدروس والعبر عندما حاول صمصام الدولة فرض ضريبة العشر على المنسوجات في بغداد سنة 375هـ / 985 م. ذلك أن الوزير أبو نصر سابور[2] حاول فرض ضريبة العشر على المنسوجات الحريرية والقطنية المنسوجة ببغداد سنة 389هـ/ 998 م، فثار الناس ومنعوا إقامة صلاة الجمعة في المسجد الجامع، ثم هاجموا دار الوزير أبي نصر سابور، الا ان الحراس منعوهم من الوصول اليها ودخولها، فتوجهوا إلى مقر كتاب وممثلي السلطة البويهية، وأشعلوا النار فيها حتى احترقت، واحترق كل ما فيها. وكان من نتائج هذه الانتفاضة الشعبية أن أقدمت السلطة البويهية على إعدام أربعة أشخاص أتهموا في إثارة الشغب، وبقيت الضريبة على المنسوجات، حيث انشئ لهذه الضريبة ديوان خاص، وتم تعيين عدد من الموظفين لتحصيلها[3].

---

(1) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج6، ص 72؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص 311؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 128؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 325؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج1، ص 236–237؛ الزبيدي، محمد حسين، العراق في العصر البويهي– التنظيمات السياسية والادارية والاقتصادية 334هـ–447هـ/945م–1058م، القاهرة: دار النهضة العربية، 1969، ص246.

(2) ابو نصر سابور: تولى الوزارة سنة 380هـ/990م، ثم قبض عليه بهاء الدولة سنة 381هـ/991م، ثم اطلقه حبث التجأ الى البطيحة مستتراً. وفي سنة 383هـ/993م عاد لتدبير امور الوزارة. ثار ضده الجند الديالمة بسبب الأزمات الإقتصادية وغلاء الأسعار وفساد النقد، كما تقلد الوزارة مرة اخرى سنة 386هـ/996م. أبو شجاع الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج 6، ص 111، 115، 11–152، 163؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 363، 366، ابن الأثير الكامل، ج7، ص 451.

(3) الصابئ، تاريخ، ج 7، ص 4؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 166؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج1، ص 237؛ الزبيدي، العراق في العصر البويهي، ص246.

وفي سنة 421 هـ / 1030م وقعت مناوشات بين جنود الدولة البويهية والسكان بسبب الضرائب التي فرضها الوزير أبو علي بن ماكولا[1] – وزير جلال الدولة البويهي – فقد ذكر ابن الأثير أن الوزير ابن ماكولا " أحدث في ولايته رسوماً جائرة، وسنّ سنناً سيئة، منها جباية سوق الدقيق ومقالي الباذنجان، وسميريات[2] المشارع، ودلالة ما يباع من الأمتعة، وأجر الحمالين الذين يرفعون التمور إلى السفن، ومما يعطيه الذباحون لليهود" [3].

لم يبقِ البويهيون على أية سلعة من السلع إلا وقد فرضوا عليها الضرائب، حتى الملح وهو مادة اساسية في المجتمع لم يسلم من فرض ضريبة عليه، مما اثار تذمر الناس وشكواهم. ذلك أن الدينوري الزاهد[4] طالب جلال الدولة البويهي بإلغاء ضريبة الملح وذلك سنة 425هـ/1033م، بعد أن بيّن له الآثار السلبية التي لحقت بالناس من جراء فرض هذه الضريبة، ذلك أن الملح لا يستغنى عنه في كل بيت. وقد قدرت قيمة الضريبة المجباة من الملح بنحو ألفي دينار في السنة، كانت يذهب ريعها الى الخاصة، فامتثل جلال الدولة لهذا الطلب وأمر بإلغائها، بل زاد في الأمر أن كتب على أبواب الجوامع بلعن من يتعرض لإعادة هذه الضريبة[5].

---

[1] ابو علي الحسن بن علي بن ماكولا: وزر لجلال الدولة البويهي ولقبه علم الدين سعد الدولة امين الملة شرف الملك سنة 416هـ/1023م، وهو اول من لقب بالالقاب الكثيرة من الوزراء. قتل على يد غلام وجارية له بالاهواز سنة 422هـ/1031م. ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص170، 221، 272؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص323؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص35–36؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص276.

[2] السميرية: نوع من انواع السفن. انظر: الصفدي، تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، تحقيق: السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1987، ص319.

[3] ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 350؛ الزبيدي، العراق في العصر البويهي، ص246 .

[4] الدينوري: محمد بن عبيد الله، ابو بكر. كان خشن العيش، وكان ابن القزويني يثني عليه، وكان جلال الدولة صاحب بغداد يزوره، وقد سأله مرة أن يطلق للناس مكس الملح، وكان في السنة ألفي دينار، فتركه من أجله، ولما توفي اجتمع أهل البلد لجنازته، وصلي عليه مرات. توفي سنة 430هـ/1038م. ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 240؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص51.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 240؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج29، ص30؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص46؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 166؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج 1، ص 237 ؛ الزبيدي، العراق في العصر البويهي، ص246.

ثالثاً- سياسة المصادرات لرجال الدولة وأثرها على المجتمع.

اعتمدت الدولة العباسية طريقة جديدة في الحصول على المال لا تخرج عن إطار الابتزاز والغصب، وهي طريقة المصادرات التي أصبحت عملة رائجة خاصة في القرن الثالث الهجري ومطلع القرن الرابع/ التاسع والعاشر الميلاديين.

ففي هذه الفترة لم يكد يسلم من شر المصادرات صاحب مال سواء كان تاجراً أو وزيراً أو من كبار الموظفين، ونظراً إلى أهمية وكثرة الأموال المتأتية من هذا الباب ظهر ديوان خاص عرف بديوان المصادرات[1].

كانت المصادرات في الدولة العباسية تنشأ نتيجة مجموعة من العوامل منها العوامل السياسية أو الشخصية، غير أن المصادرات فيما بعد أصبحت تتم بسبب الطمع في أموال المصادرين نظراً للأزمات المالية التي كانت تعاني منها الدولة، لذلك فإن المتتبع لحالات المصادرة يجد أنها قد وقعت في ظل أزمات مالية خانقة، كانت الدولة فيها بأمس الحاجة إلى الأموال لسد نفقاتها، ولسد طلبات الجند المتكررة المطالبة دائماً بأرزاقها[2].

بدأت أولى المصادرات في الدولة البويهية عندما قبض معز الدولة البويهي على الخليفة المستكفي بالله وعزله عن الخلافة سنة 334 هـ / 945م ذلك أنه اتهم قهرمانة الخليفة (علم) بالتدبير

---

(1) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق1، ص 157؛ الصابئ، الوزراء، ص 337 – 338؛ التواتي، المثقفون والسلطة، ج 1، ص 28. لمعرفة المزيد عن ديوان المصادرات أنظر: السامرائي، حسام الدين، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية خلال الفترة 247– 334هـ/861–945م، دار الفكر العربي، ص 286 فما بعد.

(2) مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق 2، ص 432 – 433؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 276، 284؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 150؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 315. ويذكر ابن الجوزي أنه" صودر خواصه – أي المستكفي – فأخذ منهم ألوف كثيرة" المنتظم" ج 14؛ ص 46.

للتخلص منه بالاتفاق مع الخليفة وبعض كبار رجال الدولة، فألقى القبض عليها، وسلمها إلى أبي جعفر بن شيرزاد الذي صادرها على أربعين ألف دينار بعد أن سملها وقطع لسانها[1].

بدأت سياسة المصادرة في الدولة البويهية تؤتي ثمارها في عهد الأمير معز الدولة عندما صادر كاتبه أبا جعفر بن شيرزاد. فعندما دخل معز الدولة بغداد سنة 334 هـ/ 945م كان ابن شيرزاد يشغل منصب أمير الأمراء [2]. فخاف على نفسه واستتر إلا أن معز الدولة أستأذن الخليفة المستكفي بالله أن يتخذه كاتباً شخصياً له، فأذن له بذلك، فولاه الخراج وجباية الأموال[3]. ويبدو أن ابن شيرزاد كان قد جمع من وراء عمله هذا أموال طائلة مما أطمع معز الدولة فيه. بالإضافة إلى وقوف ابن شيرزاد إلى جانب ناصر الدولة الحمداني في حربه لمعز الدولة البويهي[4].

ولما تمّ توقيع معاهدة صلح بين معز الدولة البويهي وناصر الدولة الحمداني سنة 334هـ / 945م دون علم الجند الأتراك الذين وقفوا إلى جانب الحمدانيين، ثاروا على ناصر الدولة وتمردوا عليه حتى قرروا القبض عليه، فاستعان ناصر الدولة على حربهم بمعز الدولة وجيشه، ثم قبض على أبي جعفر بن شيرزاد الذي كان يقف إلى جانبه تعبيراً منه على الوفاء للصلح مع معز الدولة. ثم أرسله إلى بغداد موكلاً به، فصادره معز الدولة على مبلغ من المال قدره خمسمائة ألف

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 276؛ عريب، صلة تاريخ الطبري، ج11، ص 354؛ ابن الأثير. الكامل، ج6، ص 315.

(2) مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق2، ص 426؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص274.

(3) مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق2، ص 431؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 276.

(4) مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق2، ص 432.

درهم، ثم سلمه إلى الوزير أبو جعفر الصيمري، الذي أمر بضربه بالمقارع لاستخراج أموال المصادرة منه. بالإضافة إلى توزيع ضياعه بين الجند كإقطاع لهم[1].

ولما قعت الحرب بين معز الدولة وأبي القاسم البريدي – صاحب البصرة آنذاك – سنة 336هـ/ 947م [2] تمكن جيش معز الدولة من الانتصار على البريدي وجيشه، وهرب أبو القاسم البريدي على أثرها إلى هجر، وقبض معز الدولة على جميع قواد البريدي بالبصرة، وصادر أمواله وودائعه، واستولى على خزائن أمواله وصادرها جميعها[3].

ولما توفي الوزير أبو جعفر الصيمري سنة 338 هـ / 949م طمع أبو علي الحسن بن محمد الطبري [4] في الوزارة، ولما كان معز الدولة في حاجة ماسة للأموال للإنفاق على الجنود، فقد بذل له الطبري مبلغ خمسمائة ألف دينار مقابل أن يجعله وزيراً له، ووسط والدة معز الدولة من اجل ذلك، وطلب منه معز الدولة تقديم مائتي الف درهم على سبيل الهدية، واستبقى عشرين الف درهم يقدمها بعد

---

(1) مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق2، ص 454؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 288؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 158 (ويذكران ابن شيرزاد صودر على مائة وثمانين ألف درهم)؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 324.

(2) ابو القاسم البريدي: عبد الله بن ابي عبد الله، تولى البصرة بعد وفاة ابيه سنة 332هـ/943م، ولما سيطر معز الدولة البويهي على بغداد سنة 334هـ/945م عقد له ضمان واسط مقابل مبلغ مليون وستمائة الف درهم، ولما حاول البريدي الاستقلال بالبصرة حاربه معز الدولة واستولى على البصرة، ثم على اموال وودائع وخزائن البريدي، هرب البريدي على اثرها الى هجر. توفي سنة 349هـ/960م. مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق2، ص 422، 446، 456–457؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 264–265، 277، 288، 327؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 179؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 258، 324–325.

(3) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق2، ص 456؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 288؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 160؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 325.

(4) ابو علي الحسن بن محمد الطبري: كان في اول امره رجلاً امياً، نخاساً يبيع الرقيق، اصبح عاملاً على الاهواز، طمع ان يكون وزيراً لمعز الدولة البويهي بعد وفاة الوزير الصيمري، ودفع اموالاً طائلة مقابل ذلك. فاخذ معز الدولة الاموال ولم يجعله وزيراً. مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص295 ؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 162.

حصوله على الوزارة، الا أن معز الدولة طمع بماله كله، وطلب منه استيفاء المتبقي منه، عندها أدرك الطبري أنه خدع، وتنكر له معز الدولة بعد أن تمكن من المال[1]، وقلّد أبا محمد المهلبي[2] الوزارة سنة 338هـ/949م [3]. وقد وصف الهمذاني هذه المصادرة بقوله: " من أعظم المصادرات، مصادرة معز الدولة لأبي علي الحسن بن محمد الطبري"[4].

وهذا صاحب الشرطة المعروف بالإبزاعجي[5] فقد تعرض لسياسة المصادرة عليه مرتين متتاليتين. ففي سنة 343هـ / 954 م عزل الإبزاعجي عن الشرطة ببغداد، وعين مكانه نقيب الأتراك (تكينك)، [6] فاعتقل وصودر على ثلاثمائة ألف درهم. وقد كان عرض عليه أن يبقى في عمله مقابل أن يدفع مبلغ أربعين ألف درهم. بالإضافة إلى منحه اقطاعاً، إلا أنه رفض خصوصاً بعد أن أشار عليه أحد أصحابه – أبو علي الخازن- ألا يلتزم بدفع شيء مما يطالب فيه حتى لا يُطمع فيه. فاضطر الابزاعجي إلى دفع المال. ثم قبض عليه صاحب الشرطة تكينك مرة أخرى، فعذبه ثم صادره على مبلغ مائتين وخمسين ألف درهم[7].

---

(1) الحموي، معجم الادباء، ج3، ص981.

(2) الحسن بن محمد المهلبي: ابو محمد، من ولد المهلب بن ابي صفرة، بدأ حياته كاتباً لمعز الدولة في بغداد، تولى الوزارة سنة 339هـ/950م، خوطب بالاستاذية تقديراً له. مات وهو يتولى وزارته سنة 352هـ/963م. مسكويه. تجارب الأمم، ج5، ص 335-336؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص142-143؛ الحموي، معجم الأدباء، ج3، ص976؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص197-198؛ الكتبي، الوافي بالوفيات، ج1، ص353 فما بعد؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11 ص257.

(3) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج7، ص 163؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 295؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 163.

(4) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري؛ ج1، ص 163.

(5) الإبزاعجي: قلده معز الدولة الشرطة في بغداد، ثم عزله عنها وصادره على مبلغ كبير من المال سنة 343هـ/954م، وفي سنة 345هـ/956م قلده الشرطة في واسط. مسكويه. تجارب الأمم، ج5، ص 314-316؛ ابن الاثير، الكامل، ج6، ص347.

(6) تكينك: نقيب الاتراك، تولى شرطة بغداد سنة 343هـ/954م. مسكويه. تجارب الأمم، ج5، ص 314؛ ابن الاثير، الكامل، ج6، ص347.

(7) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 314؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 347.

كما لم تسلم أموال التركات والمواريث من مصادرات البويهيين، ذلك أنه لما توفي موسى فياذة بالأهواز سنة 343هـ/ 954 م، وكان صاحب مال. وعلم معز الدولة بخبر وفاته، أرسل وزيره أبا محمد الصيمري لحيازة تركته. فكان مجموع ما صادره من تركته خمسمائة ألف دينار بين مال نقدي وعيني" كان الشطر منها مالاً صامتاً، والشطر الآخر من أثمان غلات وزيادات في عقود من نواحيه، كان فيها فصل من مصادرات أسبابه ومتصرفه"[1]. أما ابنه ليلى بن موسى[2] فلم يجد من تركة أبيه إلا ما قيمته مائة ألف دينار من دواب ومراكب وغلمان وسلاح [3]. كما يذكر بعض المؤرخين أن أحد الأثرياء ويدعى دعلج[4] توفي في بغداد سنة 351 هـ/ 962م وترك وراءه ثلاثمائة ألف مثقال ذهب، فاستولى معز الدولة عليها [5].

وفي سنة 350 هـ / 961م صادر معز الدولة كبار موظفيه لتغطية النفقات التي أحتاج إليها لبناء قصره في بغداد " فصادر جملة أسبابه وقبض على جماعة منهم أبو علي الخازن النصراني وأبو

[1] مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق2، ص 473؛ أنظر: الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 169.

[2] ليلى بن موسى بن فياذة: كلن أحد قادة جيش عز الدولة بختيار لما ثار عليه أخوه الحبشي في البصرة. كان عند وفاة أبيه سنة 343هـ/ 954 م أحد القادة الذين تم إرسالهم إلى الري. أنظر، العيون والحدائق، ج4/ ق2، ص 473؛ مسكويه، تجارب الامم، ج5، ص358.

[3] مجهول العيون والحدائق، ج 2/ ق2، ص 473.

[4] دعلج بن أحمد بن دعلج السجزي- او السجستاني-: المحدث العدل، ولد سنة 260هـ/873م، كان كثير المال، حتى قيل ان الذهب عنده بالقفاف، اشترى دار العباس في مكة بثلاثين الف دينار. توفي سنة 351هـ/962م. أنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج8، ص383 فما بعد؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 182-183؛ الذهبي، العبر، ج2، ص87؛ - تاريخ الاسلام، ج26، ص53-55؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص260.

[5] انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج8، ص383 فما بعد؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 182-183؛ الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص 222.

مخلد وأبو الفرج محمد بن العباس صاحب الديوان وعلى أبي الفضل العباس بن الحسين الشيرازي وأبو سهل ديزويه صاحب ديوان الجيش" [1].

وكانت تكلفة بناء القصر الذي ينوي معز الدولة بناءه ما قيمته ثلاثة عشر مليون درهم، وقد اضطر لمصادرة موظفيه لتغطية مصاريف بنائه[2]. حتى " لحق الناس في هذه الصقع شدة شديدة في التنزل عليهم"[3].

وكثيراً ما كان أصحاب كبار رجال الدولة وموظفيهم ما يتعرضون للمصادرة بعد وفاة أصحابهم. ففي سنة 350 هـ/ 961م توفي قاضي القضاة أبو السائب عتبة بن عبيد الله[4]، فصودرت جميع املاكه، كما صودر غلامه محمد الحاجب[5]. ، بعد أن ضربه الوزير أبو محمد المهلبي ضرباً كاد يتلفه [6]. وقد ذكر الهمذاني أن قاضي القضاة أبا السائب قد صودر على مائة ألف درهم، وذلك قبل وفاته[7].

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 329 ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 132 ولمعرفة تفاصيل مصادرة كل واحد من المذكورين راجع: تجارب الأمم، ج 5، ص 329؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 361.

(2) مجهول، العيون والحدائق، ج 4، / ق2، ص 500؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 329؛ الهمذاني، تكلمة تاريخ الطبري، ج 1، ص 179؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 359.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 14ن ص 63.

(4) القاضي أبو السائب عتبة بن عبيد الله، الهمذاني: اتصل بابن أبي الساج وتولى قضاء مراغة ثم تقلد قضاء أذربيجان كلها ثم تقلد قضاء همذان. ثم سكن بغداد واتصل بالدولة وعظم شأنه إلى أن ولي قضاء القضاة بالعراق سنة 338 هـ/ 949م، وهو أول من ولي قضاء القضاة بالعراق من الشافعية. توفي سنة 350هـ / 961م. أنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 12، ص 316 – 318 الذهبي، تاريخ الإسلام، الحوادث ووفيات 341 – 350هـ)، ص 446 – 447.

(5) محمد الحاجب: غلام قاضي القضاة أبي السائب كان عاهراً يتعرض لحرم الناس، وكان مرسوماً بجحبة قاضي القضاة، فكان لا يمتنع عليه من لها خصومة أو حاجة عند قاضي القضاة. وكان جميلاً مقبول الصورة، ويتصنع مع ذلك، ويتهم بفواحش مع صاحبه. أنظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، 329؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 361.

(6) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 329؛

(7) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 179.

وقد بلغ الأمر بمعز الدولة البويهي في حبه للمال أن صادر أموال وزيره أبي محمد المهلبي يوم وفاته سنة 352هـ /963 م، دون أن يراعي كل الخدمات الجليلة التي قدمها الوزير للدولة البويهية بشكل عام، ولمعز الدولة بشكل خاص. فأمر معز الدولة" أن يحتاط على تركته وأسبابه... وقبض على كتابه وأسبابه... وقبض على عياله وولده ومن دخل يوماً إليه مثلاً... وصودروا حتى المكارين والملاحين الذين كانوا يخدمون حاشيته، وجرى من ذلك ما لا جرى مثله إلا على عدو مكاشف، واستفظع الناس ذلك واستقبحوه لمعز الدولة"[1].

وفي عهد الأمير عز الدولة بختيار لم يسلم أحد من وزرائه وولاته وقادته وأسبابه من المصادرة[2]. حتى بلغ به الأمر إلى مصادرة الخليفة نفسه، وذلك على أثر مطالبة عز الدولة بختيار للخليفة بالأموال للإنفاق على جهاد الروم الذين توغلوا داخل ديار الإسلام حتى وصلوا إلى نصيبين سنة 361هـ/971م. ووصل الأمر بعز الدولة بختيار إلى أن هدد الخليفة المطيع لله بضرورة توفير الأموال. فأجابه المطيع إجابة يتضح معها زوال سلطته ونفوذه بقوله: " الغزو يلزمني إذا كانت الدنيا في يدي، والي تدبير الأموال والرجال، وأما الآن وليس لي منها إلا القوت القاصر عن كفائي وهي في أيديكم وأيدي أصحاب الأطراف، فما يلزمني غزو ولا حج، ولا شيء مما تنظر الأئمة فيه، وإنما لكم مني هذا الاسم الذي يخطب به على منابركم، تسكنون به رعاياكم، فإن أحببتم أن اعتزل اعتزلت عن هذا المقدار أيضاً

---

[1] مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 336؛ أنظر: التنوخي، نشوار المحاضرة، ج 4، ص 50 – 51؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري،ج 1، ص 185(لديه تفاصيل محاسبة كاتبه وجاريته)؛ ابن الأثير، الكامل ج7، ص 6؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص 382؛ متز الحضارة الإسلامية، ج 1، ص 58.

[2] الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 27.

وتركتكم والأمر كله" [1]. فلجأ عز الدولة بختيار الى تهديد الخليفة، مما اضطر الخليفة إلى بيع ثيابه وأثاثه لتوفير مبلغ أربعمائة ألف درهم. أخذها عز دولة بختيار، وصرفها في مصالحه الخاصة حتى شاع بين الناس أن عز الدولة بختيار صادر الخليفة المطيع لله[2].

وفي سنة 357هـ / 967 م أعلن الحبشي بن معز الدولة التمرد والعصيان على أخيه عز الدولة بختيار، حيث طمع بالاستقلال بالبصرة، وجرت الحروب بين الطرفين، أسفرت عن انتصار جيش عز الدولة بختيار بقيادة الوزير أبي الفضل العباس بن الحسين الذي تمكن من السيطرة على البصرة بالقوة، فصادر أصحاب الحبشي وكتابه وحاشيته ومعامليه، كما صادر جميع الأموال التي كان الحبشي قد أخذها من البصرة، وسيطر على خزائن الأموال والجواهر التي كانت تحتوي على أموال طائلة، وحتى خزانة الكتب الخاصة بالحبشي لم تسلم هي الأخرى من المصادرة، بالإضافة إلى خزائن الأسلحة والفرش والثياب الفاخرة والآلات[3].

استعان الوزير أبو الفضل العباس بن الحسين بكاتب الفارسية شيرزاد بن سرخاب في الوصول إلى الوزارة، ذلك أن شيرزاد" كان متمكناً من بختيار قريباً منه، يسمع كلامه، ويتدبر برأيه"[4]. "فأسرف في التجبر وكثر تعلقه بالأموال والتلاجي، وشره إلى إكتساب الأرباح من غير وجوهها"[5]. وكان عز الدولة بختيار لا يخرج عن مشاورته في كبير الامور وصغيرها، فاستغلّ شيرزاد حظوته عند بختيار، فمنع عطايا الجند الديالمة والأتراك، واتفق مع بختيار على القبض على قائد الجيش سبكتكين الحاجب

---

[1] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 392؛ عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ج 11، ص 428.

[2] مسكويه، تجارب الأمم،ج 5، ص392؛ الهمذاني، تكلمة تاريخ الطبري،ج1، ص211؛ ابن الأثير، الكامل،ج7، ص 45.

[3] مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 359 – 360؛ الهمذاني، تكلمة تاريخ الطبري، ج 1، ص 199؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 26– 27.

[4] مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 354.

[5] المصدر نفسه، ج 5، ص 364.

ومصادرة أمواله، كما كان يخطط على أن يتقلد قيادة الجيش البويهي ويتلقب بلقب الاصفهسلار بدلاً من سبكتكين، الامر الذي سبب العداوة والبغضاء بينه وبين الجند والكتاب، لدرجة ان الوزير أبو الفضل عاداه خوفاً من انقلابه عليه. فاتفق عز الدولة بختيار مع شيرزاد أن يخرج من بغداد حتى تتصلح النوايا ثم يعود بعدها إلى عمله، وما أن خرج من بغداد حتى سارع عز الدولة بختيار إلى قبض إقطاعه وضياعه، وصادر أملاكه وجواريه ودوره، ونكب كاتبه وموظفيه، وصادر أمواله وودائعه. وأخذ قصره واقطاعه ومنحه لابنه سلار بن عز الدولة وذلك سنة 358 هـ / 968 م[1].

ولم يكد يمضي سوى شهرين على نفي شيرزاد حتى قبض عز الدولة بختيار على وزيره أبي الفضل العباس بن الحسين. كما قبض على كتابه وموظفيه، وصادر جميع أموالهم وأملاكهم[2]. وكان الوزير الجديد أبو الفرج محمد بن العباس قد ضمن لعز الدولة بختيار أن يستخرج من العباس بن الحسين ومن كتابه وموظفيه وأصحابه مبلغ تسعة الآف ألف درهم مقابل أن يتقلد الوزارة[3].

أما صاحب واسط أبو قرة [4] فقد تظلم أهلها إلى الأمير عز الدولة بختيار وأعلموه" أنه قد أخرب بلادهم وأفقرهم وظلمهم وغشمهم وصادرهم وملك عليهم ضياعهم، وأنه استحل منهم ما حرمه الله، وصححوا عنده سعة حالة وكثرة ماله وجلالة ضياعه"[5]. فعزله عز الدولة بختيار عن واسط وعين مكانه أبا طاهر بن بقية – قبل أن يصبح وزيراً – وحتى يضمن ابن بقية عدم عودة أبي قرة إلى واسط؛

---

[1]مسكويه، تجارب الأمم ، ج 5، ص 366.

[2] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 366؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، تص 204؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 36.

[3] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 367 – 368.

[4] أبو قرة: هو رجل من دير قنى، حسن الذكاء، نشأ بين كتاب واسط وعمالها وتخرج معهم. ولم يزل يتدرج في المناصب حتى تقلد واسط رئاسة من قبل السلطة، فاقتنى أموالاً جليلة وصارت له نعمة ضخمة وكان شديد الجرأة على السلطان، يقدم على أمواله أقداماً لا يقدم عليه غيره. أنظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 366.

[5] مكسويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 381.

اتصل بسهل بن بشر النصراني[1]، الذي ضمن دفع اموال طائلة لعز الدولة بختيار مقابل تسليمه أبي قرة، ومن شدة جشع عز الدولة بختيار وحبه للمال قبض على أبي قرة وعلى كتابه وجميع موظفيه، وصودرت أمواله، وقبضت ضياعه وغلاته، ولكن من شدة دهائه وذكائه سارع إلى التزام مصادرته ومصادرة موظفيه وأصحابه مقابل أموال كثيرة يدفعها لعز الدولة بختيار، الأمر الذي أغرى عز الدولة بختيار، وأعاده إلى عمله السابق[2].

كان من النتائج الوخيمة التي نتجت عن سياسة المصادرة والتي تأثر بها بعض افراد المجتمع، أن أدت هذه السياسة الى اندثار بعض الأسر وهلاكها، كما هو حال أسرة أبي طاهر الحسين بن الحسن. ففي سنة 360 هـ / 970 م هلك عامل البصرة أبو طاهر الحسين بن الحسن وكل من أتصل به من أخوانه وزوجته وأقاربه حتى " عفت آثارهم وزالت نعمهم ولم يبق منهم على وجه الأرض نافخ خرمه"[3] . فقد طمع الأمير البويهي بكثرة أموال أبي طاهر الحسين بن الحسن، فتوجه إلى البصرة، فتودد اليه عاملها ابو طاخر بالهدايا والتحف خوفاً على منصبه، وضمن له تحصيل أموال من البصرة عن طريق رسوم وضرائب يفرضها على التجار والمعاملين، فأعجب ذلك عز الدولة بختيار، وأمر وزيره أبا الفضل العباس بن الحسين بمنح أبي طاهر صلاحيات أكبر. "فبسط العامل يده في القبض على التجار والعوام وتأول عليهم بالمحال، واستخرج منهم أموالاً كبيرة"[4]. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن أبا طاهر طمع بالوصول إلى منصب الوزارة بعد أن ظنّ أنه استوثق من عز الدولة بختيار بما بذله له من الأموال، فخاف الوزير أبو الفضل العباس بن الحسين من طموحاته، وأخذ يدبر له المكائد

---

(1) كاتب بختكين أزاذرويه، وكانت بينه وبين أبي قرة عداوة. أنظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 381.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص ت381.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 384.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 385؛ التواتي، المثقفون والسلطة، ص92 – 93.

والدسائس للتخلص منه " فكتب إلى عز الدولة بختيار يعرفه أنه قد أخرب البصرة، وأفسد نيات أهلها وأنهم عرب لا يحملون ما يحمله غيرهم، ويزعم أن أموالهم قد حصّلت والصواب يقتضي إرضاءهم بالقبض على هذا العامل والاستبدال به ومصادرته على مال ينضاف إلى مصادرتهم"[1] وبقي يلح عليه ويطمعه في أمواله حتى أمره بالقبض عليه، فقبض الوزير عليه وعلى أخيه وعلى كل من اتصل به حتى زوجته وأولاده وأقاربه وأسبابه كلهم، ثم سلمهم إلى عامل البصرة الجديد علي بن الحسين المعروف بأبي القاسم المشرف، الذي كانت بينه وبين أبي طاهر عداوة قديمة، وبقي أبو القاسم المشرف يضربه لاستخراج الأموال منه. ثم سلمه إلى مستخرج من طرفه كان قد ظلم على يد أبي طاهر. ولما خشي هذا المستخرج أن يفتدي أبو طاهر نفسه بالمال ويسلم، قضى عليه وعلى أخيه وزوجته وأولاده ولم يبقِ منهم أحداً، ثم صادر العامل الجديد أبو القاسم المشرف" معامليه ومخاطبيه وقوم تأول عليهم، فصادرهم لصحة المال الذي ضمنه، فما صح له من جميع الجهات إلا البعض، وانكسر الباقي، وانمحت آثار أبي طاهر من الأرض فلم يبقَ له بقية"[2].

كان التجار من أكثر الناس عرضة للمصادرات من قبل الأمراء البويهيين كلما احتاجوا للأموال للإنفاق على الجند، نظراً لما يتحصل لهم من أموال كثيرة بسبب التجارة. ولما كان عز الدولة بختيار لا ينظر في دخل ولا خرج، فقد اعتمد على وزيره أبي الفضل العباس بن الحسين في توفير المال اللازم لإرضاء الجند والحاشية والأتباع فبدأ بمصادرة" الرعية والتجار والتأويل عليهم بالمحال، وابتدأ بأهل الذمة ثم ترقى إلى أهل الملة فأخذ أموال الشهود ووجوه البلد من أهل الستر"[3].

---

[1] مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 385؛ التواتي، المثقفون والسلطة، ص 93.

[2] مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 385.

[3] مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 385؛ الدوري، دراسات، ص 267.

وفي سنة 380 هـ / 990م قبض على صاحب الشرطة أبي الفرج محمد بن أحمد الزطي[1] في بغداد، بعد أن أطمع بهاء الدولة البويهي في كثرة ماله، وناله من الضرب لتحصيل أمواله. وانتهى به الأمر إلى القتل بعد أن دفع فيه أحد أصحاب أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف [2] – الكاتب – عشرة آلاف درهم[3]. وفي سنة 381 هـ / 991م قبض بهاء الدولة على وزيره أبي نصر سابور بن اردشير بعد شغب الجند الأتراك والديالمة ومطالبتهم بإطلاق المال لهم، ثم صادر جميع أمواله. وعين مكانه في الوزارة أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف[4].

أما الوزير فخر الملك فقد كانت مصادرته والاستيلاء على امواله شيئاً عجيباً. حيث أخذ من ماله ما بلغ ستمائة ونيفاً وثلاثين ألف دينار سوى الضياع والثياب والفروش والآلات، وقيل: إنه وجد

---

(1) أبو الفرج محمد بن أحمد بن الزطي: كان قد تجاوز حد الناظرين في المعونة، وأسرف في الإساءة إلى الناس حتى وترهم، وبالغ في أيام صمصام الدولة بعد فتنة أسفار في منع أسباب أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف. وتطلب حرمه واستيصال أمواله ونعمه، وأغرق في الفعل القبيح معهم ومع غيرهم. أنظر: أبو شجاع الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج 6، ص 110.

(2) أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف: كاتب عضد الدولة البويهي، تولى الاشراف على الوزارة سنة 374هـ/984م بعد القبض على الوزير ابن سعدان، ثم اشترك في الوزارة مع ابن برمويه، قبض عليه شرف الدولة البويهي بعد فتنة اسفار بن كردويه– من كبار القادة الديلم– سنة 375هـ/985مـ، وافرج عنه سنة 379هـ/989م، قلده بهاء الدولة الوزارة سنة 381هـ/991م، ثم قبض عليه بعد شهرين ونصف. أنظر: الروذراوري،ذيل تجارب الأمم، ج 6، ص 64–65، 68، 110–111، 115، 123؛ الحموي، معجم الادباء، ج2، ص706؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص155.

(3) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج 6، ص111.

(4) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج 6، ص 115؛ ابن الأثير، الكامل ج 7، ص 147.

له مليون ومائتا ألف دينار، وقد كانت أكثر أمواله ودائع عند الناس، تمكن الوزير أبو علي الرخجي [1] من استخراجها منهم وذلك سنة 407 هـ / 1016 م[2].

وعليه يمكن القول أن سياسة المصادرات ظهرت نتيجة لمجموعة من الأسباب، أدت في النهاية إلى تجذر هذه السياسة وانتشارها. فقد كان للأزمات المالية التي تتعرض لها الدولة والتي تؤدي إلى فراغ خزينتها من الأموال اللازمة للإنفاق، والصراع الذي كان ينشأ بين كبار رجال الدولة على تولي المناصب الإدارية فيها، بالإضافة إلى الطمع في أصحاب الثروات الضخمة. ناهيك عن الإنتقام والعداوات الشخصية التي كانت غالباً ما تؤدي إلى المصادرة.

كما لم ينج من سياسة المصادرة غالبية فئات المجتمع، سواء الخلفاء وحاشيتهم، أو الوزراء والكتاب، وأصحاب الشرط، والولاة والعمال، بالإضافة إلى التجار وهم الفئة الأكثر عرضة للمصادرة بسبب حيازتها للأموال التي نتجت عن التجارة، ولا ننسى تعرض بعض النساء إلى المصادرة كما هو الحال مع قهرمانة الخليفة المستكفي.

ولقد بين لنا ابن الأزرق الأثر الكبير الذي تتركه سياسة المصادرة في زعزعة نظام الحكم عندما قال: " لا يحُسن من الملك أن يكون إكتسابه في تخريب بلدانه، وأخذ مال رعيته، فإذا أكثرت أمواله بما يأخذ من رعيته، كان كمن يعمر سطح بيته بما يقتلع من قواعد بنيانه"[3]. الأمر الذي ينتج عنه ثورات إجتماعية خلخلت كيان الدولة، كما أثرت المصادرات وشكل سلبي على شكل العلاقات

---

(1) الرخجي: أبو علي الحسن بن الحسين، تلقب بمؤيد الملك، كان وزيراً لمشرف الدولة لمدة سنتين ثم عزل، وكان في زمان عطلته يتقدم على الوزراء توفي سنة 430هـ/ 1038م. أنظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج م15، ص 269؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 18.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 124.

(3) ابن الأزرق، أبو عبد الله بن الأزرق (ت 896هـ / 1490م) بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، العراق: منشورات وزارة الإعلام، 1977، ج 1، ص 222.

القائمة بين أفراد المجتمع، حيث انعدام الثقة، وتفشي السعاية بينهم. وقد أوضح ابن خلدون أثر سياسة المصادرات على الناس بقوله: " أما أخذ أموالهم مجاناً، والعدوان على الناس في أموالهم وحرمهم ودمائهم وأسرارهم وأعراضهم، فهو يقضي إلى الخلل والفساد دفعة واحدة، وتنتقض الدولة سريعاً بما ينشأ عنه من الهرج المفضي إلى الانتفاض"[1].

رابعاً: الإسراف والتبذير في النفقات:

حاول معز الدولة البويهي نقل مقر حكمه من بغداد إلى الأهواز سنة 350 هـ/961 م وذلك على أثر اشتداد المرض عليه، فكان يظن أن بغداد بظروفها الصحية والمناخية "هي التي أحدثت له الاسقام، وهي التي أفسدت عليه صحته، وتذكر أيام مقامه بالأهواز وهي أيام شبابه ووفور قوته، وظن أن الأهواز هي التي كانت تجلب له الصحة وأنها توافقه" [2]. فخرج من بغداد بعد أن سلم داره وجميع املاكه وممتلكاته إلى ابنه عز الدولة بختيار، وفوض إليه تدبير الأمور نيابة عنه، وقرر أن يبني بيتاً له في قطربل[3] " لأنها أعلى بغداد والهواء والماء هناك أصفى وأعذب"[4].

كان الوزير أبو محمد المهلبي يحاول أن يصرف معز الدولة عن الخروج من بغداد لأنه كان مدركاً أن هذا الخروج وبناء القصر سيثير عليه المشاكل مع الجند والحاشية، بالإضافة إلى كثرة النفقات التي يحتاجها بناء القصر مع علمه بخلو الخزينة، وعدم توفر الأموال، هذا فضلاً عن أن انتقال الحكم من بغداد يعني خرابها واندثارها، فقد ذكر بعض المؤرخين أن الوزير المهلبي ظل يحاول

---

(1) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد، القاهرة: لجنة البيان العربي، ط 2، د. ت، ج 2، ص 855- 856.

(2) أنظر: مجهول العيون والحدائق، ج 1/ ق2، ص 298؛ مسكويه، تجارب الأمم، 5، ص 328؛ ابن الأثير الكامل، ج6، ص 359.

(3) قطربل، قرية بين بغداد وعكبرا، الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 133.

(4) مجهول، العيون والحدائق، ج2/ ق2، ص 499؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 328.

صرف معز الدولة عن الخروج من بغداد" لعلمه بكثرة المؤن والنفقات التي تلزمه، وبكراهة الجند والحاشية لإنزاعجهم من أوطانهم ومألفهم، ولكراهية تخريب بغداد بانتقال الملك عنها" [1].

تمكن الوزير المهلبي من إقناع الأمير معز الدولة في العدول عن الخروج من بغداد وقال له " إن لم يكن من البناء بدّ فيجب أن يكون متصلاً ببغداد في أعاليها ليكون هواؤه أصح، وماؤه أطيب وأنظف"[2] ثم أنزله في قصر فرج بالجانب الشرقي من بغداد[3]. ويصف لنا بعض المؤرخين ما تم شراؤه وهدمه من العقارات والدور ليتسنى لهم بناء القصر فقال بعضهم: " وأخذ في هدم ما يليه- أي بستان الصيمري – من العقارات وابتياعها من أهلها إلى حدود ربيعة الدور وأصلح ميداناً على طول دجلة وبنى الاصطبلات على نهر مهدي، وقلع الأبواب الحديد التي على مدينة أبي جعفر المنصور والتي بالرصافة على نهر المعلى ونقلها إلى داره، ونقض قصور الخلافة بسر من رأى، وسور الحبس المعروف بالحديد وبنى به داره بالآجرّ الذي استعمله وطبخه في الأتاتين- أي الأفران- ووثق البناء. واختيرت له الآلات والجصّ والنورة، وبالغ في الأحكام، وجلب له البناؤون الحذاق المشهورون من جميع البلدان من الأهواز و الموصل وأصبهان، وبلاد والجبل وغيرها، ونزل في الأساس ستاً وثلاثين ذراعاً، ورفع البناء إلى وجه الأرض بالنورة والآجر"[4].

---

(1) أنظر: مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق2، ص 499؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 328؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 359.

(2) مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق2، ص 499؛ مسكويه تجارب الأمم، ج 5، ص 328؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 359.

(3) أنظر: مجهول، العيون والحدائق، ج 4/ ق2، ص 499؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 328.

(4) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق 2، ص 498 – 500، مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 328 – 329 ويضيف التنوخي أن" عضد الدولة أنفق عشرة ملايين درهم على بناء دار وإنشاء بستان" نشوار المحاضرة، ج4، ص 259– 261؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 132.

أن كل ما أقدم عليه معز الدولة من أجل بناء قصره الجديد كان يحتاج إلى مبالغ مالية طائلة، فقد احتاج إلى ثلاثة عشر مليون درهم لإتمام البناء. ولما كان معز الدولة قد توسع في إقطاعات جنده وزياداتهم، وأسرف في تمويلهم لدرجة أنه لم يذخر ذخيرة لنوائبه أو أن يستفضل شيئاً من الدخل[1]؛ فقد لجأ إلى مصادرة كبار موظفيه من أجل توفير ما يلزم من مال للبناء[2]. أما ابن الجوزي فيقول أن معز الدولة " أنفق على البناء إلى أن مات مائة ألف ألف دينار، وقبض على جماعة فصودرا على مال عظم... ولحق الناس من هذا الصقع شدة شديدة من التنزل عليهم"[3]. وقد جاء كلام ابن تغري بردي أكثر تعبيراً عن الظلم الذي لحق الناس من جراء بناء هذا القصر حيث قال" فلزمه من الغرامات عليها إلى أن مات ثلاثة عشر ألف ألف درهم، وصادر الدواوين وغيرها، وجعل كلما حُصل له شيء أخرجه في بنائها... قلت - أي ابن تغري بردي -: دار الظالم خراب ولو بعد حين"[4]؛ وفي هذا معنى أن معز الدولة كان ينفق الأموال بما يخدم مصالحه الشخصية ويحقق رغباته، ويحافظ على سلطانه دون الالتفات إلى الأحوال العامة المضطربة التي كان يعاني منها السكان.

ولعل كثرة النفقات التي احتاجها معز الدولة للإنفاق على الجند لإرضائهم، وما احتاجه لبناء قصره مما اضطره إلى إستحداث تضمين بعض الوظائف الدينية والإدارية. ففي سنة 350 هـ / 961 م قلّد معز الدولة البويهي أبا العباس عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب القضاء في جانبي بغداد ومدنية أبي جعفر المنصور، كما قلده قضاء القضاة مقابل أن يحمل إلى خزينة معز

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 283.

(2) مجهول، العيون والحدائق، ج4/ ق2، ص 500؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 325؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 79؛ ابن الأثير، الكامل؛ ج6، ص 359، ولمعرفة أصحابه الذين صادرهم أنظر. مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 329 - 332.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 132..

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 3، ص 376. أنظر: التنوخي نشوار المحاضرة، ج 1، ص 139.

الدولة مائتي ألف درهم سنوياً. وقد اعترض الخليفة المطيع لله على سياسة تضمين القضاء بأن منع القاضي ابن أبي الشوارب من الوصول إلى حضرته لا في موكب ولا غيره[1]. فكان معز الدولة بذلك" أول من ضمن القضاء... ولم يسمع بذلك قبله" [2]. فكان تضمين القضاء فاتحة بلاء على الدولة، إذ ضمن بعد ذلك كل من الحسبة[3] والشرطة بعشرين ألف درهم شهرياً[4].

ولم يكن أمراء بني بويه وحدهم من يبادرون إلى التبذير والإسراف في أموال الدولة، بل يبدو أن هذه العدوى قد انتقلت إلى وزرائهم، فقد كان أكثرهم يكثر من الإسراف على ملذاته وشهواته دون رقيب. ذلك لأن أكثرهم قد وصل إلى منصب الوزارة إما بالرشوة أو بالوساطة، مما يعني إطلاق اليد في المال بعد التنصيب. فهذا الوزير أبو طاهر بن بقية – وزير عز الدولة بختيار – كانت مخصصاته من الملح ألف رطل كل يوم، وراتبه من الشمع ألف منّ في كل شهر [5]. ويعلق التنوخي على ذلك بقوله: " فإذا كان هذا راتب الشمع خاصته مع قلة الحاجة إليه، فكم يكون غيره مما تشتد الحاجة إليه"؟ [6].

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم؛ ج5، ص 332؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج 1، ص 179؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج9، ص1850(ويقدر قيمة التضمين بمائة الف)؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 133؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 360؛ الذهبي، تاريخ الإسلام حوادث سنة (341 – 350هـ)، ص 234.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 360.

(3) الحسبة: وظيفة يتولى شاغلها(المحتسب الأمر والنهي فيما يتصل بالمعايش والصنائع. ومن اختصاصه حفظ ومراقبة الأسعار ورقابة التجار على اختلاف أصنافهم. وينظر في المكاييل والموازين، ودور العيار. أنظر. القلقشندي، صبح الأعشى، ج 4، ص 38.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج 5، ص 332؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 360؛ الذهبي تاريخ الإسلام، (حوادث سنة 341 – 350 هـ)، ص 275؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 3، ص 376.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 215.

(6) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج 5، ص 118.

وهذا الوزير المهلبي يفرق في ليلة من الليالي على ندمائه وبعض المغنين والملهين ما بلغ قيمته خمسة آلاف دينار من الدراهم والثياب[1]، كما ذكر أن الوزير المهلبي اشترى ورداً بألف دينار في ثلاثة أيام متتالية، ثم وضعه في بركة في قصره، ثم شرب الخمر عليها [2].

كما قلد الخليفة الطائع لله عضد الدولة البويهي إمرة الأمراء سنة 367 هـ / 977 م. وابتهاجاً بذلك فقد قام عضد الدولة بإخراج عشرين ألف درهم في الصدقات. ثم بعث للخليفة خمسمائة جمل، كما حمل إليه خمسين مليون دينار، ومليون درهم، هذا بالإضافة إلى خمسمائة ثوب منوعة، وثلاثين صينية فضة فيها العنبر والمسك[3].

أما الوزير فخر الملك فقد قام بهدم قصر معز الدولة المسمى (الدار المعزية) وذلك سنة 402هـ/1011م، وأعاد عمارتها، وغيّر أبنيتها، وزاد إلى جوارها دور الحاشية، وجعل فيها المجالس الواسعة والحجر الكثيرة والأبنية الرائعة. وحملت إليها الآلات والفرش من كل بلد، فأنفق عليها المال الكثير. ولما وجد أن موضعها بعيد عن الكرخ، جعلها متنزهاً في الخلوات، ومرسومة بالسمط والدعوات[4].

---

(1) التنوخي، نشوار المحاضرة ، ج 1، ص 74.

(2) المصدر نفسه، ج 1، ص 303.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 253.

(4) المصدر نفسه ، ج 15، ص 84.

خامساً: نهب دار الخلافة ودار الامارة:

على الرغم من الصفة العامة التي غلبت على أكثر أمراء بني بويه وهي حبهم وحرصهم الشديد على جمع المال، إلا أن عصرهم امتاز أيضاً بكثرة الإسراف والتبذير. ولعل السبب في ذلك راجع إلى إتساع المناطق التي سيطر عليها البويهيون، مما يعني أنه كان يتأتى من هذه المناطق الكثير من الخيرات التي كانت تصب كلها في خزائن الأمراء البويهيين. فضلاً عن سياسة المصادرات التي كانت تعتبر مصدر دخل شبه ثابت للأمير البويهي، والتي كانت توفر مبالغ طائلة من الأموال يحتاج إليها للنفقات المختلفة. كما يمكن أن نضيف لهذه السمات ايضاً سمة جديدة اتصفت بها فترة حكم البويهيين للعراق وهي إقدام أمراء بني بويه على التعدي على المؤسسات الرسمية للدولة وعلى رأسها دار الخلافة ودار الإمارة، والقيام بنهبها من أجل الحصول على مقتنياتها الثمينة.

1- نهب دار الخلافة:

أصبح في شبه المعتاد أن يقدم الجند على نهب وسلب دار الخلافة، ودار الإمارة كلما تغير خليفة أو تغير أمير، هذا بالإضافة إلى نهب دور الحاشية وكبار الموظفين.

بدأت بوادر السلب والنهب لدار الخلافة تظهر في الدولة البويهية منذ أن أقدم معز الدولة البويهي على خلع الخليفة المستكفي بالله من الخلافة سنة 334 هـ / 945م. فهاجم الجند الديالمة – الذين رافقوا معز الدولة يوم دخوله بغداد – دار الخلافة ونهبوها حتى لم يبقَ فيها شيء. كما لم يسلم

حاشية الدار من السلب والنهب، إذ سلب الديالمة كل من قدروا عليه منهم، ونهبوا منازلهم، ولم يفلت منهم أحد لا من العكسريين ولا المدنيين[1].

وفي سنة 381 هـ / 991 م قبض بهاء الدولة البويهي على الخليفة الطائع لله؛ فبادر الجند إلى نهب ثياب الأشراف والشهود، وتمت حراسة حجرات وخزائن دار الخلافة خوفاً من نهبها. ولما استقرّ الأمر لبهاء الدولة حوّل كل ما كان في دار الخلافة من المال والثياب والأواني والمصاغ والفرش والآلات والعدد والسلاح والخدم والجواري والدواب والرصاص والرخام والخشب الساج والتماثيل ونقله إلى قصره، ثم أباح للخاصة والعامة بدخول دار الخلافة، فدخلوها وهدموا أبنيتها وقلعوا أبوابها وشبأبيكها[2]. ولما أصبح القادر بالله خليفة سنة 381هـ/991م اعاد بهاء الدولة بعض ما نهبه من دار الخلافة من أثاث وأواني والآت وفرش، أما الباقي فقد أستولى عليه بهاء الدولة[3].

كان تعرض دار الخلافة الى النهب من جملة الأسباب التي دفعت الخليفة القائم بأمر الله الى الاستنجاد بالسلاجقة لتخليصه من البساسيري، وذلك عندما بلغه أن البساسيري– المقيم في واسط آنذاك– عازم على دخول بغداد والقبض على الخليفة، ونهب دار الخلافة وذلك سنة 447هـ/1055م[4]. ولما نجح البساسيري في دخول بغداد والسيطرة عليها سنة 450هـ/1058م جمع

---

(1) مجهول والعيون والحدائق، ج 4/ ق2، ص 434؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص 276؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص 149؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 12، ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 315؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص225.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 348 – 349؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 148؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص330–331.

(3) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج 6، ص 126؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 353؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 149.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص144–146؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 348؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج2، ص1350؛ الذهبي، العبر، ج2، ص289؛ – تاريخ الاسلام، ج32، ص254.

العيارين والمفسدين وحرضهم على نهب دار الخلافة، كما استغلّ الظروف السيئة التي كان الناس يعانون منها بسبب تتابع سنوات القحط والجدب، وغلاء الأسعار وقلة المواد والسلع، مما شجعهم على الهجوم على دار الخلافة ونهبها حتى نهب منها ما لا يحصى[1]. وقد اشار بعض المؤرخين أن البساسيري أقدم على نهب دار الخلافة بنفسه[2].

2- نهب دار الامارة:

كما كانت دار الإمارة عرضة للنهب على غرار دار الخلافة كلما توفي خليفة أو خلع، ففي سنة 416 هـ / 1022 م توفي مشرف الدولة البويهي، فنهبت خزائنه[3]. ولعل الجند كانوا وراء هذا النهب لأنهم اعتادوا عليه.

وفي فترة ضعف الأمراء البويهيين، وانشغالهم بالحروب الداخلية، استغلّ الجند هذه الظروف لإثارة الشغب والتمرد على الأمراء بقصد تحصيل ما يمكن تحصيله من منافع ومكاسب مادية. ففي سنة 423هـ/1032م تمرد الجند الأتراك على الأمير جلال الدولة البويهي، وحاولوا نفيه الى البصرة، ولما حاول جلال الدولة الإختباء منهم في داره، اقتحموها وقاموا بنهبها ونهب محتوياتها، كما سلبوا ثياب الكتاب والموظفين، حتى إنهم أجبروا جلال الدولة على الخروج من بغداد، فتوجه الى عكبرا لمدة ثلاثة وأربعين يوماً، الى أن اعادوه مرة أخرى الى بغداد[4].

---

(1) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص408؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص146؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص 32؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج3، ص1352؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 96.

(2) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج5، ص267.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 130؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ص 12، ص21.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 224؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 2؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص37.

وقد تكرر تمرد الجند على جلال الدولة سنة 427 هـ / 1035 م حيث هرب على أثرها ليلاً من قصره، فاستغلّ الجند ذلك ونهبوا دار الإمارة وقلعوا أبوابها وساجها، ثم عينوا عليها من يحفظها، فكان هؤلاء يخربونها نهاراً، وينقلون ما يقتلعونه منها ليلاً"[1].

ولما مرض أبو كاليجار مرض الوفاة، وهو في البرية سنة 440هـ / 1048 م استغل الغلمان ذلك بعدما أيقنوا أنه لن يشفى من مرضه؛ فنهبوا خزائن الأموال التي كانت معه، كما نهبوا خزائن السلاح، والكراع، حتى أقدمت الجواري على حرق الخيم، ولم تبقَ إلا الخيمة التي كان فيها أبو كاليجار[2]. هذا وهو في البرية فلو كان في دار الإمارة لنهبت أيضاً.

وعليه فإن عملية سلب ونهب كل من دار الخلافة، ودار الإمارة كلما عزل خليفة أو تغير أمير، كان يتطلب من الخليفة أو الأمير الجديد تجديد ما يتم سلبه ونهبه، وهذا الأمر كان يتطلب الأموال الطائلة التي لم تكن تتوفر في أغلب الأحيان، مما يعني اللجوء إلى فرض الضرائب على الناس لتزيد بذلك معاناتهم، كما يلجئ إلى التوسع في سياسة المصادرة بحق التجار والموسرين مما كان ينعكس سلباً على حركة التجارة والزراعة.

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 254؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 10.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 313؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 63.

الخاتمة

كان من نتائج تسلط البويهيين واستبدادهم بالسلطة في العراق، ضعف مركز الخليفة؛ حيث أصبح في هذا العصر العوبة في أيديهم، ليس له من الأمر سوى ذكر اسمه في الخطبة ونقش اسمه على السكة، وفقد الإمتيازات التي ورثها منذ قيام الدولة العباسية وحتى نهاية عصر نفوذ الأتراك، والتي تعتبر رمزاً لسيادة الخلفاء العباسيين السياسية والدينية. فقد ساءت أحوال الخلافة بدخول البويهيين بغداد، ومما زاد في ضعف الخلافة أن البويهيين كانوا – شأنهم شأن العلويين جميعاً– يعتقدون أن العباسيين مغتصبين للخلافة، لذلك لم يكن لدى البويهيين أي باعث ديني على طاعتهم، إلا أنهم أبقوا على الخلافة العباسية على الرغم من وجود خلافة علوية في مصر آنذاك وهي الخلافة الفاطمية.

كما اتبع الأمراء البويهيون سياسة طائفية من أجل تحقيق مصالحهم الشخصية، سواء أكانت سياسية أم اقتصادية، والتي كان لها دور كبير في إضعاف المجتمع. فقد ساند البويهيون طائفة ضد أخرى، وخاصة طائفة الشيعة ضد السنة، مما أدى الى قيام الفتن والإضطرابات الداخلية بين العامة من جهة، وبين الجند في الجيش البويهي من جهة أخرى، فاتعب ذلك الخلافة والأمراء البويهيين معاً.

إن سوء الأحوال الإجتماعية والإقتصادية للسكان، كان يدفعهم الى تأييد والإنخراط في أي حركة أو دعوة سياسية أو إجتماعية أو دينية تدعو الى تغيير الأوضاع الإجتماعية السيئة التي تسود المجتمع الاسلامي.

وقد وجد الطامعون في السلطة والملك في ذلك خير فرصة ملائمة لتحقيق أطماعهم هذه؛ فاستغلوا هذه الجموع المعدومة إجتماعياً وإقتصادياً ووجهوها، بشكل يخدم أغراضهم السياسية ومصالحهم الذاتية. كما وجدوا في ضعف الخلافة العباسية عاملاً مهماً دفع الكثير من الطامعين

والثائرين الى تهديد الخلافة العباسية في عاصمتها، كما تمكنوا من اقتطاع أجزاء مهمة من أطراف الدولة البعيدة وحتى القريبة في بعض الأحيان، التي ضعفت فيها سيطرة الخليفة وسلطته.

عانت الدولة العباسية من سوء الاوضاع الاقتصادية والمالية، بسبب تدهور الحالة السياسية والإدارية التي كانت تعيشها الدولة في ظل التسلط البويهي الذي استبدّ بمقدراتها واستنزف خيراتها، ولم يدرْ البلاد إدارة حكيمة لمصلحة العامة، بل من أجل خدمة أغراضهم الشخصية، مما حدا بالسلطة المركزية في بغداد الى اتخاذ إجراءات لمعالجة الموقف، وتمثلت تلك الإجراءات بسياسة المصادرات والتضمينات. فكثيراً ما سعى الأمراء البويهيون الى مصادرة أموال الأمراء والوزراء بل وحتى الخلفاء من أجل الحصول على الأموال.

أما سياسة التضمين فكان سببها عجز الحزينة عن دفع رواتب الجند والموظفين بالدرجة الأولى، فسعت السلطة البويهية الى تضمين كبار القادة والامراء العسكريين أقاليم ومدن بأكملها مقابل مبلغاً من المال يدفع للخزينة لمركزية.

كما ازدادت الأوضاع الإقتصادية سوءاً بمجيئ البويهيين على الرغم من المحاولات التي بذلها بعض أمرائهم لتحسين الأحوال من إصلاح الترع والسدود. غير أن هذه المحاولات لم تأتِ بفائدة كبيرة بسبب تكرر الفيضانات، وانتشار الأوبئة والأمراض، وارتفاع ضريبة الخراج التي فرضها البويهيون على الأراضي الزراعية، مما أدى إلى تدهور الزراعة الى الحدّ الذي كانت فيه بغداد تعتمد في ميرتها على المناطق الجنوبية والشمالية التي كانت تحت سيطرة عناصر منافسة للبويهيين. وقد شهدت التجارة هي الأخرى تدهوراً ملحوظاً بسبب كثرة الضرائب وفقدان الأمن والإستقرار في تلك الحقبة من تاريخ الخلافة العباسية.

كما شهدت فترة التسلط البويهي على العراق إنتشار أسوأ أنواع الإقطاع، وهو الإقطاع العسكري بشكل لم يسبق له مثيل. فبعد أن دخل معز الدولة البويهي بغداد سنة 334 هـ /945م وزّع إقطاعات واسعة على قادة جيشه وجنده عوضاً عن مرتباتهم لسدّ نفقاتهم أو لإرضائهم وكسب تأييدهم، وأخذت هذه الإقطاعات تدرّ عليهم أموالاً طائلة؛ فإذا قلَّ إيراد هذه الأرض وقلّت خصوبتها ردّوها إلى الدولة، وأخذوا أحسن منها خصباً، وصار الرسم جارياً أن يخرّب الجند إقطاعاتهم ثم يردّوها، ويعتاضوا عنها مما يختارون، ويتوصلون الى حصول الربح.

وكان من نتيجة ذلك أن كثرت الأراضي الخراب، ووقع العبء الأكبر على كاهل الفلاحين والمزارعين" فأتت الجوائح على التناء ورقت أحوالهم، حتى صاروا بين جالٍ عن أرضه وبين مظلوم صابر لا ينصف، وبين مستريح الى تسليم ضيعته الى المقطع ليأمن شره ويوافقه". ولهذا " بطل أن يسمع لأحد ظلامة، أو يقبل من كاتب نصيحة، وبقي المقطعون من غير تفتيش مم عوملت به الرعية من جور أو نصفه".

فأدت هذه الأوضاع الى خوف العمال والكتاب والمشرفين على شوؤن الزراعة. فاذا تكلم كاتب من الكتاب في شيء من ذلك، نُكب وقُتل؛ فانصرف الكتاب والموطفون عن الضياع، لخروج الأعمال عن يد السلطان. وهكذا بطلت العمارة وأغلقت الدواوين، وتبع ذلك أن فسد نظام الري، وأهملت منشآتها كالسدود والخزانات والأنهار؛ فأدى ذلك الى تعرض الأراضي الزراعية في السواد وغيره الى الخراب بسبب الفيضانات المدمّرة كما حدث في بغداد سنة 366هـ/379م.

قائمة المصادر الأولية والمراجع العربية والأجنبية

أولا:- المصادر الأولية:

- القرآن الكريم

- ابن أبي اصيبعة، احمد بن القاسم(ت668هـ/1270م) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.(1 ج)

- ابن الأثير، علي بن محمد(ت630هـ/1232م)

أ- الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، 1978.(9 ج).

ب- اللباب في تهذيب الأنساب، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000.

- الإدريسي، محمد بن محمد(ت560هـ/1165م) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1409هـ.(2 ج)

- لإربلي، عبد الرحمن سنبط قنيتو(ت717هـ/1317م) خلاصة الذهب المسبوك مختصر سير الملوك، بغداد: مكتبة المثنى، ط2،1964. (1 ج)

- الأسفراييني، شاهفور بن طاهر(ت471هـ/1078م) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: مجيد الخليفة، بيروت: دار ابن حزم، ط1، 2008. (1 ج)

- الأشعري،علي بن اسماعيل(ت330هـ/941م) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، 1990.

- الأصفهاني، حمزة بن الحسن(ت قبل سنة 360هـ) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1961.

- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد(ت577 هـ/1181 م) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط3، 1985.(1 ج)
- الانباري، محمد بن القاسم(ت328هـ/940م) الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1992.(2 ج)
- الأنطاكي، يحيى بن سعيد(ت458هـ/1067م) تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ اوتيخا، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، لبنان،1990.
- البعلي، محمد بن ابي الفتح(ت709هـ/1309م) المطلع على ألفاظ المقنع، تحقيق: محمود الارناؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي، ط1، 2003.(1 ج)
- البغدادي، احمد بن علي(ت463هـ/1070م) تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997. (24 ج)
- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر(ت429هـ/1037م) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، تحقيق: محمد عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، 1995. (1 ج)
- البكري،أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز(ت487هـ/1094 م) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع،عالم الكتب، بيروت، ط3، 1982، (4 ج).
- البلاذري، احمد بن يحيى(ت279هـ/892م) فتوح البلدان، بيروت: مكتبة الهلال، ط1، 1983.
- البيروني، محمد بن احمد(ت430هـ/1038م)

أ – الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق: ادوارد سخاو، بيروت: دار صادر، 1923.

ب – الجماهر في معرفة الجواهر، بيروت: عالم الكتب،د.ت.(1 ج)

- الترمــذي، أبــو عيــسى محمــد بــن عيــسى(ت 279هــ/892م) الجــامع الكبيــر – ســنن الترمذي،تحقيق: بشار عواد معروف،دار الغرب الإسلامي، بيروت،1998، (6 ج).

- ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي(ت874ه/1469م)

أ- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له: محمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1992. (16 ج)

ب- مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز احمد، القاهرة: دار الكتب المصرية،

- التنوخي، المحسن بن علي(ت384ه/994م)

أ – نشوار المحاضرة وأخبار الذاكرة، تحقيق:عبود الشالجي،بيروت: دار صادر،1971. (8 ج)

ب – الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، بيروت: دار صادر، 1978. (5 ج)

- التوحيدي، علي بن محمد(ت414ه/1023م)

أ- البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، بيروت: دار صادر، ط1، 1988.(10 ج)

ب-الإمتــاع والمؤانــسة، تحقيــق: احمــد أمــين واحمــد الــزين، بيــروت: دار مكتبــة الحيــاة، د.ط.، د.ت.ن.

- الثعالبي، عبد الملك بن محمد(ت429ه/1037م)

أ- يتيمـة الـدهر فـي محاسـن أهـل العـصر، تحقيـق: مفيـد قميحـة، بيـروت: دار الكتـب العلميـة، ط1، 2000.

ب-فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار احياء التراث العربي، ، ط1، 2002. (1 ج).

- الجاحظ، عمرو بن بحر (ت255هـ/868م) تنبيه الملوك والمكايد، تحقيق: ياسر الحسيني وآخرون، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2007. (1 ج)

- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي(ت597هـ/1200م)

أ- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد ومصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992.(16 ج).

ب-المنتظم، دار صادر، بيروت، ط1، د.ت.(10 ج).

ج- أخبار الظرف والمتماجنين، تحقيق: محمد أنيس مهرات، دمشق: دار الحكمة، ط1، 1987.(1ج)

- الحاكم الجشمي، المحسن بن محمد(ت494هـ/1101م) نخب من كتاب جلاء الأبصار(ضمن: أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان) تحقيق: فيلفرد مايدلونغ، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، 1987. (1 ج)

- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 405هـ/ 1015م) المستدرك على الصحيحين، حقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990،(4 ج).

- ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي(ت852هـ/1448م)

أ- لسان الميزان، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1996.

ب- رفع الاصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الحانجي، القاهرة، ط1، 1998.

- الحريري، القاسم بن علي(ت516ه/1122م) درة الغواص في اوهام الخواص، تحقيق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1998.(1 ج)
- ابن حزم الظاهري، علي بن احمد (ت456ه/1063م) الفصل في الملل والاهواء والنحل، تحقيق: محمد ابراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، بيروت: دار الجليل، 1985. (1 ج)
- الحسني، احمد بن إبراهيم(ت منتصف ق4هـ/10م) المصأبيح، (ضمن: أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان) تحقيق: فيلفرد ماديلونغ، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، 1987.(1ج)
- الحسيني، صدر الدين علي بن ناصر(ت575ه/1180م) اخبار الدولة السلجوقية، صححه: محمد اقبال، بيروت: دار الافاق الجديدة، ط1، 1984. (1 ج)
- الحلي، هبة الله محمد بن نما(ت ق 6ه/12 ميلادي) المناقب المزيدية في اخبار الملوك الاسدية، تحقيق: محمد خريسات وصالح درادكة، عمان: الرسالة الحديثة، ط1، 1970. (2 ج)
- ابن حمدون، محمد بن الحسن(ت562ه/1166م) التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، بيروت: دار صادر، ط1، 1996.(10 ج)
- الحموي، ياقوت بن عبد الله(ت626هـ/1228م)

أ - معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الاسلامي،ط1،1993. (7 ج)

ب- معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ط2، 1995. (7 ج)

ج- الخزل والدال بين الدور والدارات والديرة، تحقيق: يحيى زكريا عبادة ومحمد اديب حُمران، وزارة الثقافة، دمشق، 1998.(قسمان)

- الحميري، محمد بن عبد المنعم(ت727هـ/1326م) الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: مكتبة لبنان، ط2، 1984.
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد(ت 241هـ/ 855م) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2001.
- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي(ت367هـ/977م) صورة الأرض، القاهرة: دار الكتاب الاسلامي، 1990.
- ابن حيوس، محمد بن سلطان(ت473هـ/1080م) ديوان ابن حيوس، تحقيق: خليل مردم بك، دار صادر، بيروت، 1984.(2 ج)
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت 808هـ/1405م) تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003.(8 ج).
- ابن خلكان، احمد بن محمد(ت681هـ/1282م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، بيروت: دار صادر، 1994. (8 ج)
- الخوارزمي، ابوعبد الله محمد بن احمد(ت 387هـ/ 997م) مفاتيح العلوم، تقديم: جودت فخر الدين، دار المناهل، بيروت، ط1، 1991. (1 ج)
- خواندمير، محمد بن خاوندشاه(ت903هـ/1497م) روضة الصفا في سيرة الانبياء والملوك والخلفا– تاريخ الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وال بويه والاسماعيلية والملاحدة–، ترجمة: احمد الشادلي، القاهرة: الدار المصرية للكتاب، ط1، 1988.

- ابن دحية الكلبي، عمر بن الحسن(ت633هـ/1235م) النبراس في تاريخ بني العباس، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2000. (1 ج)
- ابن دقماق، إبراهيم بن محمد(ت809هـ/1406م) الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين علي، بيروت، عالم الكتب، 1985. (2 ج في مجلد)
- الدواداري، ابو بكر بن عبد الله بن ايبك(ت بعد 736هـ/ 1335م) كنز الدرر وجامع الغرر(الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية) تحقيق: صلاح الدين المنجد، المعهد الالماني للاثار، القاهرة، 1961.
- الذهبي، محمد بن احمد(ت748هـ/1347م)

أ – العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو المهاجر زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1985. (4 ج)

ب– تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1992.

ج – ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1995.

د – سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 2008. (26 ج)

هـ– دول الإسلام، نشر: عبد الله الأنصاري، قطر: إدارة إحياء التراث الاسلامي، د.ط، د.ت. (2 جزء في مجلد)

- الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر(ت بعد 666 هـ/ بعد 1268 م) مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1999. (1 ج)
- الروذراوري، محمد بن الحسين(ت488هـ/1095م) ذيل تجارب الأمم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003. (1 ج)
- الزمخشري، محمود بن عمرو(ت538هـ/1143م) الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط2، 1992.(4 ج)
- سبط ابن الجوزي، يوسف قزاوغلي بن عبد الله (ت654هـ/1257م) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (الحقبة 345-447هـ) تحقيق: جنان خليل، بغداد: الدار الوطنية، 1990.
- السبكي، عبد الوهاب بن علي(ت771هـ/1369م) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلو، بيروت: مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، ط1، 1967.
- السجستاني، اسحاق بن احمد(ت353هـ/964م) الافتخار، تحقيق: اسماعيل قربان، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ط1، 2000. (1 ج)
- ابن سيده، ابو الحسن علي بن اسماعيل(ت458هـ/1066م)

أ- المخصص، تحقيق: خليل ابراهيم جفال، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1996، (5 ج).

ب- المحكم والمحيط الاعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000.(11 ج)

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1505م)

أ- تاريخ الخلفاء، تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد،دار السعادة، مصر، ط1، 1952. (1 ج).

ب - كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، تحقيق: محمد عز الدين،عالم الكتب،، بيروت، ط1، 1987. (1 ج).

ج- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2004. (1 ج).

- ابن شداد، محمد بن علي(ت684هـ/1285م) الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى عبادة، دمشق: وزارة الثقافة والارشاد القومي، 1978. (1 ج)
- الشريف الرضي، محمد بن الحسين(ت406هـ/1015م) ديوان الشريف الرضي، ايران: منشورات مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي، ط1، 1986. (2ج)
- ابن شمائل القطيعي، عبد المؤمن بن عبد الحق(ت729هـ/1328م) مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991.(3 ج)
- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم(ت548هـ/1153م) الملل والنحل، صححه: احمد فهمي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط7، 2007.
- الصابئ، إبراهيم بن هلال(ت384هـ/994م) المنتزع من كتاب التاجي، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، بغداد: منشورات وزارة الإعلام، 1977. (1 ج)
- الصابئ، هلال بن المحسن(ت448هـ/1056م)

أ – الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيقك عبد الستار فراج، بيروت: دار إحياء الكتب العربية، 1958. (1 ج)

ب– رســـوم دار الخلافـــة،تحقيق:ميخائيـــل عـــواد،بيروت:دار الرائـــد العربـــي،ط2،1986. (1 ج).

ج– تاريخ الصابئ(ملحق بذيل الروذراوري) بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003.(1 ج)

– الصاحب بن عباد،أبو القاسم اسماعيل بن عباد(ت385هـ/995م) المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن ال ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1994، (11 ج).

– الصفدي، خليل بن أيبك(ت764هـ/1362م)

أ – الوافي بالوفيات، اعتناء: س. ديدرينغ، فيسبادن: فرانز شتايز، ط2،1982. (29 ج)

ب – تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، تحقيق: السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1987.

ج– نكت الهميان في نكت العميان، تحقيق: طارق الطنطاوي، القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع، د.ت.

– ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن(ت643هـ/1245م) طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الاسلامية، بيروت، ط1، 1992.(2 ج)

– الصولي، محمد بن يحيى(ت335هـ/946م)

أ – أخبار الراضي والمتقي أو تاريخ الدولة العباسية من 322 الى سنة 333هـ (من كتاب الأوراق)، عنى بنشره: ج. هيورث، بيروت: دار المسيرة، 1979. (1 ج)

ب – قسم من أخبار المقتدر بالله العباسي أو تاريخ الدولة العباسية من سنة 295 إلى سنة 315هـ (من كتاب الأوراق) تحقيق: خلف نعمان، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1999. (1ج).

- ابن الصيرفي، علي بن منجب(ت542هـ/1147م) الاشارة الى من نال الوزارة، تحقيق: عبد الله مخلص، القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي، 1921. (1 ج)
- ابن طالب، الناطق بالحق(ت424هـ/1033م) الإفادة في تاريخ الأئمة السادة،،(ضمن: أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان) تحقيق: فيلفرد ماديلونغ، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، 1987. (1 ج)
- الطالبي، عبد الحي بن فخر الدين(ت1341هـ/...م)الاعلام بمن في تاريخ الهند من الاعلام المسمى(نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1999.(1ج)
- الطبري، محمد بن جرير(ت310هـ/922م) تاريخ الطبري أو (تاريخ الرسل والملوك) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار سويدان، 1967. (11 ج)
- ابن الطقطقي، محمد بن علي(ت709هـ/1309م) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر مايو، حلب: دار القلم الغربي، ط1، 1997. (1 ج)
- ابن الطوير، عبد السلام بن الحسن(ت617هـ/1220م) نزهة المقلتين في اخبار الدولتين، تحقيق: ايمن فؤاد سيد، بيروت: دار صادر، ط1، 1992. (1 ج)
- ابن ظافر الأزدي، علي بن منصور(ت613هـ/1216م) أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: عصام هزايمة وزملاؤه، مؤسسة حمادة، اربد، 1999. (2 ج).

- ابن العبري، غريغورس بن أهرون(ت685هـ/ 1286م)

أ- تاريخ الزمان، ترجمة: اسحق ارملة، بيروت: دار المشرق، 1986.

ب - تاريخ مختصر الدول، تحقيق: خليل منصور، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997.

- ابن العديم، كمال الدين عمر بن احمد(ت660هـ/1260م)

أ- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق،1988.(11ج)

ب- زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دمشق: دار الكتاب العربي،ط 1،1997 . (2 ج)

- عريب، ابن سعيد القرطبي(ت366هـ/977م) صلة تاريخ الطبري(واقع ضمن: ذيول تاريخ الطبري) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار سويدان، 1967. (1 ج)

- ابن عساكر، علي بن الحسن(571 هـ / 1176 م) تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995.(80 ج)

- العصامي، عبد الملك بن حسين(ت1111هـ/1699م) سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1998.

- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن احمد(ت1089هـ/1678م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر ومحمود الارناؤوط، بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1989. (11 ج)

- عماد الدين الاصفهاني، محمد بن محمد(ت 597هـ/1200م) تاريخ دولة ال سلجوق، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2004. (1 ج)

- ابن العمراني، محمد بن علي(ت580هـ/1184م) الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، المعهد الهولندي، القاهرة،1973.
- ابو الفداء، إسماعيل بن علي(ت732هـ/1331م) المختصر في أخبار البشر، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997. (2 ج).
- الفراء، ابو يعلى محمد بن الحسين(ت458هـ/1065م) الاحكام السلطانية، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983.(1 ج)
- فضل الله العمري، احمد بن يحيى(ت749هـ/1348م) مسالك الابصار في ممالك الامصار، المجمع الثقافي، ابو ظبي، ط1، 2002.
- الفيروز ابادي، محمد بن يعقوب(ت817هـ/1414م) القاموس المحيط، بيروت: دار صادر، د.ت.ن.
- الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت 770هـ/1368م) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت. (جزءان في مجلد واحد).
- القاضي النعمان، ابو حنيفة النعمان بن حيون(ت363 هـ/ 973م)، افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1975.
- قاضي شهبة، ابو بكر بن احمد(ت851هـ/1448م) طبقات الشافعية، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407هـ.(4 ج)
- القاضي عبد الجبار، عبد الجبار بن احمد الهمذاني(ت415هـ/1025م) شرح الأصول الخمسة،تحقيق: عبد الكريم عثمان، القاهرة: مكتبة الاسرة، 2009.

- قدامة بن جعقر، ابو الفرج(ت329هـ/940م) الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981.(1 ج)
- القرشي، عبد القادر بن محمد(ت775هـ/ 1373م) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، القاهرة: مؤسسة الرسالة، ط2، 1993. (5 ج)
- القزويني، زكريا بن محمد(ت682هـ/1283م) اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، بيروت. (1 ج).
- القضاعي، محمد بن سلامة(ت454هـ/1062م)

أ- عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، تحقيق: جميل المصري، مكة المكرمة: جامعة آم القرى، 1995.

ب- الأنباء بأنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الأمراء المعروف بتاريخ القضاعي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: المكتبة العصرية، د.ت.ن.

- القفطي، علي بن يوسف(ت646هـ/1248م) أخبار العلماء بأخبار الحكماء، علق غليه: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية،ط1، 2005. (1 ج)
- ابن القلانسي، حمزة بن القلانسي(ت 555هـ/1160م) ذيل تاريخ دمشق، بيروت: مطبعة الاباء اليسوعيين، 1908. (1 ج)
- القلقشندي، احمد بن علي(ت821هـ/1418م)

أ – نهاية الإرب في معرفة انساب العرب، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1984.

ب – صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، د.ت.ن. (14 ج)

- الكتبي، محمد بن شاكر(ت764هـ/1362م) فوات الوفيات، تحقيق: احسان عباس، بيروت: دار الثقافة، د.ت.ن.
- ابن كثير، إسماعيل بن كثير(ت774هـ/1372م) البداية والنهاية، تحقيق: احمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، 1994.(15 ج).
- مؤلف مجهول(ق4هـ/ 10م) العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق: عمر السعيدي، دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 1973. (1 ج/ قسم 1+2)
- المؤيد في الدين، هبة الله الشيرازي(ت470هـ/1077م)

أ- ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، تحقيق: محمد كامل حسين، القاهرة: دار الكتاب المصري، 1949. (1 ج)

ب- مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية، تحقيق: عارف تامر، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1983. (1 ج)

- الماوردي، علي بن محمد(ت450هـ/1058)

أ- نصيحة الملوك، تحقيق: محمد الحديثي، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة1986. (1 ج).

ب- قوانين الوزارة، تحقيق: فؤاد عبد المنعم احمد ومحمد سليمان داود، الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ط3، 1991.

- مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد(ت1205هـ/1790م) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة محققين، دار الهداية. (40 ج)
- المسعودي، علي بن الحسين(ت346هـ/957م)

أ – التنبيه والأشراف، بيروت: دار مكتبة الهلال، 1981. (1 ج)

ب – مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، 1988. (4 ج)

- مسكويه، احمد بن محمد(ت421هـ/1030م) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003. (7 ج)
- المقدسي، ابو عبد الله محمد بن احمد(ت381هـ/991م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: شاكر لعيبي، أبو ظبي: دار سويدان، ط1، 2003.
- المقريزي، احمد بن علي(ت845هـ/1441م)

أ – اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفاء، تحقيقك جمال الدين الشيال ومحمد حلمي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط2، 1996. (3 ج)

ب– السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997. (8 ج)

ج – المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998. (4 ج)

- الملطي، محمد بن احمد(ت377هـ/987م) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تقديم: محمد زاهد الكوثري، القاهرة: المكتبة الازهرية للتراث، 1997.
- ابن منظور، محمد بن مكرم(ت711هـ/1311م) لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ،(15 ج)

- ابن ميسر، محمد بن علي(ت677هـ/1278م) المنتقى من اخبار مصر، تحقيق: ايمن فؤاد سيد، القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية، 1981. (1 ج)
- الناشئ الأكبر، عبد الله بن محمد(ت293هـ/905م) مسائل الإمامة، تحقيق: يوسف خان إس، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، 1971.
- ابن النجار، محمد بن محمود(ت643هـ/1245م) ذيل تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997.
- ابن النديم، محمد بن اسحاق(ت380هـ/990م) الفهرست، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1996. (1 ج)
- النويري، احمد بن عبد الوهاب(ت733هـ/1332م) نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز وحكمت كشدي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2004. (33 ج)
- الهروي، ابو منصور محمد بن احمد(ت370هـ/981م) تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001، (8 ج).
- الهروي، علي بن أبي بكر(ت611هـ/1214م) الإشارات إلى معرفة الزيارات، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1953. (1 ج)
- الهمذاني، عبد الجبار بن احمد(ت415هـ/1024م) تثبيت دلائل النبوة، تحقيق: احمد السائح وتوفيق وهبة، القاهرة: مكتة الثقافة الدينية، ط1، 2008. (2 ج)
- الهمذاني، محمد بن عبد الملك(ت521هـ/1127م) تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: ألبرت كنعان، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ط2ن 1961. (1 ج)

- ابن الوردي، عمر بن مظفر(ت749هـ/1348م) تاريخ ابن الوردي، النجف: المطبعة الحيدرية، ط2، 1969. (2 ج)
- اليافعي، عبد الله بن اسعد(ت768ه/1366م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،1997. (4 ج)
- اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب(ت284هـ/897م) تاريخ اليعقوبي، بيروت: دار صادر، 196.(1 ج)

ثانيا:- المراجع العربية والأجنبية:

أ- المراجع العربية:

- أحمد، رمضان أحمد، حضارة الدولة العباسية، القاهرة: الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية، 1978.
- آشتور، آ، التاريخ الإقتصادي والإجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة: عبد الهادي عبله، دمشق: دار قتيبة، 1985، ص231.
- الأطرقجي، واجدة مجيد عبد الله، المرأة في أدب العصر العباسي، العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، ط1، 2002.
- الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ط6، 2002.
- باشا، حسن، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1957.

- بيطار، أمينة، موقف أمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجري، دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر، ط1، 1980.
- التواتي، مصطفى، المثقفون والسلطة في الحضارة العربية (الدولة البويهية نموذجا)،بيروت: دار الفارأبي، 2004.
- جب، هاملتون، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة: إحسان عباس وآخرون، بيروت: دار العلم للملايين، ط2، 1974.
- جولدتسيهر ،آجناس، العقيدة والشريعة في الإسلام: تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الإسلامية، ترجمة: محمد يوسف موسى واخرون، القاهرة: دار الكتاب المصري، 1946.
- حبيب، سعدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دار الفكر، دمشق، ط2، 1988.
- حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،(ج3) العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس(232-447هـ/847-1055م)، بيروت: دار الجيل، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- الحفني، عبد المنعم، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط3، 2005.
- حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة 247-656هـ/861-1258م " دراسة ونصوص"، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، 1985.
- خرابشة، سليمان، التنافس السلجوقي الفاطمي على بلاد الحجاز وامرة الحج، منشورات جامعة اليرموك- عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، اربد، 1999.

- الخضري، محمد بك، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) بيروت: دار الفكر العربي.
- الدوري، تقي الدين، منصب إمرة الأمراء في العراق 324-334هـ/936-946م دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية، بغداد: مطبعة اسعد، ط1، 1975.
- الدوري، عبد العزيز

أ. دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد: مطبعة السريان، 1945.

ب. تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، 1995.

ج. العصر العباسي الاول- دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالي- مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006.

د. النظم الإسلامية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2008.

- دي خويه، ميكال، القرامطة، نشأتهم، دولتهم وعلاقاتهم بالفاطميين، ترجمة وتحقيق: حسني زينة، بيروت: دار ابن خلدون ط1، 1978.
- الديوه جي، سعد، تاريخ الموصل، بغداد: مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1982.
- الزبيدي، محمد حسين، العراق في العصر البويهي- التنظيمات السياسية والادارية والاقتصادية 334هـ-447هـ/945م-1058م، القاهرة: دار النهضة العربية، 1969.
- الزركلي، خير الدين، الإعلام، بيروت: دار العلم للملايين، ط5، 1980.
- زكار، سهيل، أخبار القرامطة في الإحساء – الشام – العراق – اليمن، دمشق: دار إحسان، ط2، 1982.

- زناتي، انور محمد، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الاسلامية، عمان: دار زهران للنسر والتوزيع، ط1، 2011.
- الزهراني، محمد مسفر،

أ- نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1982.

ب-نظام الوزارة في الدولة العباسية 334- 590هـ (العهدان البويهي والسلجوقي) بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، 1986.

- سالم، عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب، العصر العباسي الاول، الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1978.
- السامر، فيصل، ثورة الزنج، دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، ط2، 2000.
- السامرائي، حسام الدين، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية خلال الفترة 247-334هـ/861-945م، دار الفكر العربي.
- السامرائي، خليل وآخرون، تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي 132-656هـ/ 749- 1258م، الموصل، 1988.
- سرور، محمد جمال الدين

أ- النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة، بيروت: دار الفكر العربي، ط3، 1964.

ج- تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق من عهد نفوذ الاتراك الى منتصف القرن الخامس الهجري، القاهرة: دار الفكر العربي، 1965.

د- الدولة الفاطمية في مصر، سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها، القاهرة: دارالفكر العربي، 1970.

هـ- سياسة الفاطميين الخارجية، القاهرة: دار الفكر العربي، 1973.

- سعد، فهمي عبد الرزاق، العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1983.
- أبو سعيد، حامد غنيمة، العلاقات العربية السياسية في عهد البويهيين القاهرة، ط1، 1971.
- سليمان، مصطفى محمود، الزلازل، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996.
- شاكر، محمود، التاريخ الاسلامي – الدولة العباسية، بيروت: المكتب الاسلامي، ط3، 1987.
- الشامي، فضيلة، تاريخ الفرقة الزيدية بين القرنين الثاني والثالث للهجرة، النجف: مطبعة الآداب، 1974.
- شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، تحقيق: إحسان عباس،بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1.
- الصالح، صبحي، النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها، بيروت: دار العلم للملايين، ط8، 1990.
- صبحي، احمد، الزيدية، القاهرة: الزهراء للعلام العربي، ط2، 1984.
- طرخان، ابراهيم، النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى، القاهرة: دار الكتاب العربي، 1968.

- طلفاح، مضر، دار الخلافة ودار المملكة، دراسة في العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة البويهية (334-447هـ/946-1055م) وأثرها في الفكر السياسي السني، اربد: مؤسسة حمادة، 2008.
- العبادي، احمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي، بيروت: دار النهضة العربية، 1974.
- عبد الرزاق، ناهض، النقود في العراق، بغداد: بيت الحكمة، ط1، 2002.
- عبد المولى، محمد احمد، العيارون والشطار البغاددة في التاريخ العباسي، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1986.
- عرفة، محمود، الأحوال السياسية والدينية في بلاد العراق والمشرق الاسلامي في عهد الخليفة القائم بأمر الله العباسي 422- 467هـ/ 1031- 1075م، حوليات كلية الآداب، الحولية العاشرة، الرسالة الحادية والستون، 1989.
- عزام، خالد، موسوعة التاريخ الاسلامي: العصر العباسي (132هـ/ 656م)، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، 1983.
- العش، يوسف، تاريخ عصر الخلافة العباسية، بيروت: دار الفكر، 2000.
- علي، وفاء محمد

أ. الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية، القاهرة: دار الفكر العربي، ط1، 1988.

ب. الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1991.

- العمرجي، احمد، الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الاسلامي، القاهرة: مكتبة مدبولي، 2000.
- فوزي، فاروق عمر

أ- طبيعة الدعوة العباسية 98هـ/ دراسة تحليلية لواجهات الثورة العباسية وتفسيراتها، بيروت: دار الارشاد، 1970.

ب- الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية 247 /334هـ - 946/861م دراسة تاريخية لبوادر التسلط العسكري على الخلافة العسكرية، بغداد: مكتبة المثنى، ط2، 1977.

ج- العراق والتحدي الفارسي، دراسة تاريخية لجذور الصراع مع الفرس ولموقف بلاد فارس من العراق والخلافة خلال العصر العباسي 132هـ - 656هـ/749م - 1258، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1987.

د- النهوض العربي في العراق والأقاليم المجاورة في العصور العباسية الأخيرة، بغداد، 1989.

هـ- الخلافة العباسية. السقوط والانهيار (الجزء الثاني)، عمان: دار الشروق، ط1، 1998.

- فييه، جان موريس، أحوال النصارى في خلافة بني العباس، ترجمة: حسني زينه، بيروت: دار المشرق، ط1، 1990.

- كانار، ماريوس، نخب تاريخية وأدبية لأخبار الأمير سيف الدولة الحمدانيين الجزائر، 1934.

- الكبيسي، حمدان عبد المجيد، عصر الخليفة المقتدر بالله 295-320هـ/907-932م، دراسة في أحوال العراق الداخلية، النجف: مطبعة النعمان، 1974.

- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، بيروت: دار احياء التراث العربي.

- الكرمي، حسن سعيد، الهادي إلى لغة العرب (قاموس عربي- عربي) بيروت: دار لبنان، ط1، 1991.

- الكروي، إبراهيم، البويهيون والخلافة العباسية، الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، 1997.

- ماجد، عبد المنعم، تاريخ الخلافة الفاطمية، عمان: دار الفكر، ط1، 2011.

- متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، نقله الى العربية: محمد عبد الهادي أبو ريده، القاهرة: مكتبة الخانجي، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.
- مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، القاهرة: مطابع الاوفست، ط3، 1985.
- محمود، حسن احمد، الشريف، احمد الشريف، العالم الاسلامي في العصر العباسي، القاهرة: دار الفكر العربي، ط5، 1982.
- مصباح، احمد مجاهد، دراسات تاريخية في الدولة الإسلامية، العصور العباسية المتأخرة، بغداد: الجامعة المستنصرية، ط1، 1989.
- المعاضيدي، خاشع، دولة بني عقيل في الموصل(سنة380- سنة489هـ)، بغداد: مطبعة شفيق، 1968.
- منيمنة، حسن، تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي – مقاطعة فارس – 334-447هـ/945-1055م، الدار الجامعية، 1987.
- ناجي، عبد الجبار، الامارة المزيدية، دراسة في وضعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي387-558هـ، بغداد: دار الطباعة الحديثة، 1970.
- هنتس، فالتر، المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، عمان: الجامعة الاردنية، 1970.
- يحيى، فوزي أمين، حميدة، فتحي سالم، تاريخ الدولة العباسية (العصر العباسي الثاني) 222- 656هـ/ 840- 1258م، عمان: دار الفكر، ط1، 2010.

- اليـوزبكي، توفيـق سـلطان، مؤسـسة الـوزارة فـي الدولـة العباسـية 132- 656هـ/ 749-1258م، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1988.
- الأبعـاد الثقافيـة والإقتـصادية للـصراع العراقـي الفارسـي فـي العـصر العباسـي، (واقـع ضـمن: الصراع العراقي الفارسي)، بغداد، 1983.

ب- المراجع الأجنبية:

- Cahen, Cl.: Buwayhids or Buyids, Encyclopaedia of Islam, New edition, E.J. Brill, Leiden, 1979
- Encyclopaedia of Islam, New edition, E.J Brill, Leiden,1979.
- Lokkegaar,F,Islmic Taxation in the Clssic Period,Copenhagen,1950.
- Siddigi,Amir,H, Calliphate and Kingship in medieval Persia, Philadelphia: porcupine press.
- Stern, S.M, Coins and Documents from the medieval East, London: variorum peprimts, 1986.
- TreadWell, Luke, Buyd Coinage A Die Corpus (322-445 A.H.) London:ChmeleonPress,2001.

ج – الدوريات والمجلات:

إسماعيل، محمود، الإقطاع في العالم الإسلامي من منتصف القرن الخامس الهجري الى أوائل القرن العاشر الهجري بين الجدل النظري والواقع التاريخي، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، 1990.

الجالودي، عليان، الإقطاع العسكري في عصر سلاطين السلاجقة الكبار ودور الوزير نظام الملك الطوسي في نشاته وتطوره429هـ/1037م–486هـ/1092م، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، العدد2، المجلد1، 2008.

الجميلي، رشيد عبد الله، الزياريون في جرجان وطبرستان 316هـ– 433هـ، مجلة آداب المستنصرية، المجلد9، 1984.

الحيدري، صلاح عبد الهادي، يعقوب بن الليث الصفار 254هـ–265هـ مؤسس الدولة الصفارية، آداب الرافدين، المجلد7، 1976.

– خرابشة، سليمان،

أ- الإقطاع السلجوقي في بلاد الشام، دراسات العلوم الانسانية، المجلد22، العدد6، 1995.

ب- إمارة بني حسنويه في بلاد الجبل (350–406هـ/960–1015م) أبحاث اليرموك، مجلد14، عدد4، 1998.

ج- إمارة بني شاهين في البطائح/ جنوب العراق 338–409هـ، 949–1018م، أبحاث اليرموك، المجلد 16، العدد4، 2000.

د- إمارة بني الساج في أذربيجان وأرمينية، أبحاث اليرموك، المجلد17، العدد4، 2001.

– دائرة المعارف الإسلامية، يصدرها بالعربية، احمد الشنتاوي، إبراهيم خورشيد، وعبد الحميد يونس، بيروت: دار الفكر.

أ- هيج.ت.و: الصفارية، المجلد14.

ب- بارتولد، طاهر بن الحسين، طاهر (بنو)، المجلد5.

ت- ايوار، مادة زيار (بنو)، المجلد10.

ث- بوخنر، مادة(السامانية)، المجلد11.

ج- تسترشتين، أمير الأمراء، المجلد2.

ح- رسكا، ج، مادة ساج (بنو)، المجلد11.

خ- فراند جبرائيل، الزط، ج10، ص349–351.

د- سوبر نهيم (M. Sobernheim) إقطاع، ج2، ص476.

– اليوزبكي، العيارون والشطار واثرهم في الدولة الباسية، رسالة الخليج العربي، المجلد12، 1984.